سلسلة شروح فضيلة الشيخ (٥)

شرح
كتاب التوحيد
الذي هو حق الله على العبيد

تصنيف الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد الله بن عبد العزيز العنقري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

الشيخ لم يراجع التفريغ

برنامج التعليم الميسر

العنقري

العنقري

شرح

كتاب التوحيد

ٱلَّذِي هُوَ حَقُّ ٱللهِ عَلَى ٱلعَبِيدِ

alanqri drangari

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalangri@gmail.com

سلسلة شروح فضيلة الشيخ (٥)

شرح
كتاب التوحيد
الذي هو حق الله على العبيد

تصنيف الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى

* * *

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد الله بن عبد العزيز العنقري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

* * *

النسخة الأولى

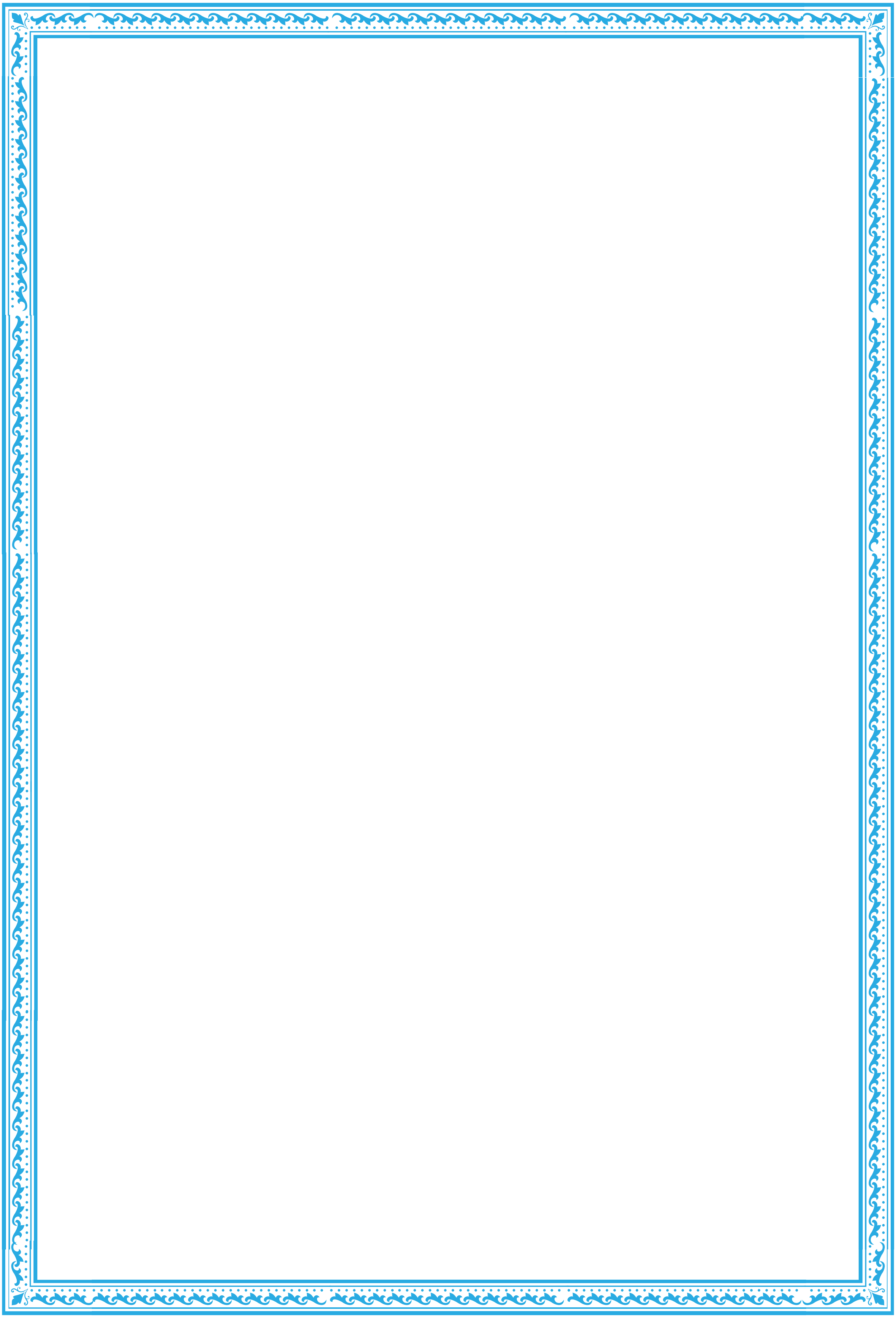

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثُمَّ أمَّا بَعْدُ:

فهذا شرح الكتاب الأول من المستوى الثاني ضمن برنامج التعليم الميسر، والكتاب الأول هو كتاب «**التوحيد الذي هو حق الله على العبيد**» للإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، المتوفى سنة ست بعد المائتين والألف من الهجرة، والمقام في مسجد النخيل بحي العريجاء في مدينة الرياض، مغرب الاثنين في الثاني والعشرين من ربيع الآخر لعام سبعة وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة، ويشرح الكتاب فضيلة الشيخ الدكتور/ عبد الله بن عبد العزيز العنقري -وفقه الله-.

الشَّرح

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ:

فإن كتاب «**التوحيد**» للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى عليه، كتاب لم يطلع عليه منصف إلا وأقر لمصنفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى وأسكنه الفردوس الأعلى، أقر له بالباع العظيم في العلم والفهم البالغ الذي أكرمه الله عَزَّوَجَلَّ به في أمر التوحيد.

وهذا الكتاب كما سترى بإذن الله والنية والعزيمة نسأل الله أن ييسر ويسهل الأمر بأن ينجز -إن شاء الله تعالى- في هذا الفصل بحول الله تعالى وطريقتنا فيه طريقة الشرح المتوسط، ونظرا لكون الغد وقت الدراسة ووقت العمل فلن نطيل بعد العشاء -إن شاء الله تعالى-، أرجو أن لا نتم الساعة قد نأخذ لنا بعض الأحيان خمسين دقيقة ونحوها وقد نصل إلى الساعة؛ لكن لا نريد أن نزيد على هذا الوقت بإذن الله سيسهل الله عَزَّوَجَلَّ الفراغ منه في هذا الفصل كما أراد الإخوة في المسجد خلال البرنامج هٰذا.

هٰذا الكتاب ينبغي لطالب العلم أن يهتم به، من أعانه وتمكن من حفظه فهذا مناسب جدًا ومن لم يتيسر له ذلك فليكن على عناية به واهتمام بالغ به، ستجد بإذن الله عَزَّوَجَلَّ في نهاية هذا الكتاب أنك قد ألممت بالتوحيد الذي هو حق الله عَزَّوَجَلَّ على العبيد، وأدركت أمور الكبار المهمة في شأن التوحيد، وسنستفيد بإذن الله عَزَّوَجَلَّ من الشروح، وننقل في أثناء الشرح هنا جملة من الفوائد المتعلقة بها بحول الله عَزَّوَجَلَّ، ونشير للشروح إشارة عابرة فنقول إن هذا الكتاب لا يكاد يوجد عالم من علماء هذه العقيدة السوية إلا واعتنى به شرحا أو تنبيها أو استفادة وتعليقا، فمن أوسع شروحه شرح العلامة الشيخ سليمان عبد الله، حفيد الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد رحمة الله تعالى عليهم، وهو «**تيسير العزيز الحميد**» وهو واسع للغاية، لذلك اختصره الشيخ العلامة عبد الرَّحمٰن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في «**فتح المجيد**»

كتاب: «**فتح المجيد**» وهو اختصار لكتاب «تيسير العزيز الحميد» وأضاف عليه إضافات نافعة.

أما مشايخنا فلا يكاد يوجد عالم إلا وقد شرح الكتاب، شرحه الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز، الشيخ محمد ابن عثيمين، والشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ صالح الفوزان، وعموم المشايخ والشروح هذه فيها فوائد، أي: تجد في شرح الشيخ محمد ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى مزية الوضوح، وتجد فيه أيضًا مزية ربط مسائل معاصرة ونوازل ببعض مباحث التوحيد.

شرح الشيخ صالح الفوزان أمد الله في عمره على طاعته شرح جذري، والشيخ اعتنى به عناية قوية ومفيد للغاية الشرح، وهكذا بقية الشروح، بقية الشروح تجدها على هذا النحو، فالأنسب لطالب العلم أن يحرص على اقتناء عدد من هذه الشروح لأن كل شرح يكمل الآخر وبطبيعة الشراح لو تلاحظ، حتى شراح الحديث وغيرهم تجد أن الواحد منهم يجتهد اجتهادا بينا في شرحه ومع ذلك بصفته بشرًا لا بُدَّ أن يوجد شيء من الحاجة إلى إتمام شيء غفل عنه أو موضع كان يحسن أن يتنبه عليه فيجد هذا في الشرح الآخر، وهكذا كتب التفسير في بعض الأحيان تجد آية تكلم عليها ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامًا واسعًا وأشبع الموضوع؛ ولكن تجد مثلًا آية أخرى، لا تجد للحافظ ابن كثير في الشرح الذي تجده في موضع آخر، فتجده في ابن جرير، بل في بعض الأحيان لا تجده في ابن جرير ولا في ابن كثير وتجده في ابن السعدي، «تيسير العزيز الحميد» مع أنه موجز، ولهٰذا محاولة أخذ الشروح والاستفادة من عمومها هذا لاشك أنه نافع وهو ما سنحاول بإذن الله وحوله أنا ننقله إلى الطلاب ننقل منه جانبًا للطلاب وإن كان الوقت الحقيقة يقتضي شيئًا من التوسط في الشرح وهو ما -إن شاء الله تعالى- سنحرص عليه بعون الله تعالى.

۞ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**بسم الله الرَّحمٰن الرحيم، الحمد لله، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.**

كتاب التوحيد، وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]».

الحمد لله، بدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بالبسملة، و هذه هي طريقة أهل العلم أن يبدءوا كتبهم بذكر بسم الله عَزَّوَجَلَّ سواء بقولك بسم الله الرَّحمٰن الرحيم أو بالحمد لله، بحيث يبدأ الكتاب بذكر اسم الله عَزَّوَجَلَّ وقد ورد كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أقطع فلا ينبغي للمسلم أن يؤلف كتاب أو يخطب خطبة يبدأها هكذا مباشرة دون تسمية أو الحمد لله وينبغي له أيضًا أن يصلي على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي كتب

النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البدء بالتسمية، ففي كتاب لهرقل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**بسم الله الرَّحمٰن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم أما بعد، أسلم تسلم فإن أبيت فإن عليك إثم الإريسيين**».

وهكذا كتبه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي كتاب سليمان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما قال الله في سورة النمل: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣١﴾ [النمل].

الباء في قولك «بسم الله» للاستعانة التقدير أبدأ مستعينا بسم الله، ويمكن أن يقدر بالمصدر بسم الله الرَّحمٰن الرحيم أبدأ، ثم ذكر حمد الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فجمع بين التسمية وبين الحمد والله عَزَّ وَجَلَّ يحمد لعظمة صفاته، عظمة صفاته تبارك وتعالى لعلمه وحكمته وإحاطته وسمعه وبصره ورأفته ورحمته وكرمه فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مستحق للحمد فيحمد لعظمته وعظمة أسمائه وصفاته.

○**الأمر الثاني**: يحمد لنعمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأنت تحمده تبارك وتعالى على ما والى عليك من النعم أن من عليك عز اسمه بالإسلام ومن عليك بالسمع والبصر والفؤاد وأكرمك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بنعم ظاهرة وباطنة لو أردت إحصائها لما تمكنت، فيحمد الله لعظمة أسمائه وصفاته، ويحمد لكرمه وجوده وإحسانه على عبيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو أحق من حمد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وبحمده، وهو يحب الحمد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولهٰذا كانت هذه السورة العظيمة سورة الفاتحة كانت تعليما للعباد، فقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة] فيه تعليم للعباد، أن يحمدوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأن يثنوا عليه والله تبارك وتعالى يحب الحمد وهو أحق من حمد سبحانه وبحمده، ومن أعظم وأكرم ما تسمعه الله الآذان أن يحمد الله وأن يثنى عليه وأن يشكر وأن يتواصى الناس بحمد ربهم وشكره وعدم الغفلة عن ذلك ولهٰذا لو تأملت عددًا من الآيات التي بها ذكر السمع والبصر والفؤاد لوجدتها تتبع بالتنبيه على الشكر، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [المؤمنون]. وفي آيات أخرى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾ [الأنفال].

قال ابن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: هذه أصول النعم الثلاثة بعد الإيمان، ويقل شكرها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شكر السمع والبصر والفؤاد على عظمة هذه النعم قليل؛ لكن الإنسان ينجح في دراسة، تربح له تجارة يحمد ويثني؛ لكن هذه النعمة المستديمة له البصر، النعمة المستديمة له بالسمع، النعمة المستديمة له بالعقل والفؤاد هذه دائمة ولو فقدها أو نظر إلى من فقدها لوجد الأثر والفارق الكبير بين من عنده هذه

النعمة العظيمة وبين من حرمها، فهي نعم مستديمة عقلك معك نعم مستديمة، بصرك معك تقلبه في مصالح دينك ودنياك مستديمة وهكذا السمع تسمع ولهٰذا يقل الشكر لها ويغفل عنها، نسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

ولهٰذا أوصى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «يا معاذ والله إني لأحبك» وأوصاه أن يقول في دبر الصلاة «اللّٰهمَّ أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»، تحتاج إلى أن يعينك الله ولو أعانك الله على الشكر هذا أعظم أنواع الإعانة فلن تتمكن من أن تشكر الله كما يستحق، قطعًا، لا يمكن أن يشكر الله كما ينبغي أن يشكر؛ لكن أن يعينك الله وتلهج بذكره وتكثر من شكره تعالى هذه من نعمة الله تعالى عليك.

وقوله: «في دبر الصلاة» بعض أهل العلم يقول بعد الصلاة، أي: أنها تكون من الأذكار التي بعد الصلاة، وآخرون يرون أنها تكون في التحيات في آخر التحيات لأن دبر الشيء منه، وهذا الذي رجحه الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أن قولك اللّٰهمَّ أعني على ذكرك وشكرك يكون في آخر صلاتك فقبل أن يسلم الإمام تقول اللّٰهمَّ أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

۞ **قال المؤلف: «وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم».**

○ **الصلاة:** أصلها الدعاء، وقال أبو العالية إن صلاة الله تعالى هي ثناءه على نبيه عند الملائكة سبحانه وبحمده؛ لأن يثني على هذا النبي الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأمة مأمورة بالصلاة والسلام على هذا النبي الكريم، ومن أهل العلم من يرى أن الصلاة عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصلاة على سبيل الوجوب ولاسيما في التشهد الثاني، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وهذا هو الذي ينبغي أن يجمع في الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الصلاة والسلام ولا يقول قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

۞ **قال المؤلف: «وعلى آله».**

○ **الآل:** قيل إن المراد بهم أتباعه على دينه، واستدلوا بقوله تبارك وتعالى في شأن عذاب فرعون ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر]، ليس المقصود قرابة فرعون وإنما أتباعه، قيل فالآل هنا يراد بهم الأتباع في مثل هذا الموضع، ولاشك أن للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آلا أي: أهلا منهم زوجاته قطعًا؛ لأن الآيات التي في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ

وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾ [الأحزاب]، هي نازلة في شأن أمهات المؤمنين الآيات قبلها وبعدها كلها في أمهات المؤمنين بدءا من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨﴾ [الأحزاب]، ثم قال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢] ثم قال في أثناء ذلك: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ثم قال: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ﴾ [الأحزاب: ٣٤] بنون النسوة فدل على أنهن قطعًا من آل بيته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

ومن آل بيته آل بيته الذين منعوا الصدقة من آل جعفر وآل عباس وآل علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ فكل هؤلاء من آل بيته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ نص في هذا الموضع على أن الآل في قوله: «صلى الله على محمد وعلى آله» يراد بهم الأتباع، وبالتالي يكون قوله: «وصحبه» الصحابي هو من لقي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به ومات على ذلك، هذا حده أن يكون ممن لقي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لكن لا بُدَّ أن يكون مؤمنًا، أما لو لقيه وهو كافر ككفار قريش ليسوا من أصحابه، وأيضًا لا بُدَّ أن يثبت على الإسلام حتى يموت عليه، أما إذا ارتد كما حصل من المرتدين بعد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فليسوا من أصحابه فالصحبة ضابطها الإيمان، بلقيا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بالإيمان والموت على ذلك، وهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم هم أفضلهذه الأمة على الإطلاق.

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**أنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**» أي: أنهم أمنة للأمة في أمر دينها ودنياها، في أمر دينها للزود عن الحق والسنة والرد على أهل الباطل، وفي أمر دنياها لما كان الصحابة متوافرين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ كانت الفتوحات على أعظم ما يكون للانتشار وكان رد أعداء الله من كفرة الروم والفرس أمرًا جليًا ظاهرًا وكانوا مدحورين أولئك الكفرة صاغرين، ثم بعد أن خاب جيل الصحابة ضعفت الأمور بالتدريج حتى صار حال المسلمين إلى ما هو عليه.

قال المؤلف: «كتاب التوحيد».

أي: هذا كتاب التوحيد، والكتاب مصدر لقولك كتب يكتب كتابا ومادة الكتابة تدور على الجمع،

وقال كتب بنوا فلان وسميت الكتابة بالكتابة؛ لأن القلم إذا كتب سمعت الكلمات والحروف.

❁ **قال المؤلف: «التوحيد».**

❍ **التوحيد**: هو مصدر الفعل وحد يوحده إذا أفرداه، يقال: وحد يوحد هذا من حيث اللغة، وحده يوحده إذا جعله منفردا وحده، أما التوحيد في اصطلاح الشرع فالتوحيد بمعناه العام هو إفراد الله بما يختص به، والذي يختص الله به أمور ثلاثة:

❍**الأول**: الربوبية.

❍**الثاني**: والألوهية.

❍**الثالث**: والأسماء والصفات.

إفراد الله بما يختص به أي: في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته؛ ولكن لما كان أكثر النزاع بين الرسل عليهم الصلاة والسلام وبين الكفار وهكذا النزاع بين ورثة الرسل وبين عموم الكفار إلى قيام الساعة أكثر النزاع هو توحيد العبادة، فإنه يمكن أن يطلق التوحيد ويعرف فيقال إفراد الله بالعبادة ويعنى به توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله.

إذًا فتوحيد العبادة: إفراد الله بأفعال العباد، من الذبح والدعاء ونحوه وتوحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من الخلق والتدبير وغيرها.

وأما أسمائه وصفاته فهو إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذه الأسماء والصفات على ظاهرها من غير تحريف، من غير تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: «**كتاب التوحيد**»، ثم قال: «**وقول الله**»، بالجر أي: كتاب التوحيد وعطف على كلمة التوحيد قول الله، ويجوز الرفع على الابتداء فيقول معنا كتاب التوحيد وقول الله، وبدأ بهذه الآية العظيمة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات].

هذه الآية العظيمة بين الله تعالى فيها الحكمة من خلق الجن والإنس، لما خلقنا الله عَزَّوَجَلَّ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾ [الذاريات]، فما خلق الله عَزَّوَجَلَّ هؤلاء الجن ليتكثر الإنس والجن، ليتكثر بهم من قلة، ولا ليتقوى بهم من ضعف

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإنما خلقهم ليعبدوه، وعبادته تبارك وتعالى.

❍ **العبادة**: يراد بها في اللغة الذلة والخضوع، وتطلق في اصطلاح الشرع على كل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال، الظاهرة الباطنة، في الصلاة والطواف والزكاة وعموم الحج، هذه أعمال ظاهرة، وهكذا أعمال باطنة كالمحبة لله والخشية له عَزَّوَجَلَّ والتوكل عليه ونحو ذلك كل ذلك أعمال تدخل في حد العبادة فهي العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال، سواء كانت قولية أو عملية ظاهرة كانت أو باطنة.

۞ **قال المؤلف**: «﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]».

المراد بعبادته تعالى: أن يطاع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأن العبادة معناها الطاعة، أن يطاع وما الطريق لطاعة الله فعل المأمور وترك المنهي، بأن يفعل ما أمره الله عَزَّوَجَلَّ به، سواء أكان من العبادة الظاهرة أو الباطنة، وأن يترك ما نهاه عَزَّوَجَلَّ عنه، مما هو ظاهر أيضًا أو باطن، هذا الذي خلق الله تعالى لأجله العباد.

❍ **والمراد بالعبادة**: العبادة المخلصة التي ليس لله تعالى فيها شريك ولهٰذا فسرت العبادة هنا بالتوحيد ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات] المقصود ليوحدوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وليس المقصود مجرد أن يعبدوه ويعبدوا غيره؛ لأن المقصود بالتوحيد كما تقدم إفراد الله بأفعال العباد، فإذا عبد الله وعبد غيره شرك ومنه سمي الشرك؛ لأن المشركين يعبدون الله ويعبدون معه غيره كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦] هكذا يكون الشرك، يعبد الله ويعبد غيره، هذا عبادته مردودة عليه وهو في الهالكين في القيامة.

إنما تكون العبادة التي تنفع أهلها إذا كانت خالصة لله عَزَّوَجَلَّ فالله أمرهم بعبادة خالصة ولم يأمرهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يعبدوه ويعبدوا معه غيره فإن هذا هو الشرك، فبدأ بهذه الآية وهذا من فقهه العظيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هذه الآية من أهم ما ينبغي أن يورد في أمر التوحيد لأن بها بيان السبب في خلق الإنس والجن، لما خلقنا الله عَزَّوَجَلَّ لنعبده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ونفرده تبارك وتعالى بالعبادة، ولهٰذا فسر علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الآية بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات] إلا لآمرهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي، فالمقصود أن يعبد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده لا شريك.

قال المؤلف: «وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]».

ثنى رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذكر هذه الآية لبيان أن الرب تبارك وتعالى جعل التوحيد وإفراده تعالى بالعبادة في جميع الأمم وأنه ليس مثل الأحكام التي يمكن أن تتفاوت فقد يحل في شريعتنا هذه ما كان حراما في شريعة موسى؛ لكن التوحيد الذي جاء به موسى هو الذي جاء به محمد، هو الذي جاء به عيسى، هو الذي جاء به إبراهيم، هو الذي جاء به نوح، هو الذي جاء به آدم عليهم صلاة الله وسلامه جميعا.

فالمرسلون عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ دعوتهم واحدة في التوحيد، لا يمكن أن يأتي نبي بأمر في التوحيد ويأتي نبي آخر يخالف هذا التوحيد؛ لأن خلاف التوحيد باطل والأنبياء جميعًا دعوتهم واحدة، ولهٰذا قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الأنبياء إخوة لعلات دينهم واحد وأمهاتهم شتى**»، إخوة لعلات هو الذين لهم أب له عدة زوجات، فهم ليسوا أشقاء أي: من أم وأب وإنما يلتقون في الأب فقط، ويتفاوتون في الأمهات، هذا معنى إخوة لعلات، ما مراده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبينه بقية الحديث: «**الأنبياء إخوة لعلات دينهم واحد**» وهو التوحيد «**وأمهاتهم**» أي: الشرائع «**شتى**» تتفاوت، فيحل في هذه الشريعة ما كان محرمًا في شريعة قبلها وهكذا.

تأملهذه الآية قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام]. هذه أشياء محرمة على بني إسرائيل، هل هي محرمة علينا؟ لا؛ لأن الله حرمها عليهم جزاء لبغيهم، أما ولله الحمد في هذه الشريعة فهي مباحة لنا، ذاك كان في شريعة موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، في شريعتنا هذه مباحة، هذا معنى تفاوت في الأحكام، فيأتي نبي بأحكام تتفاوت، تختلف عن ما جاء به النبي الآخر؛ لكن الدين الحق الواحد في العقيدة لاشك أنه واحد، بلا أدنى شك لا يتفاوتون.

ولهٰذا قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى**: فالدين في التوحيد دين واحد لم يختلف منهم عليه اثنان -يعني من الرسل- دين الإلٰه اختاره لعباده ولخلقه هو قيم الأديان فمن المحال بأن يكون لرسله في وصفه خبران مختلفان أن يستحيل أن يأتي إبراهيم بصفة ويأتي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينفي عن ربه ما أثبته إبراهيم من الصفات، هذا أمر محال؛ لأن العقيدة واحدة، فالعقيدة التي عليها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي التي

عليها نوح وعليها آدم قبله وعليها إبراهيم وموسى وعيسى وجميع الأنبياء صلى الله عليهم وسلم.

ولهٰذا الموحدون في القيامة في الأمم الذين يدخلون الجنة كلهم موحدون، ما هنالك مشرك، ما يقال هذا الشرك كان مباحًا في شريعة نبي من الأنبياء معاذ الله، الأنبياء كلهم دينهم واحد، ولهٰذا تأمل في القصص التي يذكرها الله تعالى عن الأنبياء في نزاعهم مع قومهم قال عَزَّوَجَلَّ:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥].

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ [الأعراف: ٧٣].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥].

القضية قضية التوحيد عند جميع المرسلين صلى الله عليهم وسلم، ولما جاء النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دعا إلى التوحيد كما دعا إليه الأنبياء قبله، قال الله عَزَّوَجَلَّ في بيان ما دعاهم إليه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما اشتكى كفار قريش رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى عمه أبي طالب وقالوا إنه يسفه أحلامنا يشتم آباءنا ويفعل ويفعل، دعا أبو طالب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وقال يا ابن أخي ما بال قومك يشتكونك، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إني أريدهم على كلمة تدين لهم بها العرب، وتدفع لهم بها العجم الجزية**»، فقال أبو جهل: كلمة واحد لن نعطينكها وأبيك وعشر كلمات، أي: تنتهي الخصومة بيننا وبينك بكلمة، نعطيك هذه الكلمة ونزيدك عشرة، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**قولوا لا إله إلا الله**» فقاموا ينفضون ثيابهم من الغضب وقالوا: أجعل الآلهة إلٰها واحدًا، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات].

فعلموا أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بدعوتهم إلى لا إله إلا الله يأمرهم بإفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فلهٰذا أبوا كل الإباء أن يتركوا شركهم، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ﴾ [النحل: ٣٦]؛ لأن الله تبارك وتعالى لا يترك العباد هملا، ضائعين، لا يعلمهم بالذي يجب عليهم وبالذي ينجون به إذا لقوه يقطع سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ معذرة العباد، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، فالرسل يقطعون المعذرة، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ

حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ۝١٥ ﴾ [الإسراء]، فالرسل صلى الله عليهم وسلم يقطعون معذرة الناس، ومن أتى في القيامة فإنه بين أحد أمرين إما أن يكون ممن بلغته دعوت الرسول الذي بعث إليه فعند ذلك إذا قبل الدعوة وأطاع فإنه يكون في الناجين، وإما ألا يقبلها فيكون في الهالكين، وإما ألا تبلغه الدعوة نهائيًا ولا يصل إليه شيء أبدًا من أخبار هؤلاء المرسلين البتة ويموت ولم تقم عليه الحجة فالله عَزَّوَجَلَّ حكم عدل، هذا الذي لم يصله الحق، لا يعذبه الله عَزَّوَجَلَّ لأجل كونه لم تصله دعوة المرسلين، ماذا يكون له في القيامة؟ يمتحن في القيامة، فإن أجاب فإنه ينجو، وإن لم يجب قيل له عصيت الله عَزَّوَجَلَّ في مثل هذا المقام في القيامة فكنت في الدنيا أولى أن تعصي.

❁ **قال المؤلف: «﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]».**

هذه هي دعوة المرسلين التي يجتمعون عليها جميعًا عليهم الصلاة والسلام، «**أن اعبدوا الله**» أي: أفردوه تبارك وتعالى بالعبادة كما تقدم في الآية السابقة، واجتنبوا الطاغوت: الطاغوت في هذا الموضع يراد به ما عبد من دون الله وهو راضي، فمن اجتنب الطاغوت وهو المعبود من دون الله إذا رضي، أي: قد يعبد من لا يرضى كالملائكة والأنبياء والصالحين، هؤلاء قطعًا ليسوا طواغيت، ولا يقال عياذا بالله إنهم طواغيت، المجرم هو من عبدهم، أما هم فلا يرضون هذه العبادة.

❁ **قال المؤلف: «قوله: أن اعبدوا الله».**

وذلك بإفراده بالعبادة كما تقدم.

❁ **قال المؤلف: «قوله: واجتنبوا الطاغوت».**

وهو المعبود من دون الله وذلك بالبراءة منه والكفر منه، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وهي لا إله إلا الله، الاستمساك بلا إله إلا الله يكون: من خلال الكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه وإفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة وحده لا شريك، من فعل ذلك فإنه يكون مستمسكا بالعروة الوثقى ويبينه ويأتي -إن شاء الله- يقول إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]،

براء مما تعبدون: هي لا إله، إلا الذي فطرني: هي إلا الله؛ لأن لا إله إلا الله تتضمن النفي والإثبات.

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ۝٢٧﴾ [الزخرف] قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ﴾ أي: كلمة التوحيد ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨]، فالحاصل أن كلمة التوحيد هذه عند جميع الأمم: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، كما قرأنا في الآيات التي عن شعيب وعن نوح وعن صالح وعن هود عليهم الصلاة والسلام.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فكل الرسل صلى الله عليهم وسلم متفقون على دعوة قومهم إلى إفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة، ولهٰذا كيف نعرف من هو من الدعاة على منهج صحيح ومن هو على منهج غير صحيح، لمعرفة سادة الدعاة، الرسل صلى الله عليهم وسلم، هم سادة الدعاة وهم قدوتهم، فمن سلك مسلك الرسل في الاهتمام بالتوحيد فهو على طريق صواب، ومن كانت دعوته على خلاف التوحيد الذي بعث به المرسلون أو يدعوا غير مهتم بالتوحيد والنهي عن الشرك فهذا ليس على طريق سوي؛ لأن الرسل صلى الله عليهم وسلم كان أعظم تركيزهم على التوحيد، فإذا ركز على التوحيد من قبل الرسل صلى الله عليهم وسلم وجاء إنسان يقول إني أدعوا إلى الله، أنت تدعوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ على ما تشتهي أو على بصيرة وعلى هدي الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فإن قال على هدي الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقال هدي الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

فلا بُدَّ أن تعتني بما اعتنى به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبدأ بما بدأ به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تحذر مما حذر منه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن عكست المسألة بأن لم تهتم بالتوحيد أو أتيت أنه على خلاف التوحيد فأنت تدعوا نعم لكن على غير بصيرة ودعوتك أنت بها مأزور غير مأجور، ولهٰذا تأمل ما قص الله من خبر نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، قال عَزَّوَجَلَّ في شأن نوح ومكثه في قومه: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾ [العنكبوت: ١٤] يركز على ماذا؟ على التوحيد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تسعمائة وخمسون سنة، قال عَزَّوَجَلَّ في موضع آخر: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ۝٤٠﴾ [هود]، ليست العبرة بالكثرة، العبرة أن تكون على طريق سليم وإن كان المستجيبون لك قلة، بل أنت غير معني وغير مسئول عن من يطيع ممن لا يطيع، أنت مسئول عن أن تدعوا على بصيرة، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣] بأن

يدعوا على أي سنن بما ذكر في آية سورة يوسف: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، ﴿دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت]، فينهج نهج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيركز هذا التركيز العظيم على التوحيد وعلى النهي عن الشرك، والتحذير من الخلل العقدي، أما أن يمكث الإنسان تشيب لحيته ليس له كلمة في التوحيد ثم يقال إنه داعي، داعي إلى ماذا هٰذا؟ يدعوا إلى ماذا؟ إذا لم يهتم بما اهتمت به الرسل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجعل الله تبارك وتعالى الأمر الأول كما في حديث معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الصحيحين أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بعثه إلى أهل اليمن قال: «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات، فإن هم أطاعوا فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم**» لكن إذا لم يطيعوا ولم يهتموا وأبوا أن يطيعوا كلمة التوحيد هؤلاء لا يمكن أن ينفعهم عمل صالح أصلًا؛ لأنهم غير موحدين فلا بُدَّ أن تصحح عقيدة الناس.

❍ **والعجب فيمن لا يعرف قيمة التوحيد** فيركز على غير التوحيد من أدواء الأمة ومشاكلها وما فيها من شيء من الانحراف، يقال أتدري يا من جهلت قدر التوحيد أن الناس لو انضبطت عقيدتهم لصلحت أخلاقه، هذا المرابي، وهذا الزاني، وهذا الشارب للخمر، وهذا العاق لوالديه أتدري لو أنه عظم قدر الله في قلبه وبني بناء سليمًا في توحيده أنه يترك الزنا، ويترك الخمر، ألا تعلم خبر الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار، ثم قدر الله أن تنطبق على فم غارهم صخرة فسدت عليهم فم الغار وكان منهم رجل راود ابنة عمه عن نفسها حتى اشتدت بها الحاجة فمكنته من نفسها فما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ما قالت يا ابن عمي يا ابن قبيلتي ما قالت هذا الكلام لأنه ما ينفع في مثل هذا الموقف إلا التذكير برب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فقالت: اتق الله الذي هو مطلع عليك الآن ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقام لأن التوحيد احترك عنده وترك الزنا وهكذا أهل الربا، أهل الخمور، أهل العقوق، أعظم ما يعينك على دعوتهم إلى الله أن تزرع فيهم التوحيد، أما هذه القصص والأخبار والأحاجي هذه ما يمكن أن تزرع في نفوس الناس إلا شيئًا مؤقتا وحتى لو ترك أحد مثلًا شيئًا من المعاصي لأجل مثل هذه القصص فإنه على ما هو مثل بيت العنكبوت ما الذي يمنع الإنسان من الإقدام على الربا وشيطانه ونفسه الأمارة بالسوء تقول في الربا زيادة في الأموال، ما الذي يمنعه من الإقدام على الزنا وشيطانه ونفسه الأمارة بالسوء تقول الزنا يسهل الوصول إليه، لا يمنعه إلا مراقبة الله عَزَّ وَجَلَّ ما يمنعه إلا هٰذا، أما ما سواه فإنه ليس يمنع، ولهٰذا البناء

الصحيح للدعوة إلى الله تكون على هدي الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما انبنى دعوته على ذلك فإنه على بصيرة وما انبنى دعوته على غير ذلك فإنه قد يمكث أربعين خمسين سنة قد يكثر أتباعه لكن دعوات سبحان الله العظيم، لا بركة فيها مع كثرة الأتباع فيها، ألا ترى كثرة أتباع الصوفية، أتدري أنهم في الملايين ماذا فعلوا لأمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما فعلوا بها إلا الضرر، أنقول ما النفع الذي لم يحققوه؟ الضرر الشديد الذي ترتب على هٰذا؛ لأنهم يدعون إلى على غير بصيرة أما الرافضة والباطنية فمن باب أولى فيكون وضعهم أسوأ.

فالحاصل أن من أراد الدعوة إلى الله فالأساس التي تبنى عليه الدعوة هو التوحيد، أما إذا بنيت الدعوة على غير التوحيد فإنها لا تكون على بصيرة ولا على صواب، نعم وبه نعرف الآن في هذه الآية وفيما سيأتي علما هو أشرف العلوم وهو علم معنى لا إلٰه إلا الله، لا إلٰه إلا الله تتضمن شيئين: النفي والإثبات، لا إلٰه: نفي المعبود، إلا الله: إثبات العبادة لله وحده.

❍ **من المهم لطالب العلم** أن يضبط معاني الآيات التي تشرح هذه الكلمات، «أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت» أن اعبدوا هذا ركن الإثبات، أي عبدوه عبادة مخلصة، واجتنبوا الطاغوت هذا ركن النفي في قولك لا إلٰه وهكذا قوله تعالى: «فمن يكفر بالطاغوت» هذا النفي، «ويؤمن بالله» هذا الإثبات وهكذا قول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزخرف] هذا النفي، ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٧] هذا الإثبات وهكذا، بأن تضبط معنى هذه الكلمة العظيمة من خلال الآيات التي بينتها.

۞ **قال المؤلف:** «وقوله: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]».

قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء]. قضى معناها: وصى، أي: أنه تبارك وتعالى وصى، ألا تعبدوا إلا إياه، لا تعبدوا: هذا النفي، لا إلٰه، إلا إياه: هذا الإثبات في قولك إلا الله.

«وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ» وصى عباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأمرهم ألا يعبدوا أحدًا سواه تبارك وتعالى، وقرن بأمره بالتوحيد أمره بالإحسان إلى الوالدين وهذا يدل على عظم شأن الوالدين، وعلى أن الموحد

الحقيقي يعتني عناية بالغة بشأن والديه وإلا، فإن الرب سبحانه حين قرن الأمر بالإحسان للوالدين بالأمر بتوحيده هذا لا شك أن فيه لفت لنظر كل موحد وكل مسلم، إلى أن يتفطن إلى أمر بر والديه وأن يكون الأمر فيهما كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فيهما فجاهد**» جاهد في والديك، واحرص على إرضائهما وهذا يحتاج الجهاد كما تعلم الجهاد فيه كلفة وفيه مشقة، فتحرص على إرضاء والديك وألا يموتا إلا وهما عنك راضيا، وتحرص على كل ما يدخل عليهما السعادة وتصرف عنهما كل ما يمكن أن يوجد فيهم الضيق والحرج حتى لو تحملت من آثار ذلك شيئًا كثيرًا؛ لأن هذا المجاهد هكذا الجهاد: «**فيهما فجاهد**».

ولهذا مع أن الجهاد ذروة سنام الإسلام، إلا أنه لا يحل لأحد أن يجاهد دون إذن والديه؛ لأن الجهاد في أصله فرض كفاية، وبر الوالدين على الابن والبنت فرض عين، فلا يقدم فرض الكفاية على فرض العين فلا بُدَّ من إذن الوالدين.

والذين خبثوا في هذه المسألة وقالوا إن إذن الوالدين غير واجب بل يجاهد الابن دون إذنهما كلامه مصادم مصادمة صريحة للنصوص التي رد فيها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحابة الذين استأذنوه للجهاد، ردهم لوالديهم، ولما جاءه رجل قال: أتيتك أبايعك على الجهاد والهجرة أبتغي الأجر من الله، قال: «**أتيت تبايع على الهجرة والجهاد تبتغي الأجر من الله**» قال: نعم، وذكر أن والديه حيان، قال: «**ارجع إلى ولديك**» جهاد مع محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما هو مع فلان وفلان، أفضل جهاد وأعظم جهاد وأعظم هجرة هي الهجرة إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأعظم الجهاد، الجهاد في جيش فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رده إلى والديه، فيا لله العجب.

أيوجد جهاد أعظم من جهاد مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يقول هؤلاء المتهوكون إن الجهاد مع فلان وفلان يسقط فيه إذن الوالدين ما هذا الكلام، ثم بهذه الطريقة ما الفرق بيننا وبين المعتزلة وأدرابهم الذين يردون النصوص، المعتزلة والمتكلمون عمومًا النص الذي لا يوافق هواهم يلعبون به، فيأتي هؤلاء ويلعبون بهذه النصوص العظيمة ولهذا قال بعض أهل العلم: إن المراد بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦]، الأعراف موضع بين الجنة والنار، هذا الموضع الذي بين الجنة والنار، يكون عليه أناس، لهم حسنات ولهم سيئات، حسناتهم منعتهم من دخول النار وسيئاتهم

منعتهم من دخول الجنة، مثاله: من جاهد في سبيل الله بدون إذن والديه، فجهاده في سبيل الله منعه من أن يكون من أهل النار؛ لكن كونه جاهد بدون إذن والديه هذا منعه من أن يدخل الجنة، فالأمر عظيم والعبث بنصوص رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس منهج أهل السنة، وإنما هذه مناهج المعتزلة والجهمية وأدرابهم الذين يتلاعبون بالنصوص إذا لم توافق هواهم، فالوالدان فيهما جهاد وأي جهاد، جهاد عظيم جدًا، ولهذا قال تعالى: ﴿إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ﴾ [الإسراء: ٢٣]، انظر الجهاد، قد يأتيك أبوك وأنت تريد النوم فيقول اذهب الآن هات كذا وكذا، وأنت مجهد متعب، لا تذهب وتأتي به ووجهك مكفهر، هذا الجهاد، قد تأتي به وأنت يرى في عينيك الغضب ويرى منك عدم المطاوعة له في ذلك فاذهب وأنت منشرح الصدر وتحمد الله عَزَّوَجَلَّ أن هيأ لك دون إخوتك هذا الأجر العظيم هذا هو الوضع السوي، وهكذا يفعل المجاهد الذي يجاهد في والديه، فلا تقل لهما أف، أف أيسر أنواع الأذى، أيسر ما يمكن أن تؤذي به غيرك أن تظهر له أنك متبرئ منه هذا الوضع الذي أنت فيه لا تتكلم تقول أنا متضايق لكن تقول: أف، فلا تقل لهما أف، فما بالك أشد من أف، فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما، أي: لا يصدر منك فعل قبيح، بل قال عطاء: لا تنفض يديك على والديك، الله أكبر، أي: لا تقل أيّ كلمة تظهر منها أنك تنفض يديك من الغضب، هذا سمي نهرا، أي: لاحظ أنك منهي عن أن يبدر منك قول أو يبدر منك فعل يغيظ والديك.

❍**ثم نص الله تعالى على الكبر** لأن الأب والأم إذا تقدم بهما السن اشتدت حاجتهما لأولادهما، أما ما دان من شبابهما ففي أحيان كثيرة لو عرضت عليهما الخدمات يقول الأب أنا لا أريد، أنا في عافيتي وعندي مثلًا دابتي وسيارتي وأنا أذهب في أموري أعانك الله ادرسوا وأذهب إلى أعمالكم أنا في غنية لكن إذا تقدم به السن كثيرًا ما تكثر فيه الأمراض، وأيضًا مثل ما بين العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى صاحب «**أضواء البيان**» ذكر أن الوالدين إذا تقدم بهما السن أدخلا نفسيهما فيما لا يعنيهما فبدأ يطلبان من الأولاد أمورا لا علاقة لهما بها مما هو يختص بشئون الابن أو البنت من أمور كانا في شبابهما لا يكترثان بها؛ لكن لما تقدم بهما السن يبدأ يدخل نفسه في أمور ويطلب من ابنه افعل كذا لا تفعل كذا مما هو لا شأن له به، هنا نص الله على الكبر؛ لأن الصبر عليهما في حال الكبر أعظم جهادا، والبنت يحتاجان إلى شيء من مكابدة النفس، مع الوالدين إذا تقدم بهما السن، حتى قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: ٢٤] يكون عندك تذلل شديد لهما، هذا التذلل قطعًا تذلل بشري لبشري ليس مقصود عبادة وإنما

تتذلل لهما من شدة ما عندك من بر، ولهٰذا قلنا إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فيهما فجاهد**»، هذا الكل يحتاج إلى جهاد، يحتاج إلى صبر، ما يحتاج إلى نفوس ضيقة وإلى خواطر منزعجة، يحتاج إلى شيء من الجهاد والصبر على الوالدين وإبداء البسمة وإبداء عدم التضايق وإبداء الراحة حتى لو كان الإنسان متعبا من هٰذا، ويكون الإنسان باذلا لماله ولوجهه، مظهرا سعادته وأنه ليس هناك أصلًا عليه أي كلفة وأنه في غاية الراحة حتى يستريح الوالدان، فعند ذلك يتحقق له ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ به، ولهٰذا ذكّر الله الابن والبنت البارين: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء].

ألا تذكر حيث كنت صغيرًا كم أسهرتهما، كم خافا عليك، كم بذلا، وكم سهرا، وكم تعبا، انظر الصبي الآن الصغير، ماذا يفعل بوالديه من المراجعات في المستشفيات والسهر والتعب والوالدة ماذا تعالج من إرضاعه ومن تنظيفه ومن أشياء كثيرة جدًا، هذا وقع لك، وكانا سعيدين بذلك، وكانا لا يفكران بتاتا إلا في خدمتك، فأقل ما هنالك عند ذي المروءة والشهادة أن يرد إليهما معروفهما مع أن هذا لا يكفي، أي: يقول الإنسان لأنهما أحسنا سأحسن، بر الوالدين عبادة كما ترى قرن بالتوحيد ﴿ ۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

❍ **ولهٰذا اسمع يا شاب هذه الوصية!!** كل صاحب لك يعينك على بر والديك فهو من الرفقاء الخير، وكل واحد من الرفقاء يبغض لك بر والدين أو يعسره أو تشعر أنه يضغط عليك لتقلل مما تبذله لوالديك فاعلم أنه رفيق شر وسوء فاهجره واتركه لله عَزَّوَجَلَّ، هذه تكون قاعدة عندك، الرفيق الصالح يعينك على البر، والرفيق السيئ أبدًا دأبه والعياذ بالله أن يعسر عليك الأمر وربما قال وهذا من أسوأ ما هنالك إلا أنت هناك ستة سبعة أخوة لك ما وجد أبوك إلا أنت دائمًا يأمرك هذا شيطان مريد من شياطين الإنس احذره، الواجب عليك أن تعلم أن من نعمة الله البالغة عليك أن يحب أبوك وأمك أن يأمرك؛ لأن الله تبارك وتعالى هيأ لك هذه النعمة فإياك أن تتبرم منها فتقول أنا وحدي في البيت هناك عدة أخوة لي إذا أحباك هذه من نعمة الله لك عَزَّوَجَلَّ فستجد التيسير في أمرك دينك ودنياك، فانتبه إلى هذه المسائل واعلم أن قرن الله عَزَّوَجَلَّ بالإحسان إلى الوالدين بالتوحيد أمر في غاية العظمة؛ لأن التوحيد هو أعلى الواجبات، فلما قرن الله عَزَّوَجَلَّ به الإحسان إلى الوالدين دل على عظم شأن برهما جزاهما الله عنا خيرا رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا.

۞ **قال المؤلف:** «وقوله: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [النساء: ٣٦]».

هذه الآية تسمى آية الحقوق العشرة: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا ﴾ إلى آخر الآيات.

بدأ الله فيها بالأمر بعبادته وحده لا شريك له ونهى عن الشرك به فقوله واعبدوا الله هذا المقصود بالعبادة الخالصة التي في ركن الإثبات في قولك إلا الله، ولا تشركوا به هذا النهي عن أن يصرف لغير الله تعالى أي نوع من أنواع العبادة، لا تشركوا به شيئًا، يقول أهل العلم، النكرة أي: في قوله تعالى: ﴿شَيۡـٔٗاۖ﴾ النكرة في سياق النهي تفيد العموم، هذه قاعدة، النكرة في سياق النهي تفيد العموم، ولا تشركوا به شيئًا أي: أي شيء، لا رسول ولا ملك ولا أي صالح ولا أحد من الجن ولا من الشجر ولا من الحجر هذا المعنى، ولستجد تلاحظ -إن شاء الله تعالى- في آيات التوحيد العمومي، في آيات النهي عن الشرك العمومي ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨ ﴾ [الجن]، وهكذا الآيات تجد أن فيها نفيا عامًا.

۞ **قال المؤلف:** «وقوله: ﴿ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [الأنعام: ١٥١]».

وهكذا في النهي لما ذكر الله تعالى النهي عن الشرك، الله تعالى يأمر بالتوحيد وينهى عن الشرك كما تقدم في الآية: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [النساء: ٣٦]، وكذلك الآية: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾ [الإسراء: ٢٣]، هنا قال تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [الأنعام: ١٥١]، فبدأ تعالى بالنهي عن الشرك، وقرنه أيضًا بالإحسان إلى الوالدين، لاحظ كيف أن الإحسان إلى الوالدين يؤتى به عند الأمر بالتوحيد ويؤتى به عند النهي عن الشرك، هنا قال تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [الأنعام: ١٥١]، فالشرك بالله تعالى من أشرك بالله تعالى أي شيء فإنه من الهالكين ومعنى الشرك جعل شريك مع الله تعالى فيما يختص به تقدم أن التوحيد إفراد الله بما يختص به سبحانه.

الشرك ما معناه؟ جعل شريك مع الله فيما يختص به، ما الذي يختص الله به؟ قلنا إن الله يختص

بأمور ثلاثة؟ الربوبية، والعبادة، والأسماء والصفات، فمن جعل مع الله شريكا في ربوبيته أو في ألوهيته أو في أسماء وصفاته فقد وقع في الشرك؛ لكن الغالب هو وقوع الشرك في العبادة، العموم الأغلب في وقوع الشرك هو أن يقع الشرك والعياذ بالله في العبادة.

ولما نهاه تعالى عن الشرك قال: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، كل هذا تأكيد على عظم شأن الوالدين وهكذا بقية الوصايا التي ذكر الله تعالى.

۞ **قال المؤلف:** «قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] الآية».

يقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي عليها خاتمه فليقرأ هذه الآية، ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى آخر الآية، وآخر الآيات، قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ثلاث آيات، فيها وصايا الله عَزَّوَجَلَّ في الآية الأولى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام]، في التي بعدها: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام]، في التي بعدها: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

يقول من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلينظر في هذه الآيات لما؟ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوصي بما أوصى الله تعالى به، و هذه الآيات كلها قد وصى الله بها ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام]، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر بما أمر الله به وينهى عن ما نهى الله عنه ويوصي بما وصى الله تبارك وتعالى به، فلهذا يقول ابن مسعود من أراد أن ينظر إلى وصية محمد التي عليه خاتمه، أي: كأنها ختمت فليقرأ هذه الآيات: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] الآيات.

۞ **قال المؤلف:** «وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنت رديف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حمار فقال لي: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا، قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا» أخرجاه في الصحيحين».

قوله: «**أخرجاه**» أي: البخاري ومسلم في الصحيحين في صحيح البخاري وصحيح مسلم، هذا الحديث فيه تواضع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه كان يركب الحمار عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ولا يرى في مثل هذا حرجا وفيه دلالة على أن الإنسان ينبغي أن يتواضع وأن لا يأنف، لا يركب نوعا معينًا من الدواب أو لا يلبس إلا نوعا معينًا من الملابس، رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير من وطئت قدماه الثرى ركب حمارا، الإنسان يتواضع ولا يعنى ذلك أن الإنسان لا يقتني الشيء الحسن والجيد لكن كونه يأنف ويرى أنه في مقام أرفع من أن يركب مثل هذه المراكب لاشك أن هذا من دلائل قلة الفقه والعلم.

۞ **قال المؤلف:** «قال: «كنت رديف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

أي: أنه ركب مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حمار، قال أهل العلم الدابة إذا كانت تطيق الإرداف كأن تكون دابة قوية فإنه لا بأس أن يركبها أكثر من شخص. فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟**» فيه بعض الروايات أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قال معاذ: الله ورسوله أعلم، سكت، ثم أعاد السؤال: فأجاب معاذ بهٰذا الجواب، ثم أعاد السؤال: ليهيئ معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لهذه المسألة العلمية العظمية، حق الله وحق العباد، هذا باب من العلم عظيم جدًا، ومن المفيد أن يعرفه الإنسان، حق الله على العباد معلوم أن الله تعالى حقه أعظم الحقوق؛ لكن هل للعباد حق لله؟ نقول الحق الذي للعباد على الله تفضل الله به وجعله حقًا على نفسه، أما أن أحدًا يمكن أن يفرض على الله حقًا فمعاذ الله، أي: أن يوجب أحدًا على الله شيئًا أو يحرم على الله شيئًا مستحيل هذا الأمر؛ لكن الله إذا أوجب على نفسه أو جعل أمرًا من الأمور هو حق عليه أو حرم تعالى على نفسه كما في الحديث: «**إني حرمت الظلم على نفسي**» فهو الذي إليه الأمر، أما أن أحدًا يكون في مقام يحرم على الله أو يوجب على الله فمعاذ الله من ذلك إنما الله تعالى هو الذي يجعل الحق على نفسه ويوفي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بهٰذا الحق لأنه تعالى يفي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وبحمده ووعده تعالى يحققه.

معاذا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الأدب قال: «**الله ورسوله أعلم**» وهذا في مسائل العلم يقال الله ورسوله أعلم لكن ينبغي أن يعلم أن بعض الناس إذا قيل له مثلًا أي مسألة، قيل له مثلًا هل أتى فلان اليوم، قال الله ورسوله أعلم، هذا غلط؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم الغيب، لا يعلم هل أتى فلان أم لم يأت إنما الله ورسوله أعلم في المسائل العلمية الشرعية أما المسائل الغيبية لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى، ولهٰذا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا رأى أناسا من أمته يزادون عن حوضه، فسأل الملائكة عن سبب حودهم؟ قيل له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم الغيب وإنما يقال هذا في المسائل العلمية.

❁ **قال المؤلف:** «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**».

هذا حق الله عَزَّوَجَلَّ الذي يجب أن يحققه الإنسان وهو الذي لأجله خلق الله العباد ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات].

❁ **قال المؤلف:** «**وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا**».

فمن لقي الله تعالى موحدا فإن رب العالمين لا يعذبه إذا هو أتى بما أوجب الرب عَزَّوَجَلَّ عليه من حقوق هذه الكلمة بأن يلقى الله تبارك وتعالى بغير الكبائر، فإذا لقيه موحدا وسلم من ظلم الناس ومن الكبائر فإن الله بفضله ومنته ورأفته ورحمته لا يعذبه، ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا.

❁ **قال المؤلف:** «**«قلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس**».

أي: بهٰذا الخبر العظيم أن التوحيد وترك الشرك فيه هذه الفضيلة العظيمة.

❁ **قال المؤلف:** «قال: «**لا تبشرهم فيتكلوا**».

أي: خشي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أن تكون هذه البشارة فيها سبب في أن ينكص بعض الناس بسبب سوء فهمه عن العمل فيتكل على أمر ترك الشرك وإفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة قال: «**لا تبشرهم فيتكلوا**»، وهذا فيه دلالة على عظم قدر معاذ عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه أخبره بهٰذا الخبر بعلمه بأنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعيه ويفقهه، ولهٰذا جاء في الحديث أن معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأتي في القيامة متقدمًا أمام الناس برتوة أي: برمية سهم، يكون متقدما أمام العلماء وهذا من دلائل كونه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذا مكانة علية في العلم.

وهكذا الصحابة، الصحابة أعلم الأمة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم مهمًا جاء من العلماء بعدهم

فإنهم يعلون على أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لماذا أخبر بهذا معاذ، ما دام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قال هذا؟ إذًا لماذا أخبر بها معاذ، جاء في بعض الروايات أن معاذا أخبر بها عند موته تأثما، خشي من الإثم؛ لأن هذا باب من أبواب العلم وتحرج من أن يكتمه فكأنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خشي أن يكتم هذا العلم وأيضًا لعله علم أن من يحدثهم أنهم أناس يعون ويفقهون ويضعون الحديث في موضعه ولا يتكلون.

۞ **قال المؤلف: «باب فضل التوحيد: وما يكفر من الذنوب**، وقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] الآية».

لما بين في الباب السابق حقيقة التوحيد كان من المناسب أن يبين في هذا الباب فضل التوحيد ليرغب فيه ويحث عليه، في الباب السابق تبينت حقيقة التوحيد، فيأتي سؤال هذا التوحيد ما فضله وما مقداره مع أن شيئًا مما مضى تقدم لكن هذا الباب في تركيز على فضل التوحيد وعلى ما يكفر من الذنوب، لا شيء أعظم في تكفير الذنوب من التوحيد، التوحيد شأنه كبير جدًا في كفارة الذنوب، ولهذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «باب بيان فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب»، أي: أن هذا التوحيد له فضل وفيه بيان الشيء الذي يكفره من الذنوب، أو باب بيان فضل التوحيد وتكفيره الذنوب، ثم ذكر قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام]

اعلم أن الظلم ثلاثة أنواع:

○ **النوع الأول**: الظلم الأكبر وهو جعل العبادة لغير الله عَزَّ وَجَلَّ فمن لقي الله تبارك وتعالى بهذا الظلم فإنه هالك، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

○ **النوع الثاني**: ظلم العباد فيما بينهم، أي: يظلمه في ماله أو في عرضه أو يظلمه في دمه أو يتعدى عليه بضرب، هذه المظالم التي بين العباد إما أن يبيح بعضهم بعضا في الدنيا، أو أن يرجع الظالم المظلمة في الدنيا، ليسلم في الآخرة، فأما إذا لم يحصل ذلك منه والتقيا عند الله عَزَّ وَجَلَّ فالقيامة ليس فيها دينار ولا درهم، يكون التقاضي بين العباد بالحسنات، يؤخذ من حسنات الظالم فتعطى للمظلوم، فإن فنيت حسنات هذا الظالم أخذ من سيئات المظلوم فطرحت على الظالم ثم يطرح في النار والعياذ بالله.

○ **النوع الثالث**: ظلم العبد لنفسه، هذه ثلاثة أنواع من الظلم، من سلّم من هذه الأنواع الثلاثة فإنه يكون في القيامة من الناجين الداخلين الجنة بعد فضل الله بغير حساب، ومن أتى بشيء من هذه الأنواع

فالتفصيل فيه على ما تقدم ذكره.

هذه الآية لما نزلت اشتد خوف الصحابة ﵃ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام]، ففهم الصحابة أن المراد بالظلم أي نوع من أنواع الظلم، حتى لو كان من ظلم الإنسان لنفسه، فبين لهم النبي ﷺ فيما ثبت عنه أن المراد بالظلم هنا في الآية المراد به الشرك قال: ألم تسمعوا قول العبد الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ۝١٣﴾ [لقمان]، لماذا سمي الشرك بالظلم؟ لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه وأعظم أنواع وضع الشيء في غير موضعه أن توضع العبادة بغير المستحق لها وهو الله عَزَّوَجَلَّ، فالظلم هنا في الآية يراد به والعياذ بالله الشرك، فمن لقي الله تعالى بالشرك فإنه يهلك.

يقول أهل العلم: إن الاهتداء والأمن على نوعين:

- **النوع الأول**: الأمن التام.
- **النوع الثاني**: والاهتداء التام.

فالأمن التام والاهتداء التام لمن لقي الله ليس عنده أي نوع من أنواع الظلم، فله الأمن التام والاهتداء التام، ومن لقي الله تعالى بشيء من الذنوب والمعاصي وهو من الموحدين فله مطلق الأمن، وليس الأمن المطلق، ولا الاهتداء المطلق؛ ولكن له مطلق أمن، ومطلق اهتداء، الاهتداء المطلق: هو لمن سلم من هذه الأنواع كلها من الظلم. فإذا لقي الله موحدا فإنه لا يكون ممن يخلدون في النار، فله مطلق أمن، وليس له الأمن المطلق؛ لأن الأمن المطلق هذا لأهل الإيمان الكامل، ومطلق الأمن لمن لقي الله تعالى فهو تحت مشيئته -إن شاء الله- عفا عنه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وإن شاء عذبه، وهكذا الاهتداء، الاهتداء التام لمن لقي الله عَزَّوَجَلَّ بالتوحيد وعلى هدي وبصيرة من الله ومن لقي الله عَزَّوَجَلَّ وعنده شيء من هذه المظالم سوى الشرك فإن له مطلق الاهتداء.

❁ **قال المؤلف:** «وعن عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**من شهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**» أخرجه».

يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في حديث عبادة: «**من شهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له**» والشهادة تكون باللسان، ويعلم معناه بالقلب، حتى تكون الشهادة صادرة عن علم، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف]، بأن يعلم بقلبه معنى ما نطق به لسانه، أما إذا نطق بلسانه بما لا يعلم معناه بقلبه فإنه لا ينفعه، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الزخرف: ٨٦]، والشهادة بالحق كما قال البغوي: شهدوا بألسنتهم من شهد بالحق وهم يعلمون بقلوبهم، هذا المعنى، وفي هذا الموضع نعطيك شروط لا إلٰه إلا الله السبعة، شروط لا إلٰه إلا الله التي لا تنفع أحدًا حتى يأتي بها سبعة شروط نعطيك فيها هذا البيت من الشعر تحفظه وتعرف به شروط لا إلٰه إلا الله السبعة، وبالتجربة الذي يحفظ البيت يسهل عليه أن يستوعب الشروط السبعة، والذي لا يحفظ البيت الغالب أنه لا يأتي بها كاملة، يأت بخمسة شروط، ستة، فحاول أن تحفظ هذا البيت وهو يسير، يقول الناظم رَحِمَهُٱللَّهُ في شروط كلمة التوحيد:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع ... محبة وانقياد والقبول لها

هذه الشروط السبعة إذا أتى بها على ما ينبغي إذا أتى بكلمة التوحيد بهذه الشروط فإنها تنفعه، ويطول الكلام الحقيقة فيها لو أردنا أن نتوسع لكن ذكرها الشيخ عبد الرَّحمٰن بن حسن رَحِمَهُٱللَّهُ في كتابه في «**فتح المجيد**»، وذكرها أيضًا الشيخ حافظ حكمي في «**معارج القبول**»، وذكرها الشيخ صالح الفوزان في كتابه «**عقيدة التوحيد**» فينبغي أن يحفظها طالب العلم هذه الأبيات التي يعرفها شروط كلمة التوحيد بحيث يأتي بهذه الكلمة عالمًا بمعناها موقنا به، محبًا لهذه الكلمة ولأهلها إلى آخر الشروط التي ذكرنا، من شهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، معنى لا إلٰه إلا الله، قلنا لا إلٰه: نفي، إلا الله: إثبات ومعناها، لا معبود حق إلا الله؛ لأن الإلٰه معناه المعبود، لا معبود حق إلا الله، والدليل على أن المحذوف المقدر الذي هو قولنا لا إلٰه إلا الله فيه محذوف مقدر؛ لأن كلمة لا، هذا الحرف هو لا النافية للجنس، له اسم وله خبر، اسمها: إلٰه، فإعراب إلٰه إعرابه: اسم لا منصوب، أين خبرها؟ مقدر، تقديره حق: أي لا إلٰه حق إلا الله، أي لا معبود حق إلا الله، ودل على هذا التقدير آيتان في القرآن في سورة الحج وفي سورة لقمان،

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، هذا في الحج، وفي لقمان: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [لقمان: ٣٠]، أن ما يدعون: أي ما يعبدون، من دون الله باطل، فعبادة الله الحق فقط وما سوى الله عَزَّوَجَلَّ من معبود فإن عبادته الباطل.

وأن محمد عبده ورسوله، شهادة أن محمد رسول الله لها ركنان أيضًا:

○ **الركن الأول**: أنه عبد الله.

○ **الركن الثاني**: أنه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وهٰذان الركنان ذكرا فيما غير حديث، من هذا الحديث ومنها أنك تقول: هذين الركنين في كل يوم مرات عديدة في التحيات، في التحيات تقول: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**» ولما قال قوم يا سيدنا وابن سيدنا ويا خيرنا وابن خيرنا، قال: «**قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله** عَزَّوَجَلَّ».

وقد سماه الله تعالى باسم العبودية في مواضع ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ [الجن: ١٩]، ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، فعبوديته لربه شرف وأي شرف، عبودية لله عَزَّوَجَلَّ، وهو أعظم من وفى مقام العبودية لرب العالمين صلوات الله وسلامه عليه، لكنه عبد مرسل، لهٰذا قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]، فليس كغيره من العباد أن الله اختصه واختص إخوانه من الأنبياء بالوحي، فقوله ليس كقول غيره فإذا كان عندك قناعة وعندك رأي وعندك قول ثم جاءك قول رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بخلافه تترك قناعتك وتترك قولك ويتضح لك أن قولك وقناعتك باطلة؛ لأنها خالفت قول رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وهو صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يوحى إليه.

هٰذان الركنان ينفيان الإفراط والتفريط، أنه عبد ينفي الإفراط أي: المبالغة والغلو فيه، بأن يقال إنه يعلم الغيب وأنه يجيب المضطر ونحو ذلك عياذا بالله هذه لا تعتقد إلا في الله فهو عبد من عبيد الله عَزَّوَجَلَّ، والشهادة له بالرسالة تنفي التفريط أي: التقصير في حقه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، كما هو حاصل من هؤلاء الهمج الذين في كل مرة يتعرضون لسنته بالسب والسخرية والقدح هؤلاء لم يعوا مقام الرسالة؛ لأن قوله ليس كقول غيره صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فيكون المؤمن متزنا وهو الوارد في حديث أنس قال: «**ما أحب أن**

ترفعوني فوق منزلتي» ما منزلته؟ أنه عبد رسول، عبد فلا يرفع فوق منزلته حتى يصرف له ما لا يجوز صرفه إلا لله من العبادة واعتقاد الضر والنفع وفي الوقت نفسه هو رسول فلا يجوز أن ينزل عن مقام الرسالة صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ولهٰذا قال ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي، ثم خص رسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من بين الأنبياء عيسى، فقال: وأن عيسى عبد الله ورسوله مع أنه إبراهيم عبد الله ورسوله، نوح عبد الله ورسوله، موسى عبد الله ورسوله، فلما خص عيسى؟ خص عيسى صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وعلى سائر الأنبياء والمرسلين؛ لأن عيسى صار فيه إفراط وتفريط، إفراط أي: مبالغة، بالغ فيه النصارى، فقالوا إنه هو: ثالث ثلاثة، وقالوا: إنه هو الله والعياذ بالله، فهذه مبالغة، فإذا شهد أن عيسى عبد فقد أبطل قول النصارى، ورسوله: إبطالا لقول أعداء الله اليهود من المقولة الخبيثة في عيسى عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ بتكذيبه في رسالته وقولهم الخبيث كما قال تعالى في شأن أمه وقولهم في مريم المقولة العظيمة التي قالوا من أنها عياذا بالله زانية، قبحهم الله وأخزاهم، وما زنت وإنما حملت بما بين الله تبارك وتعالى في كتابه، من أن الله تعالى أرسل إليها جبريل فحملت بإذن الله حملا خارقا للعادة فلاشك، ولهٰذا ينسب إلى أمه ليس له أب، عيسى له أب، فهو عيسى ابن مريم.

وأن عيسى عبد الله ورسوله، من اعتقد هذا في عيسى، أبطل قول النصارى وأبطل قول اليهود، وكلمته: ليس المقصود أن عيسى كلام الله قطعًا؛ لأن عيسى مخلوق؛ ولكن عيسى بما وجد؟ بالكلمة، فهو وجد الكلمة، لما أوجده الله تعالى بالكلمة ولم يوجد من خلال زواج كما هو المعتاد في عموم بني آدم، صار قد وجد بكلمة الله عَزَّوَجَلَّ فسمي كلمة الله؛ لأن الله تبارك وتعالى جعله يولد على هذه الهيئة العظيمة: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ [النساء: ١٧١]، أنه روح من ضمن الأرواح، من ضمن جميع الأرواح التي خلقها الله تبارك وتعالى، فهذا يكون قد انضبط عنده الاعتقاد في الشهادة لله تعالى والشهادة لمحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والشهادة لعيسى والجنة حق، واعتقد أن الجنة حق أيضًا والنار حق وأنهما موجودتان وأن الله أعد الجنة للمؤمنين وأعد النار للكافرين، قال: أدخله الله الجنة، وهذا من دلائل فضل التوحيد؛ لأن هذا كله من دلائل عظم شأن التوحيد وما فيه من القدر الكبير، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل، يدخله الله تبارك وتعالى الجنة بفضل هذا التوحيد العظيم الذي حققه وبفضل ما ضبطه في شأن هذه العقيدة في الجنة والنار وفي النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وفي عيسى على ما كان من العمل أي على ما كان من صلاح وفساد، فأهل التوحيد مردهم إلى الجنة، هذا قول في المراد بقوله على ما كان من

العمل، القول الثاني: يحتمل أن يكون معنى قوله على ما كان من العمل أن يدخل أهل الجنة الجنة على حسب أعمال كل منهم في الدرجات، فسر قوله على ما كان من العمل بهذين الأمرين.

۞ قال المؤلف: «ولهما في حديث عتبان رضي الله عنه «فإن الله حرم على النار من قال لا إلٰه إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»».

قوله: «ولهما» يعود إلى ما قبله أخرجاه في الصحيحين أي: البخاري ومسلم، «ولهما» أي: ولهما رواية في الصحيحين عن عتبان، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فإن الله حرم على النار من قال لا إلٰه إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**» وهذا من دلائل فضل التوحيد.

وأن من قال «لا إلٰه إلا الله» يبتغي بقوله: «لا إلٰه إلا الله» وجه الله أن الله يحرمه على النار، وهذا أحد الشروط التي ذكرناها لك: علم يقين وإخلاص، يبتغي بذلك وجه الله أي: أنه قال لا إلٰه إلا الله مخلصا، لم يرد بقوله: لا إلٰه إلا الله طمعا من مطامع الدنيا، وهل هناك أحد يقول لا إلٰه إلا الله طمعا في الدنيا؟ نعم، قد يطمع في الغنيمة، قد يطمع في الزكاة، فيكون قائلًا لها طمعا، وقد يقولها خائفا يريد أن يحقن دمه وهو غير مسلم، فإذا قال: لا إلٰه إلا الله وأظهر الإسلام حقن دمه وحرم ماله.

«فإذا قال لا إلٰه إلا الله يبتغي» بقول لا إلٰه إلا الله وجه الله فإن الله يحرمه على النار؛ لكن هذا الحديث يفهم مع بقية النصوص، مثل ما قلنا أنه إذا لقي الله تعالى بالكبائر كأن يلقاه موحدا لكنه يشرب الخمر ومات عليه نقول هذا تحت مشيئة الله، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]، فمن لقي الله مشركا فإنه قد حرمت عليه الجنة، نسأل الله العافية كما في الآية: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، فإذا لقي الله موحدا لكن عنده كبائر بينت الآية مصيره، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] أي: يغفر ما دون الشرك لمن؟ لمن يشاء، ولما كانت مشيئته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في الذين يموتون على المعاصي غير معلومة، وجب أن يحال أمر هؤلاء العصاة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فيقال هم تحت مشيئة الله لأن معهم التوحيد، فله تعالى أن يغفر لهم من أول وهلة، والأمر إليه ولهم أن يعذبه ما شاء سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ثم يكون مردهم إلى الجنة لأنهم من الموحدين هذا كله إلى رب العالمين ولا يستطيع أحد أن يعلم مصير أحد إلا بالنص، فلا يحكم على أحد من المسلمين بأنه من أهل الجنة حتى لو صلحت أعماله، إلا من شهدت النصوص ذاك العشرة المبشرين ومن وردت

أسمائهم في النصوص بأنهم من أهل الجنة وهكذا لا يحكم على أحد بأنه بعينه من أهل النار إلا إذا دل النص على أنه من أهل النار وإلا فقد يوجد إنسان مجرم فاجر جمع من الشر شيئًا كثيرًا إذا مات استراح منه العباد والبلاد هل نقول إن هذا الشخص الذي لم يبقِ معصية وأبغضه من حوله من والديه وجيرانه وعموم المسلمين هل هو في النار؟ ما نستطيع أن نجزم؛ لكن لاشك أن شهادة المسلمين عليه شهادة تدل على الشر لكن هل يمكن أن يعفو الله عنه، هذا إلى الله، نقول هذا أمر نحيله إلى مشيئته كما قال تعالى: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فمن علمنا بالنصوص أنه لا يغفر له كالكفار المعينين كأبي لهب وأبي جهل وأمثاله ممن دلت النصوص على أنهم هلكوا على الكفر فإنا نجزم بأنهم من أهل النار، ومن دلت النصوص على أنه من أهل الجنة كالعشرة المبشرين وغيرهم ممن نص على أسمائهم فإنا نجزم بأنهم من أهل الجنة ومن لم ترد النصوص فيه فإنا نحيل أمرهم إلى من له المشيئة وحده لا سواه.

❁ **قال المؤلف: «وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «قال موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا رب علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به قال: قل يا موسى لا إلٰه إلا الله قال: يا رب كل عبادك يقولون هٰذا، قال يا موسى لو أن السَّمٰوات السبعة وعامرهن غيري والأرضيين السبعة في كفة ولا إلٰه إلا الله في كفة مالت بهن لا إلٰه إلا الله» رواه ابن حبان والحاكم وصححه».**

في هذا الحديث أن موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلب من ربه تعالى شيئًا يذكر به ربه تعالى ويدعوه به فقال تعالى: قل يا موسى لا إلٰه إلا الله، فقال: موسى كل عبادك أي: من الموحدين يقولون هٰذا، ومراد موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعطيه الله تعالى ذكرا يخصه به كما في الرواية الأخرى: يا رب إنما أريد شيئًا تخصني به، فقال سبحانه بيانا لعظم شأن كلمة التوحيد، يا موسى لو أن السَّمٰوات السبعة وعامرهن غيري أي أن السَّمٰوات السبعة ومن فيهن من العمار غير الله تعالى والأرضيين السبع ومن فيهن جعلت هذه السَّمٰوات السبع وعمارها والأرضيين السبع وعمارها جعلت في كفة من كفتي الميزان ولا إلٰه إلا الله في كفة مالت أي رجحت بهن لا إلٰه إلا الله وذلك لعظم شأن لا إلٰه إلا الله فهي أصدق الكلام وأعظم الكلام كلمة التوحيد، مالت بهن لا إلٰه إلا الله لما اشتملت عليه من إفراد الله تعالى بالعبادة ونفي الشرك وهذا من دلائل فضلهذه الكلمة، لو أن السَّمٰوات السبعة وعامرهن غير الله عَزَّ وَجَلَّ والأرضيين جعلن في كفة وجعلت لا إلٰه إلا الله في كفة مالت ورجحت الكفة التي فيها لا إلٰه إلا الله بالسَّمٰوات والأرضيين السبع،

هذا فيه التحريض على ماذا؟ على فضلهذه الكلمة على أن تكرارها وذكرها، أنه من أعظم ما يكون في الفضل والتوفيق.

۞ **قال المؤلف: «وللترمذي وحسنه عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة».**

هٰذا الحديث يسمى الحديث القدسي، واعلم أن الحديث القدسي لفظه ومعناه من الله، أي: مثل القرآن، والدليل على هذا ألفاظه والدليل على هذا مطلع الحديث، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الله: هذا من قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتفريق بين الحديث القدسي والقرآن بأن القرآن لفظه ومعناه من الله بينما الحديث القدسي لفظه من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعناه من الله لا أصل له ودل كلام شيخ الإسلام وابن القيم وشيخنا الشيخ ابن باز رحمهم الله على أن هذا غير صحيح بل الحديث القدسي على الصحيح لفظه ومعناه من الله، استدل شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ بألفاظ الأحاديث، مثل قوله تعالى: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا**»، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا يقول هذا إنما يقوله الله تعالى فالصحيح أن لفظ الحديث القدسي ومعناه من الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لكن القرآن يتعبد بتلاوته لله عَزَّ وَجَلَّ والقرآن منقول بالتواتر حرفا حرفا، بينما الحديث القدسي ينقل مثلما تنقل الأحاديث الأخرى.

۞ **قال المؤلف: «قوله: يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة».**

هذا الحديث من الأحاديث التي فيها فضيلة التوحيد؛ لأن من لا يشرك بالله يكون موحدا، لو أتيتني بقراب الأرض أي: بما يقرب من ملء الأرض خطايا وذنوبا لكنك موحد ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لاحظ مرة أخرى شيئًا نكرة في سياق النفي، لقيتني لا تشرك بي شيئًا، والنكرة في سياق النفي أو النهي تفيد العموم، لقيتك بقرابها مغفرة، وذلك يكون بالسلامة من الشرك، كثيره وقليله، صغيره وكبيره ولا يسلم من ذلك إلا من أعانه الله تعالى ووفقه.

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أنه يعفى لأهل التوحيد الذي لم يشبه الشرك ما لا يعفى لمن ليس كذلك، فالموحد الذي يلقى الله عَزَّ وَجَلَّ لم يشرك به شيئًا البتة يلقاه الله تعالى بقراب الأرض مغفرة؛ لكن ينبغي أن يفهم أن هذا الحديث يضم إلى بقية النصوص الأخرى حتى لا يفهم أحد أن الحديث يفيد أن الإنسان لو

أقبل على المعاصي والكبائر وتجنب الشرك أنه في هذه الحالة يغفر له مطلقًا نقول هذا غير صحيح هذا الفهم، نقول أولًا: الأمر راجع إلى الله، و هذه الأحاديث تسر ولا تغر، تسر يفرح بها المؤمن ولكن لا يغتر بها، ولهٰذا جاء في بعض الروايات أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما حدد ببعض الفضائل قال: لا تغتروا، أي: لا يغتر الواحد منكم فيقول هذه فضيلة لموحدين، معنى ذلك أني لو وقعت في الكبائر أن هذا لا يضرني هذا ما يصلح أن يكون هذا الفهم؛ لكن هذا من دلائل عظم ما يكفر التوحيد من الذنوب وهو موضوع الباب، أي: يقول باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب؛ لكن ليس معناها الحض على الذنوب؛ لأن من الأمور المعلومة المقطوع بها في الكتاب والسنة أن من عصاة الموحدين من يدخلون النار، فيمكثون فيها ما شاء الله تعالى حتى يأذن الرب تعالى كما سيأتي -إن شاء الله تعالى- ثم يخرجون منها بإذن الله تعالى بعد الشفاعة؛ لكن المقصود أن التوحيد يكفر لأهله ما لا يكفر أهل التوحيد المحض، يكفر لهم من الذنوب ما لا يكفر لغيرهم، هذا الذي ينبغي أن يفهم معناه.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

* * *

---

(١) نهاية المجلس الأول.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «**باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب**، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾ [النحل]».

بسم الله، هذا الباب فيمن حقق التوحيد أن من حققه دخل الجنة بغير حساب، اربط الآن الأبواب بعضها ببعض، ذكر في الباب الأول معنى التوحيد، ذكر في الباب الثاني فضل التوحيد، ذكر في هذا الباب الثالث أن من حققه يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب، جعلنا الله وإياكم ووالدينا وذرارينا منهم.. آمين.

هٰذا الباب أعلى من الباب الثاني؛ لأن هذا الباب فيمن لم يكن عنده شرك ولا معاصي، ما معنى من حقق التوحيد، معنى تحقيق التوحيد تخليصه وتصفيته من ثلاثة أشياء:

- **الأول**: من شوائب الشرك.
- **الثاني**: ومن البدع.
- **الثالث**: ومن المعاصي.

فمن وفق لهٰذا دخل الجنة بلا حساب ولا عذاب، وعلى هذا فهذا الباب كنا قلنا أعلى من الباب السابق، الباب الثاني المتقدم في فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب يدخل فيه الموحد الذي قد يكون عنده تخليط؛ لكن هذا الباب للخلص الكمل الذين أكرمهم الله تبارك وتعالى بتخليص التوحيد وتصفيته من الأمور الثلاثة التي قلنا: من شوائب الشرك، من البدع، من المعاصي.

۞ **قال المؤلف**: «وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾ [النحل]».

ذكر الله لإبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذه الصفات الأربع.

« إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ » أي: كان قدوة وإماما ومعلما للخير عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لأنه كمل مقام الصبر واليقين الذين بهما تنال الإمامة في الدين، قانتا لله: القنوت هو دوام الطاعة، وقنوته لله عَزَّوَجَلَّ لا لأحد سواه، حنيفا، أصل الحنف الميل، الحنف هو الميل، فعن أي شيء كان فعلى أي أساس صار هذا الميل من قبل إبراهيم محمودا؛ لأنه حنف أي مال عن الباطل وعن الشرك عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأقبل على الله عَزَّوَجَلَّ.

« وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ » لم يكن من المشركين وقال عَزَّوَجَلَّ عنه في موضع آخر: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥﴾ [البقرة: ١٣٥]، أخذ منه بعض أهل العلم أنه لم يقع منه شرك البتة، لا فيما مضى ولم يكن متلبسا بالشرك قط، قالوا لأنه نفاه عنه في الماضي ونفاه عنه بصيغة المضارع، فهذا قد كمل التوحيد، لاشك أن تكميل الأنبياء للتوحيد يستحيل أن يصل إليه من بعدهم؛ ولكن تكميل التوحيد أمر يدخل فيه الأنبياء وهم كمل الموحدين ولا يلحقهم أحد فيه ويدخل فيه الصديقون وأهل الصلاة ممن وفقهم الله تعالى لتكميل التوحيد بتخليصهم ما ذكرنا، فمن وفقه الله لذلك فإنه يكون ممن يدخل الجنة بلا حساب.

۞ **قال المؤلف:** «وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩﴾ [المؤمنون]».

هذه في صفات المؤمنين قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون]، فذكر الله عَزَّوَجَلَّ في صفات هؤلاء الذين يسابقون إلى الخيرات وهؤلاء الذين يخشون على أعمالهم ألا تقبل ذكر في صفاتهم أنهم لا يشركون، وهذا يدل على أن الكمال لا يكون إلا مع السلامة من الشرك، فلا يشركون بالله عَزَّوَجَلَّ، ومن سلمه الله من الشرك صغاره وكباره كما قلنا فإن هذا هو الذي حقق التوحيد إذا أضاف إليه السلامة من البدع والسلامة من المعاصي.

وهذا يؤكد على أهمية التحذير من الشرك وأهمية نشر أحكام الشرك والتحذير منها وتخويف الناس مما يكون من الشرك سواء باللسان أو بالأفعال أو بالقلوب لا بُدَّ من ملاحظة هذا ونشر هذا الأمر وتحذير الناس منه؛ لأن الشرك لا شيء يفسد الأعمال مثل الشرك، نسأل الله العافية.

الشرك مفسد للأعمال، لو أن إنسانا تصدق بصدقة تبلغ مبالغ كبيرة جدًا، لكنه كان فيها مرائيا، فهذه

الصدقة التي قد تكون في الملايين لا يستفيد منها، ويأتي إنسان ويتصدق مخلصا بريال أو أقل من ريال لكن علم الله منه الإخلاص فيرفعه الله تعالى بهٰذا العمل اليسير ما شاء الله تعالى أن يرفعه، فالشرك عياذا بالله خطير جدًا على العبد، ولهٰذا ينبغي التحذير منه وينبغي تعليمه للناس، الناس لن يحذروه حتى يعلمون، ويبين لهم ذلك بالخطب في الدروس في المحاضرات، بتداوله طلبة العلم فيما بينهم بعض الألفاظ الشائعة تكون فيها شيء من القدح وفيها شيء من الإخلال بالشرك من جهة شرك الألفاظ أو نحوه وهكذا أي ممارسة سواء كانت قلبية أو بالأفعال، هذا من الأمور المهم جدًا إبرازها وتحذير الناس منها حتى يكونوا سالمين من هذه الصفة الخبيثة صفة الشرك.

۞ **قال المؤلف:** «عن حصين بن عبد الرَّحمٰن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لُدِغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حُمة. قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع. ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**»، ثم نهض فدخل منزله. فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبروه، فقال: «**هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**» فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «**أنت منهم**» ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «**سبقك بها عكاشة**».

هٰذا الحديث فيه مباحثة بين اثنين من أهل العلم: حصين بن عبد الرَّحمٰن الحميري رَحِمَهُ اللَّهُ وبين سعيد بن جبير رضي الله عن الجميع وغفر الله لهم، قال سعيد أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة، كوكب رمي به في الليل، قال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة، فقال: حصين أنا، ثم خشي حصين أن يظنوا أنه كان يتهجد في الليل وتقدم أن من شأن الموفق لتكميل التوحيد أن يبغض الرياء وأن

يعرف أنه له من الأعمال كذا وكذا، فلما قال إني رأيت الكوكب الذي انقض البارحة نبههم أنه لم يكن يصلي من الليل؛ لأن العادة عند الإنسان إذا سهر في الليل وهذا هو الوضع السوي أن يكون يصلي، لا أن يسهر في الليل كما يحصل الآن الله المستعان من قلب الليل إلى نهار، هذا وضع غير سوي غير سليم؛ لأن الله جعل الليل سكنا، فالأصل أن الليل يكون الإنسان يتقلب في شيء لا بُدَّ له منه، مثل تعلم العلم أو أن يكون عنده ضيفان يضيفهم، ثم ينصرفون أو يبيتون عنده؛ لكن أن يبقى في الليل هكذا، الليل سكن من جهة ينام فيه الناس ويأوون إلى فرشهم ويستريحون ويصلي أهل التوفيق ويصلون من الليل ما شاء الله عَزَّوَجَلَّ فلما علموا أنه كان مفيقا في تلك الساعة، أما إني لم أكن في صلاة، أي: لا تظنوا أني كنت أتهجد في الليل، ولكني لدغت، لدغته عقرب أو حية فقال له سعيد فما صنعت قال: ارتقيت أي: طلبت من يرقيني بالرقية قال فما حملك على ذلك أي: فيه طلب الدليل ما الدليل على فعلك هٰذا، قال حديث حدثناه الشعبي ثم ذكر حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لا رقية إلا من عين أو حمة**» العين معروفة وهي إصابة العائن غيره بعينه، **الحُمة**: سم ذوات السموم، كالعقرب والحية، فقال سعيد قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، أي: أنك انطلقت من دليل فأحسنت سمعت هذا الحديث فبنيت عليه ولكن، كأنه يقول استمع الآن إلى ما سأحدثك، حدثنا ابن عباس عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**عرضت علي الأمم**» عرض رآهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما شاء الله تعالى أن يريه والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطيعه الله تعالى من غيره على ما شاء الله.

❁ **قال المؤلف:** «**فرأيت النبي ومعه الرهط**».

الرهط هو الجماعة دون العشرة، أقل من عشرة يسمون عشرة.

❁ **قال المؤلف:** «**والنبي ومعه الرجل والرجلان**».

أي: أمة بأكملها ما أجاب فيها إلا رهط أقل من عشرة، أمة أخرى ما أجاب فيها إلا رجل ورجلان والنبي أي: ورأيت النبي وليس معه أحد، أي: نبي دعا في أمة لم يستجب له أحد بتاتا، وهذا يدل على أن الحق لا يعرف بالكثرة، بل قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦] فالحق يعرف بالدليل.

❁ **قال المؤلف:** «إذ رفع لي سواد عظيم».

السواد هو الشخص الذي يرى من بعيد، يرى لا يدرك منه إلا مظهره الخارجي صورته العامة البعيدة، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حبه لأمته وحرصه عليها قال: «**فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه**» ثم أمر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ينظر كما في الرواية الأخرى إلى جهة أخرى فإذا سواد عظيم ثم أن ينظر هكذا وهكذا فرأي أمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعدادا كبيرة جدًا أعظم بكثير ممن مع موسى: «**فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**»، هذا شاهد الباب: بغير حساب ولا عذاب، باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، فلما أخبرهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الخبر نهض ودخل منزله، فبدأ الصحابة يتباحثون في المسألة من الناحية العلمية من هؤلاء السبعون؟ بحرصهم على أن ينالوا مقامهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُم فخاص الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا، بعضهم يقول: لعلهم من الصحابة الذين قد امتدت صحبتهم للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال آخرون: لكن أبناءنا نحن ولدوا في الإسلام ولم يشركوا مثلنا في الجاهلية، فذكر بعضهم صنفًا وذكر بعضهم صنفًا آخر، وذكروا أشياء، قال: ولاحظوا الأدب، يقول: فلعلهم، ما قالوا هم وجزموا؛ لأن هذا أمر غيبي من حيث المباحثة، لعلهم الذين صحبوا، لعلهم الذين ولدوا، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه فقال مبينًا هؤلاء السبعين ألفا: «**هم الذين لا يسترقون**» أي: لا يطلبون من غيرهم أن يرقيهم.

❁ **قال المؤلف:** «ولا يكتوون».

بأن يطلبوا من غيرهم أن يكويهم عند المرض.

❁ **قال المؤلف:** «ولا يتطيرون».

أي: لا يتشاءمون إذا رأوا طيورا مثلًا كانت الجاهلية، إذا رأي الواحد منهم الطير عن يمينه تفاءل وسافر وقال هذا سفر ميمون، وإذا ذهب عن شماله قال هذا سفر مشئوم ونحو ذلك وأي صورة من صور التشاؤم بالأشخاص بالمرضى، بطيور، كالبومة والغراب أو بحادث سيارة تراه في الطريق فتتشاءم وترجع كل هذا من التطير المنهي عنه، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطيرة شرك الطيرة شرك الطيرة شرك**» يقع الإنسان في شرك أصغر، فهؤلاء سالمون من الصور المتعلقة بالشرك وهؤلاء لديهم ثقة برب

العالمين وحسن ظن به وتسليم أمرهم إليه ولهٰذا قال في آخر فصالهم وهي الخصلة الجامعة: «**وعلى ربهم يتوكلون**» معنى التوكل: هو تفويض الأمر إلى الله عَزَّوَجَلَّ بأن يعلق القلب بالله، ولا ينفي ذلك فعل السبب؛ لكن قلبه نسأل الله الكريم فضله معلق برب العالمين سبحانه.

فقام عكاشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأرضاه من باب حرصه على الخير، فقال يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني منهم. في اللفظ الآخر أنا منهم يا رسول الله فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أنت منهم**» قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «**سبقك بها عكاشة**»، هذا الرجل الآخر لا يشك أنه -إن شاء الله- من أهل الإيمان والصلاح وما يقوله الشراح من أن هذا الأمر إنما قال له صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: سبقك بها عكاشة لأنه منافق الحقيقة لأنه منافق: الحقيقة هذا من الغلط الكبير السيئ كما نبه شيخ الإسلام، كيف يقال في رجل لما سمع هذا الحديث تشوف لأن يكون من أهله، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، المنافقون إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ما عندهم حرص، فمثل ما نبه شيخ الإسلام، وبعض الشراح في مثل هذه الأمور يأتي ويقول إنه من المنافقين على أي أساس، هذا رجل من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، هذا أمر.

○ **الأمر الآخر**: هذا التشوف منه والحرص على أن يكون من السبعين ألفا يدل على تصديقه لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فهذا يدل على إيمانه لا يدل على عدم إيمانه كما قالوا: فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: سبقك بها عكاشة، لماذا قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: سبقك بها عكاشة ولم يقل لهٰذا الرجل أيضًا أنت منهم؟ إما أن هذا الرجل لم يبلغ الحال العظيم الذي بلغه عكاشة فصار من السبعين ألفا وأما أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أراد أن يغلق الباب؛ لأن قد يقوم ثالث ورابع وخامس، كل أحد سيقول هٰذا، فأراد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأسلوب حكيم أن يقول سبقك بها عكاشة: أي: أن الأمر انتهى عند طلب عكاشة فسبقك بها ولم يرد أن يقول: لا لست منهم وهذا من أدبه الجم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

❁ **قال المؤلف**: «**باب الخوف من الشرك: وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]**».

هٰذا الباب لاحظوا الأبواب السابقة: الأول في معرفة التوحيد، والثاني في فضله، والثالث في أن من حقق التوحيد دخل الجنة، لما انتهى من الكلام على التوحيد في الأبواب السابقة ذكر ما يضاد التوحيد؛ لأنه لا بُدَّ أن تعرف ضد التوحيد، وأن تحرص على السلامة منه وحرصك على أن تنال المقام العظيم في

التوحيد يستدعي منك أن تخاف من الشرك، والخوف من الشرك متى ينفع، إذا عرفت الشرك وتجنبته، لا بُدَّ أن تعرف الشرك حتى تحذره، وهذا يدل على شرف فضل علم التوحيد وعلم ما يضاده ليحظر ويجتنب.

۞ **قال المؤلف:** «قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]».

هذه الآية العظيمة جعلت ما يعصى الله به نوعين:

❍ **النوع الأول:** ما لا يمكن أن يغفر البتة، نسأل الله العافية والسلامة، وهو أن يعصى الله عَزَّوَجَلَّ بشرك، فإن عصي الله تعالى بشرك فإن الله لا يغفر هذا الشرك كما تقدم في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، قال عَزَّوَجَلَّ في أهل الكفر: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي﴾ [العنكبوت: ٢٣] نسأل الله العافية والسلامة، هذا النوع الأول من المخالفة، أن يخالف الله بالكفر والشرك، هذا قد يئس صاحبه من المغفرة.

❍ **النوع الثاني:** ما هو أقل من الشرك، قوله تعالى: «وَيَغۡفِرُ مَا»، ما: من حروف العموم، والحرف الذي يدل على العموم يدخل فيه جميع أفراده فما الشيء الذي هو دون الشرك، جميع الذنوب التي تصدر سوى الشرك وعلى هذا يدخل فيه القتل ويدخل في الزنا ويدخل في شرب الخمر والعقوق وكل ذنب عصي الله عَزَّوَجَلَّ به سوى الشرك، أي: الذي يصدر من الموحد، الموحد فيه تحت مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ فإما أن يغفره الله عَزَّوَجَلَّ له كما تقدم ويتلقاه برحمته والله عفو غفور؛ لأنه موحد وغفر الله ورحمه، وإما أن يدخل في حد المعاقبين فيعاقبه الله تعالى بما شاء، قد يعاقبه في قبره، قد يعاقبه في عرصات القيامة، وقد يدخله النار، كما في حديث الذي لا يزكي وفيه أنه إذا كان في القيامة صفحت صفائح من نار.

من هذا الذهب والفضة التي ترك تزكيتها فكوي بها جنبه وجبينه وظهره، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، نسأل الله العافية، وهكذا صاحب الإبل تطأه إبله وتطأه أيضًا صاحب البقر، بقره يبطح لها بقاع قرقر وهكذا صاحب الأغنام، تطأه بأظلافها وتنطحه بقرونها، قال في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، نسأل الله العافية والسلامة، يدل على أنه يعذبهذه الفترة الكاملة، ثم قال في آخره، ثم يرى سبيله: إما إلى الجنة وإما إلى النار، أي: يمكن أن يكون سبيله بعد هذا العذاب أن يعفو الله عنه لأجل ما عذب به فيما مضى قبل أن يرد إحدى الدارين.

❍ **ويمكن أن يدخل النار أيضًا**، وهذا يدل على خطورة ترك الزكاة نسأل الله العافية والسلامة، فما دون الشرك تحت مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ، قد يغفر الله لصاحبه كما قلنا وقد يعذبه تعالى ما شاء الله، هل يدخل في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ﴾ [النساء: ٤٨] هل يدخل الشرك الأصغر أي: هل المقصود بقوله: لا يغفر أن يشرك، هل المقصود الشرك الأكبر أو الأصغر؟ أما الشرك الأكبر فقطعا هذا متفق على أن صاحبه لا يغفر له؛ لكن هل يدخل الشرك الأصغر بأن يعذب على شركه إلا أن يتوب، أي: لو أن إنسانا راءى ولقي الله ولم يتوب من هذا الرياء هل يقال لابن أن يعذب، على ريائه لأنه لم يتب منه ثم بعد مدة يمكثها في النار يخرج منها لأنه موحد ثم يكون من أهل الجنة.

❍ **من أهل العلم من يقول يدخل في عموم الآية كل شرك أصغر أو أكبر**، واستدلوا بأن قوله أن يشرك مصدر، فتقدير الكلام إن الله لا يغفر شركا أي: أيا كان، وتقدم أن النكرة في سياق النفي تفيد العموم، قالوا فيدخل في عمومها الشرك الأصغر والأكبر معا، هذا قول.

واستدلوا له بالعموم، وقال آخرون أن المقصود، الشرك الأكبر تحديدًا، أما الشرك الأصغر فهو من موحد، فشأنه شأن بقية ذنوب الموحد، يمكن أن يغفره الله عَزَّوَجَلَّ له ويمكن أن يعذبه عليه كغيره من الذنوب، والأمر لاشك نسأل الله أن يعيذنا من صغاره وكباره أنه خطير ولهٰذا ينبغي أن يحفظ المسلم هذا الدعاء العظيم الذي فيه مغفرة الله عَزَّوَجَلَّ بإذنه لمن دعا به ووقع في شيء من هذا الشرك.

«اللّٰهمَّ إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم» هذا يغفر الله عَزَّوَجَلَّ بإذنه لمن دعاه ويحرص الإنسان على أن يحفظه: اللّٰهمَّ إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم؛ لأن الإنسان قد يقع منه شيء من الشرك عياذا بالله من غير أن يتفطن له.

❍ **وعلى هذا يعرف معنى الخوف من الشرك** ما دام الشرك بهٰذا القدر وأن الله لا يغفره، وأن الذنوب سواه تغفر هذا يستوجب الخوف من الشرك.

ومرة أخرى نقول: إن هذا من الدلائل الكبيرة على الفروق بين من يدعوا إلى الله على بصيرة ومن يدعوا على غير بصيرة، فمن يهونوا من أمر الشرك أو يقولون لا تذكروا الشرك يغضبون الناس إذا تحدثنا في الشرك، هناك أناس عندهم ميل إلى القبور وعندهم ميل إلى بعض الممارسات الشركية إذا تحدثوا في التوحيد غضبوا لا أرضاهم الله إلى يوم القيامة، هل الموحد ينظر في دعوته إلى رضا الناس أو إلى رضا

رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بل هذا منهم الحقيقة أنه من قلة تحقيق التوحيد، لأنهم يلتفتون إلى ما يقول الناس وما شأننا بالناس وبالجماهير، ما علاقتنا نحن بالناس، ندعوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ كما دعا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن دعا قبله من الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، من رضي فالحمد لله ومن لم يرض فنحن لا ندعوا لأنفسنا، ولا ندعوا لشيء من مصالحنا حتى ننظر إليهم نقول قبلوا منا ستكثر مصالحنا، أو لم يقبلوا منا فستقل مصالحنا النظر لا يكون هكذا، النظر يكون إلى ما يرضي الله عَزَّوَجَلَّ وأن يدعى على ما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨] يتلطف بالناس، يترفق بالناس، حتى من يقع في الشرك تتلطف به حتى تقيم عليه الحجة، حتى إذا نفر من الحق وإذا به قد نفر منه وقد علمه لأنه قد ينفر منه بسبب سوء التعامل، هذا خطأ منك؛ لكن إذا أحسنت الدعوة، وبينت الأمر ووضحت الأدلة ثم أبى، أرأيت لو أبى أحد ترك شرب الخمر، وترك الزنا هل أنت عليه مسيطر؟ ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية] المهم أن تبين الحق وتظهره، فمن رضي فالحمد لله وهذا من توفيق الله له، ومن لم يرض فلست معنيا برضا الناس، والرب عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ﴾ [الأنعام: ١١٦]؛ لكن لا أي: كما قلنا ذلك ونؤكد أن يدعى بالعنف وأن يدعى بما ينفر هذا غير صحيح، أنت الآن تدعوا على غير بصيرة؛ لكن إذا دعوت بالدليل وبالطريقة السليمة وعلى هدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتحملت في خاصة نفسك ما قد يؤذيك به الناس وجعلت هذا الأمر خاصا بنفسك وفرقت التفريق الكبير بين ما هو من خصوص نفسك ممن يهاجمك ويتلفظ عليك في خاصة نفسك هذا أمر إليك لا تكبر الأمر فتجعل نفسك كأنك على هدي الصحابة أو المرسلين، كأنك واحد من بلغ منازل الصحابة والمرسلين، أي: هذا الابتلاء الذي يبتلى به الداعي إلى الله تعالى: لا يعني أن يقلب المسألة إلى صراع مع الناس في شخصه؛ لكن إذا بين الحق وتلطف بهم ثم أساءوا إليه وتحمل وصبر وقال أمري لله عَزَّوَجَلَّ ولكن أنا أدعوكم إلى ما فيه مصالحكم ولا يهمني ما تقولون في خاصتي؛ لكن علم الله مني أني حريص على بيان الحق، وأني أحب أن تقبلوه فإن قبلتموه فهذا من الله عَزَّوَجَلَّ منة عليكم إن لم تقبلوه فأنتم المتضررين، إذا بينت الأمور هذا التبيين لاشك أن الإنسان يكون قد أدى ما عليه، ثم كونه يقبل أو لا يقبل، ألم تسمع الحديث والنبي ليس معه أحد، عرض على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النبي ومعه الرجل والرجلان أمة بأكملها ما أسلم ولا تبع النبي فيها إلا رجل أو رجلان وأمة أخرى لم يتبع هذا النبي أحد، إذا كان هذا في الأنبياء، فلا ينتظر الداعي إلى الله عَزَّوَجَلَّ من تكثر الجماهير حوله ولا يكون همه أصلًا،

إنما غرضه وجه الله عَزَّوَجَلَّ فيحرص على هذا فليست العبرة في كون هؤلاء يقبلون أو لا يقبلون، وكون هؤلاء يغضبون، كونهم يغضون من الكلام في الشرك هذا لفساد عقيدتهم، فلا تغير الدعوة وتحور لأجل هؤلاء، والقول بأن هذا يؤدي إلى تفرق الناس لأنكم تجمعون أي: تتكلموا في التوحيد نقول: أنت الآن ستجمع الناس على أي أساس، ستجمعهم على أي أساس؟ ستجمعهم على أمر لا يسخطهم، هذا أمر أولًا من سنة الله تعالى مستحيل؛ لأن الله خلق الناس فريقين.

○ **الأمر الآخر**: أنك إذا جمعت الناس بهذه الطريقة وفيهم من فيهم بأهل الشرك والضلالة والبدع والضلال فأنت من أعظم الناس إثما لأن هؤلاء صاروا في ذمتك، وأشعرتهم أنهم الآن على بصيرة يموت المشرك بشركه، يموت المبتدع ببدعته، جمعتهم حولك وانتموا إليك كما يحصل من أصحاب التحزبات والجماعات ويتركونهم في بلائهم وفي شركهم وفي ضلالهم، لو أتى أحد يتحدث عن معنى لا إلٰه إلا الله ويبين معناها قال لا تتحدث، سينفروا الناس، أنت الآن تجمع على أي أساس إذن، معنى ذلك أنك تجمع الناس لنفسك ولهٰذا من أجمل ما في هذا الكتاب لكن ما معنا فيه وقت المسائل، لو معنا وقت قرأنا مسائل كتاب التوحيد، ومن ضمنها أن الإمام المصنف محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما أتى إلى قوله تعالى: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨] قال فيه التنبيه على الإخلاص لأن من الناس من يدعوا إلى نفسه، أدعوا إلى الله لا أدعوا إلى نفسي قال فيه التنبيه على الإخلاص: أي: أن تدعوا إلى الله لا تدعوا إلى نفسك لأن من الناس من يدعوا إلى نفسه، فالمقصود أن الدعوة إلى الله تكون بعلم وببصيرة، ومن قبل فالحمد لله ومن لم يقبل فإن لن نبلغ الدرجة التي بلغها أولئك الأنبياء الكرام، في البيان والتوضيح ومع ذلك يأت النبي وليس معه أحد.

۞ **قال المؤلف**: «وقال الخليل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ٣٥﴾ [إبراهيم]».

الخليل: هو إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ويدعوا بهذه الدعوة العظيمة، يدعوا الله تعالى أن يجنبه وأن يجنب بنيه الأصنام، ولهٰذا يقول إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: من يأمن بعد إبراهيم، إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يدعوا بهذه الدعوة، يقول إبراهيم التيمي أو النخعي يقول: من يأمن البلاء بعد إبراهيم، أن ترى إبراهيم يسأل الله تعالى أن يجنبه الأصنام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، ويسأل الله أن يجنبه الأصنام، فكيف يقول الإنسان أنا ما أخاف من الشرك ولا يمكن أن يقع مني الشرك وأنا أعرف الأمر،

هذا كله من دلائل الجهل، إبراهيم التيمي يقول: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم هذا يدل على أن الإنسان ينبغي أن يحذر الشرك وأن يخافه ولاسيما مع الأحاديث التي تأتي في خطورته.

۞ **قال المؤلف:** «وفي حديث: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، فسئل عنه فقال: «**الرياء**».

هٰذا من شواهد الباب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما قال أخاف، قال: «أخوف ما أخاف»، «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»؛ لأن الشرك الأصغر وهو الرياء: معناه أن يري الإنسان غيره العمل، ليمدح عليه فيريه العمل الصالح مثل أن يتصدق ليراه الناس وهو يتصدق أو يكون من عادته مثلًا أنه يصلي الركعتين هاتين في ثلاث دقائق، فلما دخل فإذا برجل من أهل العلم أو من أهل الدنيا السلطان أو أمير فلما رآه في المسجد أطال في الصلاة، هذه الإطالة ليست من عادته، لكنه يريه أنه رجل نسأل الله العافية والسلامة من أهل الصلاة والخشوع، هذا معنى الرياء، أن يري غيره العمل.

والأصل في المسلم أن يحرص على أن تكون أعماله قدر ما يستطيع أن يخفيها قدر المستطاع وأن يجعلها فيما بينه وبين الله، فمعنى الرياء أن يري غيره والعياذ بالله وهذا خطير جدًا لاشك على أهل العلم والخير لأنه قد يقوم مقام موعظة، مقام تعليم، مقام أمر بمعروف ونهي عن منكر، مقام عبادة، فقد يكون للنفس حضور بأن يري الناس شيئًا وبأن يسمع الناس شيئًا وهذا خطير لا شك ولهٰذا قال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم يخاف النفاق على نفسه أي: الرياء، ما منهم أحد يقول إيماني على مثل إيمان جبريل وميكائيل، كل هذا من باب الخوف لأن الإنسان الذي يكون عنده شيء من الخير يخاف، تخالط نفسه الأمارة بالسوء مثل هٰذه، تخالط نفسه الأمارة بالسوء مثل هذه الأدواء فتزين له أنه في مقام الخير والدعوة وربما زاد في الأمور حتى يراه الناس ويمدحوه؛ لكن مع ذلك ينبغي أن يلاحظ أمر وترك الوسوسة في مثل هذه المسائل، مثل أن يكون الإنسان يريد أن يتصدق فيأتيه الشيطان يقول أنت تتصدق ترائي، أنت الآن تعرف نفسك، لو أن الناس غير موجودين ورأيت هذا الفقير أليس ستتصدق عليه لو لم تجده إلا وحده، إذًا تصدق ولا يهمك هذا الأمر الشيطان يريد أن يحول بينك وبين الصدقة بمثل هٰذا، واحرص على أن تدفع، إذا خشيت على نفسك أن تدفع عن نفسك أي: أمر مراءات الناس أو النظر إليهم واسأل الله أن يعينك على نفسك حتى لا يكون ذلك سببًا في تركك للخير؛ لأن المقامان الخاطئان هو أن تفعل لأجل الناس والمقام المقابل له أن تترك لأجل الناس.

أي: يقول لولا أن الناس أمامي كنت أتصدق على هذا المسكين أنا الآن مشفق عليه جدًا وأعرف من حاله أنه ضعيف؛ لكن الناس موجودون ما أحب أن أتصدق فيتركه هذا خطأ، كما أنك لا تتصدق إذا صاروا موجودين فلا تترك الصدقة إذا صاروا موجودين واحرص على الإخلاص واسأل الله تعالى الإعانة؛ لأن من الناس من يكون على طرف الرياء ومن الناس ما يكون عنده أيضًا وسوسة فيترك العمل بحجة ترك الرياء، أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، إذًا فالشرك الأكبر ماذا سيكون؟ إذا كان الشرك الأصغر هو أخوف ما أخافه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأنه يرد على الموحدين وعلى أهل العبادة، إذًا في الأمة إذا وجد الشرك الأكبر ماذا يكون الأمر؟ يكون الأمر أشد وأفظع، ولهٰذا قلنا الدعاء على الله على بصيرة وعلى حق أعظم ما يركزون على التحرير من الشرك والدعوة إلى التوحيد، فسئل عنه فقال الرياء نسأل الله العافية.

۞ **قال المؤلف:** «وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: **«من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار»** رواه البخاري. ولمسلم عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: **«من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار»**.

الند: هو الشبيه، يقال فلان ند فلان، ونديده أي: مثله وشبيهه، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار**» لأنه جعل لله عَزَّوَجَلَّ شبيها ومثيلا، فمن مات ولقي الله على هذا فإنه يكون من أهل النار، وهذا يستوجب الخوف من الشرك؛ لأن الشرك إذا كان سببًا في دخول النار فإنه مخوف كما أن التوحيد إذا كان سببًا في دخول الجنة فإنه يكون مرغوبا ويحرص عليه.

في حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قريب من هٰذا: «**من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة**» وهذا ما قلنا على التفصيل السابق، أي: هذا الحديث كما في بعض الروايات في مقام قال النبي ولو لم يكن في هذا الحديث نفسه لكن قال: لا تغتروا، أي: سمعنا مثل هذه الأحاديث: «**من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة**» ليس معنى ذلك التسهيل في المعاصي؛ لأن المعاصي فيها نصوص أخرى دلت على أن أصحابها يعاقبون لكن كما قلنا: إذا لقي الله سالما من الشرك ومن البدع ومن المعاصي فإنه يدخل الجنة بفضل الله عَزَّوَجَلَّ بلا حساب، وإذا لقي الله ومع شيء من هذه المعاصي فإنه يكون تحت مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار، هذا يستوجب الخوف من الشرك، أن من لقي الله تعالى بالشرك يكوم من أهل النار والشرك لاشك أنه مخوف والأدلة

على التي تدل على الخوف من الشرك كثيرة، في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج] وهكذا عدة آيات دلت على فظاعة الشرك وعلى أن الله لا يغفر بتاتا لأهل الشرك وأن الله قد حرم عليهم الجنة كل هذا يستوجب الخوف من الشرك، نسأل الله بأسمائه وصفاته أن يعيذنا وإياكم من صغاره وكباره.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

* * *

---

(١) نهاية المجلس الثاني.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

❁ **قال المؤلف:** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى: «باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وقول الله تعالى:** ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٨]، الآية.

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إلٰه إلا الله –وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله– فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك: فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**» أخرجاه».

لما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى فيما تقدم التوحيد وفضله، وذكر ما يوجب الخوف من ضده، نبه هنا إلى أنه لا ينبغي لمن أكرمه الله تعالى بالتوحيد أن يقتصر على نفسه بل يجب أن يدعوا إلى الله تعالى، فلهٰذا قال باب الدعاء إلى شهادة أن لا إلٰه إلا الله أي: باب الدعوة هذا المقصود، أي: أن يدعوا إلى شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن لا يقتصر على نفسه بعد أن أكرمه الله تعالى بهٰذا الفضل ومن عليه بالتوحيد وسلمه من الشرك لا يقتصر على نفسه عليه أن يحرص على أن ينشر هذا الخير وأن ينفع الله عَزَّ وَجَلَّ به فيما يعلم ولا يدخل نفسه فيما لا يعلم.

❁ **قال المؤلف: «باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله وقول الله تعالى:** ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٨]».

يأمر الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول هذه الدعوة التي أدعوا إليها و هذه الطريقة التي أنا عليها من إخلاص العبادة لله عَزَّ وَجَلَّ هي سبيلي أي: طريقي وهي دعوتي أدعوا إلى الله، في قوله: «أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ» كما نبه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في التنبيه إلى الإخلاص فإن بعض الناس قد يدعوا إلى نفسه فالواجب أن يكون مراد من يدعوا أن يكون مراده وجه الله عَزَّ وَجَلَّ وأن يتقرب إلى الله تبارك وتعالى بدعوته، وألا يكون

غرضه إبراز نفسه وتوجيه الأنظار إليها فإن هذا مقصد خبيث فاسد هو به آثم مأزور غير مأجور.

❁ **قال المؤلف:** «﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾».

البصيرة بحيث يدعو إلى ربه تعالى على بصيرة منه بذلك ويقين علم ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ أي: ويدعوا إلى ما دعوت إليه على البصيرة أيضًا من اتبعني فهذه الآية أصل كبير جدًا في الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ وأن الدعوة يجب أن تكون إلى الله لا إلى شخصك ولا إلى جماعة ولا إلى حزب ولا إلى بلد ولا إلى غيره، إنما الدعوة وما يرفع من شعار يرفع، شعار الإسلام ويدعى الناس إليه ويجمعون عليه هذا الذي أمر الله عَزَّوَجَلَّ به، و هذه الدعوة يجب أن تكون على بصيرة، فمن لم يكن على بصيرة وعلى علم فلا يحل له أن يدعوا إذ على أي أساس يدعوا.

ولهٰذا قال الحسن وقال عمر بن عبد العزيز رحمهما الله ما معناه وجدنا من عمل بلا علم يفسد أكثر مما يصلح وقد يتحمس بعض الناس للدعوة ويحرص على إنقاذ المسلمين من الضلالات ومن المعاصي والأخطاء والشبه فيدخل في هذا الميدان وهو ليس من أهله فيترتب على ذلك والعياذ بالله أن يقع في القول على الله عَزَّوَجَلَّ بلا علم.

ولهٰذا يجب أن تكون الدعوة على بصيرة ولهٰذا قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «باب ما العلم قبل القول والعمل»، فإذا أردت أن تقول وأنت تعمل لا بُدَّ أن تكون قد عرفت الحق في ذلك وإلا فإنك قد تقول الباطل وقد تعمل الباطل وأنت لا تدري، وسبحان الله تنزيه لله عَزَّوَجَلَّ، معنى سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن ينزه الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ تبرأ من الشرك وأهله، ثم ذكر حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لما بعض معاذا إلى اليمن بعثه داعيًا إلى الله ومعاذ كما تقدم من أعلم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ويبعث يوم القيامة متقدما على العلماء برتوة كما تقدم، وهذا يدل على أن الذين يبعثون للدعوة ويهيئون لها يجب أن يكون من أهل العلم، لأنهم إذا لم يكونوا من أهل العلم فعلى أي أساس يدعون، ولهٰذا بعث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من أصحابه ذوي العلم كما بعث عليا وأبا موسى ومعاذا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ جميعًا وعن سائر الصحابة لتكون دعوتهم على بصيرة.

لما بعثه إلى اليمن أعطاه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ترتيب الواجبات، فقال: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب» فيه تنبيه له إلى أن الذين يبعثه إليهم ليسوا مثل المشركين الذين لا حجة لهم ولا عندهم شبهات وليس

عندهم ما يدعون أنهم به على بصيرة وعندهم أثارة من علم المشركون يقولون ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف]، هذا رأس مالهم، أما أهل الكتاب فيقولون لنا كتاب وبعث إلينا رسول ونحن مأمورون بإتباعه، فيجب أن يكون المناظر لهم مستعدا حتى يجيب على شبهاتهم، فلذا قال: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب».

۞ **قال المؤلف:** «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إلٰه إلا الله وفي رواية إلى أن يوحدوا الله».

دل على أن أول واجب على المكلف وأن أول ما تدعوا إليه الرسل صلى الله عليهم وسلم، وأول ما يدعوا إليه من اتبع الرسل عليهم الصلاة والسلام هو التوحيد، فلا يسبق التوحيد شيء البتة، فمن دعا إلى غير التوحيد فإنه على غير دعوة الرسل، إنما يدعوا لكن على بصيرة والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أمره الله أن يقول: أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، فهذا يدعوا لكن على غير بصيرة؛ لأنك حين تأتي إلى كفار أو إلى أناس عندهم شركيات كبرى تخرج من الملة ثم تبدأ تتحدث معهم في غير التوحيد فإنك لم تفقه الدعوة ولم تعلمها، فلهٰذا أول ما يبدأ به بالتوحيد كما بين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في هذه الروايات: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إلٰه إلا الله**» وفي اللفظ الآخر «**إلى أن يوحدوا الله**» وتوحيد الله تبارك وتعالى كما تقدم بإفراده تعالى بالعبادة.

۞ **قال المؤلف:** «فإن هم أطاعوك».

لا يخلوا الأمر إذا دعوتهم إلى التوحيد لا يخلو من أحد حالين:

الحال الأول: إما أن يأبوا ويرفضوا فعند ذلك هؤلاء القوم لا يدعون إلى أي شيء من واجبات الإسلام، لأنهم رفضوا الأساس الذي تبنى عليه الأعمال وهو التوحيد فلا يقال لهم أنتم لم تقبلوا التوحيد لكن ندعوكم إلى الصيام أو إلى الصلاة ما يصح هٰذا، إذا رفضوا التوحيد فإنهم لا يدعون إلى شيء البتة.

الحال الثاني: أن يطيعوا ويقبلوا التوحيد فعند ذلك إذا دخلوا في الإسلام لا بُدَّ أن يعلم بهذه الأركان العظام وأن يعلموها «**فإن هم أطاعوك لذلك**» وهو ما تقدم من التوحيد.

۞ **قال المؤلف:** «فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة».

جعل الواجب الثاني الصلاة فدل على عظم شأن الصلاة وكبر قدرها، لأنها هي التي تأتي بعد التوحيد «**فإن هم أطاعوك لذلك: فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة**».

۞ **قال المؤلف:** «افترض عليهم».

هذا يدل على أن الصدقة هنا واجبة وأن المراد بها الزكاة، وإلا لو كانت صدقة التطوع لما عبر بكلمة افترض ولهذا قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾ الآية المقصود الزكاة، وإلا فصدقة التطوع هذه ليست على سبيل الإيجاب، فإن تصدق فإنه يجد ذلك ويجد نفعه في الآخرة، وإن لم يتصدق فليست هذه الفريضة التي يدعا إليها الناس بعد الصلاة.

۞ **قال المؤلف:** «افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم».

دل على مصرف الزكاة الأهم والأكبر وهو الفقراء، أهم مصارف الزكاة على الإطلاق في الفقراء، ولهذا بدأ الله تعالى بهم في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾ والفقراء والمساكين نوعان من المحتاجين لكن أيهما أشد حاجة؟ الذي عليه كثير من أهل العلم أن الفقير أشد قالوا: الفقير على وزن الفعيل كأنه كسر فقار ظهره من شدة الحاجة، والمسكين على وزن المفعيل لازم السكون من حاجته.

○ **ما الفرق بين الفقير والمسكين؟!** قالوا: الفقير هو المعدم ليس عنده شيء، أما المسكين فعنده شيء لكن لا يكفيه واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ [الكهف:٧٩]، قالوا: فهؤلاء مساكين ولهم سفينة ولهم عمل، والسفينة هذه يجنون من وراءها أرباح، أما الفقير فإنه معدم لا شيء عنده.

۞ **قال المؤلف:** «فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم».

استدل بعض أهل العلم بالحديث على أن الزكاة لا يجوز نقلها، قالوا: إن البلد إذا كان فيه فقراء فإن الزكاة تؤخذ من أغنياء البلد وترد على أغنياء البلد بدليل قوله: «**تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم**» ولا تنقل إلى أناس بعيدين ويترك الفقراء داخل البلد قد اشتدت حاجتهم، ومن أهل العلم من قال إن قوله: «**فترد على فقرائهم**» لا يعني بالضرورة أن تكون على فقراء البلد نفسه ولاسيما إذا وجدت حاجة

أشد كأن يوجد أناس من المسلمين كما هو الحاصل الآن يموتون جوعًا قالوا: فهؤلاء الذين يموتون جوعًا أشد حاجة من أناس في البلد على سبيل المثال لديهم شيء من المشقة في مثلًا تسديد إيجار بيوتهم ونحو ذلك، قالوا: فمن يموت جوعًا ليس كمن يواجه مثل هٰذا، فأهل العلم لهم قولان في المسألة.

❁ **قال المؤلف:** «**تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك**».

أطاعوك في التوحيد، أطاعوك في الصلاة، أطاعوك في الزكاة، هنا الآن وجه الكلام له تحذيرًا وتخويفًا له من الله عَزَّوَجَلَّ.

❁ **قال المؤلف:** «**فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم**».

الكرائم: جمع الكريمة، والمراد بالأموال المال له معنى أوسع من المعنى الشائع عند الناس، المعنى الشائع عند الناس أن المال هو هذه النقود؛ لكن المال أوسع حتى الطعام مال، فإذا تصدقت بطعام فأنت قد تصدقت بمال، إذا تصدقت بشيء من الإبل من البقر فكل هذا يسمى مالًا ولهٰذا قالت العرب المال الإبل أي: أن الإبل أعظم المال وأنفسه، فكلمة المال تعني ما يتمول فيدخل في ذلك أشياء كثيرة، ومن ضمنها بهيمة الأنعام التي تؤخذ منها الزكاة.

إذا جاء الإنسان المصدق يسمى المصدق وهو الذي يأتي إلى أصحاب الإبل والغنم والبقر ليأخذ منهم الزكاة في كل مقدار معين من الأغنام من الأبقار من الإبل فيها مقدار يؤخذ من نفس الإبل، ومن نفس البقر، ومن نفس الغنم، ماذا يأخذ المتصدق؟ يأخذ المتوسطة فلا يأخذ الهزيلة والعجفاء والمريضة؛ لأن في ذلك إضرار بالمريضة، ولا يأخذ أنفس المال وأحسنه وأفضل ما فيه لأن في ذلك إضرارًا بصاحب المال، وإنما يأخذ أوساط المال الوسط، ولهٰذا قال: «**فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم**» كرائم جمع الكريمة التي تكون قد جمعت جملة من الأمور التي فيها كمال من مثلًا غزارة اللبن، جمال الصورة، كثرة اللحم، الصوف، فهي أفضل المال وأنفسها فهذه لا تؤخذ بالزكاة إلا أن تبرع وتطوع صاحب المال، فقال: أنا أعلم أن هذا لا يلزمني لكن تقربًا إلى الله سأعطيك أفضل ما عندي هذا جاد به من نفسه؛ لكن المصدق وهو الذي يأخذ المال لا يأخذ أفضله ولا يأخذ شراره.

❁ **قال المؤلف:** «**واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**».

أي: أنها لا تحجب عن الله فإن الله تعالى يقبل دعوة المظلوم ولو بعد حين، قد يدعو المظلوم على

ظالمه فتصيب الظالم دعوته ولو بعد مدة، وقد تصيبه مباشرة الدعوة، لهٰذا ورد أنها تصعد إلى الله كالشرارة أي: من شدة خطر دعوة المظلوم وهذا يستوجب على الإنسان أن يتنبه إلى المظالم وأن يحذرها وأن يخافها.

وقوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**واتق دعوة المظلوم**» يدخل في قوله «**المظلوم**» كل مظلوم مسلم كان أو كافر، فلو ظلمت كافر ودعا عليك فإنه قد تقبل دعوته فيك وأنت مسلم وهو كافر؛ لأن وصف المظلوم قائم به، ولهٰذا روي «**واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب وإن كان كافر**» أي: أنه قد يدعو عليك وهو كافر وتصيبك الدعوة فلا تقل هو كافر ويستحق وسأمنعه من مرتبه مثلًا أو سأضربه أو نحو ذلك هذا لا يحل ولا يجوز، المسلم متأدب بآداب الشرع لا يتجاوز حدود الشرع بتاتًا، إذا جاءنا الشرع حدا فإنه لا يتجاوزه لا مع مسلم، ولا مع كافر، ولا مع بهيمة، هناك حدود يتقي الله تعالى ويقف عندها، ولهٰذا قال: «**واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**» فدل على خطورة دعوة المظلوم.

❍ **في الحديث ترتيب الدعوة** وأن أول ما يدعا إليه هو التوحيد وأن هذا هو كما قلنا أكثر من مرة هو الدلالة على انضباط منهج الداعي إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا كان يبدأ بالتوحيد ويهتم به ويحذر من الشرك فهو على بصيرة كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[يوسف:١٠٨]، أما من لا يريد الإتباع لرسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويريد أن يدعوا حسب ما يحلو له، وحسب ما يوافق هواه فهذا شأنه آخر، هذا خارج عن الدعوة على بصيرة.

قوله: «**أخرجاه**» يريد به الشيخان البخاري ومسلم، كثيرًا ما يعبرون عنهما ولا يذكرون اسمهما تارة يقولوا متفق عليه، أي: اتفق عليه البخاري ومسلم، وتارة يقولوا: رواه الشيخان، وتارة يعبرون بالاسمين رواه البخاري ومسلم، وتارة يقولون روياه في الصحيحين أي: البخاري ومسلم، وتارة يقولون كما هنا: أخرجاه أي: أخرجه البخاري وأخرجه مسلم في صحيحهما.

۞ **قال المؤلف:** «ولهما عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يوم خيبر: «**لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه**». فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها. فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم يرجو أن يعطاها. فقال: «**أين علي بن أبي طالب؟**» فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه، فأتى به فبصق في عينيه، ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال: «**أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا، خير لك من حمر النعم**». يدوكون: أي يخوضون».

في هذه الحديث أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما كانوا يوم خيبر، وكانت خيبر بها يهود حاصرهم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فبعض حصونها تعصت فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**» وهذا فيه بشارة كبيرة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لأنه ممن أحبه الله ورسوله وهي منقبة عظيمة له؛ لكن ليست هذه الخاصية لعلي فإن الله تعالى يحب المؤمنين، ويحب أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يحب الأنصار، ويحب المهاجرين، هناك شيئان من الفضائل التي ترد للصحابة نوعان:

○ **النوع الأول**: يسمى خصائص.

○ **النوع الثاني**: يسمى فضائل.

الفضائل يشترك فيها عدد كبير من الصحابة، الخصائص يختص بها بعضهم أو أحدهم وقد ذكر شيخ الإسلام أن أكثر ما روي لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خصائص، أي: أنه انفرد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه بخصائص في النصوص لا يشركه فيها أحد، وشارك غيره في فضائل أخرى، فقوله: «**يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**» لاشك أن هذا وصف أخبر الله به عن المؤمنين ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]؛ لكن تخصيص علي به لاشك أنه يدل على منقبة ومنزلة له فهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل الصحابة بعد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عن الجميع.

۞ **قال المؤلف:** «يفتح الله على يديه».

فيه بشارة بأن هذا الحصن سيفتح وأن الرب تعالى سيجري النصر على يديه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي الحديث أيضًا إثبات المحبة لله عَزَّوَجَلَّ قوله: «**يحبه الله ورسوله**» محبة على ما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو سبحانه

أخبر أنه يحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب المتقين، فالاتصاف بهذه الصفات سببًا لحصول محبة الله عَزَّوَجَلَّ.

فلما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لأعطين الراية غدًا رجلًا**» لم يحدده، بات الناس من حبهم لهذه المنقبة أن تدركهم بات الناس يدوكون أي يخوضون أيهما يعطاها كل أحد منهم يتمنى أن يحصل على هذه الفضيلة، لهٰذا قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، أي: لأجل أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن الله ورسوله يحبان من سيفتح على يديه.

فلما أصبحوا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الغدو هو الصباح، وأكلة الغداء في اللغة هي أكلة الصباح لا أكلة الظهر كما هو عندنا، عندنا الشائع أن الغداء هو الذي بعد الظهر، إذا سمعت في الحديث أنهم تغدوا أي: أكلوا أكلة الصباح، ولهٰذا تصلى صلاة الفجر صلاة الغداة لأنها في الصباح وهي التي تكون في أول النهار، الغدو يكون في أول النهار.

ولهٰذا قال: «فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم يرجو أن يعطاها». فقال: «**أين علي بن أبي طالب**» فقيل: هو يشتكي عينيه، وذلك أنه أصابه رمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فأرسل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم فجيء به يقاد أرمد قد أصاب عينيه الرمد، الرمد نوع من المرض يصيب العينين أو العين.

«فبصق في عينيه» هنا بصقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سبيل الرقية والعلاج له، ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فشفي وعفي من فوره، ولهٰذا جاء في بعض الروايات أنه قال: «فما رمدت ولا صدعت منذ دفع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلي الراية» و هذه من علامات ودلائل النبوة، فأعطاه ﷺ الراية ثم نبهه إلى جملة من الآداب التي تكون للمجاهدين في سبيل الله، فقال: «**أنفذ على رسلك**» أي على رفق من غير عجلة، وفيه دلالة على أن الصياح والصراخ ليس من آداب الجهاد، وإنما يذهب بتؤدة وبطمأنينة كما قال عَزَّوَجَلَّ ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الأنفال:٤٥]، فموضع الجهاد ليس موضع صراخ كما يحصل من السفهاء الذين يلعبون ويضحكون ويتسلون هذا في مجالات اللعب، أما الجهاد فله آداب وله أحكام، ومن ضمنها أنه ينفذ إلى الجهاد على تؤدة وعلى رفق بغير عجلة، وعلى حال من أيضًا البعد عن التفاخر ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ [التوبة:٢٥]، فالله تعالى أمر عند الجهاد بالرفق والتؤدة والثبات وذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

❁ **قال المؤلف:** «حتى تنزل بساحتهم».

أمرهم أن ينزل بفناء أرضهم وهو ما حول موضعهم هذا وفيه فائدة، لأنه يشجع المسلمين ويكسر العدو ويوهنهم لأنهم اقتربوا، اقترابهم دليل على جرأتهم «**ثم ادعهم إلى الإسلام**» هذا الشاهد من الحديث أنه أمرهم أن يدعو إلى الإسلام وباب الدعاء إلى شهادة أن لا إلٰه إلا الله وتقدم أن الدعاء إلى الإسلام يكون كما في حديث معاذ يبدأ معهم بالتوحيد، ثم الصلاة، ثم الزكاة.

❁ **قال المؤلف:** «وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه».

وهذا يدل على أن الداعي إلى الله عَزَّوَجَلَّ يخبر من يدعوه إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالحقوق الواجبة، وأنه لا يدعوه ويهمله، وإنما إذا دعاه يعلمه ويبين له ما الذي يلزمه، وما الواجب من الحقوق المترتبة على إسلامه ولا يتركه، وإنما يبينه له، لأنه قد يدخل في الإسلام وينتهك حقوقًا كبار، لأنه ما أعلم بها، وما أخبر أن ثمة حقوق يجب أن يلتزمها فلهٰذا لا بُدَّ أن يعلم ولا يترك، ثم قال: «**فوالله**» وهو الصادق المصدوق صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «**فوالله**» وهذا يدل على أن الحلف في مجال التأكيد لا بأس به؛ لكن يجتنب كثرة الحلف بحيث يكون الإنسان دائمًا حلاف؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْۚ﴾ [المائدة: ٨٩]؛ لكن يحتاج إلى الحلف بلا شك في بعض المواضع عند إرادة تأكيد الحق ودفع الباطل ونحو ذلك.

❁ **قال المؤلف:** «فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا، خير لك من حمر النعم».

أخبره عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ أن هداية رجل واحد على يديه بحيث يدخل الإسلام ويترك الشرك والكفر أفضل له من أنفس الأموال التي تعدها العرب ذلك الوقت وهو الإبل الحمر كانوا يحبونها وكانت ذات موضع وذات أهمية عندهم، فكانت مضرب المثل في نفاسة المال فقال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا، خير لك من حمر النعم**» فدل على أن هداية الإنسان على يدي أحد سواء من الكفر الأصلي إلى الإسلام أو أن يكون من المشركين الذين يقعون في شركيات وضلالات تخرج من الملة فتدعوه إلى التوحيد فيوحد دل على أنه أفضل من حيث العاقبة الحميدة، أفضل من كل ما يعده الناس من الفضائل الدنيوية ونحوه، ولك أن تقول الآن أفضل من الأرصدة الكثيرة في البنوك ومن كذا وكذا من الأموال التي يتنافس فيها الناس؛ لأن هذا الذي هداه الله على يديك.

كل ما تقرب إلى الله تعالى بقربة فأنت الذي دللته على أصل الحق والخير فتكتب أجوره لك وقد

تموت وتستمر أجور هذا الذي دعوته إلى الله عَزَّوَجَلَّ لك، وقد يتزوج وتأتيه ذرية صالحة فيربيهم وتكون أنت المتسبب بعد توفيق الله عَزَّوَجَلَّ في هداية أبيهم فتتسلسلهذه الأسرة ما الله به عليم وكانت أسرة قبل ذلك كافرة ثم أصبحت مسلمة ففضائل هذا لا يحيط به إلا الله، وهو يدل على عظم شأن الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ إن أصلح الله له النية، ويدل أيضًا على عظم شأن التوحيد.

ثم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر الباب قال مبينًا كلمة يدوكون أي: يخوضون أي أن الصحابة كانوا يخوضون في من يعطى هذه الراية.

❁ **قال المؤلف:** «باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، وقول الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقوله: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]».

في هذا الباب أراد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى يقول شيخنا الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح له قديم في هذا الباب يقول: أراد إيضاح التوحيد بضده، بعض الأحيان تتضح الأشياء بضده كما قالت العرب: وبضدها تتميز الأشياء، بعد أن بين التوحيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ووضحه، وذكر الدعوة إليه ذكر المضاد للتوحيد، لأنك إذا عرفت التوحيد عرفت ضده، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إلٰه إلا الله.

❁ **قال المؤلف:** «وشهادة أن لا إلٰه إلا الله».

هذا من عطف الدال على المدلول أن لا إلٰه إلا الله تدل على التوحيد، ثم بدأ بقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ الآية التي قبلها: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ ثم قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ ﴾ ما معنى الآية؟ قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: نزلت الآية في ناس من الإنس يعبدون أناس من الجن فأسلم الجن والإنس الذين يشركون بهم يعبدونهم من دون الله مع أن الجن الذين كانوا يعبدون قد أسلموا وهو معنى قوله ﴿يَبۡتَغُونَ ﴾ أي: أولئك الذين يدعوهم أولئك الإنس يشركون بهم قد حصل لهم الإسلام فصاروا يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب، واستمر الإنس لا يدرون أن الجن الذين كانوا يشركون بهم قد أسلم الجن وبقي الإنس على شركهم.

وأكثر المفسرين على أن الآية نزلت في من يعبد المسيح وأمه والعزير والملائكة ولا يمنع أن تكون

الآية نزلت في عموم الأصنافهذه كما قال ابن مسعود رضي الله عنه وأنها نزلت في عيسى؛ لأن عيسى عليه الصلاة والسلام وأمه والملائكة وعزير ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾ هذا كله يصدق فيهم فهذا فيه بيان وتفسير للتوحيد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ فدل على أن المؤمن لا بُدَّ له من اتخاذ الوسيلة كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

قال المؤلف: «﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾».

فدل على أن الموفق هو من يجمع الخوف والرجاء، فيرجو رحمة الله تعالى ويخاف عذابه، وإذا رجا رحمة الله عمل العمل متكلا على الله الذي يكون من آثاره بإذن الله تعالى أن يرحمه الله، وإذا كان صادقًا في أنه يخاف من عذابه فإنه يترك ما يوجب وقوعه في العذاب من معصية الله ومن عموم ما يسبب عقوبة الله له ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧﴾.

في هذه الآية كما ذكر ابن القيم رحمه الله ثلاث مقامات: الحب وهو ابتغاء القرب إلى الله تعالى، والتوسل إليه بالأعمال الصالحة، وكذلك الرجاء والخوف، ثم قال: وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، هذه الآية فيها تفسير التوحيد؛ لأن التوحيد قولك: لا إله إلا الله، قلنا أن لا إله إلا الله فيها نفي وإثبات، لا إله نفي، إلا الله إثبات، ما معنى الإله؟ المعبود، فقولك: لا إله أي لا معبود حق إلا الله، فتنفي أن يستحق أحد العبادة كائن من كان من ملك أو نبي أو جني أو شجر أو حجر لا إله إلا الله، وتحصر استحقاق العبادة في الله وحده لا سواه.

قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه وقومه لأنهم كانوا مشركين ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾ البراءة هذه هي الواردة في قولك لا إله لأنك تتبرأ إلى الله مما عبد من دونه وتكفر بما عبد من دون الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وهكذا قوله هنا ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾ كل هذا يبين لك معنى النفي في قولك: لا إله أنك تبرأ إلى الله من كل ما عبد من دون الله ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ وهو الخالق سبحان الذي خلقني فإنه هو الذي وحده لا سواه يستحق العبادة.

﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ﴾ وهي كلمة التوحيد هذه ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨﴾ هذه الكلمة باقية في عقب إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يزال في ذريته من يقول هذه الكلمة وفي التوحيد ظل فيهم واسترسل فيهم ولا يزال في ذريته حتى أكمل الله تعالى النعمة في هذه الأمة بالتوحيد الخالص العظيم، وأعظم الناس توحيدا وأعظمهم تحقيقًا للتوحيد هم هذه الأمة المباركة، فدل على معنى التوحيد أنه نفي وإثبات.

۞ **قال المؤلف:** «وقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]».

ذكر الله تعالى هذا في أهل الكتاب ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾ **الأحبار**: هم العلماء منهم، **والرهبان**: هم العباد فاتخذوهم أربابًا.

ما معنى اتخاذهم أربابًا؟! قيل إن المراد اتخذهم أربابًا بالسجود لهم، وقيل أن المراد كما في حديث عدي بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ لما قرأ النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذه الآية فقال عدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: أما إنا لم نكن نعبدهم، فسأله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**أليس يحلون لكم الحرام فتستحلوه، ويحرمون عليك الحلال فتحرموه، قال: بلى، قال: فتلك عبادتهم**» فالشرك تقدم أنه وضع العبادة لغير من يستحقه سبحانه.

ثمة شرك آخر هو شرك الطاعة بأن تجعل الطاعة لمن لا يستحقها فبدلا من أن يطيع الله عَزَّوَجَلَّ يطيع غيره وهذا يقع على وجوه، منها وجوه هي كفر لا شك فيها مثل أن يحلل لهم الأحبار والرهبان أو غيرهم يحللون الحرام، ويحرمون الحلال فيعلمون أنهم قد بدلوا دين الله عَزَّوَجَلَّ فيتبعونهم على هذا التبديل ويعتقدون تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل إتباعًا لهؤلاء فهذا كفر، بمعنى أنهم لو قالوا لهم أن الزنا والعياذ بالله مباح فاعتقدوا أن الزنا مباح في هذه الحالة إذا كانوا يعلمون حكم الله في أن الزنا محرم وأطاعوهم فيما بدلوه من دين الله عَزَّوَجَلَّ واعتقدوا أن الزنا انتقل من التحريم إلى الإباحة فهذا بلا أدنى شك كفر.

○ **النوع الثاني من الطاعة**: أن يكون اعتقادهم ثابتًا بتحريم الحرام وإباحة المباح لكن يطيعون في المعصية كما يقع من كثير من أهل المعاصي يعتقدون أنها معاصي ولا يشكون لكن يطيعون في المعصية هؤلاء لاشك أنهم من المسلمين لأنهم يعلمون أنها محرمات ولا يتشككون في أنها من الذنوب وحكم الله عَزَّوَجَلَّ مستقر وباقي عندهم لا يشكون في ذلك فإذا أطاعوهم في هذا فهذا نوع معصية، إنما يكون

الكفر إذا أحلوا لنا الزنا صار الزنا حلالًا أو الخمر يصير حلال، ولو حرموا علينا المباح كاللحم وصار اللحم حرامًا هنا يكفر من اعتقد هذا بلا شك، أما لو أطاعوا في معصية كما يقع من كثير من الناس ضعفًا أو مجاملة أو لمصلحة دنيوية أو نحو ذلك فهذا لا يكفر بلا شك، وإنما يكفر من فعلها.

فدل على أن شهادة أن لا إلٰه إلا الله ذات معنى عظيم، وأنه يترتب على قولك لا معبود حق إلا الله يترتب عليه أن تحل ما أحل الله، وأن تحرم ما حرم الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ هذا هو معنى العبودية الحقيقي، إذ معنى لا إلٰه إلا الله أن لا معبود حقًا إلا الله فما حرمه الله فهو حرام لا يمكن أن يتغير إلى الحلال، وما أباحه الله فإنه مباح لا يمكن أن يتغير إلى المباح وهكذا.

بقية الآية ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)﴾ فسماهم بالمشركين فدل على أن هذا وقع فيه شرك، ولهٰذا الشرك منه نوع يسمى شرك الطاعة وهو أن يطيع على الصورة التي ذكرها أن يطيع في تحريم الحلال الذي يعلم أنه حلال، ويطيع في إباحة الحرام الذي يعلم أنه حرام، فهذا شرك لا شك أنه شرك وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)﴾ [الأنعام: ١٢١].

سبب نزول هذه الآية قالوا: إن المشركين قالوا للمسلمين الشاة التي تذبحونها بأيديكم حلال، والتي يميته الله وهي الميتة هذه التي تموت تكون حرام، فما ذبحتموه بأيديكم حلال وما ذبحه الله بسكين من ذهب حرام؟ هذه شبهة أوردوها فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ أي: في شأن إباحة الميتة ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في استحلال الميتة ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)﴾ فلو اعتقد أحد أن ما يقوله الكفار في أن الميتة تؤكل وأنها مباحة فإنه يكون مشركًا، شرك هذا أتى من أين؟ من طاعتهم قال: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)﴾ فدل على خطورة هذا المقام، وعلى أن تحقيق التوحيد لا بُدَّ معه مع إفراد الله تعالى بالعبادة لا بُدَّ معه من أن تبيح ما أباح الله وتحرم ما حرم الله، ولهٰذا أخبر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن من أحل الحلال وحرم الحرام واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم، هكذا يكون الإنسان مسلم، أما إذا قال: إن ما حرم الله يمكن أن يتغير إذا أحل لي، وما أباحه الله عَزَّوَجَلَّ يمكن أن يتغير إذا حرم علي من قبل غير الله عَزَّوَجَلَّ، فإن هذا شرك لاشك.

۞ **قال المؤلف:** «وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، الآية».

المحبة على نوعين:

○ **النوع الأولى:** هي المحبة العادية مثل أن يحب الإنسان أبناءه وإخوانه، وأن يحب مثلًا بعض المأكولات والمشروبات التي أباحها الله عَزَّوَجَلَّ هذه لا يتحدث عنها ولا يقال أنه يقع فيها شرك فهذه من الأمور المعتادة، لأنها محبة عادية وكان صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: يحب الحلواء والعسل صلوات الله وسلامه عليه، كان يحب الدباء وهو القرع ما في هذا إشكال، هذه المحبة عادية وإن تفاوت الناس فيها فتجد إنسان يحب أنواع من الطعام، وآخر يحب أنواع أخرى هذه لا إشكال فيها فلا يقال أنه يحب غير الله، وإنه بحبه لمثل هذه الأنواع يكون قد أحب غير الله فوقع في الشرك هذا لا يمكن أن يقوله أحد؛ لأن هذه محبة عادية.

○ **النوع الثاني:** هو محبة العبادة: ما ضابط المحبة التي إذا صرفت لغير الله تعالى وقع صارفها في الشرك؟ ضبطها صاحب «**تيسير العزيز الحميد**» رَحِمَهُٱللَّهُ بقوله: المحبة التي لا تصلح إلا لله، أي: هذه المحبة الخاصة بالله عَزَّوَجَلَّ، لا يزال الأمر يحتاج إلى بيان أيضًا، علمنا أن ثمة محبة لا تصلح إلا لله، وثمة محبة عادية لكن ما ضابط المحبة التي لا تصلح إلا لله؟ هي التي تكون بنهاية الذل وكمال الخضوع، هذه لا تصلح إلا لله عَزَّوَجَلَّ فيفعلها العبد متعبدًا متقاربًا إلى الله تعالى لكون رب العالمين هو المستحق وحده لهذه المحبة، فمن صرف هذا النوع لغير الله عَزَّوَجَلَّ فإنه يكون مشركًا شركا أكبر.

ومثل ذلك يقال أيضًا في الخوف، الخوف نوعان: وقد يذكر بعض أهل العلم أنه على أكثر من نوع مثل ما قسمنا المحبة نقسم الخوف، الخوف نوعان:

○ **النوع الأول:** خوف عادي معتاد يخاف كل عاقل من الأضرار وحتى الأنبياء صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يخافون قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢٠ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا﴾ [القصص: ٢٠، ٢١]، هذا خوف عادي ظلمة وتمالئوا على قتل موسى عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ فخاف أن يقتلوه وهكذا ما ذكره الله تعالى عنه لما صارت عصاه حية تسعى ففر صلوات الله وسلامه عليه فرارًا عاديًا طبعيًا رآها حية أمامه تسعى تهتز كأنها جان ولى مدبرا فهذا خوف

عادي، ومنه الخوف من السباع، والخوف من الذئاب والوحوش التي يمكن أن تفترس الإنسان كل هذا خوف عادي، لا يقال هذا خائفًا من غير الله هذا ما يصلح أن يقال هٰذا؛ لأن هذا الخوف يقع من كل عاقل، الذي لا يخاف من مثل هذه الأمور إما أن يكون طفلًا صغيرًا لا يدرك، أو يكون غير سوي غير عاقل أي: لا يدري الفرق بين مثلا الأسود التي يمكن أن تأكله وبين غيرها من الحيوان؛ لكن العاقل يدري أن هذا خطر عليه وأنه قد يفترسه، فالخوف هذا خوف عادي.

❍ **النوع الثاني:** هناك خوف إذا صرف لغير الله عَزَّوَجَلَّ وقع صارفه في الشرك وهو خوف السر أي: يخاف في سره، ما تعريفه؟ عرفه أيضًا صاحب التيسير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: أن يخاف من غير الله أن يصيبه بمكروه بمشيئته وقدرته ولو لم يباشره، أي: أنت حين تخاف من إنسان أن يباشرك بأمر يضرك كأن تخشى أن يطلق عليك الرصاص هذا عادي؛ لكن لو قيل هذا الرجل عنده قدرة على إيصال الضر إليك ولو لم يباشر أي سبب من الأسباب فإذا أراد أن تمرض مرضت، إذا أراد أن تموت فإنك تموت بمجرد مشيئته وقدرته، إذا اعتقد هذا في غير الله أشرك شركًا أكبر لأن هذا محض تصرف الله وحده لا شريك له هو الذي إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، ولهٰذا يجب أن يلاحظ في أمر الأعداء وما يملكون وقدراتهم يجب أن لا يبالغ لأن هذه المبالغات في قدرات البشر تدل على ضعف في العلم بالله عَزَّوَجَلَّ وهؤلاء البشر مهمًا مكنهم الله عَزَّوَجَلَّ وكان لديهم من القدرات حتى لو ملكوا كذا وكذا من الأسلحة وعندهم وعندهم، لا يحل المبالغة في مثل هٰذا؛ لأن هم وأسلحتهم تحت تصرف القدير العزيز الجبار، حتى إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد يجعل سلاحهم الذي أعدوه لإهلاك الناس هو السبب في هلاكهم هم، فلو حرك الله تعالى مثلًا هذه الأرض التي فيها هذه الأسلحة الفاتحة وتسربت منها هذه الأمور السامة المهلكة لكان أعظم الناس شقاء بها من جهزها لإهلاك الناس.

فالأمور تحت تصريف الله، القول بأن هنا قدرة على تدمير العالم، هذا يدمر العالم مرة وهذا يدمر العالم تسعة عشرة، هذا يا إخوانا دعوا الملاحدة يقولنها، ودعوا أهل التخريف والكلام الفارغ يقولونها أما نحن أهل التوحيد فنعلم أن جبار السَّمٰوات والأرض لا يمكن أن يقع في ملكوته تحريكة ولا تسكينة إلا بإذنه تعالى، وأن أشراف الساعة كائنة رغم أنف الراغم من عربها وعجمها وأقويائها وضعفائها وأن القيامة لن تقوم إلا كما بينت النصوص، أما يأت إنسان ويدمر البشرية وتنتهي البشرية هذا اعتقاد إلحاد ولا يقوله مسلم أي: معنى هذا الكلام، الكون له رب يصرفه وهو الذي يدبر الأمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله

عَزَّوَجَلَّ جعل في هذه الدنيا أمدا وجعل أشراطا تسبق الساعة، لا يمكن أن تقوم الساعة حتى تقع كما في حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بن أسيد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إنها لن تقوم**» لما خاضوا في أمر الساعة، «**إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات**»، لا يمكن أن تقوم الساعة وأن تنتهي الدنيا بتاتا حتى يقع ما أخبر الله تعالى به ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما أمريكا تملك والغرب يملك وروسيا تملك وتستطيع أن تدمر هذا نتركه للملاحدة يهرفون بما لا يعرفون، أما مسلم يقول هذا الكلام، هذا خطأ كبير جدًا.

الأمر والتصريف بيد الله عَزَّوَجَلَّ وكم من جبار عنيد قصمه الله عَزَّوَجَلَّ فصار من أضعف ما يكون، وحتى نفس الغرب كان مجموعة من الدول الموجودة فيه الآن، من الدول المحتلة المسمى بالمستعمر وغيره، خبت وضعفت جدًا وصارت الآن في ذيل القائمة وأتت دول أخرى سواها وصارت أقوى وأشد منها وهكذا الأمور يصرفها الله عَزَّوَجَلَّ لا يصرفها الناس، فالحاصل أن المبالغات في القدرات في البشر وما يملكونه وما يستطيعون ومن دلائل قلة علم الإنسان في التوحيد وعظمة جبار السَّمٰوات والأرض فالواجب ألا يبالغ أي: هذه المبالغات ورؤية دول تسمى دول كبرى وعظمى كيف أنها أذلت وأهلك جنودها وحصل لها ما حصل من النكسات والنكبات وكان يتحدث بأنها تستطيع وتملك وتقتل هم عبيد، ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ۝٩٣ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ۝٩٤ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ۝٩٥﴾ [مريم]، هذه الربوبية، ربوبية رب العالمين، أن يخضع له من في السَّمٰوات ومن الأرض، أما إذا اعتقدت هذه الاعتقادات وكأن مع رب العالمين من يصرف ويدبر، فهذا لا يليق بتاتا أن يقال في أهل الإسلام بل التصريف بيد الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

۞ **قال المؤلف:** «وفي الصحيح عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله** عَزَّوَجَلَّ» وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب».

يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله**» من جمع الأمرين أن يوحد الله عَزَّوَجَلَّ وتوحيد الله تبين معناه وتوضيحه وأنه لا بُدَّ فيه من إفراد الله تعالى وحده بالعبادة ولا يكفي هٰذا، فإنه لو وحد الله وقال لن أكفر بما يعبد من دونه، يقول أنا لن أعبد غير الله، سأوحده تعالى؛ لكن ما يعبد من دون الله عَزَّوَجَلَّ فإني لا أكفر به، لا يحرم ماله ولا دمه؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرنهما: «**من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله**» وهذا الآية التي فيها قول الله عَزَّوَجَلَّ:

﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦] العروة الوثقى هي لا إلٰه إلا الله، لا بُدَّ فيها من كفر بالطاغوت وهو المعبود من دون الله عَزَّوَجَلَّ وإخلاص العبادة لله عَزَّوَجَلَّ، ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ﴾ أما أن يقول: سأوحد الله ولن أكفر بما يعبد من دونه هذا الحق أنا لا أعرف حتى التوحيد، لأنه لا بُدَّ للموحد من أن يكفر ولا يتحقق التوحيد حتى يكفر بما يعبد من دون الله.

المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى لما ذكر هذا الحديث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، وهذا من أعظم ما يبين لا إلٰه إلا الله فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك بل ولا كونه لا يدعوا إلى الله وحده لا شريك له بل لا يحرم دمه وماله حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه نص الحديث؛ لأن الحديث ربط حرمة المال والدم بالأمرين، بأن يوحد الله وأن يكفر بما يعبد من دون الله، فلا بُدَّ منهما حتى يعصم ماله ودمه ولهٰذا قال: فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها، ويا له من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعه للمنازل؛ أي: كأنه لا بُدَّ من الكفر بالطاغوت وأنه لا يكتفى بأن يوحد الله دون كفر بالطاغوت، ولهٰذا قال المصنف هنا في آخر هذا الباب: وشرح هذه الترجمة أي: ترجمة هذا الباب ما بعدها من الأبواب أي: ما سيأتي من الأبواب إلى نهاية الكتاب كلها شرح لهذه الترجمة؛ لأنها في بيان التوحيد وحقوقه وضد التوحيد من الشرك، فهذا معنى قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: شرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

۞ قال المؤلف: «باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه».

نتحدث أولًا عن الباب و هذه الترجمة، يقول: باب من الشرك، والشرك هنا تارة يكون أصغر وتارة يكون أكبر، لبس الحلقة والخيط ونحوهما ليبين لك ليس الأمر في الشرك مقيدا بأن تلبس الحلقة فقط أو أن تربط خيطا مثلًا في العضد فقط يقول: ونحوهما مما يمكن أن يخترعه الناس مما فيه نفس المعنى الذي في الحلقة والخيط، فقال من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما، لرفع البلاء أو دفعه، رفع البلاء إزالته بعد أن ينزل ويقع، أما دفعه فهو منعه قبل أن يقع، متى يكون لبس الحلقة والحلقة هي الشيء الدائري يضعه بعضهم مثلًا على ذراعه أو يربط خيطا مثلًا في عضده، ماذا تريد بهذه الحلقة يقول أنا أريد أن تدفع عني البلاء لو أنه نزل، وإن وقع بي البلاء أن ترفعه فهذا الشرك لاشك فيه؛ لكن هل هو أكبر أو

أصغر بحسب المقصد، يكون شركا أكبر إذا اعتقد أن هذه الحلقة أو الخيط تدفع بنفسها، وإن فيها سرا يعود إليها تدفع بنفسها هذا الضرر عند ذلك يكون شركه أكبر، أما إذا قال رفع البلاء ودفعه لله وحده لا شريك له ولا يمكن أن ترفع هذه الحلقة أو هذا الخيط فقط؛ لكن الله جعلهما سببًا فرفع البلاء ودفعه لله بلا شك مستقرة هذه العقيدة عنده؛ لكن الله جعلهما سببًا لرفع البلاء ودفعه فعند ذلك يكون شركه أصغر لأنه أحال الأمر إلى الله؛ لكن لما ربط دفع الضر بهذه التي لم يجعلها الله تعالى سببًا صار ذلك من باب الشرك الأصغر، وهذا يدل على أن وفي قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما أن كل ما كان فيه هذا المعنى فإنه يصدق عليه ذلك، فمثلا لو أنه ربط في سيارته كما يحصل من بعض جهلة سائقي الشاحنات ربط خيطا، ماذا تريد بهٰذا الخيط الذي يتدلى ربما كان خرقة بالية قال هذا يدفع عني العين، هذا يدفع الحوادث هذا داخل في الموضوع، بعضهم يضع إشارة في الأصابع الخمسة هٰذه، ويضعها مثلًا في سيارته، ماذا تريد بهذه الأصابع؟ يقول هذه مثل ما أدفع مثلًا الشيء عن نفسي لو أتاني ضرر دفعت بيدي هذه تدفع العين، نفس الوضع لهٰذا يقول لبس الحلقة والخيط ونحوهما هذا فيه نفس المعنى، هذا هو نوع من الشرك، أي أمر يراد به رفع البلاء أو دفع البلاء بنفس المعنى الذي كانوا يضعون الحلقة والخيط لتحقيق الرفع أو الدفع فإن ذلك يصدق عليه أنه واقع في الشرك، ثم على التفصيل السابق إما أن يكون شرطًا أكبر إذا اعتقد أن الدفع أو الرفع إلى هذا الذي تعلق به مباشرة وإما أن يكون من قبيل الشرك في الآثار.

❁ **قال المؤلف:** «وقول الله تعالى: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٨].

عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ رأى رجلًا في يده حلقة من صفر، فقال: «**ما هٰذه**»؟ قال: من الواهنة. فقال: «**انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك، ما أفلحت أبدًا**» رواه أحمد بسند لا بأس به».

ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى هذه الآية يقول تعالى: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم﴾ كلام موجه إلى أهل الشرك، ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ هذه المدعوات من دون الله أيا كانت ﴿إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ إنها لا تستطيع ذلك، إذا أراد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبد ضرا فلا أحد كائنا ما أن كان يستطيع أن يمنع الله تعالى من

إيصال هذا الضر إليه ﴿أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾، هل يمكن أن يريد الله تعالى العباد برحمة فيحول أحد بين الله تعالى وبين رحمته؟ لاشك أن الجواب واضح، أنه لا يمكنهم ذلك، فعلى أي أساس تدعى، ما دام الضر والنفع بيد الله عَزَّوَجَلَّ فعلى أي أساس تدعونه.

﴿قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ﴾ أي الله كافيا سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فهو كاف من توكل عليه، ﴿عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٣٨﴾، عن عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ رأى رجلًا في يده حلقة من صفر، في الرواية أن النبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ دخل عليه وفي عضده حلقة من صفر، الصفر: النحاس، الأمر غريب، مريض وفي يده هذه الحلقة من صفر، فالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**ما هٰذه**»؟ والسؤال، ما الذي يحملك على وضع هذه حتى يعرف مراده ومقصده، ثم بعد ذلك يكون التوجيه بعد ذلك، فقال: من الواهنة. معنى قوله من الواهنة؟ أي أنه جعلهذه الحلقة على سبيل العلاج لهذه الواهنة، ما الواهنة، قيل إنها عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها فيرقى منها، وقيل إنه مرض يأخذ في العضد، فالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: فقال: «انزعها» والنزع هو الجذب بقوة «**فإنها لا تزيدك إلا وهنًا**»، أنت تريد أن ترفع عنك الواهنة، هي لن تزيدك إلا وهنا فدل على أن الخرافات والشركيات لا تزيد أهلها إلا وهنا وضعفا وأن التوحيد هو الذي به القوة، وهو الذي فيه النفع والتوفيق في الدنيا والآخرة، أما التعلق بالخرافات وبمثل هذه الأمور فإنها لا تزيد الإنسان إلا وهنا وتكون على عكس مراده، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا، هذا نموذج على خطورة أمر الشرك على من يهونون من أمره إنما هم مضادون لحديث رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول لصحابي جليل، «**فإنك لو مت وهي عليك، ما أفلحت أبدًا**» فدل على أن الشركيات الكبرى العظمى من باب أولى أن تكون سببًا في الصد عن الفلاح في الدنيا والآخرة وعلى أن استمرار الشركيات بالأمة في الأمة والضلالات والكفريات هي السبب الحقيقي في وهن الأمة وضعفها وأنها لن تفلح الأمة مع وجود الشرك إذ لا فلاح مع الشرك لأنها أمة توحيد، فلن تنصر إلا بالتوحيد، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا، فدل على التغليظ وعلى أنه قد يحتاج إلى شيء من التغليظ والشدة في بعض المواقف.

۞ **قال المؤلف**: «وله عن عقبة بن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ مرفوعًا: «**من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له**» وفي رواية: «**من تعلق تميمة فقد أشرك**».ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلًا

في يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦]».

التميمية: خرز كانوا يعلقونه في رقابهم أو في رقاب صبيانهم أو دوابهم يزعمون أنه يدفع الآفات أو يتقى به من العين، فيقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من تعلق تميمة فلا أتم الله له**» لأنه تعلق هذه التميمة حتى يتم له مراده من دفع الضر أو غيره، فدعا عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ألا أتم الله له، «**ومن تعلق ودعة**» **الودعة:** بسكون الدال شيء يخرج من البحر، يشبه الصدف، يتقون به العين، من خرافات يقول هذه الودعة الموجودة في البحر هذه يتقى بها من العين، «**من تعلق ودعة فلا ودع الله له**» أي: لا جعله الله في دعة، فدعا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على من يقعون في هذه الشركيات بأن لا يتم الله تعالى لهم أمرهم وألا يزرهم في دعة وفي سكون، في الرواية بعدها «**من تعلق تميمة فقد أشرك**»؛ لأنه ربط قلبه بهذه التميمة فانصرف قلبه إليها فيكون ذلك من الشرك فدل على أن تعليق التمائم من الشرك ثم هذا الشرك كما تقدم على نوعين إما أن يكون أكبر وإما أن يكون أصغر على التفصيل الذي ذكرناه.

ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلًا في يده خيط من الحمى، فيه أنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ دخل على مريض يعوده فوجد في عضده خيطا، فقال ما هذا قال شيء رقي لي فيه، فقطعه وقال لو مت وهو عليك ما صليت عليك، هذا أيضًا يدل على من يقع في الشرك، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦ ﴾ [يوسف: ١٠٦] مع أن الآية في الشرك الأكبر؛ لكن يستدل بها على الشرك الأصغر، فأصل الآية في الشرك الأكبر كما قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا إذا قيل لهما من خلق السماء، من خلق الأرض، من خلق الجبال؟ قالوا الله وهم مشركون، فهم مشركون بالله في العبادة فأصل الآية الكفار المشركين الشرك الأكبر؛ لكن يستدل بآيات الشرك الأكبر على الشرك الأصغر بجامع ذكر الشرك فيها، فهذا من المؤمنين بالله لكن إيمانه بالله تعالى أفسده أو أخل بأضعفه بهٰذا الشرك الأصغر، وإلا لو أضعفه بهٰذا الشرك الأصغر وإلا فلو اعتقد أن الخيط إليه التدبير والتصريف من الله فإنه يكون شركه في هذه الحالة شركا أكبر.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

---

(١) نهاية المجلس الثالث.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «**باب ما جاء في ما جاء في الرقى والتمائم**

عن أبي بشير الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنه كان مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض أسفاره فأرسل رسولًا: أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت.

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**» رواه أحمد وأبو داود.

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعًا: «**من تعلق شيئًا وُكل إليه**» رواه أحمد والترمذي، التمائم شيء يعلق على الأولاد للعين؛ لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه منهم ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

والرقى هي التي تسمى العزائم وخص منه الدليل، ما خلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العين والحمة.

والتولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته».

هذا الباب فيما جاء في الرقى والتمائم أي: من النهي وما ورد عن السلف وأهل العلم في الكلام فيها وتفصيل الأمر.

❍ **الرقى**: يقصد بها هذه القراءة على المريض، وقد يسميها بعضهم العزائم، والتمائم تقدم أنه ما يعلقونه على الأولاد أو على أنفسهم أو على دوابهم من باب يسمونها حروزًا إما لدفع العين أو لدفع الآفات حسب ما يتوهمون.

هٰذا الحديث الذي قال في الصحيح هو في الصحيحين، قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في بعض الأحيان في الصحيح أي: في جنس الصحيح ويكون الحديث تارة في الصحيح في البخاري وحده أو في مسلم وحده

وتارة في جنس ما صنف في الصحيح ولا سيما الكتابان المعلومان وهما الصحيحان، فهذا الحديث في الصحيحين.

عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه: أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فأرسل رسولًا هذا الرسول يمضى على الموجودين يخبرهم بهٰذا الأمر: أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت. الوتر هو واحد الأوتار أوتار القوس، كانوا في الجاهلية إذا اخلولق الوتر من كثر ما يرمى به يبدلونه من غيره جديدًا؛ لكن من عجيب جهل أهل الجاهلية أنهم يعتقدون في هذا الذي اخلولق أنه يدفع عن الدابة العين فيعلقونه فيها، فمن هنا نهى صلى الله عليه وسلم عن أن يبقى في رقبة بعير قلادة من الوتر، والراوي يقول: ألا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة، أي: هو يقول إما أنه قلادة من وتر تحديدًا أو أنه قال قلادة مطلقًا، وعمم إلا قطعت، معلوم أن الدابة قد يحتاج إلى أن يوضع فيها شيء مثلًا من الحبل الذي يمسكها وهذا كان في دابة النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه فكونها يكون فيها أي: ما تمسك به حتى تقف أو تخف سرعتها، وتارة يطلق لها حبلها حتى تمضي هذا لا إشكال فيه ما أحد يعتقد في مثل هذا أي نوع من أنواع الشرك؛ لكن إذا اعتقد أن هذه القلادة لما رووا بها كثيرًا من أسهمهم وصارت قديمة وبليت واخلولقت صار فيها سر هذه صارت تدفع العين صارت ينبغي أن تعلق على الدابة، هنا هذا الأمر شركي ولهٰذا أمر صلى الله عليه وسلم بقطعه.

حديث ابن مسعود رضي الله عنه فيه قوله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**» **الرقى**: جمع رقية وكان النبي صلى الله عليه وسلم في أول الأمر نهى عن الرقى كلها؛ لأنهم كانوا في الجاهلية عندهم رقى شركية ثم قال صلى الله عليه وسلم خاصًا الرقى وحدها: «**لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا اعرضوا علي رقاكم**» فأمرهم أن يعرضوا الرقى، فإذا لم يكن فيها شيء من الاستغاثة لغير الله ودعوته أو أمر مبهم وكلام غير مفهوم مما قد يكون من أسماء الشياطين ونحوه فإنه لا بأس بها إذا كانت على سبيل الدعاء وعلى سبيل ذكر الله تبارك وتعالى، فلذلك خص الشرع الرقى. بقية الحديث يدل على أن التمائم لا استثناء فيها هذا الصحيح إن شاء الله.

○ **والتولة**: قطعًا كما سيأتي إن شاء الله الكلام عليها معلوم أنها محرمة لكونها من السحر.

إذًا يبقى أن يقال منع النبي صلى الله عليه وسلم في البداية من جميع ما كانوا يمارسونه من رقى وتمائم

وتولة، ثم بعد ذلك خص الشرع الرقى فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا**» تبقى التمائم على النهي حتى يأتي دليل يخص التمائم كما خص الرقى هذا الصحيح؛ ولهٰذا يقال التمائم ممنوعة مطلقًا، بعض أهل العلم رحمهم الله قال: إن باب الرقى وباب التمائم واحد فكما استثنيت الرقى التي ليس فيها شرك تستثنى التمائم التي ليس فيها شرك، ولهٰذا قالوا: إن التمائم التي يكون فيها كتابة آيات من القرآن لا بأس بها كما أنك ترقي بالقرآن لا بأس أن تعلق تميمة من القرآن، يأتي الكلام إن شاء الله على هذه المسألة وبيان كلام أهل العلم فيها. والتمائم تقدم أنها هذه الأشياء التي يعلقونها وبينها المؤلف.

❍ **والتولة:** نوع من السحر يزعمون أن هذه التولة تجعل الرجل يحب امرأته أو المرأة تنصرف أي: تتجه إلى حب زوجها، ولهٰذا قال أنه يحصل من آثار هذه المحبة، وما دامت سحرًا فهي شرك لأن السحر كفر بلا أدنى شك، ولعل إن شاء الله يأتي له باب يفصل فيه الكلام، فقال: إن الرقى والتمائم والتولة شرك.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التمائم شيء يعلق على الأولاد من العين يعلقون مثلًا عل الطفل من العين وقد يعلقون حتى على الدواب وقد يعلقه الواحد منهم على نفسه ويسميه حرزًا هذه ممنوعة منهي عنه بلا شك ما في أحد من أهل العلم يقول تعلق هذه التمائم؛ لكن ما الحكم إذا كان المعلق من القرآن؟ اختلف أهل العلم رحمهم الله فيه، فبعض السلف كعبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان يرى أنه لا بأس به؛ لأنهم كما قلت يرى بعض أهل العلم أن الباب واحد في الرقى وفي التمائم، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه منهم ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما تقدم في الحديث قال: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**» ثم خص صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرقى وحدها فقال: «**اعرضوا علي رقاكم**» فبقي الحديث على إطلاقه ولا تقاس التمائم على الرقى.

❍ما الصحيح في المسألة؟!

أهل العلم رحمهم الله اختلفوا، وما دام السلف قد اختلفوا فالأمر معناه أنه قديم وهو من محل الاجتهاد؛ لكن إن شاء الله تعالى أن الصحيح أن تعليق التمائم ولو من القرآن لا يصلح، أولًا لما ذكرنا من أن الدليل خص الرقى ولم يخص ولم يستثني التمائم. الأمر الثاني: أن تعليق التمائم وفيها بعض

الأحيان أي: آيات لا ترى إلا بصعوبة وتكون موجودة أي: داخل جيب الإنسان لا ترى يؤدي إلى تعليق التمائم التي ليست من القرآن فيكون ذريعة له، الأمر الثالث: أنه إذا علقت هذه التمائم كثيرًا ما تمتهن وهي من القرآن فيكون الطفل مثلًا الصغير لعابه يسيل عليها، وإذا جعلت عل الخيول وعلى الدواب تمرغت في مراحها حيث بولها ورجيعها، كل هذا لا شك أنه يؤدي إلى امتهانه، ولهٰذا يقال الصحيح إن شاء الله تعالى المنع من التمائم من القرآن ويقتصر على الرقى، الرقى إن شاء الله فيها ما يقوم مقامها وفيها ما يسد بإذن الله تعالى.

❁ **قال المؤلف:** «والرقى هي التي تسمى العزائم».

أي: يسمونها العزائم يسميها العزيمة، وخص منه الدليل، ما خلا من الشرك رخص فيه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العين والحمة، والحمة هي ذوات السموم كالعقرب والحية.

والتولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، التولة قلنا إن هذا الشيء الذي يدعون أنه يجعل الرجل ينجذب إلى امرأته أو العكس وهو نوع من أنواع السحر.

قرأت حديث عبد الله بن عكيم؟

حديث عبد الله بن عكيم مثل القاعدة «**من تعلق شيئًا وُكل إليه**» فمن تعلق بالله عَزَّ وَجَلَّ وعلقه قلبه بربه تعالى فنعم ما علق، فيكله رب العالمين إلى نفسه كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] أي كافيه، فيتوكل المؤمن على ربه تبارك وتعالى ويكفيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، من توكل على غير الله عَزَّ وَجَلَّ وكل إليه، فإن توكل على جهده وتوكل على ذكائه على ماله على سلطانه على أحد من الناس فإن الله يكله إليه وعند ذلك يخيب غاية الغيبة؛ ولهٰذا قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلام نفيس في قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] قال: نزه الله نبيه عن أن يتوكل على غير الحي الذي بلا يموت سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإن الناس منهم متوكل على سلطانه ومنهم متوكل على ماله ومنهم متوكل على أحد من الناس يوشك أن ينقطع به ذلك كله، فنزه الله نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أن يتوكل على أحد من هؤلاء وجعله متوكلًا على الله الحي الذي لا يموت سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أو نحو أو معنى هذا الكلام الذي قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فبقدر ما يتعلق القلب بالله عَزَّ وَجَلَّ بقدر ما تعظم كفاية الله للعبد وبقدر ما يقل ويضعف التوكل بقدر ما يوكل الإنسان إلى ما توكل إليه نسأل الله أن يوفقنا للتوكل الذي لا يتزعزع.

❁ **قال المؤلف:** «وروى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا رويفع لعل الحياة ستطول بك فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وترًا أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمدًا بريء منه**».

وعن سعيد بن جبير قال: من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة رواه وكيع.

وله عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن».

هذه الأخبار، الأول حديث يرويه رويفع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وتكلم أهل العلم في سنده، فيه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: لعله الحياة ستطول بك، قالوا: هذا من دلائل النبوة؛ لأن رويفعًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تقدمت به الحياة وطال عمره رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: «**فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وترًا أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمدًا** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بريء منه**» الشاهد من الحديث هو قوله: «من تقلد وترًا»، وتقدم شرحه.

المراد بقوله: «من عقد لحيته» قيل إن المراد أن هذا يحصل منهم في الحرب يعقدون لحاهم وذلك من زي الأعاجم على سبيل التكبر والعجب، وقيل: إن معناه أن يعالج الشعر لينعقد ويتجعد أي: أنه يمسك بالشعرة مثلًا هنا من لحيته فيجرها جرًا شديدًا ثم يطلقها فإذا أطلقها رجع الشعر فيصغر أي: وضع لحيته فيكون الشعر متجعدًا لا مرسلًا، قال بعض أهل العلم: إذا كان هذا فيمن، قطعًا هذا الفعل يفعله أهل التأنث، قال بعض أهل العلم: إذا كان هذا فيمن يعقد لحيته على هذا النحو بحيث تصغر وتكون متجعدة فما بالك بمن يحلق لحيته بالكلية هذا من باب أولى أن يكون وضعه أسوأ من وضع من يعمل مثل هذا العلم مع لحيته والواجب أن تطلق اللحى وأن ترسل كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أعفوا اللحى، أرخو اللحى، أكرموا اللحى**» ولا يتعرض لها.

قال: «**أو استنجى برجيع دابة أو عظم**»، العظم الذي ذكر على ذبيحته اسم الله عَزَّ وَجَلَّ من آيات الله عَزَّ وَجَلَّ أنه يكون زادًا للجن والله على كل شيء قدير، يكون هذا العظم الذي ذكيت هذه الذبيحة وأكلها الإنس ورمي عظمها فإن الله تعالى يجعله أوفر ما يكون لحمًا إذا سمي فيأكله المؤمنون من الجن والله على كل شيء قدير، بهٰذا نهي عن الاستنجاء بالعظم؛ لأن فيه زادًا لهم؛ ولأن العظم وأمثاله من الأشياء التي كالزجاج ونحوها لا تنقي الموضع إنما ينقي الموضع مثل الأحجار ونحوها. أو استنجى برجيع دابة رجيعها هو ما تخرجه من فضلاتها إذا أكلت فإنه أيضًا لا يصح أن يستنجى به، وقال بعض أهل

العلم: إنه يكون طعامًا لدوابهم، والله أعلم؛ لكن جاء عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أراد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يستجمر أتاه بروثة فأبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: «**إنها رجس**» فمثل الروث ونحوه لا يصح الاستنجاء به، وسواء كانت العلة فيه كونه زادًا لدواب بهائمهم أو لكونه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال رجس المقصود بالاستجمار تنقية الموضع من البول والغائط فمثل هذا الرجيع أو كذلك العظم ونحوه فإنه لا يصح استعماله في ذلك.

فإن محمدًا بريء منه فدل هذا على أن هذه من الأمور الشديدة والكبيرة.

قول سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة أي: أنه بمثل هذا يكون له فضل من أعتق الرقبة نظرًا لما في التميمة من الشرك، فهذا الآن قد أعتق هذا الذي قطع منه التميمة قد أعتقه من شرك، والأصل أن التمائم تقطع كما حصل مع، وكذلك الخيوط ونحوها كما حصل مع حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو يؤمر من لبسها بإزالتها كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا**».

لكن إذا خيف أن يؤدي قطعها إلى شيء من المفسدة الأعظم وقد يؤدي ذلك إلى قتال ومشاجرات وربما يؤدي ذلك إلى شيء من تضارب أعداد كبيرة من الناس لأجل هذا فإنه لأجلهذه المفسدة يكتفى بالإنكار ويمكن أن يرجع الأمر إلى الجهات التي عندها الصلاحية من كالهيئات ونحوها لتتولى إزالة هذا المنكر، وإلا إذا علمت أنه إذا قطعت التميمة لا يترتب على هذا مفسدة أو كان من لبس التميمة ممن تحت يدك من أبنائك وبناتك فإنك تقطعها ولا تتردد.

وله عن إبراهيم هو النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن وهؤلاء هم أصحاب عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثل علقمة وعبيدة السلماني وأمثاله من تلاميذ ابن مسعود كانوا يكرهون التمائم كلها كشيخهم ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنه كان يكره تعليق التمائم مطلقًا سواء كانت من قرآن أو غيره.

۞ **قال المؤلف: «باب: من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما.**

وقوله الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ الآيات [النجم].

عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلٰها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون، لتركبن سَنن من كان قبلكم**» رواه الترمذي وصححه».

يجوز فيها الوجهان، يجوز فيها الضم والفتح السُنن والسَنن.

۞ **قال المؤلف:** «باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما».

أي: فهو مشرك، التبرك هو طلب البركة، والبركة كل أحد يتمناها ويريدها؛ لكن الشرع إذا حدد أشياء فيها بركة حدد الطريقة التي تستحصل بها البركة فمثلًا قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم يكن بركتك عليك وعلى أهلك**» السلام بركة، القرآن مبارك، ماء زمزم مبارك، الشرع يبين لك كيف تحصيل البركة، المنهي عنه في موضوع التبرك شيئان:

○ النوع الأول: التبرك بما لم يدل الشرع على أن فيه بركة مما يتوهمه الناس توهموا في بقعة في شجرة أن البركة تستحصل منها هذا منه عنه وهو موضوع الباب.

○ النوع الثاني: ما بين الشرع أن فيه بركة لا يحل لأحد أن يطلب البركة منه باختراع وسائل ما بينتها الشرع؛ لأننا قلنا إن الشرع إذا بين أن ثمة بركة حدد للعبد طريقة حصول البركة فطريقة تحصيل البركة ليست اختراعًا وابتداعًا، إذًا فعندنا محذوران، المحذور الأول: أن تتوهم البركة فيه، النوع الثاني: الأشياء التي بين الشرع أن فيها بركة أن تطلب البركة من هذه الأشياء التي بين الشرع أن فيها بركة بأسلوب مبتدع فالحالتان ممنوعتان.

هنا يقول: باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما كالبقع أو القبور إذا جاء وتبرك بها، فحكم من تبرك بالشجر أو الحجر أو نحوهما من بقع وقبور وصخور ونحو ذلك أنه يقع في الشرك، وقول الله

تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ الآيات [النجم] هذه معبودات أهل الجاهلية كانوا يعبدون اللات وكانت صخرة عليها بيت في الطائف لها أستار وسدنة أعوذ بالله وحولها فناء يعظمه أهل الطائف وهم ثقيف ومن تبعهم يفتخرون بهٰذا على أحياء العرب، واللات قيل إن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: اللات هذا كان رجلًا يلت السويق فلما مات عكفوا على قبره، ولهٰذا قرئت: «أفرأيتم اللاتَ»، وقرء: «أفرأيتم اللاتْ» لأنه كان يلت السويق ويعطيه الحجيج، كان رجلًا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره فهذا الآن من باب تعظيم القبور، فلما مات عبدة ثقيف الصخرة تلك إعظامًا لصاحب السويق هٰذا.

❁ **قال المؤلف:** «﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾».

العزى: هذه شجرة كان عليها بناء وأستار بين نخلة والطائف وكانت قريش تعظمها، تلاحظ لما ذكر الله مناة قال الأخرى، ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ كانت مناة عندهم دون اللات ودون العزى، هذه كانت في موضع يسمى المشلل عند قديد بين مكة والمدينة، كانت خزاعة والأوس والخزرج يعظمونها ويهلون عياذًا بالله بالحج منها، قيل: إنها سميت بمناة اشتقاقًا والعياذ بالله من اسم الله المنان قبحهم الله، اشتقوا لهٰذا المعبود من دون الله هذا من اسمه اسم الله، وقيل: لكثرة ما يمنى أي يراق عندها من الدماء للتبرك بها نسأل الله العافية، هدمت ولله الحمد ودمرت هذه المواضع الشركية وكلها زالت بزمن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يترك منها شيئًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ما تقدير الآية؟! ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ **أين التقدير؟** التقدير أنفعت أو ضرت حتى تكون شركاء لله؛ لأن الآية فيها استفهام ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ ثم قال: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ المقصود بالآية أن فيها حذفًا ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ أنفعتكم أو ضرتكم حتى تكون شركاء لله في عبادته؟.

ثم في موضوع التبرك يقول الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يقال تبارك علينا فلان، هذا شائع جدًا في الناس؛ لأن هذه اللفظة لا تقال إلا لله، تبارك لا تقولها إلا الله كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١] ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] فلا تقل تبارك علينا فلان لأن تبارك هذه

خاصة بالله عَزَّوَجَلَّ، ومنه قول الناس في المثل: ما هان تبارك هذا غير صحيح؛ ولكن يمكن أن يبدل يقال ما هان مبارك، أي: الغرض يحصل منه لكن تبارك هذه خاصة بالله عَزَّوَجَلَّ لأنه تعاظم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وليس معناه على ما يظن الناس.

○ فهل يصح أن يقال عند الناس زارتنا البركة؟!

يقولون مثل هذه الكلمة إذا زار أحد الناس يقول زارتنا البركة، يقول الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ: إذا قال رجل لزائر زارتنا البركة إن كان يحصل به خير أي: هذا الزائر فلا بأس مثل أن يكون إنسان عنده تعليم وعنده وعظ فنفع الله عَزَّوَجَلَّ به فلا شك أنه وقع بركة من زيارته، استدلوا بقول أسيد بن حضير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا لما نزل في شأنها ما نزل قال: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، فدل على أنه يمكن أن يقال في إنسان مبارك فيه بركة، مثل إنسان مثلًا خصمة كبيرة بين الناس وكان يمكن أن يقع شر وقتال وتوعد بعضهم بعضًا فدخل بينهم وأصلح بينهم فهدأت الأحوال وصافح بعضهم بعضًا وندموا وتأسفوا هذا إنسان مبارك بلا شك لأنه كان يمكن أن تسيل الدماء وتقطع الأرحام وتختلف الجيران فجاء ودخل في هذا الموضوع فهذا جعله الله مباركًا بلا شك، المهم أن تقال لمن فيه خير، أما أن تقال لمن فيه فجور وفساد وأبعد الناس عن البركة هؤلاء.

في حديث أبي واقد الليثي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وسنده صحيح أنه قال: خرجنا مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى حنين، حنين هذه كانت بعد فتح مكة خرج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في قتال المشركين فخرج معه من أهل مكة أناس اعتذر أبو واقد عن الطلب الذي سيتحدث أنهم طلبوه من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بقوله: ونحن حدثاء عهد بكفر أي: أنه وقع منا هذا الطلب الذي سأخبركم به لكن كنا حديثي عهد بكفر أي: أسلمنا قريبًا ورواسب الجاهلية لا تزال في بعضنا فبناء عليه طلبا من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هذا الطلب الذي لا يحل أن يطلب منه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

۞ **قال المؤلف:** «وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم».

السدرة: هذه التي فيها هذا المعكوف؛ لكن هذه السدرة كان المشركون يتبركون بها ويعتقدون أنها فيها نوع نفع خاص؛ ولهذا كانوا يعكفون العكوف فهو إطالة المكث والبقاء، وينوطون بها أسلحتهم، أي: أنهم يعلقون أسلحتهم بها، لماذا يعلقون السلاح والسيف على هذه السدرة؟ يرون أنه يكون ماضيًا

وقويًا؛ لأن فيه الشجرة بركة. فلما مروا بهذه السدرة وكانوا يعلمون أن المشركين هذا حالهم وكان هذه السدرة يقال لها ذات أنواط من كثرة ما يعلق عليها فيما يظهر فمروا بسدرة أخرى فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، أي: هذه السدرة التي كانت للمشركين ما طلبوا الطلب منه لكن طلبوا سدرة أخرى قالوا: اجعل لنا ذات أنواط يكون من آثار تحديدك لها أن نطلب البركة منها، فقال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الله أكبر**» وهذا يقال عند التعجب وعند أيضًا الأمر العظيم الذي يقع يكبر الله عَزَّوَجَلَّ ويمكن أن يسبح أيضًا يقال سبحان الله للتعجب وفي تعظيم الله «**إنها السنن**» **أي**: السنن التي مرتم بمن كان قبلكم والطرق التي سلكوها فإنكم ستسلكونها، ثم قال: «**قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى**» عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ماذا قال بنو إسرائيل؟ «**اجعل لنا إلٰها كما لهم آلهة**» لأن بنو إسرائيل مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، فطلبهم شركي لا شك فيه، فقال: إنكم قلتم نفس القول الذي قالته بنو إسرائيل «**قال إنكم قوم تجهلون**» أجابهم موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ﴿**إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩**﴾ [الأعراف] ثم قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لتركبن سَنن من كان قبلكم**» أي: أنه سيقع منكم ما وقع ممن كان قبلكم، قطعًا هؤلاء الصحابة الأخيار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ طلبهم كان عن جهل لأنه قال ونحن حدثاء عهد بكفر، وأيضًا هل أصروا؟ قالوا وإن قلت هذا سنقيم سدرة؟ أبدًا مجرد أن نبههم تنبهوا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم فهم طلبوا نعم طلبًا لا شك أنه طلب لا يسوغ ولا يجوز لأنه شرك؛ لكن إذا طلب الإنسان أمرًا لجهله من الشرك ثم نبه فانتبه وتاب من طلبه فإنه لا يقال إنه مشرك كافر والنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربط هذا الطلب بنفس الطلب الذي طلبه بنو إسرائيل، ولا شك أن طلب بني إسرائيل شرك محض لا إشكال في أنه شرك؛ لكن إذا نبه الإنسان فانتبه وعاد وترك ما طلبه من الباطل فإنه بحمد الله لا تعالى لا يضره ذلك إذا تاب إلى الله وأقلع من فوره.

۞ **قال المؤلف: «باب ما جاء في الذبح لغير الله.** وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ الآية[الأنعام]، وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر].

عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأربع كلمات: «**لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثًا، لعن الله من غير منار الأرض**» رواه مسلم.

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب**، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: **مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئًا، فقالوا لأحدهما قرب، قال: ليس عندي شيئًا أقرب، قالوا له: قرب ولو ذبابا، فقرب ذبابًا فخلوا سبيله فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله عَزَّوَجَلَّ وضربوا عنقه فدخل الجنة**» رواه أحمد».

الذبح لغير الله عَزَّوَجَلَّ جاء فيه وعيد، هذا معنى قوله: «باب ما جاء في الذبح لغير الله» أي: من الوعيد وأن ذلك من الشرك، قرن الله تعالى الذبح بالصلاة في موضعين من كتابه، ولا يخفى على أي مسلم أن الصلاة لغير الله لا تجوز، وأن الصلاة لله وحده لا شريك، فكون الله يقرن بين الذبح والصلاة يدل على عظم شأن الذبح وأنه من القرب الكبيرة البالغة؛ ولهٰذا ربطت به عبادة كبرى في عيد الأضحى للتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ وهكذا ما يتقرب إلى الله في الحج ونحوه من الهدايا التي تذبح لله عَزَّوَجَلَّ.

فالذبح شأنه عظيم أن تأتي بشيء من بهيمة الأنعام وتذبحه متقربًا هذا من أعظم وأرقى العبادات، فإذا صرف لغير الله فهو شرك، ولهٰذا قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ أي: ذبحي ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الآية [الأنعام]، فإنها تجعل لله تعالى كما أنك تصلي لله تعالى فإنك تذبح لله، ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ وهكذا قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر]. فإن النحر والذبح، النحر غالبًا يطلق على نحر الإبل والذبح يكون للبقر والغنم وإراقة دمها فإذا كانت على سبل التقرب فلا شك أنها إذا كانت لله فإنها من أعظم القرب، وإذا صرفت لغير الله عَزَّوَجَلَّ فإنها من الشرك، والشرك الذبح لغير الله عَزَّوَجَلَّ تارة يكون بالتقرب بهذه الذبيحة لصاحب قبر وغيره على سبيل التقرب له هذا شرك ظاهر لا إشكال في كونه شركًا مخرجًا من الملة، وتارة يكون بذكر اسمه عليه، فمثلًا يوم الأضحى يذبح الأضحية لله متقربًا بها؛ لكن نسأل الله العافية يقول: بسم الحسين أو باسم السيد البدوي

كل هذا لا يحل لا التقرب بها لغير الله عَزَّوَجَلَّ حتى لو سمى اسم الله عليها، أي: قد يأتي بالذبيحة ليذبحها لصاحب القبر متقربًا لصاحب القبر فيقول بسم الله هذا شك حتى لو سمى الله، هو سم الله على الشرك لا ينفعه، وتارة يتقرب بها إلى الله عَزَّوَجَلَّ ويسمي غير الله عليها فهذا أيضًا من الشرك وتارة يجمع الشرين فيتقرب إلى غير الله بالذبح ويسمي غير الله عليه فيجمع الشرك كله.

○ **والذبح عبادة لا يحل أن تصرف لغير الله عَزَّوَجَلَّ**؛ ولهٰذا قال علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: حدثني رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأربع كلمات هذه الكلمات جمل أنواع من الجمل: «**لعن الله من ذبح لغير الله**» لأن الذبح لغير الله شرك «**لعن الله من لعن والديه**» نسأل الله العافية والسلامة ولعن الوالدين أمر في غاية الفظاعة والبشاعة؛ ولهٰذا لعن الله من وقع منه هذا كما لعن من ذبح لغير الله، ومعنى الله نسأل الله العافية أن اللعن معناه الطرد والإبعاد من رحمة الله نسأل الله العافية والسلامة، ولهٰذا ينبغي الحذر من لعن المسلم وكثرة اللعن خطيرة على الإنسان لأن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**» كثرة اللعن تمنع الإنسان من أن يكون ممن يشفع أو يشهد في القيامة، فينبغي أن يتوقى اللعن ولا سيما لعن المسلم فأمره شديد، فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**» وتقدم الكلام فيه.

۞ **قال المؤلف: «لعن الله من لعن والديه».**

سواء لعنهم مباشرة أو تسبب في لعن والديه بأن يقول لإنسان نسأل الله العافية كما يقع من بعض الحمقى يقول لعن الله والديك فيقول: بل لعن الله والديك أنت، فهذا الشخص الذي أطلق لعن الوالدين جر على والديه اللعن وتسبب فيه، ثم من الخطأ الكبير جدًا عند المنازعات أن يذكر والدا من تنازعه ما علاقة والديه بإنسان أساء إليك؟ أخطأ عليك لا تدخل والديه في الخصومة قد يكون أخطأ عليك خطأً يستحق عليه الأدب في الدنيا ويعاقبه الله عليه في الآخرة ولكن إدخالك لوالديه هذا جناية منك والداه ما أخطئوا عليك حتى تدخل والديه في السب أو الذم أو اللعن عياذًا بالله فهذا غلط؛ لكن الذي يلعن والديه من الناس يقوم الناس وهذا خطأ أيضًا من الطرف الثاني يقوم بلعن والديه فيتسبب هذا في أن يلعن والداه نعوذ بالله «**لعن الله من آوى محدثًا**» المحدث هو المجرم الذي يجرم الجريمة ثم يجب أن يقام فيه حد الله عَزَّوَجَلَّ أو حكم الله أو العقوبة المتناسبة معه فيأتي أحد فيأويه ويحميه ويمنعه أو يخفيه هذا ماذا فعل هذا الآن؟ حال بين الشرع وبين إقامة الحكم على هذا المجرم فهذا الذي آوى هذا المحدث ملعون بنص هذا الحديث؛ لأنه منع من إقامة حكم الله على هذا الذي أجرم، وإذا كان كل أحد يجرم ويأتي ببلية

وقتل أو إفساد أو تدمير ثم يخفيه الناس ولا يمكن ملاحقته بسبب أنه أخفي بهذه الطريقة تنتشر الجرائم انتشارًا عظيمًا جدًا، لهٰذا الوضع يجرم الإنسان ثم يفر إلى أحد أو إلى قبيلة فتأويه وتخفيه أو يفر حتى لو فر إلى قريب أو إلى صاحب له واختفى عنده كل هذا لا يحل، والذي يؤويه ملعون بنص الحديث «**لعن الله من آوى محدثًا، لعن الله من غير منار الأرض**» منار الأرض هي التي تكون كما في الحديث «**لعن الله من غير تخوم الأرض**» الأرض التي لك ولشارك ما الذي يفصلها؟ يفصلها مجموعة من الحدود كما يوضع الآن تلاحظ هذه الأحجار البيضاء الكبيرة هذه فاصلة بين هذه الأرض وبين هذه الأرض فيأتي إنسان فيغير منار الأرض فيأتي فيدفع هذه الحجارة البيضاء مثلًا يأخذ مترًا فيدخل هذا المتر في أرضه ويأخذه من صاحب ا لأرض التي يستحقها، فدل هذا على أن الجنايات في الأراضي خطيرة للغاية مع تساهل كثيرين من الناس فيها والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر بعذاب بالغ وشديد لمن ظلموا من الأرض ولو شبرًا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من ظلم من الأرض شبرًا طوق من سبع أراضين**» ليس فقط من أرضه هٰذه، قيل إن المراد بطوق أي: يجعل طوف نسأل الله العافية في عنقه، وقيل إن المراد أنه يقال له هذا الشبر الذي أخذته من الأرض ظلمًا احمله حملًا يطوق أن يحمله فيحمله حملًا كما جاء في الحديث أن من غل شيئًا فإنه يحمله «**من غل بعيرًا يأتي يوم القيامة على ظهره له رغاء، وإن غل شاة لها رغاء، وإن غل بقرة يأتي بها وهي لها نفس**» أي: الصوت هي أصوات الرغاء والصغاء والشاة تيعر ولها صغاء والبعير له رغاء يأتي بما غله يوم القيامة على هذا النحو، هذا نسأل الله العافية، القيامة فيها فضائح نسأل الله أن يسترنا أجمعين وأن لا يناقشنا الحساب، أي: أشياء كثيرة جدًا تخفى عن الناس فنسأل الله السلامة والعافية تنكشف الأستار وتهتك الأسرار في القيامة لمن لم يرد الله تعالى ستره نسأل الله العافية والسلامة، فتقوى الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الأمور، ولهٰذا لما اختصم أظن عروة أو غيره مع قوم في أرض قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: اتقي الأرض أي: احذر أمر الأرض ثم روت له هذا الحديث فأمر الأرض والأخذ منها أو حتى من أراضي العامة مثل ما يقع الآن من أخذ ميادين وأشياء من الشوارع وإضافتها أي: إلى البيوت والعبث بالمخططات هذا خطير جدًا على الإنسان غاية الخطورة، فالحاصل أن تغيير منار الأرض هذا مما يستوجب نعوذ بالله اللعن والحديث صحيح رواه مسلم.

❍ **الحديث الأخير**: حديث طارق بن شهاب أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**دخل الجنة رجل في ذباب**» **أي**: هذا الرجل دخل الجنة بسبب هذا الذباب «**ودخل الثاني النار في ذباب**» فاستغرب الصحابة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم ذلك، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ فقال: «**مر رجلان على قوم لهم صنم**» أناس في الطريق لما مروا بهم لهم صنم «**لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئًا**» لا أحد يمر به ويتعدى هذا الصنم إلا ويلزمونه أن يتقرب له بأي شيء «**فقالوا لأحدهما قرب**» لاحظ جوابه، «**قال: ليس عندي شيئًا أقرب**» أي: هو مستعد أن يقرب لكن يقول ليس عندي مثلًا شيء من الأنعام أذبحها «**قالوا له: قرب ولو ذبابا**» هم يريدون أن يتقرب والعياذ بالله إلى صنمهم بأي شيء المهم أن يحصل التقرب حتى ولو بشيء تافه كالذباب «**فقرب ذبابًا فخلوا سبيله فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب**» فالآخر موحد «**فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله** عَزَّوَجَلَّ» التقربهذا لا يصح إلا لله عَزَّوَجَلَّ «**فضربوا عنقه فدخل الجنة**» تكلم أهل العلم لماذا دخل ذاك النار مع أنه في حال إكراه؟ فمنهم من قال إن هذا بسبب أنه شرع من قبلنا وفي شرعنا هذا إذا وجد الإكراه الحقيقي الذي ليس منه مفر بتاتًا فإن الرب تبارك وتعالى يعفو عمن وقع في شيء من الشركيات بشرط أن يكون قلبه مطمئن بالإيمان، قال آخرون هذا الرجل أصلًا هو مستعد أن يقرب فليس عنده إشكال الإكراه بل هو يقول أنا ما عندي شيء أقرب، ما قال لعلكم تعفونني أو قال أنا لا أذبح لغير الله عز جل حتى قبضوا عليه وقربوا السيف من رأسه وإنما هو يريد أمر دنياه قال: ما عندي شيء حتى أقرب، أنا لو معي شيء قربت، ما عنده شيء من التوحيد يردعه ويمنعه فلهذا لما ضربوا عنقه دخل النار نسأل الله العافية والسلامة.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

* * *

---

(١) نهاية المجلس الرابع.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله**، وقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ﴾ الآية [التوبة: ١٠٨].

عن ثابت بن الضحاك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: نذر رجل أن ينحر إبلًا ببوانة، فسأل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**» قالوا: لا. قال: «**فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**» قالوا: لا. فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أوف بنذرك فإنه لا وفاء بنذر في معصية الله ولا في ما لا يملك ابن آدم**»، رواه أبو داود وإسناده على شرطهما».

لما ذكر الباب السابق في حرمة الذبح لغير الله، تقدم أنه شرك، ذكر مسألة قريبة من هذه وهو ما لو ذبح لله متقربًا إلى الله لكن في مكان يذبح فيه لغير الله هذا الرجل لا شك أنه ليس بمشرك، الباب السباق يتناول من يشركون بالذبح هذا الباب يتناول قومًا يذبحون لله فهم به غير مشركين وإنما يذبحون لله متقربين إلى الله مسمين باسمه تبارك وتعالى، لكنهم أساؤوا بأن أتوا وذبحوا لله في مكان يذبح فيه لغير الله فهو هنا يذبح لله وبجانبه آخر يذبح لغير الله، ما الذي يقع؟ الذي يقع أن الناس تظن أن هذا موضع يذبح الناس كلهم فيه لغير الله بدليل أنه أتى وتجشم العناء حتى وصل إلى الموضع هذا من قبر أو صخرة أو نحوها وذبح عنده وقال إني أذبح لله ولست بمشرك ولست مثل هؤلاء المشركين وقد يقول هذا من جهله أنا لا شأن لي بهم هم يذبحون لغير الله لكن أنا موحد أذبح لله، ما حكم هذا الفعل؟

۞ **قال المؤلف:** «باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله».

لا هنا يحتمل أنها النافية ويحتمل أنها الناهية، يقول الشارح: وهذا أظهر أي: أنه ليس له أن يذبح بمكان يذبح فيه لغير الله، لا شك أنه قد ابتدع وأنه قد أساء وأنه أكثر سواد أهل الفتن، وقد بوب البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بابًا في النهي في حكم تكفير تسويد أهل الفتن والسوء هل يأتي الإنسان لأهل السوء والفساد ويأتي

معهم ويعينهم ويظهر وكأنه معهم ثم يقول أنا لست على الحال التي هم عليها، لي وضع آخر؟ ليس له ذلك؛ ولهذا جاء في الحديث: «**من كثر سواد قوم فهو منهم**» فدل على أن الأمر فيه خطر على من يفعل مثل هذا وعلى أنه يمكن لو نزلت عقوبة بهؤلاء ولا يستبعد أن تنزل بهم عقوبة أن تصيبه كما أصابتهم، فلذا قال: باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله؛ لأن هذا من الوسائل الشرك فإنه قد يذبح لله تعالى ثم يتدرج به الأمر إلى أن يذبح لغير الله ثم إن فيه تكثير لسواد أهل الشرك ومعونة لهم، ثم إن فيه إساءة للظن به كل هذا مع ما فيه من الابتداع، كون الإنسان يحمل بهيمة الأنعام إلى موضع من المواضع ويتجشم العناء ليذبح هذه البهيمة عندها لا شك أن هذا لا يصح إلا بدليل، كما تحمل مثلًا الهدي وتساق إلى مكة، أما أن تسوق الهدي إلى موضع يذبح فيه لغير الله عز جل تقول سأذبح فيه لله لا شك أن هذا فيه هذه الإساءة وفيه المفاسد التي ذكرنا.

استدل بقوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ الآية [التوبة] ذكر المفسرون أن هذا المسجد المذكور في هذه السورة أنه مسجد سمي بمسجد ضرار بناه المنافقون وادعوا أنهم يبنونه للضعيف ويبنونه في الليلة الشاتية وقد أعدوا فيه ما ذكره الله عَزَّوَجَلَّ من أنهم بنوه ضرارًا ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ فهم مرادهم الضرار والمضارة وليست مرادهم التعبد لله عَزَّوَجَلَّ ببناء المسجد والصلاة فيه، وأرادوا به التفريق أيضًا بين أهل الإسلام، قال: ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ لأنهم كانوا من المنافقين ويتواطئون في هذا الموضع الذي سموه مسجدًا على حرب الله ورسوله، وطلبوا من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يصلي فكان صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على وشك السفر إلى الغزوة فقال: إذا رجعنا إن شاء الله، فلما رجع عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وقبل أن يصل نزلت عليه الآية فأرسل صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من هدم هذا المسجد؛ لأنه ليس بمسجد مؤسس على التقوى وإنما أسس على ما ذكر الله من الضرار.

○ما صلة الآية بالباب؟!

الذبح في المكان الذي يذبح فيه لغير الله عَزَّوَجَلَّ يشبه الصلاة في هذا المسجد الذي هو ضرار وأسس على غير تقوى الله عَزَّوَجَلَّ، فكما أنه تمنع الصلاة في ذاك المسجد مع أن الصلاة عبادة فالذبح لغير الله وهو عبادة يمنع إذا كان يذبح فيه لغير الله تعالى، هذا وجه صلة الآية بالباب.

ثم ذكر حديث ثابت الضحاك رضي الله عنه أن رجلًا نذر أن ينحر إبلًا و هذه قربة نذر أن ينحر إبلًا فلما نذر أن ينحر الإبل خصص موضعًا يسمى بوانة، هذا الموضع وهو بوانة قيل إنه موضع في أسفل مكة دون يلملم، وقيل: إنه هضبة من وراء ينبع، هل له أن يخصص هذا الموضع بالذبح؟ قد يكون له قصد صحيح وقد يكون له قصد سيء، القصد الصحيح مثل ماذا؟ مثل أن يكون في هذا الموضع فقراء، أو أن يكون أهل هذا الموضع له بهم قرابة ويريد أن ينفعهم بالذبح ويستفيدوا من لحومها وهو في موضع بعيد لو ذبحها مثلًا وبينها وبينهم مائة ميل فإن من العسير أن يستفيدوا من هذا اللحم لا هم من الذين سيسافرون من أجل هذا اللحم فيسوق الإبل حتى يصل إلى بوانة فيذبح بذلك الموضع؛ لأنه موضع له فيه كما قلنا قرابة أو يكون فيه فقراء فهذا وجه صحيح؛ لكن لاحظ أمرًا مهمًا وهو أنه لا يعتقد وجود فضيلة للبقعة، أي: لو قال إن الذبح في البلد الفلاني له فضيلة هذا ابتداع لا يصلح؛ لكن قد يكون له قصد كأن يكون مثلًا من أهل جنوب المملكة على سبيل المثال وهو مقيم هنا في الرياض، يقول: أنا أريد أن أذبح في نجران في جيزان في أي موضع؛ لأجل أن الإبل التي تنحر ماذا يفعل بها؟ إذا نحرت فإن الناس يستفيدون منها فيأتي الناس ويأخذونه كما يقع في الهدي إذا ساق، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساق مائة من الهدي ولما نحر ما نحر مرة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الهدي قال: «**من شاء اقتطع**» إذا هي نحرت تترك يخلى بين الناس وبينها فيأتي هذا مثلًا ويقطع منها يدًا وقد يسلخها لاحقًا لكن يقتطع منها هذه اليد ويذهب بها وهذا يقتطع منها رجلًا فيأخذها الناس هكذا فيريد أن ينفع أهل البلد لقرابة أو لوجود مثلًا فقر في ذاك الموضع ما في هذا إشكال؛ لكن لا يعتقد أن الذبح في هذا الموضع له خصوصية وله قربة؛ لهٰذا سأله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن كان تخصيصه لهٰذا الموضع لسبب يتعلق بأمر جاهلي أو لا، ولهٰذا جاء في بعض الروايات أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأله: «**أتجد شيئًا من أمور الجاهلية**» معناه أتحس بأمر لا يزال فيك من أمور الجاهلية؟ قال: لا، لهٰذا سأله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذين السؤالين سأل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحابة: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**» **الوثن**: هو الذي يعبد من دون الله ويشمل، الوثن يشمل الصنم أي: الصنم هو ذو الصورة فيكون وثنًا فالوثن أعم من الصنم، الصنم هو المصور لكن الوثن يمكن أن يكون القبر وثنًا كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللّٰهمّ لا تجعلي قبري وثنًا**» ويمكن أن يكون صخرة تعظم ويذبح عندها ويعتقد أن لها فضيلة ويصلى عندها ويعتقد أن الصلاة عندها أو لها فيها فضيلة ومزية فتكون قد اتخذت وثنًا.

۞ **قال المؤلف:** «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟».

لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن أتى دمر الأوثان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالوا: لا بوانة تحديدًا ليست مثل المواضع التي تقدم الكلام عنها في المواضع التي يوجد فيها اللات أو العزى أو مناة وإنما هذا موضع معتاد بقعة من الأرض كغيره من البقاع، فبقي سؤال آخر مهم للغاية، الآن تأكدنا أنه ليس فيها وثن.

۞ **قال المؤلف:** «هل كان فيها عيد من أعيادهم؟».

هل كان أهل الجاهلية يخصون في الجاهلية هذا الموضع بعيد يجتمعون فيه أو لا؟ العيد هو اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد يعود إما بعود الأسبوع أو بعود السنة أو بعود الشهر، هذا معنى كونه عيدًا أي أنه يعود، والعيد كما ذكر شيخ الإسلام يجمع أمورًا منها، يوم عائد يوم يخصص، ومنها اجتماع لأن الناس كيف يكون عيدًا؟ الناس يجتمعون في العيد يجتمعون فيه، ومنها أعمال تتبع ذلك الاجتماع.

○**انظر إلى الأعياد الشرعية عندنا** في اليوم الأول من شوال هذا العيد مخصص بيوم، ثم هذا العيد فيه اجتماع يصلى صلاة العيد وأهل العلم تكلموا عن حكمها بعضهم يرى الوجوب العيني، وبعضهم يرى أنها وإن لم تصل لحد الوجوب العيني إلا أنها لا بُدَّ أن تكون على وجه عام فلا يصلي مثلًا كل أحد في مسجده أو في بيته وإنما تصلى خلف الإمام أو من يعينه الإمام على حال عام يجتمع فيها، ثم في العيد ما الذي يحدث؟ العيد فيه اجتماع فيه أعمال معينة، أول عمل من أعمال العيد عند أهل الإسلام هو الصلاة سواء عيد النحر أو عيد الفطر، وهكذا اليوم العاشر من ذي الحجة تجد أنه خصص باليوم العاشر تحديدًا لا بالتاسع ولا بالحادي عشر خصصه الشرع، وهكذا فيه أعمال منها: الأضاحي يذبحها غالبًا أهل الأمصار ومنها أعمال يوم النحر وهو يوم الحج الأكبر وفيه أكثر أعمال الحج وفيه هذه الأعمال ثم هو يعود كما قلنا يوم عائد وفيه اجتماع كما هو معلوم يجتمع في العيد ويجتمع أهل الإسلام أيضًا في الحج ذاك الاجتماع العظيم، وفيه الأعمال هذا معنى العيد، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يتأكد ليس فيها وثن؛ لكن هل كان فيها عيد من أعيادهم؟ فقالوا: لا. فلما علم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن بوانة موضع معتاد ليس فيه وثن ولم يكن أهل الجاهلية يخصونه بعيد أذن له بالوفاء بنذره، وهذا يدل على أن العيد الجاهلي لا يحل أن يقام، فإذا كان من أعياد المشركين وحصل التشبه به فهذا من أعظم وأفظع ما يكون، وكلام أهل العلم

فيه شديد للغاية.

❍ **شدد أهل العلم جدًا في إحياء أعياد الكفار** وهو ما يقع للأسف الشديد فيه كثير من الجهلة بسبب هذا الانفتاح غير المنضبط على أعداء الله وبسبب الإعلام الفاسد الذي يزين للناس هذه الأعياد الشركية؛ وإلا الأمر خطير جدًا؛ لأن العيد دائمًا في أي أمة مرتبط بمناسبة دينية العيد عند النصارى مثلًا مرتبط بمناسبة دينية فإذا جاء المسلم وقلدهم في مناسبتهم الدينية هذه أو في مناسبتهم الإلحادية مثلًا فإن هذا أمر عظيم جدًا كيف يفعل هذا الفعل ويحيي يومًا يحييه الكفار ويفرحون بما هم فيه والتهنئة به كما قال ابن القيم: التهنئة بعيد الكفار أن تهنئ كافر بعيده يقول هذا أخبث مما لو هنأت الزاني بزناه أو شارب الخمر بشربه الخمر؛ لأن الزاني من المعلوم أنه والعياذ بالله لا يوجد عاقل يهنئه ويثني عليه من المسلمين يقول أحسن في صنعك هذا هنيئًا لك ما فعلت، يقول: مع ذلك تهنئة الزاني على خبثها أخف من تهنئة مشرك؛ لأنه مشرك يهنئ بعيد كفري بعيد شركي فكيف يهنأ أم كيف يفعله المسلم ويقيمه وينشره ويحييه في الناس فالأمر كبير للخطورة، وبه يعلم أن الشرع هو الذي يحدد الأعياد وأنه لا يحل بحال من الأحوال أن يخص يوم بعيد أيًا كانت المناسبة، وإنما لأهل الإسلام عيدان فقط هما عيد الأضحى وعيد الفطر فقط، ولا يحل اختراع وابتداع أي عيد سواهما.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما تأكد من خلو بوانة من المحذورين وجود وثن أو وجود عيد من أعياد الجاهلية قال: «**أوف بنذرك**» ثم قال: «**فإنه**» الآن رتب الحكم بالفاء، ترتيب الحكم بالفاء ماذا يفيد؟ يقول أوفي بنذرك الآن، هذا الحكم، ثم بين عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هذا الحكم وبينه بالفاء هذا يدل على أن الوصف هذا الآتي سبب للحكم، «**فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا في ما لا يملك ابن آدم**» النذر كما سيأتينا إن شاء الله له باب، النذر هذا قربة يتقرب به لله عَزَّ وَجَلَّ، فلا يحل أن يصرف لغير الله تعالى، لما كان النذر من العبادات التي يتعبد بها ويأتي كلام وتفصيل إن شاء الله في كلام أهل العلم هل يعد عبادة أو لا يعد؟ يأتي له كلام إن شاء الله، لما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أوف بنذرك بين له أن النذر لما كان يبتغى به التقرب إلى الله فإنه لا يحل أن يتقرب بالنذر من خلال معصية، كيف تتقرب إلى الله بمعصية من معاصيه.

❁ **قال المؤلف:** «فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله».

أي: لو أن إنسانًا قال لله علي أن لا أكلم أخي قال: أنا نذرت، نقول: هذا النذر الذي أنت عقدته على طاعة أو على معصية؟ على عصية، أتقرب لله بمعصية؟ لا يتقرب لله تعالى إلا بما شرع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أما أن تتقرب إلى الله بما حرم فهذا لا شك أنه من الباطل، وإذا نذر فإنه يقال ليس لك أن تعصي الله ولو حلفت أو طلقت أو نذرت كل هذا لا يحل أن تعصي الله عَزَّوَجَلَّ تحت مسمى نذر أو تحت مسمى حلف كل هذا لا يصلح، فالله لا يحل أن يعصى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال: «**فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا في ما لا يملك ابن آدم**» إذا نذر الإنسان أن ينحر بعيرًا لا بُدَّ أن يكون مالكًا لهٰذا البعير أما أن ينحر بعير غيره فلا يحل كيف ينحر بعير غيره وهو لا يملكه؟ فلو قال لله علي أن أنحر بعير فلان أو أن أذبح شاة فلان، لا تملكها ليس لك أن توقع النذر على هٰذا؛ ولهٰذا جاء عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في قصة الصحابية التي سيقت الأنعام وسبيت هذه الصحابية معها فتمكنت من الفرار على إحدى النوق فلما وصلت وكانت ناقة لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالت: يا رسول الله إني نذرت أن أنحرها، فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**بئس ما جزيتيها**» أي: هي هربت من الكفار على هذه الناقة فقالت: إني نذرت لله إن وصلت ونجوت أن أنحرها لله، فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**بئس ما جزيتها**» لأن هذه الآن نجوتي عليها يكون جزاءها أن تنحريها، ثم تتقربين إلى الله بنحرها وهي ليست لك فأخبرها صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأن قال: «**أنه لا نذر فيما لا يملك ابن آدم**» ليس لك أن تنحر أي: بعيرًا أو تذبح شاة أو بقرة لا تملكها، هذا معنى قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ولا في ما لا يملك ابن آدم**» فدل على أن الباب هذا مهم للغاية وفيه فائدة كبيرة جدًا للدعاة إلى الله وللعلماء ولعموم أهل الإسلام أنه ليس لهم أن يصنعوا الشيء الذي فيه نوع من التلبيس على الناس، فلو قال هذا الذابح أنا موحد ولا يسرى الشرك ولله الحمد في دمي وأنا أسخر بهؤلاء أو أنكر على هؤلاء وأقول إنكم مشركون لكن سأذبح معهم، هذا الأمر ماذا يستجلب؟ يستجلب المفاسد الأربع التي ذكرنا وربما مفاسد أخرى، فليس لك أن تصنع شيئًا مثل هٰذا. وقد روى ابن سعد أن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما رأى صحابيين كبيرين قد أحرما في ثيابهذه الثياب مصبوغة صبغًا لكن هذه الصبغة التي فيها كأن الثوب ثوب الإحرام كأنه مطيب فقال: ما هٰذا؟ فأخبروه أنه ليس مطيبًا لكن النوم فقال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إنكم أناس يأتسى بكم فلا تلبسوا على الناس إذا رآكم الناس قالوا: هؤلاء أصحاب محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أي: قد لبسوا لباس الإحرام مطيبًا لا تلبسوا على الناس، أي: الأمر الذي يمكن أن يفهم منك بطريقة غير صحيحة لا تقل أنا لي قصدي ولا

يهمني الناس، كيف لا يهنك الناس تتسبب في أمر يظن الناس منه خلال ما عملته يظن الناس بك ما لا ينبغي ثم تقول لا يهمني الناس، الناس ليس لها إلا ما يظهر، بل العكس الواجب أن يبعد الإنسان وينأى عن الشيء الذي يكون جالبًا لما لا ينبغي في حقه، وقد ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لما كان في معتكفه وأتته صفية أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أرادت أن ترجع إلى بيتها فأمرها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن لا ترجع وحدها وذهب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليوصلها إلى بيتها فمر اثنان من الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فرأيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه امرأة، فلما رأيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسرعا، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أطهر وأكرم وأجل بني آدم على الإطلاق قال: «**على رسلكما إنها صفية**» أي: زوجتي، فقال الأنصاريان: سبحان الله يا رسول الله أي: مثلك يشك فيه؟ ما يمكن، قال: «**إني خشيت أن يلقي الشيطان في قلوبكما شرًا**» أي: أن يأتي إليكما الشيطان ويقول لكما الآن هذه المرأة التي مع محمد في الليل من هي، قال خشيت أن يقول هٰذا، الأنصاريان استعظما ذلك وقالا: سبحان الله يا رسول الله أي: سبحا الله أي: كيف يمكن أن يأتي في أذهاننا أمر مثل هذا أو يساء بك الظن وأنت رسول الله وأكرم من وطئت قدماك الثرى وأبعد الناس على الإطلاق عن أي ريبة، كيف يظن بك هٰذا؟ قال: «**إني خشيت أن يلقي الشيطان في قلوبكما شرًا**» قال بعض أهل العلم: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خشي عليهما الكفر؛ لأنهما لو ظنا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك لارتدا، فلما يتركهما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهٰذا الظن الفاسد وأبعد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن نفسه الشر والسوء، ولهٰذا بوب البخاري عليه ما يتعلق بأن المعتكف يزيل عن نفسه وذكره بالتبويب على المعتكف وهو عام لكن لأن الصورة كانت في الاعتكاف أنه يزيل عن نفسه الأمر الذي لا يليق.

فالحاصل أنه ينبغي أن يؤخذ من هذا الباب فائدة فلا يأتي إنسان ليجلس مع أهل المولد ويقول أنا آتي معهم وأعلم أن هذا مبتدع لكن أنا سأحضر سأتفرج أنا معلوم أني على السنة ولا يأتي إلى مواضع الروافض في اليوم العاشر من المحرم ويشاركهم ويجلس معهم ويقول أنا، هل أنكرت؟ هل أتيت وقلت هذا ابتداع وباطل وفارقت أو جلست؟ مثلك مثل ألوف الجالسين فهذا منك لا شك أنه إساءة ولا يحل كل أمر يجلب شيئًا، مثل ما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا تلبسوا على الناس، أي شيء يجلب على طالب العلم أو يجلب لعوام الناس عمومًا أن يظنوا أن ثمة أمرًا صوابًا؛ لأن هذا الطالب للعلم أو العالم قد فعل هذا الفعل الواجب عليه أن يبعد عنه أو أن ينأى عنه.

۞ **قال المؤلف:** «**باب: من الشرك النذر لغير الله.** وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان: ٧] وقوله: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**من نذر أن يطيع الله فيطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**».

النذر ينبغي أن يعرف أولًا، النذر هو إلزام المكلف نفسه عبادة لا تجب عليه بأصل الشرع، من المعلوم أن صوم رمضان واجب، وأن الله حتمه وأوجبه؛ لكن صيام ثلاثة أيام من كل شهر ليست بواجبة هل يمكن أن تكون هذه الأيام الثلاثة واجبة؟ يمكن أن تكون واجبة إذا نذرها الإنسان فقال: لله علي أن أصوم ثلاثة أيام من كل شهر، ما الذي حدث؟ انتقل حكم صيام هذه الأيام الثلاثة من الاستحباب إلى الوجوب؛ لأن النذر هو أن يلزم المكلف نفسه بشيء لا يجب عليه، فإذا ألزم نفسه بشيء لا يجب عليه صار واجبًا إذا كان عبادة يتقرب بها إلى الله عَزَّوَجَلَّ. هذا أمر.

النذر على نوعين، ذكر الفقهاء له أكثر من نوع؛ لكن نقول بإجمال:

النذر على نوعين:

○ **النوع الأول:** نذر معلق كأن يقول إن شفى الله مريضي فلله علي أن أتصدق بألف ريال، فإن شفي المريض لزمه أن يتصدق بألف ريال وإن مات المريض لم يلزمه؛ لأنه نذر معلق.

○ **النوع الثاني:** النذر المنجز، أن يقول لله علي أن أقوم كل ليلة في الثلث الأخير من الليل فهذا ما علقه ما قال لله علي أن أقوم إن شفى الله مريضي أو إن ردى الله غائبي فهذا منجز، فيلزمه النذر في الصورتين.

ما حكم النذر؟ النذر منهي عنه ولهذا قال ابن عمر رضي الله عنه لما سئل عن رجل قال: أو لم ينهوا عن النذر؟ وقال: نهى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عن النذر. لماذا نهى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عن النذر؟ لأن الناذر في أحيان كثيرة يندم على نذره، قد يكون متحمسًا في شبابه فيقول: لله علي أن أصوم يومًا وأفطر يومًا، يقول: لله علي أن أقوم ثلاث ساعات من الليل إذا تقدم به السن عجز أو حتى قبل أن يتقدم به السن يكون في حال من الإقبال والحماس ثم يندم فيقول ماذا أصنع أنا الآن صرت أتعب في دراستي في عملي ولا سيما في ليالي الصيف القصيرة وصار من الصعب علي بمكان ماذا أفعل، هذا هو السبب في النهي أنت إذا

أردت أن تتقرب إلى الله بقربة فتقرب إلى الله تعالى ولا تلزم نفسك بها.

ولهٰذا كان النذر منهيًا عنه من هذه الناحية، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما نهى عن النذر قال: «**إنما يستخرج به من البخيل وإن النذر لا يرد القدر**» أو كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. يستخرج به من البخيل أي: أن الله تعالى كتب لهٰذا المريض شفاء، هذا الذي نذر من أقاربه أو نفس المريض الذي قال لله علي إن شفيت أو إن شفى الله مريضي أن أتصدق بألف ريال، الله كتب أن هذا المريض سيشفى لكن هذا الذي نذر بخيل، ولن يتصدق بألف لكن قدر الله تعالى أن يمرض فينذر فيستخرج الله تعالى للفقراء هذه الألف، وقدر الله ماضي بشفاء هذا المريض من قبل أن ينذر، والذي ينبغي إذا أراد الإنسان أن يتصدق إذا أراد أن يصوم إذا أراد أن يتقرب إلى الله بنافلة لا يلزم نفسه بها قال أهل العلم: النذر باب من العلم غريب لم؟ لأن النذر شرعًا منهي عنه إما نهي تحريم أو نهي كراهة، ثم إذا نذر فإنه يحمد على الوفاء فهو لا يحمد على النذر وإنما يحمد على الوفاء، ولهٰذا ذكر الله تعالى هذه الآيات فأصل عقد النذر منهي عنه؛ لكن نذر قال ماذا أفعل، كما في الحديث الآتي إن شاء الله «**من نذر أن يطيع الله فيطعه**» فإذا حقق النذر يقال أحسنت في أنك أوفيت بالنذر؛ لكن ما حكم النذر؟ منهي عنه، ولهٰذا قالوا: إنه باب من العلم غريب كما قال الخطابي رحمه، يقول: لأنه منهي عنه فإذا فعله الإنسان حمد على الوفاء.

هل النذر عبادة؟ ذكر أهل العلم منهم الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكره في العبادات كما في الأصول الثلاثة، كيف يكون عبادة ومنهي عنه؟ الذي يقوم بقلب الناذر من أن الله تعالى قادر على أن يرد غائبه أو أن يشفي مريضه لا شك أنه عقيدة خاصة بالله تعالى فهي لم تقم في قلبهذا الناذر إلا من إيمانه من حيث أصل ما قام بقلبه؛ لكن كونه ينهى عنه من أجل رحمة الشرع بالعباد، بدلًا من أن يأتي الإنسان فينذر نذرًا يقول ليتني ما فعلت أصوم يوم وأفطر يوم وكنت شابًا والآن تقدم بي السن أو صرت أجهد وأتعب من آثار الدراسة أو العمل يقال هذا هو السبب في منع الشرع له، وإذا أردت عبادة فاتكل على الله واستعن به تعالى وتعبد لله تعالى بهذه العبادة دون أن توجبها على نفسك.

ذكر الآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان] هذا ذكره الله تعالى في صفات أهل الجنة، ومدح الله تعالى الموفين بالنذر بأن تقربوا لله تعالى أن نذروا أن يفعلوا عبادة من العبادات فلما أوفوا بما نذروا مدحهم الله تعالى وذكر أن هذه من صفات أهل الجنة، وقال عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠] الله تعالى عالم بجميع ما يعمله العباد من الخيرات من النفقات من النذور والمنذورات التي يتقربون بها إلى الله تعالى، والله تعالى يجازيهم عليها أتم الجزاء.

ثم ذكر هذا الحديث الصحيح في البخاري تقول عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من نذر أن يطيع الله فيطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**» هذه قاعدة كبرى في النذر، أن من نذر طاعة من الطاعات فإنه ملزم شرعًا بأن ينفذها فليطعه، عليك أن تطيع الله، نذرت أن تصوم ثلاثة أيام من كل شهر ما حكم هذا الصوم؟ لا شك أنه طاعة يلزمك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام، «**ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**» فلا يعصه لا يقول أنا نذرت ماذا أفعل نذرت أن أقاطع جاري أن لا أكلمه أن أقاطع أخي فلو أني ما نذرت كلمته؛ لكن أنتم الآن تطلبون مني أن أكلمه وقد نذرت، لا تعصي الله تعالى لا بنذر ولا بحلف ولا بغيره، فعندك هذه القاعدة «**ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**» «**من نذر أن يطيع الله فيطعه**» أي: فليفعل ما نذره من طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، فهذه القاعدة العظيمة في النذر، «**ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**» هل يكفر عن يمينه إذا قيل له كلم أخاك لا يحل أن تقاطع أخاك، قال: سأكلم أخي ونذري علمت أنه لا يصح أن أوفي به هل أكفر؟ جاء في بعض الروايات أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وليكفر عن يمينه**» فمن أهل العلم من يقول: إن نذر المعصية أصلًا لا قيمة له شرعًا أي: يتقرب إلى الله بالمعصية فهذا باطل فلا كفارة فيه، ومنهم من يقول: بل يكفر لأنه حين قال لله علي قد نذر فلما لم يمكن تحقيق ما نذر عليه فإنه مثل الحلف إذا حلف على أمر ولم يحققه وحنث فإنه يكفر، وهكذا الطاعة لو قال لله علي أن أصوم يومًا وأفطر يومًا ثم لم يتمكن ما قدر من حيث الحكم الشرعي لا من حيث أن تكاسل أو تعاجز لكن لم يتمكن وصار يلحقه ضرر مقدر شرعًا يقال هذا النذر الآن الذي نذرته أنت لا تستطيع ا لوفاء به فهو مثل اليمين إذا حلفت فقلت والله لأعتمرن هذا الشهر ما تمكنت فإنك تلزمك فكذلك الحال في النذر، وإنما الكلام في نذر المعصية هل فيه كفارة؟ من أهل العلم من يقول فيه الكفارة واستدلوا بما رواه الطحاوي بقوله: «**وليكفر عن يمينه**» والذي ينبغي أن يكفر ويبعد عن الخلاف في هذه المسألة.

❍ **هنا فائدة لغوية**: كثيرًا ما يخطأ من يقرؤون القرآن أو من يقرؤون الأحاديث في التفريق بين لام الأمر ولام التعليل، لام الأمر الفعل بعدها مجزوم فهي مثل لم أن تقول لم يذهب فالفعل مجزوم إذا أمرت مستخدمًا لام الأمر فتقول ليذهب أيضًا بالجزم فهذه لام أمر، أما لام التعليل فإن الفعل بعدها

منصوب فتقول زرتك لتكرمني ما تقل زرتك لتكرمني لأنك تريد التعليل أي أني زرتك لأجل أن تكرمني فاللام هنا لام التعليل من أدوات النصب، كثيرًا ما تقرأ الآيات التي فيها لام الأمر بكسر اللام وهذا غير صحيح، اللَّهمَّ إلا أن يكون هناك قراءة أخرى بهٰذا أو وضع آخر من باب القراءات؛ لكن مثلًا في قراءة حفص في قوله عز: ﴿وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ﴾ [الحج: ٢٩] يقرأها بعض الناس ولِيوفوا نذورهم فغير، اللام هنا لام الأمر أي: الآية فيها الأمر بالوفاء بالنذور فإذا قلت ولِيوفوا نذورهم فإنك تعلل أي ولأجل أن يوفوا نذورهم، والمقامان مختلفان فينبغي أن يلاحظ هذا لام الأمر ساكنة ولْيوفوا أما لام التعليل فإنها مكسورة فهذا الأمر مثل قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ [المائدة: ٩٤] لاحظوا اللام هنا مكسورة فهي لام تعليل، فينبغي الملاحظة لهٰذا لأن كثير جدًا ما يقع الخطأ في التفريق بين اللامين.

۞ **قال المؤلف: «باب من الشرك الاستعاذة بغير الله**، وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ۝٦﴾ [الجن].

وعن خولة بنت حكيم رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قالت: سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: «**من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك**» رواه مسلم».

يقول رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى: باب من الشرك الاستعاذة بغير الله، نعطيك إن شاء الله تعالى الآن قاعدة تنتفع بها في الاستعاذة والاستغاثة والاستعانة والدعاء، هذه القاعدة: أن الاستعاذة والاستغاثة والاستعانة والدعاء على نوعين اثنين:

○ **النوع الأول**: استعاذة واستغاثة واستعانة ودعاء جائز، بغير الله مقصود، استعاذة بغير الله، استغاثة بغير الله، استعانة بغير الله دعاء غير الله جائزة متى؟ بثلاثة شروط لا بُدَّ أن تتوفر جميعًا لو يسقط شرط واحد فإنها لا تحل، أن تكون الاستعاذة والاستغاثة والاستعانة والدعاء لحي حاضر قادر، أي: أن يكون هذا الذي استغثت به أو استعنت به أو استعذت به أو دعوته حيًا وليس ميتًا؛ لأن الميت لا يمكن أن ينفع، حاضرًا، يكون حاضرًا عندك وتستغيث به وهو حاضر يستطيع أن ينفعك، قادر إذا كان حيًا حاضرًا فلا بُدَّ أن يكون قادرًا على أن يعيذك أو يغيثك أو يعينك فهذا النوع يحل إذا توفرت هذه الشروط، وعليه قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [القصص: ١٥] وسيأتي باب الاستغاثة إن شاء الله ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ هذه استغاثة جائزة، وهكذا استغاثة الناس بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام

في القيامة، فإن استغاثة الناس بالأنبياء في القيامة الأنبياء أحياء أي: يبعثون في القيامة حاضرون قادرون أن يشفعوا عند الله تعالى. أما بعد أن توفوا عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فلا يجوز، أي: لا يحل أن يأتي أحد إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قبره أو من بعد ويقول: يا رسول الله أغثني أو يا رسول الله ادعوا الله لي لا يحل هٰذا؛ لأن الشرط أن يكون حيًا حاضرًا قادرًا، فإذا تحققت هذه الشروط فالاستعاذة والاستغاثة والاستعانة والدعاء سليمة ما فيه إشكال.

❍ **النوع الثاني:** الذي يكون به الشرك الأكبر المخرج من الملة أن تقع الاستعاذة أو الاستعانة أو الاستغاثة أو الدعاء لغير الله في أمر لا يقدر عليه إلا الله، ففي الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله عَزَّوَجَلَّ مثل هداية القلوب ومثل صلاح الذرية، ومثل إنزال المطر هذا لا يستطيعها أحد، فلو طلبت من الله عَزَّوَجَلَّ على حال من الاستغاثة أو الاستعاذة أو الاستعانة أو غيرها فإن فاعل ذلك يكون مشركًا شركًا أكبر، وبه تعرف الآن أن هذه الأنواع على هذين النوعين أن هذه المصطلحات التي ذكرنا استغاثة واستعاذة واستعانة ودعاء على النوعين منها ما هو جائز إذا توفرت الشروط الثلاثة فإذا سقط شرط من هذه الشروط فإن المستعيذ أو المستغيث أو المستعين أو الداعي يقع في الشرك؛ لهٰذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «باب من الشرك الاستعاذة بغير الله»، ويأتيك باب إن شاء الله تعالى بعده «باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره»، إذا عرفت القاعدة علمت أن الشيخ يتكلم عن أي الأنواع عن النوع الشركي؛ لأنه يتحدث عن ما يعد شركًا، أما الأنواع العادية مثل الاستغاثة ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ أو استغثت أنت، سيأتي الكلام على الاستغاثة استغثت بأحد احترق جانب من بيتك فاستغثت بجيرانك أحياء حاضرون قادرون ما فيه إشكال، تحققت الشروط يستطيعون أن يطفئوا الحريق؟ نعم ما فيه إشكال هٰذه، إذًا تعرف القاعدة، ومن أحسن من فصلها فيها وبينها الشيخ محمد بن عثيمين رحمة الله تعالى عليه في شرحه أو تعليقه على الأصول الثلاثة بينها ووضحها رحمة الله عليه تبيينًا جليًا.

❍ **إذًا الشيخ يتحدث عن أي نوع؟!**

يتحدث عن الاستعاذة الشركية التي من صرفها لغير الله تعالى وقع في الشرك.

وأي شرك؟!

في الشرك الأكبر؛ ولهٰذا قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قول الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب من الشرك قال: أي: من الشرك الأكبر هذا المعنى.

❍الاستعاذة، ما المقصود بالاستعاذة؟!

❍ **الاستعاذة:** هي الالتجاء والاعتصام أنت إذا قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي ألتجئ إلى الله وأعتصم به من الشيطان، فمن المفيد أيها الأخوة معرفة معاني هذه المصطلحات، ما معنى الاستعاذة، ما معنى الاستغاثة؟ هذا من المهم أن يعرف.

من الشرك الاستعاذة بغير الله، مقصوده قطعًا كما قلنا في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله فمن وقع في هذا فهو مشرك، وبدأ بالآية وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا ٦﴾ [الجن] الإنس في الجاهلية إذا نزلوا في موضع موحش أو في وادي مثلًا في حال سفرهم كان من خزعبلاتهم وخرافاتهم أن يقولوا هذا الوادي الذي فيه جن نستعيذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فكانوا يقولون نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، نعوذ أي نلتجئ ونعتصم بسيد هذا الودي أي: سيدهم من الجن من سفهاء قومه أي: حتى يعيذنا ويمنعهم من الإضرار بنا فنزل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ﴾ أي: يلجئون ويعتصمون ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا ٦﴾ أي زاد الجن الإنس رهقًا؛ لأن الجن لما رأت الإنس تستعيذ بهم وهم يحرصون على الشرك زادهم رهقًا وخوفًا أي: حتى يقبلوا ويقدموا على مزيد والعياذ بالله من هذا الشرك والاستعاذة بغير الله عَزَّوَجَلَّ، وقيل إن الرهق الإثم، فالجن من الشياطين أحرص شيئًا على انتشار الشرك، فلما رأوهم يستعيذون بهم زادوهم رهقًا أي: يكثر الإنس ويلجأ عياذًا بالله زيادة على ما هم فيه من الشرك أن يزيدوا في طلب الشرك، فسمى الله تعالى هذا الفعل ذكره الله تعالى عن أهل الجاهلية ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا ٦﴾.

ثم ذكر حديث خولة بنت حكيم رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا أنها سمعت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك**» الحديث رواه مسلم يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**من نزل منزلًا**» الحديث هذا ظاهره العموم أنه إذا نزل أي منزل لأنه نكره منزل في سياق الشرط والنكرة في سياق الشرط تعم، فإذا نزل أي منزل في البرية أو في غير البرية فتعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق فإنه بإذن الله تعالى لا يضره شيء ما دام في منزله ذلك، وهذا مثل قوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم**» أي: أن هذا مخصوص بذلك اليوم تحديدًا فإذا من الغد فإنه يتصبح بسبع وهكذا من بعد الغد، وهكذا من نزل منزلًا

فإذا منزلًا فإنه يقول: أعوذ بكلمات الله التامات فقلت لو أنك مثلًا مسافر فنزلت لتصلي الظهر والعصر جمعًا في موضع قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، ثم نزلت لتصلي المغرب والعشاء في موضع آخر جمعًا فأيضًا قل أعوذ بكلمات الله التامات لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لم يضره شيئًا حتى يرحل من منزله ذلك**»، ثم نزلت لتتعشى مثلًا فإنك تقولها في الموضع الذي تتعشى فيه بعد مسافة بعد أميال ثم نزلت سافرت أيضًا واصلت المسير ثم نزلت لتنام قلها أيضًا في ذلك الموضع، وعلى هذا تلزم هذه الكلمة لأن هذه الكلمة خاصة بأي منزل تنزل به.

❁ **قال المؤلف: «من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات».**

«**كلمات الله التامات**» أي: الكاملات التي لا يلحقها نقص ولا عيب، وفي الاستعاذة بكلمات الله دلالة على أن صفات الله يتعوذ بها، فتقول: أعوذ بوجه الله أعوذ بسمع الله أعوذ ببصر الله لكن لا تدعو الصفة لا تقل يا وجه الله يا سمع الله ما يحل هذا وهذا باطل وخطأ ومنتشر عند كثير من العامة لكن خاصة كلمة يا وجه الله، غلط وإنما يستعاذ بالله عَزَّوَجَلَّ وبصفاته وأسمائه لكن دعاء الصفة لا، هذا دعاء للصفة تقول يا الله يا رحمن تدعو الاسم يا رحمن يا رحيم يا كريم يا سميع أما الصفة فإنها لا تدعى وإنما يدعى الاسم؛ ولكن يتعوذ بالله وبأسمائه وبصفاته على ما في الحديث. وفي التعوذ بكلمات الله فائدة كبيرة جدًا وهي الرد على الجهمية والمعتزلة الذين قالوا: إن صفات الله مخلوقة و هذه مقولة كفرية بشعة جدًا وهي من أخبث عقائد المعتزلة والجهمية، ووجه الدلالة من هذا الحديث أن التعوذ كما تعلم لا يجوز إلا بالله وأسمائه وصفاته، فلو كانت كلمات الله مخلوقة لكان معنى ذلك أنه تم التعوذ بمخلوق والتعوذ بمخلوق شرك لا يحل كما تقدم تفصيله وتوضيحه، فالتعوذ بكلمات الله يدل على أن صفات الله وكلام الله صفة م صفاته يدل على أن صفات الله تعالى من الله وأنها ليست مخلوقة وليس من الله تعالى شيء مخلوق.

❁ **قال المؤلف: «من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق».**

من شر ما خلق، لا يقول أعوذ بكلمات الله من كل خلقه لأن من خلقه تعالى ما لا شر فيه كالأنبياء والملائكة عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وإنما يتعوذ تحديدًا من شر ما خلق الله عَزَّوَجَلَّ.

قال المؤلف: «لم يضره شيء».

وعد الله تعالى لا يخلف وعده مما وعد به في كتابه أو وعد به على لسان نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك**» فإذا رحل من منزله ذلك فيمكن أن يضره شيء؛ لكن ما دام في منزله ذلك فإنه موعود والله لا يخلف وعده؛ لكن هل يمكن أن يضره شيء مع قوله لهذه الكلمة؟ نعم لو قالها مضطربًا مترددًا غير موقن يجرب هل تنفع أو لا تنفع، ما في هذا عقيدة هذه الحال، لا بُدَّ أن يقولها جازمًا بوعد الله عز جل، أما أن يقولها والإشكال من جهته هو يكون متذبذبًا مترددًا لا يدري هل هذا الوعد صادق أو غير صادق لا شك أن هذا باطل ليس بسليم، فهذا من فضل الله ومنته وهو بديل شرعي عن تعوذات أهل الجاهلية بدلًا من أن يتعوذ بالمخلوقات كالجن يزيدهم الجن رهقًا يتعوذ بجبار السَّمٰوات والأرض من بيده ملكوت السَّمٰوات والأرض من بيده الضر والنفع سبحانه، من بيده أن يمنع عنك الضر ويوصل إليك النفع فتتعوذ بالله والتعوذ بالله وبأسمائه وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يتعوذ بغير الله بتاتًا كائنًا من كان فمن تعوذ بمخلوق فقد تعوذ بغير الله والتعوذ بغير الله على التفصيل الذي ذكرنا من كونه شركًا، حتى يرحل من منزله ذلك.

وقد جاء عن أبان بن عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه روى حديث: «**من قال بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء لم يضره شيء**» فلما كان يوم من الأيام أصيب أظن في بطنه استقى بطنه فقال: إني نسيت البارحة ليمضي الله في قدره، يقول نسيت البارحة أن أقول «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء».

والحديث لما رواه أبو داود ذكر أحد رواته قال: فلدغتني عقرب فتذكرت فإذا بي لم أقلها، أي: أن الله تعالى إذا أراد أن يجري قدرًا على هذا الموقن ربما ينسى ربما يذهل فيمضي قدر الله عَزَّوَجَلَّ، وهكذا قول القرطبي: إن هذا خبر صحيح وقول صادق علمناه صدقًا دليلًا وتجربة فإني منذ سمعت هذا الخبر عملت عليه فلم يضرني شيء إلا أن تركته فلدغتني عقرب بالمهدية ليلًا فتفكرت في نفسي فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بهذه الكلمات، أي: أن الله إذا أراد أن يجري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قدره وهو على كل شيء قدير قد يذهل الإنسان قد يكون عند الإنسان أمر شوش عليه أو ضيف مثلًا أشغله وهذا من أهمية الإنسان يستذكر أي: هذه الأذكار ويعين أيضًا غيره إذا كان في المساء يذكر بعضهم بعضًا لا لأجل فقط ما رتب في الحديث من دفع الضر ولكن لعموم التقرب إلى الله تعالى بهذه الأذكار.

فالحاصل أن الموقن الجازم بوعد الله تعالى لا يضره شيء؛ لكن أن يتردد ويقول نجرب تنفع أو لا تنفع في هذه الحالة الإشكال من عنده ما عنده يقين.

۞ **قال المؤلف: «باب: من الشرك أن يستغيث بغير الله، أو يدعو غيره**

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ الآية [يونس].

وقوله: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ﴾ الآية [العنكبوت:١٧].

وقوله: ﴿أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ الآيتين [الأحقاف:٥].

وقوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ الآية [النمل:٦٢].

وروى الطبراني بإسناده، أنه كان في زمن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من هذا المنافق، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله**».

نبين أولًا مراد أهل العلم رحمهم الله بقولهم الآية أي: يقول لك: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] الآية، ما مراده، فيه تقدير أي أكمل الآية هذا المعنى هو يقول الآية يقف عند موضع في الآية مثل قوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ الآية أي: أكمل الآية هذا التقدير، ولهذا يقال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ الآية أي: فيه تقدير أي: أكمل الآية.

۞ **قال المؤلف:** «باب: من الشرك أن يستغيث بغير الله».

تقدم الكلام في التقسيم الاستعاذة والاستغاثة وغيره فلا نعيده الآن.

○ ما المراد بالاستغاثة؟!

الاستغاثة: هي طلب الغوث وهو إزالة الشدة، تقدم أن الاستعاذة الالتجاء والاعتصام، الاستغاثة هي طلب الغوث وهو إزالة الشدة تحديدًا مثل الاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون لأن السين والتاء تعني في أحيان كثيرة تعني الطلب فنقول استغاث بالله أي طلب من الله غوثه ومنه صلاة

الاستقاء أي: سؤال الله عَزَّوَجَلَّ السقيا فالسين والتاء كثيرًا ما تأتي على أي: مرادًا بها الطلب؛ لكن قد تأتي بدون مراد الطلب مثل قولك استقر الأمر السين والتاء هنا لا تفيد الطلب وإنما بيان لكون الأمر مستقرًا.

❍ما الفرق بين الاستغاثة والدعاء؟!

لأنه يقول: من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره؟ هذا العطف الدعاء على الاستغاثة، الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب، أما الدعاء فهو أعم وأشمل لأنه يكون من المكروب وغيره، فعطف الدعاء هنا على الاستغاثة يكون أهل العلم من عطف العام على الخاص؛ لأن الاستغاثة نوع من الدعاء، والدعاء عام فيكون من باب عطف العام على الخص والعطف تارة يكون عطف العام على الخاص وتارة عطف الخاص على العام كقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] الصلاة الوسطى هي العصر والصلوات يقصد بها الخمس ومنها العصر فيكون المعنى حافظوا على الصلوات الخمس ثم خص العصر لعظم شأنها فيكون هذا من عطف الخاص وهو العصر على العام وهو عموم الصلوات الخمس، أما هنا فهذا من عطف العام وهو الدعاء على الخاص وهو الاستغاثة وهي نوع من الدعاء، الاستغاثة قلنا لا تكن إلا من المكروب أما الدعاء فهو أعم لأنه يكون من المكروب ويكون من غير المكروب.

لما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى الباب استدل عليه بهذه النصوص الكثيرة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فقال: وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (١٠٧)﴾ الآية [يونس] بدأ بهذه الآية وفيها النهي للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أن يدعو غير الله تعالى، ذكر ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أن المراد ولا تدعو يا محمد من دون معبودك وخالقك شيء لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة ولا يضرك في دين ولا دنياك، فإن فعلت ذلك ودعوتها من دون الله فإنك إذًا من الظالمين أي من المشركين، هذا كلام ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ. قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٠٦)﴾ الظلم على ثلاثة أنواع: ظلم العبد لنفسه، وظلم العبد لغيره وتقدم الكلام فيه، فيه نوعين، الظلم الثالث: الظلم الأكبر وهو والعياذ بالله الشرك فسماه الله تعالى بالظلم في قوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ (١٣)﴾ [لقمان] وذلك أن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وأعظم أنواع وضع الشيء في غير موضعه أن توضع العبادة التي لا تحل إلا

لله أن توضع لغيره هذا أعظم أنواع الظلم، فالشرك أقبح الظلم وهو الذي لا يغفره الله عَزَّوَجَلَّ.

۞ **قال المؤلف:** «﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾».

أي: المشركين، وإذا أطلق الظلم في القرآن فإنه قد يُعنى به الشرك كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾ [البقرة]. ثم قال عَزَّوَجَلَّ: وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ الله عَزَّوَجَلَّ إذا أراد إيصال الضر إلى عبد فلا يمكن إذا نزل الضر به أن يكشفه أحد سوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأن يكشفه تعالى بدون سبب بأن يرفعه تعالى كما أنزله سبحانه وبحمده، أن يرفعه تعالى بسبب من علاج أو نحو ذلك أو أن ييسر الله أو يهيئ سبحانه وبحمده ما يزيل هذا الضرر من عموم الأسباب فهذا بيده، وإن شاء نفع بالسبب فزال الضر وإن شاء لم ينفع بالسبب فبقي الضر فالأمر إليه لا يمكن أن يكشف الضر بتاتًا إلا بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

۞ **قال المؤلف:** «﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾».

إذا أراد الله تعالى بعبد أو بقوم خيرًا فلو اجتمع من في السَّمٰوات ومن في الأرض على أن يمنعوا خير الله أن يصل إليه فإنهم لا يمكن أن يمنعوه إنما الخير بيده سبحانه وتعال يستجلب منه سبحانه وبحمده، فإذا أراد إيصاله عز اسمه فإنه لا أحد بتاتًا يمكن أن يرد الخير الذي ينزله عز اسمه؛ ولهٰذا القلوب في هذه الحال تتعلق بالله عَزَّوَجَلَّ في كشف الضر وفي إيصال الخير؛ ولهٰذا قال سبحانه: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ١٠٥] فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يختص بهذه الرحمة من يشاء من عباده يختص بالفضل والتوفيق يختص سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بما شاء به النفع من نفع ديني أو دنيوي ما شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إليه وحده لا سواه، ولا يمكن أن يمنع أحد فضله، وهكذا الضر، إذا أنزله فلا يمكن أن يكشفه سواه تعالى. قال: ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾.

ثم ذكر الآية بعدها قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ [العنكبوت:١٧] في الآية هذه لا يملكون لكم رزقًا، في الآية هٰذه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ هذا وصف لجميع من سوى الله لا يمكن أن ينفعك ولا يمكن أن يضرك؛ إلا إذا أذن الله تعالى بالنفع والضر سبحانه كما أنه تعالى إذا أنزل الضر فلا يكشفه سواه وإذا أراد الخير فلا يمكن أن يرده أحد فكذلك لا يمكن أن

يقع الضر والنفع إلا بإذنه تعالى.

۞ **قال المؤلف:** «﴿ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ﴾».

الرزق هو بيد رب العالمين الذي من أسمائه تعالى الرزاق فهو سبحانه يوصل رزق هؤلاء المخلوقين في البحار وفي القفار ويوصل رزق الطيور إليها سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ورزقه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قد شمل الكافر والمسلم، فالرزق قد جعله الله تبارك وتعالى وهو مرتبط بربوبية الله وهو من تصريف الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فأوصله تبارك وتعالى إلى الجميع فتجده تعالى يرزق الدواب والبهائم بل يرزق سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ حتى الحشرات في البرية ترفع بعض الأحيان الحصاة فتجد تحتها أمة لا يحصيها إلا الذي خلقها قد أوصل تعالى لها رزقها تحت حصاتها وهو على كل شيء قدير، ويرسل سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ رزق دواب البحر على كثرتها وتنوعها وما لا يحصيه من أمرها وأنواعها إلا هو سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يوصل إليها تعالى رزقها، وهكذا الوحوش في البراري وهكذا عموم بهيمة الأنعام وهكذا الجن والإنس كلهم أمر رزقهم متوقف على الله.

ورزق الله عام حتى في هذا النفس، نفسك هذا رزق من الله عَزَّوَجَلَّ، أتدري ما الدليل على أنه رزق؟ الدليل على أنه رزق لو أنك افتقدته أو صعب عليك وطلب منك أن تدفع فيه ما تملك لدفعته لكنه رزق سهله الله ويسره واعتاد الناس عليه وهو من أعظم وأكبر أنواع الرزق، فلو لا أن الله تعالى أوصل إليك هذا النفس ما استطعت أن تتنفس، ولولا أن الله أعانك لتخرج هذا النفس بعد أن أدخلته إلى جوفك واحتبس لاختنقت فمن رزق الله لك عَزَّوَجَلَّ كل شيء يوصله إليك في أمر دينك ودنياك.

ولهٰذا هذا جانب مما يبين معنى اسم الرزاق سبحانه بصيغة المبالغة على وزن الفعال فهو يرزق سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ما نقول في كل لحظة، لا والله في أقل من اللحظة حتى أقل اللحظة، ولو حبس سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ رزقه عن الخلائق لهلكت فهو تعالى يوصل رزقه حتى لأعدائه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من عموم هذه المعبودات من ملائكة من جن من إنس من شجر من حجر كلها لا تملك لكم رزقًا فعلى أي أساس تعبدونها إذًا لا تملك لكم رزقًا، فما دامت لا تملك لكم الرزق فابتغوا الرزق عند من يملكه تعالى قال: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ﴾ لاحظ أنه عطف العبادة هنا على ابتغاء الرزق؛ لأن ابتغاء

الرزق عند الله عبادة، ابتغاء الرزق عند الله هذا نوع عبادة، وبالتالي يكون هذا من عطف أيضًا العام على الخاص؛ لأن العبادة أشمل من ابتغاء الرزق، فكما أنك تعبد الله وحده فإنك تبتغي الرزق عنده تعالى وهذا يملأ القلب سكينة وطمأنينة وأن يربط العبد قلبه بربه وأن يعلم أن الرزق في الحقيقة إنما يسوقه رب العالمين الرزاق وأنه وإن تعلق الرزق بأسباب فإن هذه الأسباب إنما يسخرها الله وحده لا شريك له؛ ولهٰذا لا يتقطع هلعًا وجزعًا إذا فاته شيء؛ لأنه يعلم أن هذا الأمر الذي لم يكتب له أن يتم لم يشأ الله أن يرزقه، ولعل الله صرف عنه هذا لأن الله تعالى علم أن الخير له في عدم إيصال هذا الرزق إليه؛ لأنه لو وصله هذا الرزق الذي تعب فيه وأراده ربما كان فتنة له في دينه فيحسن بالله الظن ويعلم أن إلى الله تعالى المرد ولا تتقطع نفسه ولا يتعلق بالمخلوقين لا بملوكهم ولا بأغنيائهم ولا بغيرهم، يعلم أن الرزق إلى الله وأنه إن شاء الله تعالى أن يسوق الرزق له على يد أحد فإن الله تعالى سيسوقه ولا يعني ذلك أن يترك الأسباب؛ لأن تركه للأسباب تعد على الشرع ومخالفة لكن يلجأ إلى الأسباب المباحة يستعل الأسباب المباحة، واستعماله الأسباب المحرمة هو من دلائل قلة علمه باسم الله الرزاق؛ لأن رزق الله أوسع من أن يكون فيما حرم الله؛ لأن رزق الله أوسع من ذلك، الله عَزَّوَجَلَّ رزاق وحرم أشياء من الأسباب أترى رزقك لن يأتيك إلا إذا عصيت الله؟ رزق الله أوسع سبحانه وتعلى فابتغي عند الله الرزق وقوله: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ هنا قدم الظرف وهذا يدل على التخصيص أي: يبتغى الرزق عنده تعالى وحده ﴿وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧﴾.

ثم أورد الآية العظيمة التي فيها دلائل حقيقة كل معبود سوى الله وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ ﴾ أي: لا أحد أضل، هذه الصيغة، «ومن أضل» أي: لا أحد أضل ﴿مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من هذه أحواله ﴿لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ هذا الحال الأول، الثاني: ﴿وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥ ﴾ الثالث: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ٦﴾ [الأحقاف] هذه ثلاثة أحوال لمن يدعون من دون الله، فيأتي شخص نسأل الله العافية والسلامة ويمضي من عمره نصف قرن وسبعين سنة ومائة سنة يتردد على القدر ويصيح ويهتف بسم صاحب القبر وينذر له ويذبح له ويسجد له ويدعوه خيرات في الدنيا وفي الآخرة وصاحب القبر لا يسمع، لا يستجيب، لا يمكن أن يستجيب بتاتًا ﴿لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ مهما بقي يدعى هذا المعبود من دون الله فإنه لا يستجيب، سواء كان قبرًا أو كان صنمًا أو كان ما كان لن يستجيب؛

لأن الاستجابة لله وحده، هذا الحال الأول.

۞ **قال المؤلف:** «﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾».

فهؤلاء المدعون من دون الله غافلون عن الداعين يتقطعون عندهم بالبكاء والزفرات الصياح والقرب والذبح والنذور وهؤلاء الذين يدعون ويتقرب إليهم غافلون لا يدرون ولا يشعرون بما يفعل هؤلاء، فهل أحد أضل من هؤلاء؟ لا أحد أضل.

۞ **قال المؤلف:** «﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾».

تمام الضلال وتمام الخسران إذا كان في القيامة وقد عقدوا الآمال على هؤلاء الذين يدعونهم من دون الله فتبرأ منهم هؤلاء الذين كانوا يدعون كما قال عَزَّوَجَلَّ عنهم: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ۝٦٣﴾ [القصص] وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ۝١٧ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الفرقان] ويتبرؤون إلى الله عَزَّوَجَلَّ منهم ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ۝١٨﴾ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: من الملائكة والإنس كما قال ابن جرير والجن، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ۝١٧ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ فيتبرؤون إلى الله من هؤلاء المدعوين، هل أحد أضل وأخسر من هذا الشخص؟ لا أحد؛ لأنه أضاع عمره وماله وجهده في هذا السبيل يدعو من لا يمكن أن يستجيب له إلى يوم القيامة، ثم هذا المدعو غافل لا يدري بالذي حصل ولو بقي هؤلاء يدعونه قرونًا متطاولة، ثم إذا حشر الناس وكانوا على أشد ما يكونون من الفقر وظنوا أن هؤلاء الذين كانوا يدعونهم من دون الله سينفعونهم تبرؤوا منهم وصاروا أعداء لهم وكفروا بعبادتهم ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ۝٦٣﴾ ولهٰذا قال: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ يعادونهم ويبرؤون إلى الله منهم، فهل خسارة أشد من هذه الخسارة؟ خسر الدنيا والآخر نسأل الله العافية والسلامة، ولهٰذا أمر الشرك عظيم جدًا، الأمة لمن تنهض بتاتًا حتى يبدأ بالشرك ويقرر التوحيد؛ لأن هذا من الخسران المبين وأن توحد هذه الأحوال الشركية بأنواعها وأشكالها ثم يقال ما بال الأمة في هذه الحال، كيف تنهض الأمة وهذا

وضع الشرك فيها؟ وهذا تساهل من يتساهل في أمر الشركيات فيها، وهو فيه الخسار والدمار في الدنيا والآخرة.

❁ **قال المؤلف:** «قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل:٦٢]».

هذه صفة الله وحده لا سواه هو الذي يجيب المضطر، ولهٰذا إذا تحقق الاضطرار ولجأ الإنسان إلى الله عَزَّوَجَلَّ مضطرًا فإن الله يجيبه حتى إنه قد يجيب الكافر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع كفره لكن لأجل اضطراره؛ ولأن هذا الكافر عبد من عبيد الله ولجأ إلى الله مضطرًا فربوبية الله عَزَّوَجَلَّ عامة تشمل الكافر والمسلم فقد يجيب الله دعاء الكافر لأجل الضرورة لا لأجل أنه له مكانة عند رب العالمين؛ لكن الضرورة لها شأن، ولهٰذا الدعاء على حال من الضرورة وكثرة الإلحاح على الله عَزَّوَجَلَّ بالدعاء والجزم بأن الله سيجيب الدعاء وحسن الظن بالله تبارك وتعالى تتحقق به بإذن الله تعالى الإجابة إلا إذا سلط الله الشيطان على العبد فقال: دعوت ودعوت فلم أرى يستجاب لي فهو يترك الدعاء ويستحسر لكن ما دام مضطرًا ولجأ إلى الله تعالى صادقًا وألح على الله تبارك وتعالى وأحسن بالله الظن أن الله تعالى سيجيب دعوته وأن الله لا يتعاظمه شيء ما يقول هذا الأمر عظيم كبير هذا الحال حال عسر فيه شيء من التعقيد، تعقيد على العباد وصعوبة على العباد؛ لكن على جبار السَّمٰوات والأرض ما هنالك شيء عسر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فليجأ باضطرار فإن الله تعالى يجيبه وليلح في الدعاء، ولا يفتر عن الدعاء وليكن دعاؤه على حال من الدأب والاستمرار ساجدًا في الثلث الأخير من الليل في ساعة الجمعة في أحوال الصلاة عمومًا دعاء مطلق يلح ويلح فإن الله يحب من عباده الإلحاح، إذا وجد هذا مع الاضطرار فإن الله تعالى سيفرج؛ لأنه تعالى يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ ما فيه إلا هو سبحانه وهذا مضطر ولجأ إلى ربه فإن الله تعالى يجيب دعاءه ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ لا يكشف السوء سواه سبحانه ولا يرفع الضر إذا نزل أو يدفعه قبل أن ينزل سواه تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أيمكن أن يوجد إلٰه مع الله أي: يفعل ذلك؟ لا شك أن هذا من المحال.

ثم ذكر حديث الطبراني أنه كان في زمن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم في بعض الروايات أنه أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قوموا بنا نستغيث برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذا المنافق، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله**» الحديث في سنده مقال لكن قال أهل العلم إن

الحديث مثلًا لو صح يكون مراد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كره أن يستعمل هذا اللفظ في حقه وإن كان مما يقدر عليه في حياته، لاحظوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الوقت كان حيًا وكان حاضرًا وقادر على أن يكف هذا المنافق، قيل إن المنافق هو عبد الله بن أبي وهو رأس المنافقين، مع ذلك كره هذه اللفظة، فإذا كان هذا فيما يقدر عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته فيكف يجوز أن يستغاث بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته؟ إذا كان وجه أو كره هذه الكلمة وقال: «**إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله**» مع أن الشيء الذي استغاثوا بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه أمر يقدر عليه وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ ذاك حاضرًا وحيا فكيف بمن يستغيث بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمر بعد وفاته.

أعظم الشروط الثلاثة هذه التي قلنا أنها يصح معها الاستغاثة والاستعاذة أعظمها على الإطلاق أن يكون المستغاث أو المستعاذ حيًا، لأنه إذا صار حيًا يمكن أن تتحقق بقية الشروط وهو أنه حاضر وقادر، أما إذا لم يكن حيا فهو قطعًا غير حاضر وهو قطعًا غير قادر فالكلام على كونه حيًا إذا كان حيًا يمكن أن يكون قادرًا حاضرًا، أما إذا لم يكن حيًا فكيف يكون حاضرًا، وقد تقدمت الآية: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾ فالحاصل أن أمر الاستغاثة على التفصيل الذي ذكرنا وفيه دلالة على أهمية استعمال الألفاظ الشرعية ووضعها في مواضعها وإن كنا نقول بأن الاستغاثة لو قال أحد إني أستغيث بك من ابنك وضرره صح ما فيه إشكال، وهكذا لو قال استغيث بك من ابنك أن تكف شره عني صح لا إشكال؛ لأن الأب قادر وحي وقادر هو يكلمه مباشرًا يقول ابنك هذا آذانا أعذنا من شره نحن نستغيث بك من ابنك هذا ما فيه إشكال؛ لأن استعاذتك بأبيه هذا أبوه حي حاضر قادر فالشروط الثلاثة متحققة فلا إشكال في مثل هذه الحال؛ لكن لو صح الحديث هذا يكون المقصود به التوجيه إلى استعمال الألفاظ الشرعية واللجوء إلى الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

❊ ❊ ❊

---

(١) نهاية المجلس الخامس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

❁ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «باب قول الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ الآية [الأعراف].

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [فاطر].

وفي الصحيح عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: شج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد وكسرت رباعيته فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم فنزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وفيه عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «**اللّهمَّ العن فلانًا وفلانا**» بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية وهيب بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾.

وفيه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أنزل عليه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء] فقال: «**يا معشر قريش**» أو كلمة نحوها «**اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لا أغني عنك من الله شيئًا ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئًا**».

❁ **قال المؤلف:** «باب قول الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾ [الأعراف]».

جعل الترجمة على الآية مباشرة، في الأبواب السابقة يترجم كما ترى باب من الشرك أن يستعيذ بغير الله، باب من الشرك أن يستغيث هنا ترجم بالآية مباشرة و هذه الطريقة في الترجمة بالنص طريقة أهل العلم فطريقة البخاري وغيره أن يترجموا لباب أي: يكون الباب على الآية نفسها أو على لفظ حديث.

باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ١٩٢﴾ لاحظ هذه الصفات هي صفات كل مخلوق، أيشركون ما لا يخلق شيئًا، كل مخلوق من الملائكة والجن والشجر والحجر والإنس لا تخلق شيئًا وهي تخلق ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ أي: هؤلاء المدعوون لا يستطيعون أن ينصروا الداعين ﴿وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ١٩٢﴾ حتى إنهم لا يستطيعون نصر أنفسهم، فإذا كانت هذه صفات هؤلاء المدعوين فعلى أي أساس يدعونهم؟ وهم يُخلقون ولا يَخلقون ولا يستطيعون نصر من يدعوهم بل ولا يستطيعون نصر أنفسهم، إذًا عبادتهم باطلة؛ لأنهم وجهوا العبادة لمن ليس الضر والنفع بيده والداعي يدعو من يكون عنده الضر والنفع لينفعه ويدفع عنه الضر، أما أن يأتي ليدعو من لا يملك له ضرًا ولا نفعا فإن هذا من أعظم كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٥] أي: لا أحد أضل من هٰذا، هذه صفة كل مخلوق فكيف يدعى ما دام على هذا الوضع ويترك الخالق الذي يَخلق ولا يُخلق، الذي يستطيع نصر من دعاه والذي إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الأمر كله.

ثم ذكر قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: من دون الله عَزَّوَجَلَّ ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ١٣﴾ [فاطر] **القطمير**: هي اللفافة التي على النواة، **النواة**: هي التي تكون داخل التمرة فيه شيئان فيها لفافة خفيفة جدًا تجد أنك لو أخذتها ولفقتها بفمك فإنها تطير تمضي هذه هي القطمير، أي: ما يملك هؤلاء المدعوون من دون الله حتى هذه اللفافة. وفيها أيضًا نقرة في نفس ما يسميه الناس الفصم أو نحوه هذه النواة التي داخل التمرة؛ لأن التمرات تأكل لكن هذه في الغالب أن لا تأكلها إلا الدواب، عليها هذا القطمير وهو اللفافة اليسيرة وفيها النقير وهي النقرة الصغيرة التي تكون في نفس النواة، هؤلاء لا يملكون نقيرًا ولا يملكون قطمير، هنا في الآية قال: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ١٣﴾ وهي اللفافة التي على النواة.

ثم قال عَزَّوَجَلَّ مبينًا حال هؤلاء المدعوين: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ﴾ لأن المدعو الذي يسمع هو الله وحده فهو الذي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يسمع دعاء الداعين مهما تنوعت لغاتهم ومهما تفاوتت أماكنهم كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ٢٩﴾ [الرَّحمٰن] فهو الذي يستحق أن يدعى سبحانه، السميع الذي يسمع، هؤلاء المدعوون نم دون الله لا يسمعون الدعاء أصلًا، ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا

يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ﴾ على فرض المحال لو أنهم سمعوا ﴿مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ﴾ لو فرضنا أنهم سمعوا لما استجابوا؛ لأن الاستجابة عند الله وحده لا شريك له هو الذي يصرف، ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ هذه هي العاقبة في القيامة يكفر هؤلاء المدعوون بالداعين ويتبرؤون إلى الله تعالى منهم، ثم قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ أي: لا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه مثل خبير بها وهو من؟ هو الله، هو رب العالمين الخبير بالأمور الذي إليه تصير الأمور ﴿إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣﴾ [الشورى].

ثم ذكر حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الصحيح عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ والحدث هذا في الصحيحين علقه البخاري ووصله مسلم قال: «شج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد» **والشج**: يكون في الرأس خاصة بأن يجرح الرأس ويضرب بشيء فيشق الرأس، ثم استعمل في غيره من الأعضاء، شج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكسرت رباعيته بالتخفيف الرباعية هي كل سن بعد الثنية، وللإنسان أربع رباعيات، الثنايا معروفة وهي المدببة هذه الثنايا، هناك بجانب كل ثنية هناك رباعية، رباعية على وزن ثمانية بالتخفيف ما هي رباعيّة رباعيَة، فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تعدى عليه المشركون لكن الله حماه وحفظه وأردوا قتله فشجوه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكسروا رباعيته فذهب من رباعيته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلقة ولم تقلع من أصلها لكن ذهب من رباعيته جزء عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقال: «**كيف يفلح قوم شجوا نبيهم**» أي: كيف يفلح هؤلاء الكفار وقد فعلوا هذا بنبيهم يدعوهم إلى ربهم تعالى، فلما قال ذلك أنزل علام الغيوب جبار السّمٰوات والأرض الذي يعلم مآل العباد أنزلهذه الآية: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] آية صريحة فيها أن الأمر لله عَزَّوَجَلَّ كما قال تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ [الروم: ٤] وقال ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ أي: ليس لك من الأمر شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم، أي: أنت مأمور بأمور معينة وأمر العباد لله عَزَّوَجَلَّ ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ فكيف يطلب من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يفرج الكروب وييسر الأمور ويفعل والله يقول: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ ويقول تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ ويقول: ﴿إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣﴾ فالأمر لله سبحانه.

وفي الصحيح أيضًا وهو صحيح البخاري عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:

إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر وهذا هو القنوت قنت صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد صلاة الفجر؛ ولكن القنوت هذا يكون في أحوال ولا يستمر، الصحيح أنه لا يكون دائمًا بحيث يقنت في كل فريضة هذا قول ضعيف، الصواب أن القنوت يكون في أحوال في النوازل إذا قنت الإمام، وما وقع في أحد كان نازلة عظيمة فدعا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر فقال: «**اللّهمّ العن فلانًا وفلانا**» بعد قوله: ربنا ولك الحمد، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ ما السبب؟ السبب أن هؤلاء الذين دعا عليهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد أحد قد علم الله تعالى أنهم سيسلمون، وأنهم سيحسن إسلامهم فنهى الله نبيه عن أن يدعوا عليهم؛ لأن الله يعلم الغيب ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم الغيب، وما فعله صفون وسهيل والحارث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وغفر الله لهم بالمسلمين شيء شديد جدًا في أحد فكان من آثار ذلك أن دعا عليهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكن الأمر لله الذي يعلم أن هؤلاء سيسلمون وسيحسن إسلامهم فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ لاحظ أنه بدأ بالتوبة؛ لأن الله يعلم أنهم سيتوبون، هذه الآية احفظها لأنها في بابين عظيمين جدًا من أبواب العقيدة، الباب الأول: باب التوحيد وهو أن التصريف الحقيقي والمرد إلى الله علام الغيوب الذي بيده ربوبية العباد وحده لا سواه، ولما دعا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هؤلاء نهاه الله تعالى عنه لأن الأمر إليه تبارك وتعالى. الباب الثاني: باب الصحابة هذه الآية من أقوى الأدلة على فضل الصحابة من أي ناحية؟ نهى الله نبيه أن يدعو على هؤلاء الصحابة وهم مشركون كفار قبل أن يسلموا؛ لعلمه أنهم سيشرفون بالإسلام وبالصحبة هذه آية مهمة جدًا يتفطن لها طالب العلم هؤلاء كانوا وقت الدعاء عليهم كفار فنهى الله نبيه أن يدعو عليهم وهم كفار؛ لأن الله يعلم أنهم سيشرفون بصحبة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيسلمون فما بالك بمن أسلم قديمًا من المهاجرين والأنصار من باب أولى فهذه الآية مما أرغم الله تعالى به أنوف الرافضة، وهي من الأدلة العظيمة التي ينبغي أن تلاحظ ولعل الله أن ييسر فيها بإذن الله تعالى قريبًا محاضرة تبين الآيات ومدلول الآيات العظيمة في أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الحديث الذي بعده حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيه أي: في صحيح البخاري قام حين أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء] عشيرة الرجل هم بنو أبيه الأدنون أو قبيلته، فقال: «**يا معشر قريش**» والمعشر هم الجماعة، بدأ بقريش وهي قبيلته العامة التي يشترك فيها جميع البطون بنو هاشم وبنو أمية وبنو زهرة الجميع كلهم يرجعون إلى قريش بدأ بالقبيلة يا معشر قريش

ليعمهم؛ لأن الله قال: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ﴾ وعشيرته هم بنو أبيه أو قبيلته «**اشتروا أنفسكم**» أي: بتوحيد الله وإخلاص العبادة له وترك الشرك الذي أنتم فيه، فهذا هو الذي ينجي من عذابه تعالى «**لا أغني عنكم من الله شيئًا**» أي: كوني نبيًا وأنا من قرابتكم ذلك لن ينفعكم شيئًا إذا كنتم على ما أنتم عليه من الشرك، لما ذكر عموم القبيلة خص من هم أقرب إليه فخص عمه العباس فقال: «**يا عباس بن عبد المطلب**» سماه باسمه «**لا أغني عنك من الله شيئًا**» **أي**: وإن كنت أخ أبي وعمي فإني لن أغني عنك شيئًا وإن كنت أقول لك يا عم؛ لأن الأمر عند الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي بيده الأمر «**يا صفية**» وهي بنت عبد المطلب «**يا صفية عمة رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **لا أغني عنك من الله شيئًا**» ثم ذكر فاطمة التي هي بضعة منه فقال: «**ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت**» أي: هذا الذي أستطيعه أنا أستطيع أن أعطيك من مالي الأشياء التي بيدي في الدنيا؛ لكن فيما يتعلق بالله «**لا أغني عنك من الله شيئًا**» فصلوات الله وسلامه عليه، هل يراد تبليغ أوضح من هذا التبليغ؟ هل يراد إقامة حجة أعظم وأجل من إقامة هذه الحجة؟ إذا كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يقول لأقرب الناس إليه: «**لا أغني عنك من الله شيئًا**» ويقول لقبيلته: لا أغني عنكم من الله شيئًا فكيف يدعى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ويستغاث به ويقال إنه يجيب المضطر ويكشف الضر هو يقول لأقاربه الأدنين ولفاطمة التي قال عنها: «**إن فاطمة بضعة مني**» قطعة مني يقول: «**لا أغني عنك من الله شيئًا**» فيأتي إنسان ليس له أي صلة برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ويقول إنه سيدفع عني الضر وسيفعل ويفعل وهو يقول لأقاربه هٰذا، وقوله: «**اشتروا أنفسكم**» أي: بالتوحيد وبطاعة الله فإن ذلك هو الذي ينجي أما أن تقول أنا من آل البيت أو جدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فهو يقول لبنته مباشرة: «**لا أغني عنك من الله شيئًا**» يقول عمه الذي لو أن لو أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يورث لو أنه يورث وهو لا يورث لأن الأنبياء جميعًا لا يورثون كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**إننا معاشر الأنبياء لا نورث**» لو أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يورث لكان العاصب هو العباس، لأنه عمه فكيف يطلب منه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ويدعى ويهتف باسمه في الشرك الذي يقع باسمه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لا ذنب له فيه، كما أن عيسى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ تدعوه النصارى وتشرك به لا ذنب لعيسى، وعيسى يبرأ إلى الله تعالى منهم في القيامة ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أحق بالتبرأ منهم في شركهم وقد بين وبلغ البلاغ المبين عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. ولهٰذا هذه النصوص و هذه الأبواب مفيدة جدًا لطالب العلم ولهٰذا من أفضل وأنفع الكتبهذا الكتاب كتاب التوحيد للشيخ محمد وصنفه هذا التصنيف النافع العظيم جمع فيه هذه النصوص بحيث إذا رآها المنصف وقرأ ما فيها علم أن التوحيد الحقيقي واضح

وجلي وأن الشرك الذي فيه الهلاك ما عليه هؤلاء المجرمون المخرفون الذين أبوا إلا العناد واتباع ما وجدوا عليه آبائهم كفعل أهل الجاهلية ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢﴾ [الزخرف].

ثم كون الأنبياء لا يغنون شيئًا هذا ذكره الله تعالى حتى عن أنبياء آخرين كقوله تعالى في شأن امرأة نوح وامرأة لوط: ﴿كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾ [التحريم: ١٠] أي: أن الصلة بالنبي والقرابة أنها لا تغني من العبد شيئًا إذا هو لم يسلك المسلك الذي جاء هذا النبي الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ببيانه، بل قرابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يتوجب عليهم أعظم من غيرهم من لزوم سنته ونشرها كما قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأبي جعفر المنصور وأبو جعفر من أحفاد العباس، العباس عم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، قال: واعلم أن قرابتك من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لا تزيد الأمر عليك إلا شدة أو نحوه. أي: كونك قريبًا لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ هذا يستوجب منك أن تكون أكثر اتباعًا له لا أن تقول أنا قريب لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وتفتخر بهٰذا وتترك سنته وتعاديها كل هذا بيان على أجلى ما يكون إن الأمر لله كما قال تعالى: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ فمن يريد تصريف الأمر للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ معارض لهذه الآية، وكون النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يصيبه ما أصابه من الجراحات ويصيبه ما أصابه من تسليط المشركين مما يدل على أنه بشر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لم يدفع عن نفسه وأنه يصيبه ما يصيب البشر فكيف يطلب منه أن يرفع الضر ويجيب المضطر؟ حاشاه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عن فعل المشركين.

❁ **قال المؤلف:** «﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سبأ].

وفي الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذ من ذلك حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ما ذا قال ربكم قال الحق وهو العلي الكبير فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُوا السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُوا السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ**» وصفها سُفْيَانُ بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه «**فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حتى يُلْقِيهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا فيصد بتلك الْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ**».

وعن النواس بن سمعان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَاوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةً، أَوْ قَالَ رَعْدَةً شَدِيدَةً، خَوْفًا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صَعِقُوا وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرَائِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرَائِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرَائِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرَائِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ فَيَقُولُونَ: كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرَائِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرَائِيلُ بِالْوَحْيِ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**».

هٰذا الباب على هذه الآية في فائدة في علم التفسير وهو من الآيات ما لا يتضح إلا بالسنة فمثلًا قصة الخضر، إذا تأملت قصة الخضر وقرأتها في سورة الكهف وجدت فيها جملة من المواضع لا تتضح إلا بذكر الحديث الذي في الصحيحين في خبر الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام، مثل قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ٦١﴾ [الكهف] ما هو الذي اتخذ سبيله؟ هو الحوت كما في الحديث وهكذا بقية القصة.

هنا يقول تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ من هم؟ المقصود الملائكة، ما الدليل على أن المقصود الملائكة؟ في الآية ما يدل، ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ هذا يدل أنه الملائكة؛ لكن هذا الضمير الآن يتضح في قوله قلوبهم يتضح بالأحاديث الآتية ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ﴾ قوله فزع هنا أي: به زال الفزع حتى إذا فزع عن قلوبهم أي زال الفزع عن قلوبهم، طيب ما الذي أفزعهم؟ لأن الله ذكر أنه يزول الفزع لكن ما الذي أفزعهم؟ يبينه لك أيضًا الحديث، أي: الآن الملائكة ذكر الله أنه يزول عنهم الفزع ما الذي أفزعهم؟ غير مذكور في الآية فيبينه الحديث وهذا من تفسير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقرآن وهو أعظم التفاسير، أجل من يفسر القرآن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [النحل: ٤٤]

❁ **قال المؤلف:** «﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾».

أي: زال الفزع عن قلوبهم. ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ الله لا يقول عَزَّ وَجَلَّ إلا الحق ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سبأ].

ثم ذكر حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في صحيح البخاري: **«إذا قضى الله الأمر في السماء»** أي: إذا تكلم الله تعالى بالأمر الذي يوحيه إلى جبريل عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ **«ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله» أي:** أنهم خضوعًا لله عَزَّوَجَلَّ يضربون بالأجنحة إظهارًا للخضوع له سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ **«كأنه»** أي صوته تبارك وتعالى إذا سمعوه **«سلسلة على صفوان»** أي: كأن الصوت المسموع من عظمته وشدة قوته كأنه السلسة إذا جرت على الصفوان، **والصفوان**: هو الحجر الأملس، إذا جرت السلسلة على حجر ألمس يكون لها صوت، **«ينفذ من ذلك»** أي: ينفذهم القول الذي قاله الله تعالى يخلص ويمضي فيهم حتى يفزعوا منه، الآن تبين ما الذي يفزعهم وهو أنهم سمعوا كلام رب العالمين **«حتى إذا فزع عن قلوبهم»** أي: زال الفزع عن قلوبهم **«قالوا ما ذا قال ربكم قال الحق وهو العلي الكبير فَيَسْمَعُهَا»** أي: الكلمة التي قالوها بينهم؛ لأن جبريل يوحي الله تعالى إليه بالكلمة من الحق فيسألون جبريل ماذا قال؟ مسترقوا السمع هو الشيطان لأنه يسترق السمع يسعى إلى أن يسمع كلام الملائكة عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حتى يخطف هذه الكلمة من الحق وينزلها إلى الساحر أو الكاهن، فيخلط الكاهن والساحر معها مائة كذبة ليضل الناس، قال سفيان: وَمُسْتَرِقُوا السَّمْعِ هَكَذَا، وصفه سفيان بكفه فحرفها هكذا وبدد بين أصابعه حرفه أي: أمال يده، وبدد بين أصابعهم أي: أنهم لعنة الله عليهم هؤلاء الشياطين ليسوا ملتصقين هكذا، وإنما هذا في موضع وبعده آخر في موضع بدد أي: أن هذا في موضع في الفضاء وهذا في موضع وهذا في موضع حتى يسمع الذي في الأعلى الكلمة فيلقيها إِلَى الذي تَحْتَهُ، الذي تحته يُلْقِيهَا إِلَى الذي تَحْتَهُ، وهكذا حتى تصل الكاهن أو الساحر، يقول: فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، يلقى على هؤلاء الشياطين الشهب فإذا وصلت إليه الكلمة فإن شاء الله عَزَّوَجَلَّ أن لا تصل هذه الكلمة إلى بقية هؤلاء الشياطين وإلى الساحر والكاهن ضربه الشهاب قبل أن يلقيها فانقطع ما يستطيع أن يوصل ما الذي سمعه، وَرُبَّمَا وإلى الله عَزَّوَجَلَّ الأمر وهو ذو الحكمة أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، ألقى الكلمة ثم ضربه الشهاب فيلقيها إلى الذي تحته حتى تصل إلى الساحر أو الكاهن فنسأل الله العافية والسلامة.

انظر إلى جهد ودأب الشياطين في إضلال الناس يعرضون أنفسهم للهلاك ورمي الشهب وهم يعلمون عظمة جبار السَّمٰوات والأرض وأن هذه الشهب تحرقهم لكن من حرصهم على إضلال الناس فإنهم يسعون هذا السعي الشديد حتى لو أصابهم ما أصابهم نسأل الله العافية والسلامة ونعوذ بالله من خيبة السعي حتى يوصلوا الكلمة إلى الساحر والكاهن، فإذا أوصلوها إلى الساحر والكاهن وقد عرضوا

أنفسهم لكل ذلك فإنهم يريدون من الساحر والكاهن شيئًا كثيرًا، أول ما يريدون من الساحر والكاهن أول ما يريدون دينه فلا يتم سحر ولا كهانة حتى يكفر الساحر أو الكاهن فأول ما يقدم لهم لعنة الله عليهم أجمعين أن يكفر فإذا كفر تعبوا هذا التعب الشديد ليخطفوا كلمة من الحق لأن الملائكة كما في الحديث الصحيح في البخاري: «**إن الملائكة تنزل في العنان**» أي: في السحاب «**فتتكلم فيما بينها بأمر الله** عَزَّوَجَلَّ **بالأمر قضاه الله فيخطف الكلمة الواحد من هؤلاء الشياطين ويلقيها إلى الذي تحته**» على ما ذكر في الحديث فإذا وصلت إلى الكاهن أو الساحر كذب مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ نسأل الله العافية والسلامة، لهٰذا لاح الذين يأتون السحرة والكهنة تملأ قلوبهم غيظ على أقاربهم في أحيان كثيرة؛ لأن الساحر يقول أخوك سحرك وابن عمك ينوي قتلك مثلًا وذاك يريد كذا، وتجد أنه يتسبب بهذه الكلمات في إفساد ما بين الأقارب، ويقول الكلمة التي خطفت من الغيب والله قدر أن تصل إليه فتقع بإذن الله عَزَّوَجَلَّ فيقال: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا أي: أليس أخبرنا أنه سيقع مثلًا يوم الأربعاء كذا وكذا وهاهو وقع فيصدقونه بتلك الكلمة التي سمعت من السماء وقدر الله امتحانًا وابتلاء أن تسمع ولا يترددون في سماع بقية كذباته، فيقول: مثل ما قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العجب من هؤلاء يصدقونه في واحدة ويخلط معها مائة كذبة يجريها عليهم نسأل الله العافية.

وعن النواس بن سمعان بكسر السين وبفتحها كما ضبطها شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ **قال المؤلف:** «قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بِالْوَحْيِ»».

وهذا فيه إثبات الكلام وأن الله تعالى يتكلم بما شاء كيف شاء؛ لأنه إذا أراد أن يتكلم وهذا معنى قول أهل السنة أن الله يتكلم بما شاء إذا شاء كما يشاء سبحانه، إذا أراد الله أن يتكلم من يمنعه؟ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيتكلم متى شاء بما شاء سبحانه.

۞ **قال المؤلف:** «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بِالْوَحْيِ».

فإذا تكلم جبار السَّمٰوات العظيم بالوحي.

۞ **قال المؤلف:** «أَخَذَتِ السَّمٰوات».

هنا السَّمٰوات مفعول به منصوب بالكسرة نيابة عن الفتحة لأنه ملحق بجمع المؤنث، والفاعل

رجفة أي أن الرجفة تأخذ السَّمٰوات قَالَ رَعْدَةً شَدِيدَةً لماذا؟ خوفًا مِنَ اللهِ وهذا يدل على أن السَّمٰوات و هذه المخلوقات تدرك عظمة الله سبحانه كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] وقال: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ وقال تعالى في شأن عبادة الطير: ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ [النور: ٤١] قيل إن قوله: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ﴾ أي من هذه المخلوقات قد علمت كيف تصلي، وقيل غن قوله كل قد علم أي قد علم الله صلاته وتسبيحه، وعلى القولين فهذه المخلوقات تصلي وتسبح بحسبها، فالسَّمٰوات تأخذها رعدة عظيمة أو رجفة شديدة من رب العالمين خوفًا منه إذا هو تكلم بالوحي.

أهل السَّمٰوات وهم الملائكة قد خلقوا خلقًا شديدًا عظيمًا إذا سمعوا كلام الله عَزَّوَجَلَّ جميعهم يصعقون بمن فيهم جبريل ويخرون لله عَزَّوَجَلَّ سجدًا كل هذا من دلائل عظمة الله سبحانه وبحمده وأنه تعالى هو المستحق لأن يعبد وأن ربط القلوب بغيره تعالى من ملائكة أو غيرها غلط عظيم فإن هذه الملائكة على عظم خلقتها إذا سمعت كلام رب العالمين خرت كلها ساجدة لله تعالى وصعقت قبل ذلك فيصيبهم الصعق من كلام جبار السَّمٰوات والأرض وهذا دال على عظمة رب العالمين سبحانه بأنه هو المستحق أن يفرد وأن يعبد.

ما الفائدة من الحديث؟ كيف تعبدون الملائكة؟ ألا تعبدون جبار السَّمٰوات والأرض الذي إذا سمعوا صوته تعالى وَخرُّوا سُجَّدًا وصعقوا؟ هذه فائدة الحديث.

وفائدة الآية ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي الملائكة زال الفزع عن قلوبهم ﴿قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ أعظم الملائكة قدرًا هو جبريل فهو أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ وهو أمين الوحي بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرَائِيلُ: قَالَ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ فَيَقُولُونَ: كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرَائِيلُ بِالْوَحْيِ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ. فهذه النصوص و هذه الدلائل كلها دالة على عظمة رب العالمين واستحقاقه وحده لا سواه للعبادة وأنه هو الذي يجب أن يفرد بها لا سواه.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

---

(١) نهاية المجلس السادس.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعۡدُ:

۞ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب الشفاعة**، وقول الله عَزَّوَجَلَّ وقول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾ [الأنعام: ٥١]، وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا﴾ [الزمر: ٤٤]، وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ (٢٦)﴾ [النجم]، وقوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ (٢٢) وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣].

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولًا، ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تُعط، واشفع تُشفع.

وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «**من قال لا إلٰه إلا الله خالصًا من قلبه**» فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود. فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهٰذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيَّن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه».

فهذا الباب في الشفاعة، والشفاعة في كتاب الله على نوعين اثنين كما هو جلي في الآيات القرآنية.

○**النوع الأول:** شفاعة منفية، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾ [الأنعام: ٩٤] حين يأتون في القيامة.

فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، فنفى الله تعالى أن يكون ثمة شفاعة ثم إنا نجد في القرآن النوع الثاني وهو الشفاعة المثبتة ويأتي الكلام عليها – إن شاء الله– في نصوص هذا الباب.

إذا وجدت في كتاب الله وفي سنة نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نصوصا تنفي أمرًا، ونصوصا أخرى تثبته فاعلم أن الأمر المثبت غير الأمر المنفي قطعًا، نصوص تثبت ونصوص تنفي الحال الذي ينفى عليه هذا الأمر غير الحال الذي يثبت عليه في نصوص أخرى، فما الشفاعة المنفية، الشفاعة المنفية هو التي يتوهمها المشركون من معبوداتهم، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، فهذه الشفاعة قطعًا منفية وهي باطلة؛ لأنها من شرك المشركين ومن طلبهم ما لا يجوز أن يطلب من هذه المعبودات الباطلة فهذا هو النوع المنفي.

أما النوع المثبت فهو الذي ستأتي تفاصيله بإذن الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الآيات التي أوردها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهي الشفاعة التي تكون لأهل الإخلاص بعد أن يتوفر فيها شرطان، وهي الشفاعة المثبتة وبه يعلم أن الشفاعة في القرآن نوعان: شفاعة منفية وهي الشفاعة التي توهمها المشركون في معبوداتهم.

○**النوع الثاني:** شفاعة مثبتة وهي لأهل الإخلاص التي تكون في القيامة بالشرطين الذين بين الله تعالى في كتابه.

بدأ بقوله عَزَّوَجَلَّ: وأنذر به أي القرآن كما قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١] أي أنهم يأتون في القيامة متخلين من كل ولي أو شفيع، ثم قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤] هذه الآية قاعدة كبيرة جدًا في الشفاعة، أول ما يجب أن يقرر في الشفاعة، أن الشفاعة ملك لله وحده لا سواه، قوله هنا ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ أي هو مالكها، ولهذا لا تطلب إلا من يملكها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو الله وحده لا سواه، فليس لأحد أن يطلبها من غيره تعالى.

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ مثل قوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤]، فكما أن الأمر لله عَزَّوَجَلَّ والمرد إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حتى قال تعالى لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، وإنما الأمر لله عَزَّوَجَلَّ هذا المعنى، ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾، اللام هنا تعني تمليك الشفاعة وأن مالكها هو الله وحده وإذا كان مالكها هو الله وحده فلا يحل أن تطلب إلا مما يملكها هذا قاعدة الشفاعة الكبرى، وهي أن الشفاعة هي ملك لله تعالى.

إذًا فما الآيات التي أثبتت الشفاعة والنصوص النبوية الثابتة الصحيحة هي التي تكون بشرطين بعد أن يأذن الله تعالى فيها، الله تعالى يأذن فيها في القيامة لا يأذن فيها ابتداء وإنما يمكث الناس مدة عظيمة متطاولة حتى يشتد الموقف على الناس فيأتون آدم فيطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربهم فيعتذر ويصرفهم إلى نوح، ثم يأتون نوحا فيعتذر ويصرفهم إلى إبراهيم ثم يعتذر ويصرفهم إلى موسى، فيأتون موسى فيعتذر ويصرفهم إلى عيسى، ثم يعتذر أيضًا عيسى ويصرفهم إلى محمد صلى الله عليه وعليهم وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وسلم تسليمًا كثيرًا.

فإذا أتوا محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول عيسى: إتوا محمدًا عبدًا قد غفر الله له ما تقدم وما تأخر، فيأتونه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ويطلبون إليه أن يشفع هل يشفع؟ ما يشفع صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابتداء؛ لأنه أعلم الناس بربه؛ لأن الشفاعة لله وليست له، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، فيقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا لها**» لأن الله قضى أن تكون الشفاعة العظمى له وهو المقام المحمود الذي أخبر تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء] يحمده عليه الخلائق كلهم لأنه يشفع إلى الله في أن يفصل القضاء فيأتي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويفصل القضاء بين العباد، فإذا أتى الناس محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أنا لها، أتى وخر تحت العرش ساجدا لله عَزَّوَجَلَّ، جاء في بعض الروايات أنه يمكث ساجدًا جمعة أي: أسبوعًا متواليًا ساجدًا لله تعالى لا يشفع، يفتح الله عَزَّوَجَلَّ عليه محامد لم يكن يعلمها من قبل فيحمد الله عَزَّوَجَلَّ بمحامد ثم يقال له ارفع رأسك وسل تعطى واشفع تشفع، الآن جاء الإذن لأن الله يقول كما سيأتي في الآية: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، لا بُدَّ أن يأذن الله، فأول ما يرفع رأسه صلوات الله وسلامه عليه يقول «**أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي يا رب**» صلوات الله وسلامه عليه.

فعند ذلك يؤذن في الشفاعة أما قبل ذلك فلا يؤذن في الشفاعة ويظل الناس في ذلك اليوم العظيم ينالهم من الكرب ما شاء الله عَزَّوَجَلَّ أن ينالهم ولا يأذن الله تعالى بالشفاعة إلا بعد هذه المدة سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إذًا الشفاعة لله وهو يأذن بها لمن شاء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فمن حيث ملك الشفاعة، الشفاعة لله، الشفاعة لله، ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ [الزمر: ٤٤].

○ما الشرطان اللذان لا بُدَّ منهما لتحقق الشفاعة؟!

الشرطان في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فدل على وجود شفاعة لكنها بعد إذنه تعالى، ولاحظ أن هذه الآية في آية الكرسي ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ قبلها الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، الآية ٢٥٤ فيها نفي الشفاعة، وآية الكرسي بعدا فيها إثبات الشفاعة، فدل على أن المنفي غير مثبت، المنفي قلنا إنه ما توهمه المشركون من شفاعة ألهتهم ومعبوداتهم، هنا في الآية بعدها مباشرة ذكر الله الشفاعة وبين أنها تقع بإذنه تعالى، وأنها لا تقع إلا بعد إذنه فقال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ فلا يمكن أن يشفع أحد عند جبار السَّمٰوات والأرض الذي إليه له الأمر من قبل ومن بعد إلا بإذنه فمن يجرؤ ويشفع بغير إذن الله عَزَّوَجَلَّ لا يشفع أحد إلا بإذنه تعالى.

فالآية بعدها قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم] هذه الآية فيها الشرطان:

○**الشرط الأول:** إذن الله في الشفاعة، وهو المذكور في آية الكرسي قبلها.

○**الشرط الثاني:** أن يرضى الله عن المشفوع له، وبهٰذا تعرف من خلالهذه الآيات أن الشفاعة لله عَزَّوَجَلَّ وليست لغيره كما في قوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ [الزمر: ٤٤]، وأن الشفاعة المثبتة تقع بعد إذنه كما في قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ وأنها لا بُدَّ أن يكون المشفوع له ممن يرضى الله عَزَّوَجَلَّ عنه فإن كان ممن لا يرضى الله تعالى عنه فإن الشفاعة لا تدركه ولا تنفعه، كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر]، الكفار لا يمكن أن تنفعهم الشفاعة، وإنما تنفع الشفاعة بعد إذن الله لأهل

التوحيد كما سيأتي في آخر الباب في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إذًا قوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم] فيها عدة فوائد:

○ **الفائدة الأولى**: أن فيها شرطي قبول الشفاعة، الإذن ورضا الله عن المشفوع له.

○ **الفائدة الثانية**: دلت الآية على أن الملائكة تشفع وكذلك هو، فثبت أن الملائكة تشفع والأنبياء يشفعون والصالحون يشفعون والأفراط يشفعون لآبائهم.

وجاء حديث عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ينبغي أن يلاحظه المسلم وهو قوله: «**إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**» فاحذر اللعن.

فكثرة اللعن وإيقاعها على من لا يستحق لاشك أنه خلق سيء وإثم عظيم ثم إنه لا يشفع اللعان في القيامة نسأل الله العافية والسلامة.

ممن يشفعون أيضًا: الشهداء الذين يستشهدون في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ في طريق سوي واضح فإنه أيضًا يشفعون، الحاصل أن الشفاعة تكون لأصناف وهنا ذكر الله تعالى شفاعة الملائكة بعد أن يأذن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وبعد أن يرضى.

○ **الفائدة الثالثة**: مهمة وهي أنه إذا كانت الملائكة لا تشفع إلا بعد إذن الله عَزَّوَجَلَّ فكيف ترجى الشفاعة من غيرهم ممن هم من أهل الزيغ والضلال والفجور والإلحاد، أو من أوثان وأصنام لا تنفع ولا تغني شيئًا، فكون الشفاعة لا تقع من الملائكة الذين قال الله فيهم: ﴿**لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦**﴾ [التحريم]، مع ذلك لا تنفع شفاعتهم إلا بعد إذن الله كل هذا يؤكد على أن الأمر في الشفاعة لله وأنها لا تقع إلا بعد إذنه.

○ **والشرط الثاني**: أن يرضى الله تعالى عن المشفوع له، ثم أورد قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الإسراء: ٥٦]، الذين زعموا أنهم ينفعونهم من دون الله عَزَّوَجَلَّ كثير، وعبدوهم خرسا وخبصا وتوهما كما قال تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، يزعمون أن هذه المعبودات ستشفع لهم عند الله وهي لا يمكن أن تشفع

لهم فإن كانت المعبودات من الملائكة ومن الصالحين والأنبياء فإنهم يكونون أعداء لهم ويتبرئون منهم، وأما ما كانوا يتوهمون الشفاعة فيه من الأوثان والأحجار فإنهم يجمعون معها في جهنم وبئس المصير كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ [الأنبياء: ٩٨، ٩٩].

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [سبأ: ٢٢]، أقل ما يملك ذرة، بين تعالى أن هؤلاء المعبودين من دون الله تعالى لا يملكون مثقال الذرة ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ لأن الملك الحقيقي هو لله عَزَّوَجَلَّ، فهؤلاء الذين يعبدون من دون الله ليس لهم ملك أي مستقل لهٰذا المعنى، فلما لم يكن لهم ملك مستقل بذرة واحدة قد يجيء في ذهنهم ذهن المشركين أنهم ليس لهم ملك مستقل عن الله؛ لكن لهم شراكة مع الله عَزَّوَجَلَّ فقال عَزَّوَجَلَّ بعدها: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾، فلما نفى الله أن يكون لهم أي شراكة، جاء أمر وهو أنه يمكن أن يكون من هؤلاء من هو معين لله تعالى وظهير، فقال: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾.

فنفى الله تبارك وتعالى كما ذكر ابن القيم نفى هذه الأمور الأربعة؛ لأن من فيه خصلة تنفع إما أن يكون مالكا لما يريد هذا الذي يدعوه فإن لم يكن مالكا كان شريكا للمالك، فإن لم يكن شريكا للمالك كان معينًا له، فإن لم يكن معينًا ولا ظهيرًا فلعله أن يكون ولو شفيعًا عنده فقال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، فنفاها تبارك وتعالى هذه المراتب الأربع نفاها نفيا مرتبا نفى الملك المستقل لهذه المعبودات من دون الله، ونفى أن يكون لهم في ملك الله تعالى شراكة ونفى أن يكون لله تعالى منهم معين وظهير فلم يبق إلا الشفاعة فنفى أن تقع الشفاعة أصلًا إلا بإذنه تبارك وتعالى فقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾.

❁ **قال المؤلف:** «وقال أبو العباس».

ويعني به ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فهي كنية شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني إمام المسلمين في زمنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واشتهر بشيخ الإسلام لعظم المقام الذي قامه في بيان الحق ونصرته والرد على أهل الباطل ولا يشك من عرف هذا الرجل أنه ممن يصدق عليه ما جاء عن النبي

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**أن الله يبعث لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها**» فلايشك أنه من المجددين ولا يعرف أحد بعده جاء أعلم منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أما قبله فنعم، لو لم يأتك إلا الصحابة والتابعون.

الصحابة والتابعين لا يسبقهم أحد في العلم، ومهما عظم المتأخرون وأثني عليهم فلا يجوز أن يكون ذلك على حساب تفضيلهم على الصحابة، فالصحابة هم نقلة أصل العلم، وهم أعلم الناس بالله وبكتابه وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكن بعده لا يعلم، لا يعلم بعده أحد جاء له في الإسلام مقام بالقدر الذي كان عليه نسأل الله أن يرفع درجته في المهديين ويجزل له المثوبة رحمة الله تعالى عليه.

۞ **قال المؤلف:** «قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه».

في قوله تعالى: في الآية السابقة: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [سبأ: ٢٢]، أي: ليس لهم مما في هذه السَّمٰوات والأرض ملك مستقل ولا قسط منه، ونفى أن يكون أو يكون عونا لله وهو الظهير الوارد في الآية ولم يبق إلا الشفاعة، هذه الآية يقول أهل العلم: قطعت عروق الشرك؛ لأن هذه الآية نفت عن غير الله تعالى كل هذه الأمور فلم يبق إلا الشفاعة، فنعم الشفاعة لا تقع إلا بإذنه، فلم يبق شيء يستدعي التعلق بغيره تبارك وتعالى والشفاعة لا تقع أصلا إلا بإذنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وهذه الآية أيضًا من الأدلة على شرط وجوب رضا الله عن المشفوع له، آية سورة النجم: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ﴾ هذا شرط الإذن ﴿وَيَرْضَىٰٓ ٢٦﴾ هذا شرط الرضا، تأتي آيات أخرى فيها الإذن وحده كما في قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] تأتي آيات أخرى ليس فيها إلا ذكر الرضا، فتجمع النصوص بعضها إلى بعض فيعرف الحق من خلالها مجتمعة، فقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾، فلا يمكن أن تقع الشفاعة إلا لمن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة وهي التي قلنا إنها النوع الموجود النوع الأول الشفاعة المنفية، يظنها المشركون، يتوهمون أن هذه الأنداد ستشفع لهم كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٨]، هذا افتراء منهم، ولا يمكن أن تشفع عند الله عَزَّوَجَلَّ وإنما هذا أمر توهموه.

❁ **قال المؤلف:** «هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولًا».

هذا كما تقدم في الحديث السابق الذي ذكرناه أنه لا يبدأ مباشرة، لِـمَ؟ لأن الشفاعة لله، فلا يمكن أن تقع حتى يأذن بها سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

❁ **قال المؤلف:** «ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تُعط، واشفع تُشفع، وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ فقال عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**لقد ظننت ألا يسألني أحد عن هذا الحديث أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إلٰه إلا الله خالصًا من قلبه**».

فبين الحديث من الذي تقع له الشفاعة ومن المقصود بقوله: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ وقوله تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم]، من هو الذي يرضى؟ الله عَزَّوَجَلَّ عنه، من هو الذي قال فيه: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ هو الذي يكون موحدا، من أهل لا إلٰه إلا الله أما إذا كان مشركا فإنه لا تناله الشفاعة، كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ [المدثر: ٤٨].

❁ **قال المؤلف:** «فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله».

هذه الشفاعة الحقيقة المثبتة هي التي تكون لأهل الإخلاص، أما الشفاعة المنفية فهي التي يتوهما المشركون من معبوداتهم، هنا قال: «فتلك الشفاعة» أي المثبتة تقع لأهل الإخلاص ولا تقع إلا بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله لما تقدم من أنها لا تقع إلا لمن قال لا إلٰه إلا الله خالصا من قلبه والمشرك أبعد الناس عن الإخلاص.

❁ **قال المؤلف:** «وحقيقته».

أي: حقيقة هذا الأمر وأمر الشفاعة أن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص لأن الله تعالى هو الذي له الشفاعة، قل لله الشفاعة فهي له تعالى: إذن يتفضل عَزَّوَجَلَّ فيأذن بالشفاعة، وتكون الشفاعة لأهل الإخلاص فيغفر لهم ولا يغفر كما قلنا إلا لمن ارتضى كما قال: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ

ٱرۡتَضَىٰ﴾ بواسطة دعاء من أذن له، عرفنا شرطين الآن، يتفضل على أهل الإخلاص دون أهل الشرك فهؤلاء لا تنالهم الشفاعة، فيغفر الله تعالى لهم بواسطة ماذا؟ بواسطة الدعاء لأن الشفاعة ما هي؟ دعاء، ولهٰذا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إذا رفع رأسه وقيل له: ارفع رأسك وسل تعطى واشفع تشفع، أول ما يبدأ يقول: أمتي يا رب يدعوا أي: يدعوا لأمته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع والذي أذن له أن يشفع الشفاعة العظمى لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ خاصة، وليست لأحد غيره، جميع الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من آدم ومن بعد آدم، وهم ألو العزم، ألو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخامسهم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وعليهم جميعًا، أولئك يعتذرون عن الشفاعة العظمى لأن الله أكرم بها محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ كما في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا (٧٩)﴾ [الإسراء].

۞ **قال المؤلف:** «ليكرمه وينال المقام المحمود».

أي: النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

۞ **قال المؤلف:** «فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها الشرك ولهٰذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع».

كما تقدمت الآيات وقد بين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص.

الشفاعة عكس، الشفع عكس الفرد، الشفع هو مثلًا اثنان أربعة ستة ثمانية هذا هو الشفع، والفرد هو واحد ثلاثة وخمسة، هنا في الشفاعة، سميت الشفاعة بالشفاعة لأن الشخص الذي يحتاج إلى الدعاء في القيامة يشفع وينضم إليه بدعائه هذا النبي الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أو الملائكة أو الصالحون أو الأفراط فيدعون له فيكون شفعا بعد أن كان فردًا، كل أحد يأتي بالقيامة فردًا، ﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا (٩٥)﴾ [مريم].

يسأل كل إنسان عن نفسه، فهذا المشفوع له يأتي دعاء الشافع فينفعه إذا كانت بتحقق الشروط التي تقدمت، الشفاعة أنواع:

○**النوع الأول**: منها الشفاعة الكبرى وتقدم أنها خاصة بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

○**النوع الثاني**: ومنها شفاعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لأهل الجنة في دخولها فيأذن الله لهم أن يدخلوا

الجنة بعد شفاعة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

○**النوع الثالث**: ومنها شفاعته و هذه الثالثة لقوم من العصاة من أمته استوجبوا النار بالذنوب التي وقعوا فيها فيشفع لهم ألا يدخلوها فهؤلاء مستوجبون للنار؛ لكن لما شفع لهم لن يدخلوها أصلًا.

○**النوع الرابع**: وهي الشفاعة التي أتت فيها النصوص متواترة وهي الشفاعة للعصاة من الموحدين الذين دخلوا النار، فهؤلاء كما في الحديث شفاعة الملائكة، وشفاعة الأنبياء، وشفاعة الصالحون، قال: ولم يبق إلا رحمة أرحم الراحمين سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فيشفع هؤلاء، يشفع الأنبياء، يشفع الملائكة، يشفع الصالحون، يشفع الأفراط أيضًا وهكذا الشهداء، فهذه في أناس دخلوا النار فيمكثون فيها ما شاء الله أن يمكثوا ثم يخرجون بعد رحمة الله عَزَّوَجَلَّ حين يأذن بالشفاعة فيهم.

○**النوع الخامس**: من الشفاعة شفاعته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لقوم من أهل الجنة في زيادة درجاتهم ورفعها، واستدل عليه بعض أهل العلم لقوله تعالى في أبي سلمة وارفع درجته في المهديين.

النوع السادس: من أنواع الشفاعة وهي شفاعة أيضًا خاصة بالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وهي شفاعته في بعض أهله الكفار وهو أبو طالب تحديدًا لا ليخرج من النار؛ لأن مكثه في النار أبدي إذ هو من أهل النار الذين يخلدون فيها أبدًا الآباد نسأل الله العافية وهم الكفار؛ لكن ليخفف عنه من عذابها، فينقل نسأل الله العافية إلى ضحضاح من نار يغلي نسأل الله العافية من هذا الموضع الذي هو فيه يغلي منه دماغه ومع ذلك هذا بعد التخفيف وبعد تيسير العذاب عليه لكنه من أهل النار المؤبدين فيها وقد تعلق أهل الشرك والخرافات والخزعبلات بالشفاعة وظنوا أن الشفاعة تقع دون هذه الضوابط الشرعية ودون هذه الشروط ولهذا كثر شركهم بغير الله عَزَّوَجَلَّ بدعوى أنهم يشفعون وهذا مما يدل على أهمية أخذ الاعتقاد من النصوص، الاعتقاد يؤخذ من النصوص، لا يؤخذ من أهواء الناس، انظر الآن هذه الآيات في الشفاعة الله يعلم أنه تقطع عذر أي أحد ما يمكن أن يبقى لأحد شبه بعد هذه الآيات: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص].

آيات تنفي الشفاعة الشركية، آيات تثبت الشفاعة لأهل الإخلاص وأنها لا تقع إلا بعد إذن الله رضائه عن المشفوع فعلى أي أساس ينصرف في البحث عن الشفاعة من غير الله عَزَّوَجَلَّ، من غير الطريق الذي بينه الله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا الشفاعة كما قال تعالى وهذا موضع مهم: الشفاعة تكون في الآخرة، قال الله عَزَّوَجَلَّ

في آية سورة البقرة: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وبين تعالى أن هذا الإذن لا يكون إلا في الآخرة ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾ [طه]، يومئذ في القيامة، فلا تقع إلا في القيامة، ولهذا الذهاب إلى قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وسؤاله الشفاعة جهل عظيم جدًا؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لا يحل أن تطلب منه الشفاعة والأمر كما قال الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كشف الشبهات فإذا قال القائل: إن الله جعل إليه الشفاعة صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في الآخرة، قال: فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قد نهاك أن تطلب منه الشفاعة قبل أن يأتي وقتها؛ لأن الشفاعة لا تقع إلا يوم الدين، لا تقع الآن.

الذين شرفهم الله بإدراك النبي وهم الصحابة، كان يدعوا لهم في وقتهم وقلنا إن الشفاعة هي حقيقتها دعاء الشافع للمشفوع له، فأدركوا هذا الفضل العظيم، فإذا أتوه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ودعا لهم حصلوا هذا الفضل الكبير وإذا قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾ [النساء]، فكانوا يأتون إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ويطلبون منه أن يدعوا لهم وأن يستغفر لهم فيدعوا لهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ويستغفر لهم، المخرفون يقولون هو موجود في قبره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فنأتي إليه يقال: هذا الفهم العقيم هل فهمه أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ حتى تفعلوه، لو كان إتيان قبره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وسؤاله أن يشفع مشروعا لكان الصحابة أعظم الناس تفريطا في هذا الفضل، فإنه ما كانوا يأتونه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في قبره والعجب من هؤلاء المخرفين أنهم يستدلون بحديث استقاء عمر بالعباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا ويقولون إن هذا الدليل على ما نحن فيه فيا لله العجب، هذا الدليل عليكم لا لكم، لأنه لو كان عمر يعتقد أن الطلب من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وهو في قبره سائغ لما ذهب يسأل لا العباس ولا غير العباس، لو أنك في زمن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وهو حي تأتي إلى صحابي كريم تقول ادع لي والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عندك، تأتي إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ﴾؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إذا دعا لأحد قبل دعائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ولهذا قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ جانبًا من الفقه العظيم لما نهى الله تعالى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة على المنافقين؟ قال لأن النبي إذا صلى على أحد غفر له، يغفر الله لكل من صلى عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، أما المنافقون فأن الله قضى ألا تدركهم مغفرته ورحمته فقد نهى الله نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أن يصلي عليهم، ولهذا قال تعالى:

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ﴾ [التوبة: ٨٤]، فكانوا يأتون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته فلما توفي قال عمر للعباس يا عباس قم فادع؛ لأن الوسيلة الآن المتبقية الشرعية هي أن يدعوا الصالح وهذا عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولهٰذا قال عمر نفسه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللّٰهمَّ إنا كنا نتوسل بنبيك أي: في حال حياته وإنا نتوسل إليك اليوم بعم نبيك ما الذي صرفه عن أن يسأل النبي وهو في قبره أنه لا يشرع، واسمع هذا الحديث الصحيح الذي يتعجب الإنسان من غفلة كثير من طلبة العلم عنه مع أنه في البخاري وهو حديث الواقع أنه لا يسمعه أحد من هؤلاء المخرفين ويكونوا قاصدًا الحق إلا ويذعن ويسلم، حديث البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر حياته دخل على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقالت ورأسه فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وما يضيرك يا عائشة لو كان ذلك وأنا حي فدعوت الله واستغفرت لك»**، لو كان ذلك وأنا حي، ما معنى لو كان ذلك أي: لو أنك مت وأنا حي ماذا ستحصلين، سأدعوا لك وأستغفر لك، ماذا أي: الحديث؟ أي: الحديث أني إذا مت فلن تحصلي على هذا ولن أدعوا لكي ولن استغفر لك وأنا ميت وإنما دعائي واستغفاري وأنا حي هذا المعنى، يا عائشة ما يضيرك أو كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لو كان ذلك، لأنها قالت وا رأساه، قال **«ما يضيرك لو كان أي: من آثار هذا الألم أن مت فدعوت الله لك واستغفرته»** لو كان ذلك وأنا حي، فدعوت الله لك، دل على فرق ما بين حال حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحال مماته أما الذين يقولون إنك إذا أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم ما تقول وعرف ما الذي توجه إليه من الأسئلة وأنك تطلب منه أن يدعوا الله لك فهؤلاء لا يفقهون ودل على جهلهم العظيم بالحديث الثابت الصحيح عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه إذا كان في القيامة وجاء أناس ممن أظهروا الإسلام في زمنه فاتجهوا إلى الحوض ليشربوا منه جاءت الملائكة وحالت بينهم وبين الحوض وانصرف بهم إلى ذات الشمال إلى النار، فقوله يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«أصيحابي أصيحابي فتقول الملائكة إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ أن فارقتهم إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»**، فيقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فأقول كما قال العبد الصالح، ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧﴾ [المائدة]»**.

أي: أن حالهم الذين أظهروا لما وفدوا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه في العام التاسع وفدت وفود العرب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأظهروا الإسلام، الذي يسلم زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسماه الشرعي صحابي لأن الصحابي من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به ومات على ذلك، فهم لقوا النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأظهروا الإيمان بهٰذا المقدار يسمون صحابة؛ لكن لا بُدَّ أن يموتوا على ذلك، مات صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والظاهر منهم أنهم صحابة، فهذا استصحب حالهم في الدنيا، فقال أصحابي أصحابي، فلما ارتدوا وقالتهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومات أولئك المرتدون على كفرهم، كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رآهم قد وفدوا إليه مسلمين فقال أصحابي بناء على الوضع الأول، فتقول الملائكة إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فيقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفرقا بين حال الحياة والوفاة ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ أي: لما كنت حيًا، ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾.

هل هناك شيء أعظم وأوضح من هذه الأدلة وأجلى منها لكن هذه الأدلة تحتاج إلى من يحملها بحكمة وروية وأن يبينها لأهل الشرك والضلال لأن طائفة غير قليلة منهم من الجهلة ومن لا يفقهون ولا يعلمون ولبس عليهم دعاة الشرك والضلال.

فينبغي أن تبين وأن تنشر فيهم فإذا أقيمت عليهم الحجة، بعضهم يا أخوة من فتوى في نور على الدرب ترك الشرك، حدثني بها بعض الإخوة عن أحد عماله يقول ورجع إلى بلده ونهى أهله عن أن يذهبوا إلى القبور ويفعلوا عندها هذه الأفاعيل قال: فترك أهله كل الشرك، بعض الناس يعني ما كل من يقع في الشرك فهو معاند يريد مضادة النصوص ومحدثها لكن طائفة غير قليلة منهم قد لبس عليهم الأمر، ومن فضل الله ومنته أن عدد غير قليل ممن كان حتى آبائهم وأجدادهم على الشرك هم الآن ولله الحمد على التوحيد.

لكن من المهم أن يحمل التوحيد بحكمة وكما أن التوحيد كالماء الزلال العذب الطاهر النقي فينبغي أن يوضع في إناء نظيف، أما إذا وضع في إناء غير نظيف شوهه لا لأن الماء العذب سيء ولكن لأن الإناء الذي حمل فيه سيء بأن يكون الداعي إلى الله أخرق غير حكيم يسيء العبارة ويستعمل أساليب منهي عنها شرعًا حتى لو قال إنه متحمس وإنه يريد إنقاذ الأمة، تريد انقاذ الأمة بالطريق الشرعي، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن منكم منفرين**» فلا يحل أن ينفر الناس ويسيم الجاهل منهم الذي لا يدري بالأمر ينبغي أن يحمل الحق إليه، نجزم جزما تامًا أن كثيرًا من المسلمين لو سمع فقط هذه الآيات ومعانيها وشروح أهل العلم لها ولو استعمل طريقة من الطرق المهمة جدًا وهي نقل كلام الصحابة، كلام التابعين وكلام علماء الأمة من أئمة المذاهب ونقل إلى الناس، كثير من الأمة كثير كثير من الأمة لا

يقع في هذه الأمور عنادا لله ورسوله، وإنما تلبيس من أهل الباطل وأهل الضلال فينبغي الرفق بالناس والحرص على إيصال الحق إليهم بالطريق الشرعي السليم الذي يكون فيه امتثال قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ينبغي ترك الغلظة على الجاهل حتى يعلم فإذا تعلم وعرف وتبين له الأمر فإن قبل فبها ونعمة وإن لم يقبل فسبيله سبيل المعاندين.

❁ **قال المؤلف: «باب قول الله تعالى:** ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ [القصص: ٥٦].

وفي (الصحيح) عن ابن المسيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أبيه قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: «**يا عم، قل: لا إلٰه إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله**» فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فأعادا فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إلٰه إلا الله. فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**» فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣] وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾».

هٰذا الباب أيضًا نريد أن نبين فيه ما بينا في الباب السابق: الهداية في القرآن نوعان:

❍**النوع الأول**: هداية خاصة بالله عَزَّوَجَلَّ فلا يمكن أن ينالها أحد كائنا من كان ولو كانت الرسل، لا يستطيعون هذا النوع من الهداية، وهي الواردة في الباب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾.

❍**النوع الثاني**: من الهداية يكون للرسل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ ولأتباعهم على بصيرة، فيصح أن تقول إن الرسول يهدي بالمعنى الثاني ويصح أن تقول بالمعنى الأول، إن الرسول لا يهدي، فما معنى النوع الأول وما معنى النوع الثاني؟

يقول تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، هذا الآن فيه إثبات أنه يهدي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣]، هذا إثبات، وفي هذه الآية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾، مثل ما قلنا قبل قليل: إذا رأيت نصوصا تثبت ونصوصا تنفي فاعلم أن المثبت غير المنفي؛ لأن كلام الله عَزَّوَجَلَّ لا يمكن وكذلك كلام رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لا يمكن أن يتعارض.

❍**الهداية نوعان:**

○**النوع الأول:** هداية الدلالة والإرشاد، فهذه تكون للرسل صلى الله عليهم وسلم ولأتباعهم وهي الواردة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]، أي يرشدون ويدلون، تقول العرب: اهدني طريق مكة، أي: دلني على طريق مكة هذا معنى الهداية فهذه مثبتة للرسل صلى الله عليهم وسلم لأنهم يهدون إلى الله ويرشدون إلى الطريق الذي يوصل إلى رضاه تعالى وهكذا أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإن هم يهدون بما أخذوه عن الرسل صلى الله عليهم وسلم أي أنهم يدلون ويرشدون.

○**النوع الثاني:** الذي لا يملكه إلا الله عَزَّوَجَلَّ الهداية التي معناها توفيق القلوب لتقبل الحق، فهذا أمر لله عَزَّوَجَلَّ لا شريك له، لا يستطيع أحد كائنا من كان أن يهدي القلوب لتقبل الحق ولهذا قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ [الحجرات: ٧].

فهذا أمر خاص برب العالمين وحده لا سواه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ فتزيين الإيمان في القلوب خاص بالله عَزَّوَجَلَّ وهو الوارد هنا في المنفي بقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ أي: لا تستطيع أن تجعل قلبه يقبل الحق؛ لأن هذا خاص بالله رب العالمين؛ ولذلك نعلم أن الهداية على هذه النوعين وأن الهداية التي معناها قبول القلوب للحق هذه مرتبطة بربوبية رب العالمين فكما أنه يرزقهم في دنياهم فإنه يرزقهم في دينهم، يرزقهم في دينهم، الهدى والسداد وقبول الحق هذا رزق رزقه الله تعالى من شاء كما أنه تعالى: يرزقهم الرزق الدنيوي المعروف.

إذًا قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى ﴾ المقصود بها هداية قبول القلوب للحق والتوفيق للإذعان له، لا تهدي يا محمد حتى لو كان هذا الذي حرصت عليه لو كان ممن تحبه: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى ﴾ هذه الهداية أيضًا ﴿مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

ثم ذكر الحديث الثابت عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو وارد في الصحيحين وقلنا إن كلمة الصحيح تارة تطلق ويراد بها جنس الصحيحين كما في الحديث هنا وتارة تطلق ويكون الحديث في مسلم وحده وتطلق ويكون الحديث في البخاري وحده، أما هذا الحديث ففي الصحيحين عن ابن المسيب وهو سعيد التابعي الجليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى عن سعيد عن أبيه المسيب هو صحابي عن أبيه حزن هو سعيد بن المسيب

بن حزن، يقول المسيب لأن سعيد يرويه عن أبيه المسيب، لما حضرت أبا طالب الوفاة، أي: لما حضرت العلامات الدالة على قرب وفاة أبي طالب كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريصا عليه جدًا أن يهديه الله تعالى؛ لأنه كان يزود عن النبي ويدافع عنه وهو الذي ورد في الباب السابق أنه تكون له شفاعة خاصة بأن يجعل والعياذ بالله في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه، فكان يزود عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو على كفره ويدافع عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ويذب عنه فلما حضرته الوفاء حرص النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يختم له بالتوحيد، جاءه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان عند أبي طالب اثنان: أحدهما مات على شركه وهو عدو الله أبو جهل والثاني هو عبد الله بن أبي أمية وهو أخو أم سلمة أم المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا هند بنت أبي أُمية، هذا الرجل أسلم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لكن أبو جهل مات على إسلامه؛ لكن لما أتى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان عبد الله هذا مع أبي جهل على كفرهم فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يا عم، وهذا فيه استعطاف، «يا عم قل لا إلٰه إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله»، أي: أن هذه الكلمة إذا قلتها حاججت عند الله عَزَّ وَجَلَّ لك، أما بدون أن تقولها فأنا لا أستطيع أن أحاج لك وإن كنت قريبًا لي لأنه كما في الحديث السابق: يا عباس، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنكم من الله شيئًا، وإن كنت عمي فلن أغني عنك من الله شيئًا؛ لكن قل لا إلٰه إلا الله حتى أحاج لك بها فتموت على التوحيد وتقدم أن الشفاعة لا تنال إلا أهل التوحيد، فقال عبد الله ابن أبي أمة وأبو جهل لأبي طالب أهل العلم ذكراه الحجة الملعونة وهي حجة المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف] أي: ما نرغب عن ما كان عليه آبائنا، فذكراه هذه الحجة، أترغب عن ملة عبد المطلب، أي: يكون بك رغبة وتعزف عن ملة أبيك الذي كان سيدا في قريش وتخالف ما كان عليه أبوك وآبائك هذا المعنى فأعاد عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي: الطلب بقوله يا عم قل لا إلٰه إلا الله فأعاد عليه نفس الحجة، أترغب عن ملة عبد المطلب، فكان آخر ما قال نسأل الله العافية، هو على ملة عبد المطلب، قطعًا أبو طالب ماذا قال؟ قال: أنا؛ لكن الراوي من بغضه واستيحاشه لهذه الكلمة قال هو أي: أنه نقل عنه بالمعنى، وإلا أبو طالب قال أنا على ملة عبد المطلب فمن بغض الراوي لهذه الكلمة لا يحب أن يقول أنا على ملة عبد المطلب فكان آخر كلمة قالها نسأل الله العافية هذا وأبى أن يقول لا إلٰه إلا الله.

وقد ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إنما الأعمال بالخواتيم**»، فختم له على الكفر ومات أبو طالب كافرًا، لم يتمكن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هدايته، كما أن إبراهيم حرص على هداية أبيه: ﴿إِذْ قَالَ

لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا (٤٢) يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا (٤٣) يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا (٤٤) يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا (٤٥)﴾ [مريم]، لاحظ الاستعطاف أيضًا مثل قول النبي ﷺ يا عم، فلم يتمكن من هدايته، ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا (٤٦) قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا (٤٧)﴾ [مريم]، هذا قطعًا الاستغفار له قبل أن ينهى، فلما نهي قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾ [التوبة: ١١٤]، تبرأ إبراهيم من أبيه، فأبى أن يقول والعياذ بالله لا إله إلا الله ومات على شركه فقال ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**» هذا يستدل بها أهل العلم على أمر عند الأصوليين وهو البراءة الأصلية، أن النص لم يأت بعد بالنهي عن الدعاء للمشركين، فبقي ﷺ على هذا الأصل فدعا بعمه وإن كان على الشرك لأنه لم ينه؛ ولذلك قال: «**لأستغفرن لك**» واشترك شرطا «**ما لم أنهى عنك**» أي: إن نهيت عنك وجاء النص بالنهي عن أن أدعوا لك فسأترك الاستغفار فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾ [التوبة: ١١٣] أي: حتى لو كانوا أقارب فليس لهم أن يدعوا لهم، فكما أن إبراهيم مات أبوه ولم يملك له شيئًا وكما أن نوحا في آخر حيات ابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ (٤٢)﴾ [هود] يدعوه في آخر أمره فأبى والعياذ بالله وأصر، ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ [هود: ٤٣]، فمات ابن نوح على الكفر ولم يملك له شيئًا، ومات أبو إبراهيم على الكفر ولم يملك له أبوه شيئًا، ومات عم النبي ﷺ على الكفر ولم يملك له رسول الله ﷺ شيئًا، فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ (١١٣)﴾ [التوبة]، من المعلوم أنهم ماتوا على الكفر فلا يحل أن يدعى لهم وهذا يدل على أنه لا يجوز لمن مات كافرًا، وأن الدعوة له منكر عظيم؛ لأن الله نهى أن يدعى للكفار وكيف تدعوا لمن لن تدركه الرحمة، الله أخبرك أنه لن تدركه الرحمة، وأنزل الله تعالى في خصوص أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص: ٥٦].

خذ فائدة بالغة الأهمية من هذه القصة وأنت في مقتبل عمرك وفي شبابك انتبه ثم انتبه للصحبة، انظر

الآن صاحبا السوء ورفيقا السوء كيف ألحا عليه وذكراه حجة المشركين حتى مات على الكفر واعلم أن أفضل الأصحاب على الإطلاق هو من يأخذك إلى العلم ويربطك بأهله، ويطلب منك أن تتعلم بأن هذه أمة، أمة مبنية على العلم: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨] كما قدمنا في شرح هذه الآية، فالذي يريد أن يتعبد، يريد أن يجاهد، يريد أن يدعوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ لا بُدَّ له من العلم، ولهٰذا قال السلف: وجدنا من عمل بغير علم يفسد أكثر مما يصلح.

فاحذر ولا تغتر بكلام أقرانك واحرص دائمًا على أخذ العلم عن من هو أعلم منك وأكبر سنا ولهٰذا يؤكد دائمًا على ربط الشباب بالعلماء، لا يضيع الشباب إلا إذا تركوا أهل العلم من أكابرهم وزهدوا فيهم، ولهٰذا قال السلف مثل سلمان وغيره: إنما يهلك الناس إذا أتاهم العلم عن أصاغرهم، هنا يهلك الناس فإذا أتاهم عن أكابرهم نجوا وقال بعض السلف أيضًا لا يهلك الناس حتى يذهب الأول ولم يأخذ منه الآخر شيئًا، أي: لم يتعلموا ممن هم أكبر منه، عند ذلك يهلك الناس أي: ينقطع تعلمهم على أكابرهم فانقطعوا عنهم فماذا يكونون؟ يكونون جهلة ويخلصون ويقولون مالًا يعلمون ويفعلون ما لا يؤمرون، فالحذر الحذر من أمر الرفقة السيئة، كل رفقة تزهدك في العلم وأهله فإنها رفقة سوء وقد تجرك إلى العطب في الدنيا وقد تتسبب في وفاتك على بدعة أو على كفر حتى، كما مات أبو طالب على كفره نسأل الله العافية والسلامة.

❁ **قال المؤلف: «باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين**، وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]

وفي (الصحيح) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح].

قال: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم، عبدت).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

وعن عمر أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**» [أخرجاه].

وقال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**».

ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثًا».

هٰذا الباب في بيان السبب الذي جعل بني آدم يقعون في الكفر، ويشركون بالله عَزَّوَجَلَّ، بنو آدم كما هو معلوم كانوا أول الأمر لما أنزل الله تعالى آدم كان آدم قطعًا على هدى من الله عَزَّوَجَلَّ، وكان أبنائه موحدين بلا أدنى شك فكان التوحيد هو الذي عليه البشرية.

ما الذي غير البشرية فحملها على الوقوع في الشرك؟!

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، فما كان هناك شرك لا في زمن آدم، ولا في القرون التي تلته حتى جاء قوم نوح.

○ما الذي حمل قوم نوح على الوقوع في الشرك؟!

الذي حمل قوم نوح على الوقوع في الشرك هو ما ذكره المصنف هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين.

الغلو: هو الإفراط بالتعظيم بقول أو اعتقاد، وذلك يكون برفعة هؤلاء الصالحين أو الأنبياء أو الملائكة رفعة تجعلهم يتجاوزون حد العبودية.

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم]، مهما عظمت مكانة الملك أو النبي فهو عبد من عبيد الله عَزَّوَجَلَّ كما قدمنا في شرح الأبواب السابقة؛ فالغلو فيهم بالزيادة في وصفهم وما جعل الله تعالى لهم من القدرة على كذا وكذا مما هو خاص بالله لاشك أنه يؤدي إلى الشرك، كأن يقال أنهم يجيبون المضطر، ويكشفون الضر، وأنهم يجيبون من دعاهم، هذا خالص حق الله لا يجوز أن يعتقد في غيره تعالى.

فالغلو هو هذه الزيادة والمبالغة في الصالحين، وبدأ بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ٧١]، نهى الله تعالى أهل الكتاب، وأهل الكتاب هم اليهود

والنصارى، لأنهم كان لهم كتاب هو التوراة أنزل على موسى، والإنجيل أنزل على عيسى عليهم الصلاة والسلام، فنهاهم الله عز وجل أن يغلو، وجه الكلام إلى النصارى في بقية الآية ﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ الآية، وسبق أيضًا شرحها.

فنهاهم الله عن الغلو الذي صنعوه مع المسيح وتقدم وبين ذلك فيما مضى، فالنهي لأهل الكتاب عن الغلو أيضًا نهي لنا، فليس المقصود أن ينهى أهل الكتاب وأن نغلو نحن؛ لأن الغلو ممنوع منه وعلى خلاف ما أوجب الله تعالى.

ثم ذكر «في الصحيح» أي: صحيح البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الأسماء الواردة في سورة نوح قال عز وجل في ذكر شكاية نوح قومه لربه تعالى ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣﴾ [نوح: ٢٣]، ما هذه الأسماء؟ قال ابن عباس: أسماء رجال صالحين في قوم نوح هلكوا أي: ماتوا، فأوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم، أي: أمرهم أن يجعلوا لهم تماثيل، ويجعلوا كل تمثال في الموضع الذي كان يجلس فيه الرجل الصالح منهم، ذاك الموضع يجلس فيه ود، ذلك الموضع يجلس فيه سواع، أجعلوا لهم تماثيل.

○ **قال بعض السلف:** أنه قال لهم إنها تذكركم بالعبادة، لأنها تذكركم بهؤلاء الصالحين، وسموها بأسمائهم، يقولوا: هذا ود، هذا سواع ففعلوا، أي: هذه البدعة، لاحظ يقول: ولم تعبد، لما لم تعبد؟ لأنهم موحدون؛ لكن لما تطرق إليهم أمر نصب التماثيل دخل إليهم الشرك؛ لأن نصب التماثيل فيه تعظيم لهٰذا الذي نصب فجاءت الأجيال التي من بعدهم كما في بقية الحديث «**حتى إذا هلك أولئك**»، أي: أولئك الجيل الذين وضعوا الأنصاب ولم يعبدوها، وتنسخ العلم عبدت، جاءت أجيال أخرى فقالوا: ما وضع آباءنا هذه التماثيل إلا لأن هؤلاء القوم بهم يسقون المطر، وبهم يغاثون، وبهم وبهم، فهذا يدل على خطورة التصوير ولاسيما التماثيل فإن أمرها شديد، لأنها تنصب ويكون لها هذا الجرم البين، ويصبح الناس ويمسون وهم يرونها، يولد الصغير فيراها ينشأ يتعود فيعظم هذه التماثيل، فيؤدي ذلك إلى الشرك، وهذا يدل على خطورة التصوير، وعلى خطورة الغلو.

ثم ذكر أن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقل عن غير واحد من السلف: أن هؤلاء الخمسة لما ماتوا عكفوا على قبورهم، أي: عكف قومهم على قبورهم.

○**العكوف**: هو الملازمة الطويلة، فصاروا يعكفون على قبورهم، ثم زين لهم الشيطان كما تقدم تصوير تماثيل وجعلها في مجالسهم، لما طال عليهم الأمد عبدوهم كما في حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا المتقدم ومن قوله وموقوف عليه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ثم ذكر حديث عمر أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**»

○**الإطراء**: هو مجاوزة الحد، وكذلك الغلو فيه مجاوزة للحد، فنهى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن إطرائه، مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه كما ذكر ابن الأثير، فنهى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أن يفعل به هذا كما فعلت النصارى.

❁ **قال المؤلف: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد».**

أي: عبد من عبيد الله يصيبني ما يصيب الناس، أعبد الله ولا أعبد، يجب أن يعلم أن أمر الضر وكشفه والنفع بيد الله عَزَّ وَجَلَّ لا بيدي، وإنما بعث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لضرب الشرك وتحذير الناس منه فكيف يشرك به هو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ **قال المؤلف: «إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله».**

و هذه هي منزلته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله جعله عبدًا، وجعله رسولًا، فهو عبد كغيره من العبيد؛ ولكن الله أكرمه بالرسالة كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقد تقدم بيان معنى الركنين العبودية والرسالة.

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجته أمره أن يلقط له حصى يرمي بها الجمرات فقال: «**هلم ألقط لي**» فلقط له حصيات هن حصى الخزف صغار أي: ما الحصى الكبار الذي يخزف خزفًا، فلما وضعهن في يده قال: «**نعم بأمثال هؤلاء فارموا وإياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين**» فالغلو والزيادة هلاك؛ لأن الواجب أن يتوسط المسلم فلا

يزيد على هدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتجاوزه فإن هذا من الهلاك، لأنه كأنه لم يرضى ولم يقنع بهدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففي زعمه أن لديه ما هو أعظم وأجل من هٰذا، ومعاذ الله أن يكون هديًا أكرم أو أكمل من هدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن زاد كأنه قد غلا، كما أن من قصر يكون قد جفا، والواجب أن يتوسط.

والواجب في أمر الوسطية التي يتحدث عنها كل أحد أن يعلم أن الوسطية شرعًا هي ما كان عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأنه لا يوجد مسلم إلا ويقول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الحق، والحق هو الوسط، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فسر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوسط بقوله: «**عدول**» فهذه الأمة وسط، كيف نعرف الغلو؟ بأن يزيد على هدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنقول: غلوت وأبعدت عن هديه بالتنطع والمبالغة والتشديد فلست على هدي سليم.

عكس الغلو الجفاء والتقصير، الواجب أن يتوسط، فهدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الهدي الوسطي من زاد عليه فقد غلا، ومن قصر عنه فقد جفا، ولك أن تعلم ما في هذا الحديث العظيم من دلائل النبوة، الهلكة العظمى جاءت الأمة عن طريق الغلو، فلما غلت الرافضة، غلا الخوارج، غلا المعتزلة، غلا الجهمية، كل غلا في باب من الأبواب أدى ذلك إلى وجود الهلكة في الأمة خاصة وأن الغالي في أحيان كثيرة يقابله جافي، فيكون لهذه البدعة بدعة مقابلة لها فيؤدي ذلك إلى تشتيت الأمة، أناس مع غلات، وأناس مع جفات كما حصل من المرجئة في الجفاء، وقابلهم الخوارج في الغلو، وهؤلاء أخذوا بأقوام عديدة من الأمة، وأولئك أخذوا بأقوام عديدة من الأمة وأربكوا الناس وشوشوا عليهم ولبسوا دينهم عليهم.

ثم ذكر حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاث مرات عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

○**المتنطع**: هذا هو المتعمق في الشيء، المتكلف فإن بحث مسألة علمية بحثها على طريقة المتكلمين بالدخول فيما لا يعني، والخوض فيما لا تبلغه العقول، وكثرت الكتابات التي لا طائل تحتها ولا دليل عليها، وضخموا الكتب التي لا جدوى فيها ولا نفع فيها، وإن دخلوا في التعبد فبدلًا من أن يلتزموا الشرع تنطعوا حتى حرموا المباح، وتنزهوا عنه، وتنزهوا عن بعض ما كان يتناوله النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نسأل الله العافية والسلام، تنطعًا ومبالغة، وإن تكلموا تكلموا بشيء من المبالغة فالواحد يتكلم منهم من أقصى حلقه يبحث عن الكلمات التي يتشدق بها، ويحرص على تكلف الفصاحة لا على الفصاحة المعتادة، وإنما يتكلف الفصاحة، ولهٰذا يبحث عن ما يسميه العلماء بوحشي اللغة.

○**وحشي اللغة:** هو الكلمات المهجورة التي لا تجد أحد يعرفها إلا بكلفة شديدة، فيذهب يبحث عن كلمات غريبة جدًا لا يعرفها حتى بعض المتخصصين في اللغة إلا إذا رجعوا إلى المعاجم حتى يقول الناس: ما هذا الرجل هذا عنده علم ليس عند أحد، كل هذا من التنطع؛ لأن التنطع مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى من الفم، فيتكلم أحدهم ويتشدق وقد جاء في الحديث «**إن الله يبغض الرجل البليغ الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها**» ما لحاجة المبالغة والتكلف أي: حين يأتي خطيب جمعة تسعة وتسعين في المائة من الحاضرين للجمعة عوام، وطلبة العلم ندر فيهم فيبدأ يتحدث بكلمات في غاية الصعوبة يخرج الناس ما علموا ما قال، هذا من تنطعه، ما الحاجة؟ أنت الآن تتحدث في القرن الأول حتى تأتي بكلمات على جانب صعب جزل لا يفهمها حتى بعض الأحيان طالب العلم يحتاج أن يرجع لينظر إليها في اللغة، أنت الآن تريد أن تنفع الناس أو تلفت الناس إليك حتى تأتي بكلمات لو جمعت لو وجد نحو من ثلاثين أو أربعين كلمة لا يعرف معناها إلا بالرجوع إلى المعاجم هذا كله من التنطع، ما ينبغي مثل هذه المبالغات، التنطع هلكة مثل الغلو قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الغلو وقال في التنطع كلمة واحدة، قال في الغلو إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو وقال في التنطع هلك المتنطعون فهي هلاك الواجب على المسلم أن يتوسط وأن يترك عنه المبالغة، وهذا يدل على أن التشدد الذي يكون على غير هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه من أسباب الهلاك، ولهٰذا تأمل الخوارج عندهم تقصير أو عندهم زيادة، عنده زيادة، النصوص الواردة في الخوارج التي سمتهم بشرار أي: أطلقت عليهم هذا الوصف الأشرار لا يوجد فيما أعلم في نصوص السنة أكثر من الخوارج ممن سماهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأشرار فسماهم شرار الأمة وسماهم شرار أمتي، وسماهم شر الخلق والخليقة، وسماهم شر البرية وقال قتيلهم شر قتيل تحت أديم السماء، ما الذي عند الخوارج، عندهم تنطع وعندهم زيادة، هل أكتفي منهم بهٰذا؟ لا، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»، وقال «**اقتلوهم فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم**»، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصحابة وهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من أعظم الأمة بل هم أكرم الأمة على الإطلاق في عبادتهم، قال موجه الكلام للصحابة: «**تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وقراءتكم مع قراءتهم**» مع أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من أكثر الناس صلاة؛ لكن

الخارجي يزيد على هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يتعداه بالتنطع فلا يكون ممدوحا يكون مذموما؛ لأن الزيادة والمبالغة هذه يذم بها الإنسان، وأخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الخوارج في النار، فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الخوارج: «**كلاب النار**» وفي لفظ: «**كلاب أهل النار**»، نسأل الله العافية، قال المناوي: سموا بالكلاب كلاب النار فدل على أمرين أثنين:

الأمر الأول: أن الخوارج في النار.

الأمر الثاني: أنه في موضع خسيس في النار؛ لأن الكلب يكن دائمًا عنده الخسة ولهٰذا إذا اشتد الإنسان في سب أحد نبذه بالكلب وهكذا الكلاب دائمًا تطرد وتبعد وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ليس لنا مثل السوء، العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه**» من طبائع الرديئة أنه يتقيأ ثم يأكله، فسمي الخوارج بكلاب أهل النار، لماذا؟ وهم ما عندهم إلا زيادة في العبادة أي: ما عندهم تفريط في الصلاة وتفريط في الصيام، عندهم زيادة في الصلاة وعندهم زيادة في الصيام، يقول هذا السبب، السبب هو هٰذا، الزيادة في التعبد والخروج عن هدي النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ممنوعة كما أنه ممنوع تقصير في التعبد.

فالواجب على المسلم أن يلزم الطريق الوسط، فأما إذا زاد وبالغ فإنه ولا شك يكون هالكا، هالكا في الدنيا وهالكا في الآخرة، الخوارج، وصل بهم الأمر في زمن عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى حد أن قالوا إن عثمان خرج عن ما يجب عليه ملازمة النصوص فعثمان مستحق للقتل، دخلوا عليه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في بيته وبين حرمه وأهله وقتلوه قتلة شنيعة بشعة متقربين بقتله إلى الله، هذا الغلو، هكذا الغلو، يجعل الأخرق من الغلاة يقتل خيار الأمة، عثمان في زمنه أفضل أهل الأرض على الإطلاق؛ لأن أفضل الصحابة الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أبو بكر وعمر ماتا، فكان أفضل من تطأ قدمه الثرى عثمان تقرب الخوارج إلى الله بدمه، قتلوه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فبقي أفضل الناس على الإطلاق في ذاك الوقت بعد أن مات الثلاثة قبله علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، انضموا إلى جيشه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولأنهم أهل فوضى وأهل تعصي وأهل تنطع وأهل تشدد، قالوا لعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أجب إلى كتاب الله وإلا أخذناك برمتك ورميناك إلى أهل الشام فصنعنا بك بما صنعنا بابن عفان، أي: سنقبض عليك أنت وإن كنت الخليفة وقد بايعوا على الخلافة، ثم ما هي إلا فترة وأتوه وقالوا يا علي إنك قد كفرت حينما أوقفت القتال، فقال إنما أوقفته عن أمركم فقالوا نحن كفرنا فتبنا فأنت كفرت فتب من كفرك: كأنه كلام صبيان، كأنه كلام مجانين، فصبر عليهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأرضاه وتحمل منهم شيئًا كثيرًا، حتى قتلوا عبد الله بن خباب وبقروا بطن أم ولده حاملا ذبحوه ذبحا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ورضي عن أبيه، وأتوا

إلى أم ولده وكانت حاملا فبقروا بطنها وقالوا له قبل أن يقتلوه حدثنا عن أبيك بحديث سمعته أحدث به عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فحدثهم بحديث مناسب لهم، قال سمعت أبي يحدث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الساري**»، فلو كانوا يفقهون لعلموا أن الحديث يشملهم فقربوه فذبحوه عند النهر وأم ولده أمة مملوكة حامل ما لها ذنب قربوها وشقوا بطنها شقا وبطنها فيها ولدها، فأتاهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال من قتل عبد الله سلّموا لي من قتل عبد الله هو أمير المؤمنين هو ولي الأمر يجب أن يسلم القاتل، قالوا: كلنا قتله، فاستعان الله تعالى عليهم فقاتلهم وأبادهم إبادة ذريعة جدًا، بقي منهم عدد قليل جدًا لكن شرهم فيهم، اتفق ثلاثة منهم على اغتيال علي ومعاوية وعمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قالوا هذا علي في العراق، وعمرو في مصر، ومعاوية في الشام، فمن هدي الخوارج الفوضوي الاغتيالات، اتجه عبد الرَّحمٰن بن ملجم الذي قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيه: «**إنه أشقى الأمة هٰذه**» قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي: أشقاها يا علي عاقر الناقة، الذي قال الله تعالى: ﴿ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢﴾ [الشمس]، قال أشقاها عاقر الناقة وأشقاها الذي يضربك على هذه فيسيل الدم على هٰذه، فأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف سيقتل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهذا من دلائل النبوة، فجاء ابن ملجم وضرب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على قرنه فسال الدم على لحيته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ متقربا بقتل علي إلى الله انظر ماذا يفعل التنطع، إذًا لا تعجب من الخوارج إذا سبوا العلماء وسبوا الصحابة قبلهم، تقربوا إلى الله بقتل الصحابة، خيار الأمة على الإطلاق، فلا تستغرق إذا أساءوا الأقوال فيمن هم أعلم منهم وأتقى لله عَزَّ وَجَلَّ منهم.

اتجه الشقي الثاني إلى مصر وكلهم كمنوا واتفقوا على أن يكون قتل الثلاثة في يوم واحد، فكمن لمعاوية في الشام فدخل عليه وهو في صلاة الفجر وهذا أيضًا ضرب عليا وهو ذاهب إلى صلاة الفجر فضرب معاوية على ظهره فأصاب أسفل ظهره فانقطع منه النسل لكن لم يمت معاوية من تلك الضربة، الذي في مصر اتجه إلى الإمام يظنه عمرو بن العاص وكان عمرو قد قدر الله تعالى ألا يصلي بهم الفجر ذلك اليوم صلى بهم خارجة فاتجه إليه على أساس أنه عمرو فضربه بالسيف وقتله يظنه عمرو بن العاص فقال: أردت عمرا وأراد الله خارجة أي: أنا أردت أن أقتل عمرو لكن أراد الله أن يكون القتل في خارجة فمضت مثلًا.

يتتبعون أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقتلوهم هل هذا إلا تنطع، هذا التنطع، هكذا التنطع،

نسأل الله العافية والسلامة، يصل بصاحبه إلى أن يعظم ويفخم نفسه ولا يرى غيره شيئًا ويحمله الغلو على مثل هٰذا، ولهٰذا منهج الخوارج خطير جدًا على الناس، ولاسيما في الشباب، وقد كان السلف ويحذرون ويخشون على الشباب خاصة، فكان وهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول للشباب: أيها الشباب الأغمار لا يدخلنكم هؤلاء الحروراء في رأيهم فإنهم عرة لهذه الأمة؛ لأن العادة الشاب يميل إلى كلام من يكون عنده شيء من الشجاعة وإثارة الحماسة لدين الله عَزَّوَجَلَّ وأنه الحدب وأنه الذي سيسترد الحق وأنه سيفعل بالكفار وأنه رجل ملازم للجهاد هذا يميل إليه الشباب عادة، فكان السلف يخافون من هؤلاء على الشباب.

وأخبارهم وأحوالهم كثيرة جدًا وبيانها مهم الحقيقة للغاية للناس، حتى يربط ما بين الخوارج المتقدمين والخوارج المتأخرين ويحذر الناس إبراءً للذمة، وقد جاء عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الخوارج أنه كلما خرج قرن قطع، سلط الله عَزَّوَجَلَّ من يحصدهم، كما حصدوا زمن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ثم حصدوا زمن بني أُمية، ثم استمر قتلهم؛ ولكن لا يكون لهم جماعة، الخوارج لا يقيم الله لهم دولة ولا تقوم بهم جماعة، دائمًا يختصمون فيما بينهم ويهلك بعضهم بعضا، هذا هو المعتاد في سيرتهم وفرق الخوارج مثلًا الأزارقة والإباضية والنجدات هؤلاء ثلاثة أشخاص، نافع بن أزرق، ونجدة الحروري، وعبدالله بن إباض، كانوا جميعا ثم اختلفوا فكل واحد منهم أنشأ فرقة صار يكفر الآخر، هذه هي طريقتهم ولأنهم أهل هلاك للأمة، هلاك للأمة إذا انتشر قولهم في أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فينبغي الحذر منهم والتحذير والحرص على الشباب الذين قد غرر بهم أن يبين المنهج الحق والأسلوب السليم في التعامل مع النصوص بنشر هدي النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وتوضيحه صلوات الله وسلامه عليه وكذلك نشر هدي السلف الصالح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم لئلا تهلك الأمة، انظر هذا الحديث، هلك المتنطعون، والخوارج متنطعون، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين**» والخوارج غلاة، فينبغي الحذر من هٰذه، التحذير والخوف على الأمة وشبابها من الوقوع في شرهم وفسادهم.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

---

(١) نهاية المجلس السابع.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «**باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده.**

في (الصحيح) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كنيسة رأتها في أرض الحبشة وما فيها من الصور. فقال: «**أولئكِ إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله**» فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

ولهما عنها قالت: «**لما نُزل برسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال -وهو كذلك- لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا، [أخرجاه].

ولمسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا، لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**».

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن -وهو في السياق- من فعله، والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يُبْنَ مسجد، وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجدًا، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدًا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدًا، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**». ولأحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسند جيد عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد**» [رواه أبو حاتم في صحيحه]».

۞ **قال المؤلف:** «باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده».

أي: باب ما جاء في النصوص في التشديد على من يأتي ليعبد الله مخلصا لا يشرك مع الله عَزَّوَجَلَّ أحدًا لكنه أوقع العبادة عند قبر رجل صالح، فهذا رجل ما وقع في الشرك وإنما يسجد لله ويدعوا الله ويتعبد عبادته كما يتعبد في المسجد لكنه ذهب ليتعبد هذه العبادة عند القبر هذا قد جاء تغليظ وتشديد عليه مع أنه لم يعبد إلا الله ولم يعبد غيره فكيف بمن عبد الرجل الصالح، ثم ذكر حديث عائش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن أمة سلمة ذكرت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هاجرت إلى الحبشة والحبشة كان يغلب عليها دين النصارى فوصفت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلك الكنيسة وما كان فيها من الصور التي يعلقها النصارى في كنائسهم فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موجها الخطاب لأم سلمة «**أولئكِ**» بكسر الكاف لأنه إذا كان الخطاب للمؤنثة فإنه يكون بالكسر ما تقول لها أولئك، وإنما تقول أولئكِ، «**أولئكِ إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور**» أي: أنهم إذا مات فيهم رجل فيه صلاح فإنهم يعملون معه أمرين اثنين:

○**الأمر الأول**: أن يأتوا إلى قبره فيبنوا عليه بناية يتخذونها للصلاة يمارسون الصلاة في هذه البناية عند قبره، لأنه قال بنوا على قبره مسجدا، فأتوا إلى قبره وبنوا عليه مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور.

○**الأمر الثاني**: الذي يفعلونه وهو وضع الصور وقد تقدم ما فعلته الصور بقوم نوح، فإن وضع الصور والتماثيل خطر ويؤدي إلى الشرك، والنصارى يقعون في الشرك بلا شك فهذا كانوا يصورون هذه الصور.

۞ **قال المؤلف:** «أولئك شرار الخلق عند الله».

فوصفهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بأنهم شرار الخلق وتقدم أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذكر أن الخوارج أيضًا شر الخلق والخليقة وشر البرية فهذه الأوصاف الشرعية لمن يتخذون القبور مساجد وللخوارج، ولغيرهم من الأصناف تدل على أن هذا الصنف قد بلغ في الشر مبلغا عظيمًا جدًا، وذلك لأن هؤلاء الأشرار يشرعون في الشرك سواء أشركوا عندها بأن مارسوا الشرك داخلهذه المباني التي بنوها على قبر الصالح كما تفعل النصارى فإن النصارى تشرك، وحتى لو لم يفعلوا، فإنهم جعلوا هذا وسيلة توقع في الشرك بلا ريب لأنه إذا عظمت هذه القبور بالبنايات ونصبت عليها هذه المباني لاشك أن هذا يفضي إلى

الغلو في أصحابها ويؤدي إلى الشرك بهم.

يقول وهذا من بقية كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اقتضاء الصراط المستقيم: فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

فتنة القبور في الغلو فيها.

والفتنة الثانية فتنة هذه التماثيل.

قال: ولهما أي: الشيخين البخاري ومسلم، عنها عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «**لما نُزل برسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» أي: أنه لما نزل به ملك الموت «**طفق**» أي جعل.

❁ **قال المؤلف: «يطرح خميصة».**

والخميصة كساء له أعلام.

❁ **قال المؤلف: «خميصة له على وجهه» .**

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من شدة أمر النزع والموت صلوات الله وسلامه عليه، وقد أوتي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجره مرتين فلهذا كان يوعك وعك اثنين من الرجال، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو في هذا الحال الشديد والموت قد نزل به من باب حرصه العظيم على التوحيد وحرصه على إبلاغ الأمة وقطع المعذرة وهو في هذا الحال لم ينس أمته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واهتم بأكبر أمر وأهم أمر وهو أمر التوحيد والتحذير من الشرك، فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو كذلك: «**فإذا اغتم بها**» أي: اغتم بالخميصة كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يطرح هذه الخميصة على وجهه فإذا اغتم من آثار جعل الخميصة على أنفه أي: رادة لنفسه كشفها أبعدها فقال وهو كذلك، أي: على هذا الحال الشديد من النزع.

❁ **قال المؤلف: «لعنة الله على اليهود والنصارى».**

ما المناسبة؟ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تنزع روحه ثم يلعن اليهود والنصارى لا بُدَّ أنه لأمر فيه قرب من الحال التي فيها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لهذا قال: «**اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» هو نبي والأنبياء قبله صلى الله عليه وعليهم جميعًا وسلم قد عمل النصارى مع قبورهم هذا العمل الخبيث فلعن اليهود والنصارى كل أحد من أمته يتساءل لماذا لعنهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في هذا الموضع حتى تحذر، يحذر ما

صنعوا، يحذر الأمة أن تصنع صنيعهم، هذا الظاهر من كلام عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تصف الحال أنه يحذر صنيعهم، ولولا ذلك أبرز قبره، أي: لولا خشيته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من أن يتخذ قبره مسجدا لدفن في البقيع مع بقية أصحابه، لكنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دفن في حجرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها.

ودفنه في حجرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سببه أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ روى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه ما من نبي تقبض روح إلا ويدفن في الموضع الذي قبضت روحه فيه، فلما كان قد مات في حجرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رفعوا الفراش الذي توفي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عليه وحفروا له تحت الفراش ودفنوه في حجرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقطعا وجزما لم يدفنوه في المسجد لأنه دفن في حجرة عائشة وحجرة عائشة ليست في المسجد، وإنما التبس الأمر على من جهل حقيقة الأمر، بعد أن توفيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ووسع المسجد زمن الوليد بن عبد الملك بن مروان من خلفاء بني أُمية أدخل حجرات أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في توسعة المسجد فكان فيها قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبر أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال الجهلة: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دفن في المسجد، كيف يدفن في المسجد وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحذر هذا التحذير، ويقول لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبائهم مساجد، فالصحابة أجل وأكرم من أن يفعلوا مثل هٰذا، وأن يدفنوه في المسجد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أو أن يتخذوا قبره مسجدا؛ لكن الجهل هو الذي يحمل الناس على هٰذا.

وقد روى البخاري في «**صحيحه**» أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما طعن أرسل إلى أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يستأذن أن يدفن مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومع أبي بكر، لماذا يستأذن عائشة؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبا بكر دفنا في حجرتها والحجرة لعائشة ولو كان في المسجد ما احتاج أن يستأذن عائشة، فلما وصلها الرسول بذلك قالت كنت أريده لنفسي ولأثرنه اليوم به على نفسي أي: أكنت أريد أن أدفن مع أبي وزوجي؛ لكن سأثره بهٰذا الموضع فدفن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومع أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهذا هو الأمر ولهٰذا قالت عائشة ولولا ذلك أبرز قبره وجعل مع الناس في البقيع غير أنه خشي هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضبط اللفظ بقوله غير أنه خشي أي خشي الصحابة أن يتخذ مسجدا أي: يتخذ قبره مسجدا والحديث رواه البخاري ومسلم.

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يموت بخمس، لاحظ

الأحاديث لاحظ انتبه إلى فائدة كبيرة جدًا في هذه الأحاديث، هذه الأحاديث في آخر حياة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث جندب قبل أن يموت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخمس ليالي، خرج صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاصبا رأسه وخطبهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بهذه الخطبة، حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أثناء سياق الموت، ثم يقولون لما لا تكثروا من الكلام عن التوحيد وعن التحذير من الشرك، أي: هذا هو هدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا ما اهتم به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعاني سكرات الموت يهتم بهٰذا، ثم يقال لماذا تهتمون بالتوحيد، نهتم بالتوحيد لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولى التوحيد أعظم عنايته منذ أن بعثه الله إلى أن توفي وهو في سياق الموت يؤكد على أمر التوحيد صلوات الله وسلامه عليه والتحذير من الشرك.

فخرج صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يموت بخمس ليالي وخطب فيهم وقال: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل**» أي: يا أصحابي، لما؟ «**فإن الله قد اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا**»، قال الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ١٢٥﴾ [النساء] والخلة أعلى المحبة، المحبة الله تعالى يحب المؤمنين عمومًا: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، والله تعالى يحب المتقين ويحب التوابين ويحب المتطهرين، أما الخلة فأعلى درجات المحبة فهذه خاصة بالخليلين أفضل بني آدم على الإطلاق محمد وإبراهيم عليهما صلاة الله وسلامه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، ومحمد أفضلهما على الإطلاق، فكما في الحديث: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**» وأفضل بني آدم على الإطلاق صلوات الله وسلامه عليه.

۞ قال المؤلف: «فإن الله قد اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا».

في اللفظ الآخر قال: ولكن أخوة الإسلام أي: أبا بكر في قوله: «**ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا، لاتخذت أبا بكر خليلًا**» أي: لو كان أحد سيصل إلى أن أتخذه خليلا لكان أبو بكر في لفظ قال: «**ولكن أخوة الإسلام**» أي: أخوة الإسلام كافية في هٰذا، فأما الخلة فإن الله تعالى: قد شرف محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه الخلة لأجل ذلك بريء إلى الله أن يكون له خليل سوى الله تعالى.

ثم قال في هذه الخطبة التي قبل وفاته بخمس ليالي: «**ألا وإن من كان قبلكم**» ألا هنا حرف استفتاح وإن من كان قبلكم أي: من الأمم كمن ذكر في حديث أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وغيرها: «**كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**».

هل أبلغ من هذا وهل أوضح من هٰذا، وأتى صَلَّىٰ ٱللَّٰهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وخطب هذه الخطبة وهو عاصب رأسه من شدة الألم وخطب فيهم هذه الخطبة لأجل أن يقيم الحجة ويقطع المعذرة وليس خوفه على الصحابة رَضِيَ ٱللَّٰهُ عَنۡهُمۡ، إنما خوفه على من بعدهم، ولهٰذا قال الصحابة والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، قال ابن حجر: المقصود الصحابة، أما غير الصحابة فقد وقع منهم الشرك كما ذكر الحافظ في الفتح، هو لا يخاف على الصحابة أن يشركوا فهؤلاء التلاميذ النجباء لأكرم معلم صَلَّىٰ ٱللَّٰهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ما خاف عليهم من الشرك؛ ولكن الخوف على من يأتي بعدهم ممن أخبر صَلَّىٰ ٱللَّٰهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في الأحاديث كما سيأتي في الأبواب الآتية ممن وقعوا في الشرك من هذه الأمة.

❁ **قال المؤلف: «ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك».**

يقول رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ: فقد نهى عنه صَلَّىٰ ٱللَّٰهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في آخر حياته، عن هذا الفعل، بهذه المبالغة باتخاذ القبور مساجد، ثم إنه لعن في آخر حياته أي: في حديث جندب قبل أن يموت بخمس ثم إنه لعن أي في حديث عائشة وهو في السياق في سياق الموت من فعله.

ثم قال: وهذا الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية في «**الاقتضاء**»: والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يُبْنَ مسجد.

يعني ما معنى اتخاذ القبور مساجد لها معينان اثنان:

❍**المعنى الأول**: أن يؤتى إلى القبر فيبنى عليه مسجد، فهذه القبور اتخذت مساجد، فصار يصلى عندها يقول: والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يبن مسجد.

❍**المعنى الثاني**: من اتخاذ القبور مساجد أن يؤتى إلى القبور ويصلى عندها ولو لم تكن هناك بناية فهذا من اتخاذها مساجد، قال: وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجدًا، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا، الصحابة موحدون بعيدون عن الشرك وعن وسائل الشرك لا يظن بالصحابة رَضِيَ ٱللَّٰهُ عَنۡهُمۡ أن يبنوا حول قبره مسجدا.

۞ **قال المؤلف:** «وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدًا».

أي: موضع تتخذه لتصلي فيه فهو مسجد فقد اتخذته مسجدا حتى لو كان في بيتك، ولهٰذا قال تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، فإذا خصصت موضعا باتخاذه مصلى تصلي فيه فقد اتخذته مسجدا، ثم قال: بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدًا، كل موضع يصلى فيه فإنه يسمى مسجدا، حتى لو كنت في طريق وسلكت مثلًا طريقا في البرية وأتيت إلى موضع من المواضع، هذا الموضع اتخذته مسجدا أي: صليت فيه، هذا معنى اتخاذها مسجدا، فلا يحل أن يكون هذا في المواضع التي فيها قبور.

كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**» فهذه الأمم ما خصها الله تعالى به أن الماء إذا لم تجده فإن الأرض طهور يتيمم منها وكلها ولله الحمد موضع للصلاة فيه إلا ما استثني مثل المقبرة والحمام ونحو ذلك أما عموم الأرض فإنها مسجد للأمة ولله الحمد تصلي في أي موضع، فمن صلى في أي موضع فقد اتخذه مسجد، ولهٰذا يحرم أن تتخذ القبور مساجد، أي: ليس المنهي أن تصلي في موضع، الموضع ما دام أنه ليس من المواضع المنهي عنه كالمقبرة والحمام ونحوها الصلاة فيه لا إشكال فيه؛ لكن الإشكال أن تصلي عند القبور، هذا من معنى اتخاذها.

ثم ذكر أن أحمد روى بسند جيد عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد**» [رواه أبو حاتم في صحيحه].

هٰذا الحديث رواه أحمد وسنده كما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى جيد ثابت، بين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صنفين من الأشرار:

الأول: لا يشك في كفرهم وأنهم يموتون على الكفر وهم من تدركهم الساعة وهم أحياء، الذي يبقى إلى أن تقوم الساعة، هم الكفار ولا تقوم الساعة على أحد موحد بتاتا، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله**» وفي لفظ «**حتى لا يقال في الأرض لا إلٰه إلا الله**» ينقطع، من يبقى؟ يبقى من أخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم يبقون بعد أن يقبض الله روح كل مؤمن وكل مسلم، فروى مسلم أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن الرب تعالى: يرسل ريحا ألين من الحرير تقبض روح كل مؤمن وروح مسلم حتى لو أن أحدكم كان في قال في جبل أو قال في غار أو كذا لدخلت عليه، فلا يبقى أحد بتاتا،

يموت كل من على وجه الأرض من المسلمين، ثم قال: ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر نسأل الله العافية السلامة، يفعلون الفاحشة علنا كما تفعلها الحمر، فعليهم تقوم الساعة، وفي لفظ وهو في مسلم أيضًا: «**فيتمثل لهم الشيطان ويقول لهم ألا تستجيبون فيقولون فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان**» زاد أحمد: «**فيعبدونها**» وفي مسلم أيضًا: أنهم يعودون إلى دين الجاهلية، إلى دين آبائهم، فلا تقوم الساعة إلا على كفار قطعًا، هنا يقول: «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد**»، فقرن بين الصنفين، الذين يتخذون القبور مساجد ليس بالضرورة أن يكونوا كفارا، أي: لو أن إنسانا أتى وصلى عند القبر ما نقول إنه كفر، إذا صلى لله عند القبر، نقولهذه وسيلة من وسائل الشرك؛ لكن لاحظ في الحديث أنه قرن ما بينهما، قرن ما بين الذين يتخذون القبور مساجد وبين من تدركهم الساعة وهم أحياء وهم كفار، وذلك أن اتخاذ القبور مساجد وسيلة تؤدي إلى الكفر وإلى الشرك، فقرن ﷺ بين هذين الصنفين وجعلهما ﷺ جعلهما داخلين في حد الأشرار، ولهذا قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المسائل أنه قرن بين من اتخذها وبين من تقوم عليه الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته، أي: الذريعة والوصول إلى الشرك اتخاذ القبور مساجد، والوقوع في الشرك الحقيقي هذا يقع من الذين تدركهم الساعة وهم أحياء، ولهذا قرن ﷺ بين هذين الصنفين.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

* * *

---

(١) نهاية المجلس الثامن.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

❁ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله.**

روى مالك في (الموطأ): أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«اللّٰهمَّ لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**.

تقدم أن الغلو هو مجاوزة الحد هذا الباب مخصص لما جاء في الغلو في قبور الصالحين تحديدًا الذي يغلى فيه من القبور هو قبور من يظن أن فيهم أن لهم منزلة، كأن يكونوا من الأنبياء أو من الصالحين، أما من ليسوا كذلك فالمعتاد أنه لا يغلى في قبورهم هذا من حيث العموم.

❁ **قال المؤلف:** «باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يسيرها».

أي: يجعلها أوثانا تعبد من دون الله، الغلو إذا صار في هذه القبور إذا حصل بهذه القبور فإنه يجعلهذه القبور أوثانا معبودة من دون الله، والوثن هو كل ما عبد من دون الله من صخرة أو صنم أو قبر فالوثن أعم، أما الصنم فهو ما كان له صورة، ولهٰذا جاء هذا الحديث أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللّٰهمَّ لا تجعل قبري وثنا يعبد**» حديث رواه مالك مرسلًا وجاء من طريق عطاء أرسله عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعطاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ من التابعين ولم يذكر الصحابي في رواية مالك؛ لكن جاء الحديث في البزار من طريق عطاء عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعا.

ومعنى قولنا أن الحديث هذا موقوف، إذا قيل موقوف فهو موقوف على الصحابي الذي ذكره، نقول موقوف على عمر أي: من كلامه هو، أما إذا قلنا مرفوع فمعناه أن عمر رواه ورفعه إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فجاء هذا الحديث عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعا إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهكذا جاء عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**اللّٰهمَّ لا تجعل قبري وثنا يعبد، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبائهم مساجد**»، دعا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن لا يجعل قبره وهو سيد الموحدين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والذي بعثه الله تعالى ليدمر الشرك

وليرسخ التوحيد ودعائمه، فإذا قلب الأمر والعياذ بالله وصار يغلى بهٰذا القبر لقبر هذا النبي الكريم الذي هو سيد الموحدين عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقد عكس هؤلاء المخرفون والمشركون الأمر تماما؛ لأن هذا الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه الذي أقام الله تعالى به الملة العوجاء، فقالوا لا إلٰه إلا الله وتركوا ما هم عليه من الضلالة فكيف يجعل قبره هو وثنًا نسأل الله العافية والسلامة؛ لكن ولله الحمد لا يستطيع أحد أن يباشر القبر بأن يغلوا فيه، فإنهم حين أدخلوا القبر ووسعوا القبر حتى دخلت حجرة عائشة ﵂ في المسجد كما تقدم شرح ذلك جعلوا ثلاثة جدران محيطة به حتى لا يتجه أحد إليه بالصلاة، ولهٰذا قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأجاب رب العالمين دعائه وأحاطه بثلاثة الجدران، أي: أجاب دعائه بقوله اللّٰهمَّ لا تجعل قبري وثنا يعبد، وأحاطه أي وأحاط قبره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بثلاثة الجدران التي جعلت بحيث لا يتمكن أحد من الاتجاه إلى القبر والصلاة إليه واتخاذه وثنا.

❁ **قال المؤلف: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».**

وفي اللفظ الآخر «**لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبائهم مساجد**»، لا شك أن اشتداد الغضب واللعن لا يكون إلا على الأمور العظام المنكرة، واشتداد غضب الله عَزَّوَجَلَّ على قوم اتخذوا قبور الأنبياء مساجد هو لعظيم وقبيح وبشاعة ما صنعوا فإن أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام كما تقدم هم الذين رسخوا التوحيد وحاربوا الشرك فكيف تجعل قبورهم مساجد يدعى هؤلاء الأنبياء من دون الله عَزَّوَجَلَّ ويصلى إليهم وهم الذين أتوا لتدمير هذا الشرك وهذا يدل على مدى جرم وقبح ما يفعله أهل الشرك والضلال أنهم يعكسون الأمور، فيأتون إلى من بعثهم الله تعالى لترسيخ التوحيد وهدم الشرك فيجعلونهم هم وسيلتهم في الشرك نسأل الله العافية والسلامة.

❁ **والحاصل أن هذا يدل على أن الغلو في هذه القبور يجعلها أوثانا تعبد من دون الله فالواجب في القبور أن يلزم فيها السنة والذي جاءت به النصوص في النهي متعلقا بالقبور نوعان اثنان:**

○**النوع الأول**: تعظيم القبور حتى تكون أوثانا كما شرحنا، فلا يحل أن تعظم بأي نوع من التعظيم فلا يبنى عليها ولا يكتب عليها وتجصص ولا تنور وإنما تبقى على هيئتها، هذا النوع الأول وهو التعظيم الذي يطفي إلى الشرك بها.

○**النوع الثاني**: جاء بالنهي عن إهانة القبور، النهي عن إهانة القبور، كأن يجلس الإنسان على القبر أو

يقضي والعياذ بالله عليه حاجته أو أن يطأه بقدمه على نفس القبر لا يحل هٰذا، فجاء الشرط بالتوسط نهاه عن الغلو في القبور ونهاه أيضًا عن أهانتها وجاء بالسنة الوسط فيها، بأن يدفن الميت ويكرم وألا يرفع قبره وإنما يرد عليه ترابه ويكون التراب الذي رد عليه بمقدار مقبول لا أن يرفع رفعا شديدًا ولا يبنى عليها وفي الوقت نفسه لا توهن هذه القبور فتلزم السنة في هذا الذي جاءت عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فلا غلو ولا جفاء.

۞ **قال المؤلف:** «ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩]. قال: كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره، وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُرج. [رواه أهل السنن]».

ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ بيانا لقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾.

○ما المراد باللات؟!

اللات هذا لاشك أنه تقدم أنه كان معبودا من معبودات أهل الشرك؛ لكن ما قصته ما خبره، خبره أنه غلى فيه أهل الشرك، كان يلت السويق للحاج، كما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهكذا جاء عن مجاهد أنه يلت لهم السويق، فكان يلت السويق، السويق نوع من الطعام يلته للحاج ويهيئ لهم هذا الطعام، فمات اللات هٰذا، فما مات عكفوا على قبره والعكوف على القبر معناه المكث والإطالة، عنده، وهذا لاشك أنه يفضي إلى تعظيم القبر فلما عكفوا على قبره عظموه، وقرئت الآية: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ اللات أي: الذي يلت السويق، هذا المقصود كما بينه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. صار في نهاية المطاف هذا العكوف على قبره والتعظيم أدى إلى أن يعبد فصار يعبد اللات والعزى حتى صارت قريش تحلف به، فيقول قائلهم: واللات والعزى، نسأل الله العافية والسلامة.

ولهٰذا إذا زيد في أمر القبر عن الحد الشرعي بالعكوف عنده، والتفخيم من شأنه والتعظيم من أمره أدى إلى أن يكون وثنا يعبد من دون الله كما ترجم المصنف.

ثم ذكر قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**لعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**»، الشاهد منه للباب لعن المتخذين على القبور المساجد والسرج، اتخاذ القبور مساجد تقدم أنه على نوعين:

○**الأول**: أن يبنى على القبر مسجد فيتخذ على القبر مسجد، يبنى عليه بناء كما يقع من كثير من أهل الغلو في القديم وفي الحديث.

○**الثاني**: أن يؤتى إلى القبر ويصلى عنده حتى لو لم يبن مسجد؛ لأن من صلى في بقعة فقد اتخذها فكلا النوعين محرم ممنوع، والبناء لاشك أنه من أعظم وسائل الشرك، لأنه إذا بني عليه وزخرف وجعلت عليه القباب تعلقت قلوب العامة به وصاروا يظنون أن صاحبهذا القبر لديه ما ليس لدى غيره ممن قبورهم غير مبنية، فعظموه واتخذوه معبودا من دون الله، ولهٰذا لعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من اتخذ على القبور المساجد وهكذا السرج، لا تضاء القبور بالسرج؛ لأن هذه القبور لو كان يباح أن تضاء لم يلعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فعله، كما ذكر المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ، هذا يؤدي إلى الإفراط والتعظيم ثم ما الفائدة من إنارة القبور لموتى هم تحت الأرض ما الفائدة أن تنار مواضعهم، هذا الذي يؤدي إلى الغلو فيهم بأن يميزوا بما يجعلهم معظمين، فاتخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها لاشك أنه من الكبائر ولاشك أنه من وسائل الشرط.

قوله عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زائرات القبور**» هذا يدل على الصحيح من قول أهل العلم رحمهم الله أن النساء لا يحل أن يزرن القبور، فالنساء ممنوعات من زيارة القبور، حتى لو أرادت أن تزور قبر أبيها أو ابنها، وذلك أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في أمر القبور جاءت السنة في هذه القبور بالآتي:

○**أولًا**: منع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من زيادة القبور للجميع للرجال وللنساء، وذلك أنهم حديثي عهد بشرك، وقد تبقى عند بعضهم رواسب من رواسب الشرك القديم، لأنهم كانوا يعظمون القبور في الجاهلية، فلما رسخ الإيمان في قلوبهم أذن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للرجال دون النساء، فقال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور**» هذا الحال الأول، «**ألا فزوروها**» الكلام موجه للرجال، «**ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة**».

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى في غير ما حديث نهى النساء عن اتباع الجنائز، ونهاهن عن أن يباشرن أي أمر يتعلق بتدلية الميت في قبره أو المشي مع جنازته، كل هذا ممنوع، فلعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن زار زائرات القبور يدل على أن هذا الأمر محرم، وبه تعلم أن الشرع قد يأتي بأمر هو في حق الرجال مستحب وفي حق النساء محرم، فيأتي بما هو مستحب في حق الرجال مثل زيارة القبور وهو بالنسبة للنساء محرم، وهذا كثير، بممايزة الشرع بين أحكام خاصة بالرجال وأحكام خاصة بالنساء، فالجهاد الذي هو فرض عين واجب على الرجال دون النساء، صلاة الجماعة واجبة على الرجال دون النساء، وهكذا جملة كثيرة من الأحكام الخاصة بالرجال، ومثلها أيضًا أحكام كثيرة خاصة بالنساء، كأمر الحجاب والنهي عن التبرج وإبداء الزينة هذا خاص بالنساء وليس موجها للرجال، فهذه المسألة مثلها، فلا يحل أن تزور النساء القبور، ومن أعظم المفاسد والفتن أن تزور النساء القبور كما يقع في بعض البلدان ونحن ولله الحمد في هذا البلد على القول الراجح الصحيح أنه لا يحل أن يزرن القبور، معلوم أن القبور تذكر الآخرة، فلو زارت النساء القبور فكيف ستذكر الآخرة، والموضع الذي يذكر بالآخرة وهو القبور قد صارت فيه النساء، ومعلوم من شأن النساء أنهن لا صبر لأكثرهن على المصائب فإذا أتت ورأيت قبر أبيها وأخيها فإنه في كثير من الأحيان تشق جيبها وتقول ما لا ينبغي من القول وتضرب وجهها فيؤدي ذلك إلى ظهور زينتها وقد يصل الأمر إلى ما هو أشد من قضية مجرد الوجه، مع أن الوجه بلا شك عورة ويجب أن تسترها لأنها إذا شقت جيبها الجيب هو هٰذا، هذا المقصود بالجيب وليس المقصود هذا الذي يوضع فيه القلم ونحوه هذا في عرفنا في اللغة؛ لكن جيب في اللغة هو ذو الأزرار الذي يدخل معه الرأس فهذا هو المقصود بالجيب وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

❍**فالجيوب**: هي هذه معنى أن الخمار على الرأس، فتضرب بالخمار على الجيب ولن تغطي الجيب بالخمار حتى يمر بالوجه هذا المعنى فهو هذه الآية من أدلة ستر الوجه، إذا شقت جيبها ما الذي يحدث؟ يبدوا صدرها وربما شقت أشد فبدت عورتها والعياذ بالله، فكيف يؤذن للنساء بمثل هذا في موضع يذكر بالآخرة، وأنت تعلم ما يقع من آثار دخول النساء في الأسواق ونحوها من الفتنة العظيمة، فكيف لو صار الموضع الذي يذكر بالآخرة فيه هؤلاء النساء، اللاتي لا يصبر أكثرهن على المصاب، فيلطمن وجوههن ويشققن ثيابهن إلى غير ذلك من أمور الجاهلية التي لا تحل هي من حيث الحكم قطعًا لا تحل؛ لكن يقع هذا من النساء، ويأتي -إن شاء الله- عليه الكلام في الكلام على النائحة.

فالحاصل أنه لا يجوز جميع ما ذكر ولم يلعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فعل ذلك إلا لعظم وفداحة هذا الجرم كزيارة النساء للقبور ممنوعة وفيها هذا الوعيد بلعن من زارت القبور وكذلك المتخذون عليها المساجد بنص هذا الحديث.

۞ قال المؤلف: «باب ما جاء في حماية المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك.

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] الآية.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**» رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات».

۞ **قال المؤلف:** «باب ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد».

أي: جانبه، المراد «**بجناب التوحيد**» أي: جانب التوحيد و«**المصطفى**» هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حمى جانب التوحيد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وسد كل طريق يوصل إلى الشرك، كل طريق يمكن أن يوصل إلى الشرك فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمنعه ويحول دون أن يتحقق الوصول إلى الشرك من خلال هذا الطريق، وبه تعلم قاعدة سد الذرائع، أن الذريعة الموصلة إلى المحرم، لا يصح أن تترك، حتى يقع الناس في المحرم، فالذريعة الموصلة إلى المحرم التي يعلم أنها ستوصل إلى المحرم لا بُدَّ أن تسد، أما أن تترك الناس حتى يقعوا في المحرم ثم تأتي لتعاقبهم وتقيم الحدود عليهم، هذا لا يكون في شرع الله، شرع الله فيه جانب وقائي وفيه جانب من العقوبات، فالأمور التي توصل إلى أن يقع الناس في الفظائع وفي الكبائر يسدها الشرع وهذا من الحكمة البالغة، فلو أن الشرع لم يسد الذرائع الموصلة إلى الباطل، وترك الناس حتى يصلوا إلى الباطل فيقعوا فيه فيعاقبوا لكان هذا من القصور وشرع الله منزه عن ذلك.

فكل ذريعة توصل إلى الباطل فإن الشرع الحكيم يسدها حتى لا يقع الناس في هذا الباطل، أعظم ما يجب سده الذرائع الموصلة إلى الشرك، يجب أن يسد؛ لأن الشرك هو أعظم الذنوب، فإذا كان يجب أن تسد الطرق الموصلة إلى الزنا، الطرق الموصلة إلى الربا، فما بالك بالطرق الموصلة إلى الشرك، وهو أعظم من ذلك كله لاشك أن الواجب والمتعين أن يسد كل طريق يوصل إلى الشرك وأن يلاحظ هذا

غاية الملاحظة.

ثم ذكر قول الله تعالى في نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ هذا الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من أنفسنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منا معلوم صلوات الله وسلامه عليه معروف من جنسهم ويتكلم بلغتهم فهذه من منة الله، من منة الله تعالى أن يبعث الرسول إليهم من أنفسهم أي من جنسهم ويتكلم بلغتهم فيأمرهم بالأمر عن الله تعالى فيعوا ويفهموا ما أراد هذا النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمع الله تعالى من الخصال الكريمة ما لا يوجد في غيره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من ذلك شدة شفقته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بأمته فقال: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ عزيز عليه ما عنتم أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها، ما عنتم أي عنتكم ما هنا مصدرية أي يشق عليه العنت أن يصيبكم يشق عليه عنتكم.

۞ قال المؤلف: «﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾».

شديد الحرص صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته، من شدة حرصه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن بذل حياته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في البيان، وجلب كل ما يمكن أن يكون سببًا في هداية الأمة بالتوضيح وحسن العرض صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما وصفه الله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وكان على خلق عظيم أكرمه الله تعالى به، فكان حريصا جدًا على المؤمنين، على الأمة، وكان حريصا على هداية الناس صلوات الله وسلامه عليه حتى قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨].

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فيما يتعلق في المؤمنين خاصة هو ذو رأفة وذو رحمة صلوات الله وسلامه عليه بأمته.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي: أمره الله تعالى إن هم تولوا وأعرضوا عن الحق أن قول ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أي يكفي من الله ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ كلمة التوحيد، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي أني فوضت أمري إليه وحده لا سواه وجعلت اعتمادي عليه وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ والعرش هو أعظم المخلوقات وهو فوق السَّمٰوات، فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حرصه وشاهد الباب قوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ كل هذا جعله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يحمي لهذه

الأمة توحيدها ويسد كل طريق يمكن أن يوصل إلى الشرك، ثم ذكر قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورا**» أي: لا تعطلوها هذه القبور عن الصلاة والدعاء، فتكون بمنزلة القبور هذا على أي شيء يدل؟ يدل على أن القبور ليست موضعا للصلاة، هذا المعنى، قوله: لا تجعلوا بيوتكم قبورا، أي صلوا في بيوتكم واجعلوها موضعا للذكر ودعاء الله عَزَّوَجَلَّ أما القبور فمعلوم أنها يدفن فيها الميت ويدعى له وينصرف فتبقى فترات طويلة لا يصلى بل لا يحل الصلاة فيها اللَّهمَّ إلا من لم يصل عليه فمن لم يصل على أحد فإنه يصح أن يصلي على صاحب القبر والصلاة هذه صلاة الجنازة كما تعلم ليس فيها ركوع ولا سجود ليست الصلاة المعروفة وإنما هي صلاة عبارة عن دعاء وشفاعة لهٰذا الميت أن يغفر الله له، يكون فيها التكبيرات يكون فيها الفاتحة، يكون فيها سورة مع الفاتحة ثم يكبر ويصلى على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصلاة المعروفة اللَّهمَّ صلي على محمد وعلى آل محمد إلى آخره ثم يكبر ويدعى إلى الميت ثم يكبر ويسلم، فليست موضعا للصلاة، ولا تحل الصلاة فيها ما تجوز وتقدم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن الصلاة في المقبرة.

❁ **قال المؤلف: «لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا».**

العيد: هو ما يعود، سمي العيد اسما لما يعود من اجتماع العامة على وجه معتاد، إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك، والعيد يعتاد مجيئه تجد الناس يعتادون أن العيد سيأتي بعد كذا، ويقصد إذا كان موضعا ومكانا فهو مأخوذ من العادة والاعتياد، فإن كان اسما لمكان فهو المكان الذي يقصد الاجتماع فيه، كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة تعد عيدا مكانيا، عيدا من جهة المكان، وجعل الله تعالى فيها عيدا وذلك في اليوم العاشر، حيث يكون يوم النحر وما فيه من أعمال الحج وما فيه أيضًا من ذبه الأضاحي، فالحاصل أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى أن يجعل قبره عيدا بمعنى أنه يعتاد، وان يخصص له زيارة مثلًا في أيام معلومة تعتاد كأن يقول الإنسان سأزور قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل يوم إذا كان في المدينة أو يقول سأزوره كل شهر، ما يصح أنه يجعله عيدا هذا عيد زمان، بهذه الطريقة جعله عيدا لكن بين فترة وفترة يمكن أن يأتي القبر إذا كان لا يشد الرحل إليه، أما شد الرحل ليزور القبر ما يحل، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**»، هذا الذي يشد إليه الرحل أما إذا ذهبت إلى المدينة، لتصلي في مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتشرع الزيارة في هذه الحالة، تشرع الزيارة زيارة قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لا يأتي قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا إذا جاء من سفر، هو في المدينة، ابن عمر كان مقيمًا في المدينة، فكان إذا أتى من سفر أتى إلى قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: السلام عليك يا رسول الله، ثم خطى خطوة وقال: السلام عليك يا أبا بكر، ثم خطوة أخرى فقال السلام عليك يا أبت وهو عمر، ثم انصرف، هذا هو المعروف أما أن يعتاد بتخصيص وقت محدد يعتاده الإنسان كل أسبوع، كل شهر ويخصص لهذه الطريقة لا أصل لهٰذا، وكان مالكا رَحِمَهُ ٱللَّهُ يكره لأهل المدينة أن يقول أحدهم زرت قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أن الزيارة مشروعة، معلوم أن الزيارة مشروعة لعموم القبور كذلك قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكن كان يكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يكون منهم هذه الكلمة، فالحاصل أن من أتى المسجد النبوي من أهله أو من غير أهله من أهل المدينة أو من غير أهل المدينة إذا هو أتى المسجد وزار قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلم عليه وعلى صاحبيه فهذا لاشك أن هذا مشروع لا أحد ينكر هٰذا؛ لكن أن يجعل هذا بطريقة مكررة كأن يزوره كل يوم، هذا اعتياد يجعله عيدا، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تجعلوا قبري عيدا وقلنا إن العيد يكون زمانيا ويكون مكانًا، فجعلوا كزيارة بطريقة محددة يومية أو أسبوعية أو شهرية هذا يجعله عيدا ولكن بين فترة وفترة دون تحديد يزور القبر كما قلنا دون شد رحل.

قال المؤلف: «وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم».

الصلاة عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشروعة في كل وقت وتأتي أوقات ومناسبات تتأكد فيها الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد أمر الأمة بالصلاة عليه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب]، صلوات الله وسلامه عليه، وهي مشروعة في مواضع تتبعها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «**جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام**» عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فتتبع المواضع التي تشرع فيها الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن أهل العلم من يرى أن الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصلاة ركن من الأركان ومنهم من يقول إنها واجبة ومنهم من يقول إما على سبيل الاستحباب، فالصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التشهد الثاني لا إشكال في أنها مشروعة؛ لكن هل تصل إلى حد الوجوب معنى أن الإنسان يأثم لو تركها أو هي على حد السنية كما قال آخرون، المشروع أيضًا الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى في التشهد الأول، كما اختاره الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معلوم أنها مشروعة عند أهل العلم في التشهد الثاني؛ لكن هل تشرع في التشهد الأول، الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ يختار أنها مشروعة في التشهد الأول والثاني معا، بالنظر إلى عموم الأمر بالصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا دليل على تخصيص التشهد الثاني فقط، وإنما يصلى عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التشهد الأول والثاني معا.

والذي يرجح هذا والله أعلم ما جاء في حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لما ذكرت صلاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الليل، وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أنواع صلاته في الليل أن يصلي تسع ركعات يسردها سردا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حتى إذا جاء في الثامنة جلس للتشهد، ثم يقوم ويأتي بالتاسعة ويتشهد ثم يسلم فصار في هذه الصلاة تشهدان، وهو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوتر يريد أن يصلي وترا كما هو معلوم أن صلاة الليل تختم بوتر.

في حديث عائشة هٰذا، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الركعة الثامنة لما جلس للتشهد صلى على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتشهد هذا هو التشهد الأول، ثم صلى التاسعة عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وتشهد ثم سلم، فكونه يصلي في الركعة الثامنة التي فيها التشهد الأول يدل على أن التشهد الأول يشرع فيه الصلاة على النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

❁ **قال المؤلف: «وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم».**

هذا الحديث من الأحاديث المنبئة عن غيب لا يعلمه إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، فلما أخبرنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن صلاة الأمة تبلغه أخبرنا أيضًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله وكل ملائكة يبلغونه عن أمته السلام، فكل من صلى عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبلغته ملائكة الله سلامه، وهذا يدل على فضيلة الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأيضًا الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الواحدة يصلي الله تعالى على من صلاها عشرة، فالصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أعظم الأعمال وأذكاها وبلوغ الصلاة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قبره على هيئة الله أعلم بها فإن من المؤكد أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد مات، وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠﴾ [الزمر]، والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ صلوا عليه ودفنوه وعمل علما قاطعا أنه قد توفي ولها تولى بعده أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لأنه توفي، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ٣٤ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٤، ٣٥]، فتوفي كما توفي غيره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما هو معلوم ودفن

صلوات الله وسلامه عليه وتوفي في الثاني عشر من ربيع الأول وهذا أمر متفق عليه لا يشتكك أحد فيه.

○ كيف تبلغه الصلاة وهو ميت؟!

يقال: إذا سمعت أي حديث من هذه الأحاديث المتعلقة بالقبور فاعلم أن الحياة في القبور غير الحياة في الدنيا، لا تقيس الحياة في القبور على الحياة في الدنيا، الحياة في القبور، لا يحيط بها إلا علام الغيوب سبحانه، الموتى في قبورهم قد ماتوا بلا شك ولا يعلمون ما يقع من الأحياء بلا ريب ودل على هذا أن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إذا ذيد أناس من أمته عن حوضه في القيامة ثم تساءل صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وأخبر أن هؤلاء قد صحبوه «**تقول له الملائكة إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم ما زالوا مرتدين على أدبارهم منذ أن فارقتهم يقول** صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **فأقول سحقا لمن بدل بعدي وأقول كما قال العبد الصالح أي: عيسى،** ﴿**وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡ**﴾ [المائدة: ١١٧]».

فدل على أنه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد مات وأنه لا يعلم بالذي وقع ممن بعده، فتأتي مسألة الصلاة عليه وبلوغها يقالهذه من المسائل التي أخبرنا بها فهي من الغيب الذي نؤمن به ونجزم أنه من الحق أما كيفيته وإبلاغ ذلك وهل أي: ذلك أن يذهب أحد والعياذ بالله إلى النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ويشافهه ويكلمه كأنه في حال الحياة ويقول يا رسول الله افعل كذا اطلب كذا ادع لي بكذا، لاشك أن هذا لا يحل، ولو كان هذا مشروعا لكان أسرع الناس إليه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وأرضاهم، فهذا قطعًا غير مشروع ولا يحل.

إذًا بلوغ الصلاة للنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في قبره على هيئة الله يعلمها وقد علمنا أن الشهداء والشهداء قطعًا في مرتبة دون الأنبياء بلا شك، الشهداء قد أخبرنا الله تعالى أنهم في حال قتلهم شهداء في سبيل الله قال تعالى: ﴿**وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩**﴾ [آل عمران]، ما معنى كونهم أحياء هل معناه أن زوجاتهم لا يحل أن تتزوج بعدهم، لاشك أن هذا غير مراد، فزوجات الشهداء تعتد وإذا انتهت عدتها تتزوج والمال الذي يخلفه الشهيد يورث، ويقسم بين ورثته ولو كان الشهيد حيًا لم يحل أن يفعل هذا لا من جهة زواج امرأته ولا من جهة تقسيم تركته، إذًا ما المراد بحياة الشهداء، الله أعلم على بالمراد على هيئتها، وحالها، لكنها لا تعني قطعًا أنهم كالأحياء الذين يرتبط بحياتهم أحكام شرعية فالإنسان إذا سجن مثلًا لا يحل أن تتزوج زوجته، زوجته ما دام الرجل حيًا لا تتزوج لما؟ لأن زوجها حي، اللّٰهمَّ إلا لو تقدمت للقاضي وادعت الضرر ونحو ذلك فينظر القاضي أمر الفسخ، أما أن

تتزوج هكذا والزوج حي لا يحل، وهكذا لو كان أسيرا عند الكفار، لا يحل لأن الزوج حي.

المال قد يمكث هذا السجين ستين سنة سجينا وقد يتوفى في سجنه هل يحل لورثته أن يقسمون أو أمر المال عنده؟ عنده هو، المال عنده هو؛ لأنه حي إذًا فقوله تعالى على الشهداء بل أحياء، لا يعني أنهم أحياء كحياتنا، وإنما لهم حياة اللّٰهمَّ أعلم بهيئتها يسميها أهل العلم حياة برزخية، أي: من المعلوم أن من دخل البرزخ فإنه ميت لكن يكون له من الكرامة عند الله عَزَّوَجَلَّ هذا الحال، وتكون أرواحهم في أجواف طير تسرح من الجنة حيث شاءت؛ لكن من حيث أنهم ماتوا وانقطع أمر أحكام الحياة المتعلقة بالدنيا عنهم لاشك، فلو أتيت إلى الشهيد وقلت له يا شهيد أنت حي في قبرك ما يحل هٰذا، هذا ما يجوز لأن الحياة المقصودة في الآية ليست الحياة التي في الدنيا، فدل على المغايرة، إذا كان هذا في الشهداء فكذلك في تبليغ الصلاة للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ نقول إنها تبلغ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قطعًا ومن سلم على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فإن الله يرد إلى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ليرد عليه السلام هذا كله جاءت به النصوص، أما ما سوى ذلك فلا يحل أن يتجاوز.

وأمر الغيب أيها الإخوة ليس أمر قياس، أي: يأتي إنسان ليقيس يقول ما دام أنه ترد عليه روحه، معناها في الفترة التي ترد عليه روحه يمكن أن يكلم ما يجوز هٰذا؛ لأن أمر الغيب لا يقاس على أمر الشهادة، ولا تظنن بنفسك أو بأي أحد من هذه الأمة أنه يستطيع أن يصل إلى فضيلة لم يدركها الصحابة، لو قيل بهٰذا، لكان معنى ذلك أن الصحابة لو قيل بأنه يؤتى للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ويطلب منه، لكان معنى ذلك أن الصحابة فرطوا في هذا الفضل وكانوا أهل تكاسل عن هذه المنقبة معاذ الله من ذلك، بل هم رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ أعلم الناس بالله والجاهل هو الذي يتخيل ويتوهم هذه الأوهام.

إذا قال رواه أبو داود بإسناد حسن، الثابت عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من النصوص نوعان: الصحيح وهو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه.

والحسن: وهو ما اتصل سنده بنقل العدل الذي خف ضبطه إلى منتهاه، فالحسن والصحيح ثابتان عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وإنما الذي لا يثبت هو الذي يكون من قسم الضعيف.

۞ **قال المؤلف:** «وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما: أنه رأى رجلًا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم**». [رواه في المختارة]».

علي بن الحسين رحمه الله هو المعروف بزين العابدين وهو علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم، وهو من التابعين ومن خيار وفقهاء الأمة، وهو علي الأصغر؛ لأن للحسين رضي الله عنه ابنين، الأول: علي الأكبر وهذا قتل مع أبيه الحسين رضي الله عنه في واقعة جيش بن زياد ولما قتلوا الحسين رضي الله عنه مظلوما شهيدًا، فقتل الحسين وقتل ابنه علي الأكبر وبقي علي هذا وهو علي الأصغر لم يقتل لأنه كان مريضا ولم يقاتل، وهو الذي بقي من نسل الحسين رضي الله عنه، فعلي بن الحسين رأى رجلًا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه يأتي إلى هذه الفرجة ويدخل من هذه الفرجة ويدعوا نهاه علي عن ذلك لأنه لا يحل تحري الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم لأنه ليس محلا للدعاء، وكونه يأتي على هذه الهيئة وعلى هذا الحال ويدعوا عند القبر معناه أنه خصص القبر بالدعاء وتقدم النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يتخذ قبره عيدا يعتاد، فقال علي رحمه الله ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي أي: الحسين عن جدي أي: علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تتخذوا قبري عيدًا**» تقدم معنا اتخاذ القبر عيدا، «**ولا بيوتكم قبورًا**» وتقدم أيضًا معناها، **وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم**» في بعض الروايات أن عليا رحمه الله كان يتعشى في بيت فاطمة فدعا الرجل وهو سهيل بن أبي سهيل دعاه إلى العشاء فقال لا أريده، فقال ما لي رأيتك عند القبر، قال سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم، قال: إذا دخلت المسجد فسلم، ثم قال: إن رسولكم صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تتخذوا قبري عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم، لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبائهم مساجد**»، ثم قال له: هذا من كلام علي بقية الكلام الآتي هذا من كلام علي، الكلام السابق هذا إلى قوله اتخذوا أنبيائهم مساجد هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قال له علي من أنتم ومن بالأندلس إلا سواء، أي: أنت يا من أنت في المدينة الآن تأتي لتسلم على النبي صلى الله عليه وسلم أنت والذي بالأندلس، الأندلس بلاد كانت بلاد المسلمين وهي الآن الموجودة الآن باسم أسبانيا، يقول: أنت والذي في الأندلس سواء؛ لأن تسليمكم يصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم

لقوله: فإن تسليمكم يبلغني حيث كنتم، ومراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لا يحل هذا الفعل منه وأنه المتعين عليه أن يترك عنه اعتياد المجيء إلى القبر وإنما يسلم على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث كان أما إذا أراد أن يزوره فإنه يزوره كما تقدم الزيارة الشرعية المعتادة التي تقدم الكلام عليها.

«**المختارة**» هذا كتاب جمع فيه المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ جملة من الأحاديث الجيدة الزائدة على ما في الصحيحين ومؤلفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو المقدسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، واختار رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الكتاب.

يقول شيخ الإسلام: تصحيحاته صاحب المختارة هذا خير من تصحيحات الحاكم بلا ريب.

❁ **قال المؤلف: «باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان** وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ﴾ [المائدة: ٦٠]، وقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف].

عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذّة بالقذّة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن**»؟ أخرجاه، ولمسلم عن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها**».

❁ **قال المؤلف:** «باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان».

أي: باب ما جاء من الأدلة على أن من هذه الأمة من سيفعل فعل المشركين ويعبد الأوثان، ووقعوا أناس من هذه الأمة في عبادة الأوثان ثابت في غير ما حديث، وقد ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في «الصحيحين» أنه قال: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة**» وذي الخلصة هذا معبود دوس الذي كانوا يعبدونه في الجاهلية، أخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن دوس ستعيده وستضطرب أليات النساء أي: في حال الطواف حينما يطوفن به تضرب أليات الطائف آليات الطائف الآخر أي: أنهن يطوفن عليه.

والطواف معلوم أن الطواف بهٰذا الوثن لا يكون إلا من أناس مشركين، ولهٰذا لما روى البخاري

الحديث قال في ترجمته: باب تغير الزمان حتى يعبدوا الأوثان، وقال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ترجمة على هذا الحديث: باب ظهور أمارات أهل الجاهلية في المسلمين، وقال ابن الأثير في بيان معنى الحديث ذو الخلصة هو معبود دوس الذي كانوا يعبدونه في الجاهلية وعليه بناء، كانوا قد بنوا عليه بناء وبعضهم يسميه الكعبة اليمانية أي: غير الكعبة الموجودة في مكة، وكانت دوس ومجموعة من قبائل العرب تعظمه.

يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة**» أي: أنهم سيعيدون عبادة هذا المعبود مرة أخرى، والحديث رواه البخاري ومسلم.

○هل وقع هٰذا؟!

نعم، وأدرك هذا تلامذة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأرسل الإمام عبد العزيز طائفة من جيشه إلى الجنوب، جنوب المملكة حين وصل سلطان الدولة السعودية الأولى إلى تلك المنطقة فهدموا بالمساحي والفؤوس ما تمكنوا منه وكان بناء صخريًا وأنهوا الشرك الموجود هناك، لما انحصر سلطان الدولة السعودية الأولى عادت القبائل من جديد فعظمته، فكتب أمير المنطقة من نحو مائة سنة أو يزيد قليلًا إلى الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن هؤلاء قد عادوا من جديد لتعظيم هذا الوثن، أو أن بقاياه موجودة فنسف بالديناميت، الدولة السعودية الأولى ما كان عندها إلا الوسائل المعروفة من المساحي والفؤوس فهدموا ما استطاعوا من تهديمه؛ لكن تدميره بالديناميت والوسائل الحديثة هذا كما تعلم ما اكتشف إلا أخيرًا فهدم وفجر بالديناميت ولا تزال آثاره موجودة صخور كبيرة كانوا بناها.

العجب من الذين يقولون لا يوجد شرك في الجزيرة العربية، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن دوس وهي من قبائل الجزيرة العربية ستعبد ذي الخلصة الموجود في الجاهلية، ولهٰذا قال الراوي لما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب آليات نساء دوس على ذي الخلصة**» قال: وذو الخلصة طاغية دوس الذي كانوا يعبدون في الجاهلية، هم كانوا يعبدون ذو الخلصة في الجاهلية، فكيف يقال ما فيه شرك؟ إذًا ما معنى هذا الحديث، ومن آيات الله عَزَّ وَجَلَّ أن جعل تدمير هذا الصنم على يد أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهذا من مناقبه رحمة الله تعالى عليه ومن بركة دعوته.

وثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في مسلم أنه قال: «**لا تذهب الليالي والأيام حتى تعبد اللات**

والعزى» الحديث في مسلم، وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما تقدم أن الناس في آخر الزمان بعد أن يقبض الله روح كل مسلم ومؤمن يعودون إلى دين أهل الجاهلية كما ذكرنا أحاديثها في الدرس الماضي.

○**ثم ما الحاصل من قبل كثير من هذه الأمة؟ ما الحاصل عند القبور؟** أليس يبنون عليها بنايات هائلة، ويرصعونها بالذهب وبالمجوهرات، ويسجدون لأهلها، ويذبحون باسمهم متقربين إليهم ويدعونهم من دون الله عَزَّوَجَلَّ دعاء صريحًا ما معنى الشرك إذًا إذا لم يكن هذا الفعل شركًا ما معنى الشرك؟ لاشك أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان؛ لكن ولله الحمد الأمة أمة توحيد، والتوحيد فيها باقي، والحق باقي؛ لكن لا شك أن طوائف وقبائل كما سيأتي في آخر الحديث تعبد الأوثان وتقع في عبادة الأوثان كما ذكرنا في خبر عبادة دوس للأوثان.

ذكر قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ وهم اليهود، الآية هذه نزلت في اليهود حين سأل كفار قريش حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف قالوا: أنتم أهل كتاب فأخبرونا عنا وعن محمد؟ أي: أينا أفضل نحن أم محمد؟ فقال هؤلاء الخونة الكذبة من اليهود: أنتم خيرًا وأهدى سبيلا نسأل الله العافية والسلام، مع أنهم يعلمون أنهم يعبدون الأوثان واليهود ينكرون عبادة الأوثان، لكنهم قوم أهل غدر وأهل كذب فقالوا للمشركين عباد الأوثان: أنتم خيرًا وأهدى سبيلًا، فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ ويأتي عن الجبت والطاغوت وما نحوه -إن شاء الله-

۞ **قال المؤلف:** «﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾».

أي: من أهل الأوثان.

۞ **قال المؤلف:** «﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾».

ثم ذكر قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ﴾ أي: قل يا محمد هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنون بنا، والآية مقصود بها أهل الكتاب من اليهود من لعنه الله، هذا جعله الله تعالى على اليهود، لعنهم الله تعالى وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير حيث مسخهم الله تعالى ذاك المسخ، وعبدوا الطاغوت فإنهم قد

عبدوا الطاغوت.

○ **والطاغوت**: ما عبد من دون الله عَزَّوَجَلَّ ويأتي له كلام -إن شاء الله- عَزَّوَجَلَّ ومعنى قوله: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ أي وجعل منهم من عبد الطاغوت *أي أطاع الشيطان فيما سول له، وفي قراءة ابن مسعود «وعبدوا الطاغوت» وفي قراءة «وعبد الطاغوت» جمع وعبد الطاغوت على كلام سيأتي في المراد بالطاغوت فهذا حال أهل الكتاب من اليهود قوم قد حلت عليهم لعنة الله وغضبه، ومسخ الله تعالى منهم أناس مسخهم قردة وخنازير وعبدوا الطاغوت.*

أما الآية وهي قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾ [الكهف]، فهذه جاءت في سياق خبر أهل الكهف، وذلك أن أهل الكهف لما عثر عليهم القوم بعد سنين طويلة ورأوا ما جعل الله فيهم من الآية تنازعوا فيهم فقال بعضهم: ﴿فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ﴾ الذين غلبوا على الأمر هم زعمائهم وكبرائهم ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾.

○اتخاذ المسجد على أهل الكهف هل هو صواب أو خطأ؟!

لا شك أنه خطأ إذا أردت أن تعرف أنه خطأ فأنظر إلى الأحاديث المتقدمة حديث أم سلمة لما أخبرت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أولئك قوم إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله**» وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو تقبض روحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث جندب قبل أن يموت بخمس «**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**» وتقدم حديث «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد**» فما ذكره الله تعالى عنه هنا ليس على سبيل الإقرار؛ ولكن على سبيل الإخبار، وليس كل ما ذكر عن المتقدمين من الإخبار هو محل إقرار، بل ذكر الله عن المتقدمين أشياء كثيرة جدًا هي محل إنكار فأخبر أنهم صنعوا أشياء لا شك أنها منكرة، فالعجب ممن يستدل بهذه الآية التي ثبت بالنصوص أن من فعلوا هذا الفعل أنهم شرار الأمة التي يكونون فيها ثم يستدل بفعل هؤلاء الكفار أو هؤلاء الغلاة ويترك الأحاديث الصريحة الجلية البينة في

النهي عن هذا الفعل.

ثم ذكر حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لتتبعن سنن**» أي: طرق، السنن جمع يراد به الطريق، السنة وجمعها السنن.

❁ **قال المؤلف: «لتتبعن سنن من كان قبلكم».**

أي: طريق من كان قبلكم.

❁ **قال المؤلف: «حذو القذّة بالقذّة».**

ما المراد بالقذة؟!

○القذة: ريش السهم، كل ريشة مقابل الأخرى، أي: أنه يكون هناك تطابق شديد فإن السهم يكون عليه القذاذ، فيقول: ستتبعون من كان قبلكم إتباعًا شديدًا على هذا النحو.

❁ **قال المؤلف: «حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه».**

أي: من شدة الاتباع الأعمى لهؤلاء الكفار، وهذا الحديث أعلم أنه من دلائل النبوة، لأنه خبر عن غيب وقع وأنت ترى بنفسك شدة اتباع الناس أو كثيرًا من الناس رجالا ونساء وشبابا لأعداء الله من أهل الكفر، إتباعًا شديدًا، حتى في العجائب وفي الغرائب التي هم عليها، حتى في الأمور الموحشة والمنكرة والقذرة والقبيحة تجد من يتبعهم فيها، لهٰذا قال: «**حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**»، قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ السؤال الآن توجه منهم عليهم رضوان الله، أي: أنت تعني بهؤلاء الذين نتبعهم أنت تعني اليهود والنصارى أو أهم اليهود والنصارى؟ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فمن**» أي فمن غير هؤلاء يتبعون.

ولهٰذا لما ذكر اتباع فارس والروم قال: «**فمن القوم إلا أولئك**» أي: أنهم سيتبعون هذا الاتباع الهائل العظيم وبه يعلم أن اتباع أهل الكتاب هو الذي أوصل إلى الشرك؛ لأن أهل الكتاب يقعون في الشرك بتعظيم كبرائهم فوجد في الأمة من فعل نفس صنيع أهل الكتاب حتى إن من العجائب ما ذكره شيخ الإسلام ابن القيم من وجود قبر عظمه النصارى وعظمه معهم مجموعة من هؤلاء الجهلة الموجودين في الأمة مع أنه قبر يعظمه النصارى لنصراني فجاء هؤلاء الجهلة وعظموه مع أن الذي عظمه هم

النصارى، نسأل الله العافية والسلامة.

فإتباع أهل الكفر في طرائقهم والتشبه بهم لاشك أنه من الأمور الموحشة الخطيرة جدًا والمؤذنة بعقوبة إلهية؛ لأن الله تبارك وتعالى امتن على هذه الأمة بأن أخرجها من الضلال ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ [آل عمران]، فالذي يتشبه بأهل الكفر يعيد الأمة إلى الضلال المبين ويترك ما جاء به هذا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من التزكية والعلم والحكمة.

۞ **قال المؤلف:** «ولمسلم عن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة بعامة وألا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا**»، ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد: «**وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذَّابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى**».

هٰذا الحديث له شأن وله أهمية في إخبار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بما سيكون لأمته من النصر والتأييد والرفعة، ثم ما سيكون عليه الحال بعد ذلك من الانتكاس، فروى مسلم من حديث ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله زوى لي الأرض**» معنى أن الله تعالى جمع له الأرض وهو على كل شيء قدير، وطواها حتى صارت كأنها مجتمعة فرأى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ملك أمته، رأى المشارق والمغارب، وملك أمته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بلغ المشارق والمغارب، وهذا خبر أخبر به عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ووقع مخبره، فاتساع ملك الأمة من جهة المشرق والمغرب أكبر بكثير من اتساعه من جهة الجنوب والشمال، فإن المشارق والمغارب فتحت للأمة أكثر مما فتح من جهة الجنوب والشمال.

❁ **قال المؤلف:** «وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض».

الكنز الأحمر: يراد به كنز قيصر، والأبيض كنز كسرى، أي: أنه سيفتح الله تعالى على هذه الأمة بالدنانير والدراهم وستكثر أموالهم؛ لأن الله تعالى أعطى هذه الأمة كنز هاتين الأمتين، الغالب على استعمال الروم هو الذهب وهذا معنى قوله «**الأحمر**» والغالب على استعمال الفرس استعمال الفضة وهو المراد بقوله: «**الأبيض**».

❁ **قال المؤلف:** «وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة».

أي: سأل الله أن لا يهلك الأمة بالجذب والقحط الذي يعمها.

❁ **قال المؤلف:** «وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم».

أي: أن يأتي إليهم عدوًا من غيرهم فيستبيح بيضتهم، بيضة كل شيء هي حوزته، وبيضة القوم هي ساحتهم، وقيل إن المراد: لا يستبيح بيضتهم أي معظمهم وجماعتهم حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، فيقع أي: في الأمة نفسها أن يسلط بعضها على بعض فيهلك بعض الأمة بعضا، ويسبي بعض الأمة بعضا، نسأل الله العفو والعافية بسبب كثرة الاختلاف والخروج عن ما أوجب الله تعالى من اتباع نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ **فيقع لهذه الأمة السلامة من أمرين اثنين:**

○ **الأمر الأول:** الجذب الذي يعمهم حتى يهلكهم فهذا قد سلمت الأمة، بحيث يعم الجميع، أما أن يقع في موضع دون موضع فهذا أمر آخر يقع لكن المقصود لا يعمهم بحيث يهلكهم الجذب.

○ **الأمر الثاني:** ولا يسلط عليهم عدوا يستبيح بلاد الإسلام كاملة بحيث تبقى جميع بلاد الإسلام بيد العدو هذا ولله الحمد لا يقع، لا بُدَّ أن يبقى ولله الحمد في الأمة من يكون على الحق ويبقى للإسلام بقية.

❁ **قال المؤلف:** «وأن لا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها».

أي: من بأقطار الأرض حتى يجتمعون جميعًا فإنهم لا يستطيعون أن يستبيحوا الأمة بأسرها.

الحديث رواه البرقاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه، وزاد على ما رواه مسلم: «**وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**» وهم أمراء السوء وعلماء السوء، لأنهم يؤتم بهم، فإذا كانوا مضلين صار الأئمة في العلم مبتدعة وضلال فضللوا الأمة بدلًا أن يرشدوها إلى الحق، والحكام والأمراء إذا كانوا حكام سوء فإنهم أيضًا يسلطون على الأمة فيقرون الباطل ويمنعون الحق فكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخاف على أمته هذين الصنفين: أمراء السوء وعلماء السوء.

❁ قال المؤلف: «وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة».

لم قتل عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقتل عثمان انتشرت الفتنة وصار السيف واقعًا في الأمة، وصار القتال نعم وجد فتوحات لاحقًا، وفتحت بلاد كثيرة؛ لكن السيف صار في الأمة كثيرًا، بينما كان قبل ذلك سيف المسلمين مسلولًا على العدو فقط كما كان الحال زمن أبي بكر وزمن عمر وهكذا زمن عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حتى وقع في آخر وقته ما وقع من المشغبين الذين شغبوا عليه وبدأوا يثيرون على ولاته شيئًا من الإشكالات، وسعوا حتى وصل الأمر إلى أن داهموه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في المدينة وقتلوه.

ثم بعد ذلك وقعت الحروب من آثار قتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم حصل بعد ذلك عدة خلافات فصار السيف واقعًا في الأمة، وإذا وقع لا يرفع إلى يوم القيامة.

شاهد الباب: «**ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين**» هؤلاء الذين يلحقون بالمشركين لاشك أنهم إنما يلحقون بالمشركين لكونهم صاروا مثلهم، نسأل الله العافية والسلامة.

وهذا الحديث يدل على عدد كبير من القبائل ستفعل هٰذا، في اللفظ «**حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين**» والرواية هنا «**حتى يلحق حي**» أي قبيلة «**من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**» والفئام هي الجماعات الكثيرة، وفي رواية أبي داود «**وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان**» وهذا نموذجه ما ذكرناه من عبادة دوس للوثن الذي كانوا يعبدونه في الجاهلية.

وهذا شاهد الباب حين قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان» هذا شاهده لإخبار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذه القبائل سيلحق بعضها بالمشركين، وقبائل أخرى ستعبد الأوثان والعياذ بالله.

۞ **قال المؤلف:** «وإنه سيكون في أمتي كذَّابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، ولا نبي بعدي».

معلوم أنه لا يمكن أن يوجد نبي بعد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه هو الرسول الخاتم الذي ختم الله تعالى به النبيين كما قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

فكل من ادعى النبوة بعده فهو كافر كاذب، وكل من ادعاها في غيره فكذلك، فلا يحل أن يعتقد أن هناك نبي بعد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا أن هناك دين بعد دينه يرتضيه الله ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ [المائدة: ٣]، فكل دين سوى الإسلام فهو باطل، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران].

هؤلاء الكذابون الثلاثون المقصود ممن لهم قوة وشوكة، لا أن يدعي أحد قد يكون في عقله شيء من الخبل أو نحوه، هؤلاء كثير ومساكين كثير منهم من المساكين الذين هم غير مكلفين أصلًا شرعًا مجانين ويأتي أحدهم فيدعي أنه نبي ويدعي أنه هو عيسى، وأنه هو المهدي، هؤلاء في كثير من الأحيان ليسوا أسوياء أي: غير مكلفين شرعًا وليسوا هم المقصودين في الحديث، إنما المقصود من يكونون ذوي اتباع يكون لهم شوكة ومنعة وقوة فيدعي الواحد منهم النبوة فيتبعه على ذلك أناس من مثل الأسود العنسي في اليمن، ومسيلمة الكذاب في اليمامة، والحارث الدمشقي في الشام كل هؤلاء ادعوا النبوة ومن آخرهم عدو الله خادم الانجليز غلام أحمد القادياني عدو الله الذي أجمع أهل العلم على كفره وارتداد طائفته وأنهم ليسوا من المسلمين أصلًا ولا يجوز أن يعدوا من المسلمين فإنه ادعى النبوة قاتله الله، وأمده الانجليز بمددهم الخبيث، وله اتباع إلى الآن في الهند وفي أفريقيا وفي عدد من الدول يعتقدون أنه نبي، فهذا وأمثاله ممن يكون لهم شوكة وكثرة هم المقصودون.

۞ **قال المؤلف:** «سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة».

ولله الحمد والمنة هذا من فضل الله، أي: مع هذه الأمور المذلهمة والاختلاف الشديد أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الخبر الذي هو بشارة أن الأمة ولله الحمد سيبقى فيها الحق ولن يزول ويضمحل أبدًا.

❁ **قال المؤلف:** «ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله».

والمراد بأمر الله هنا الريح التي تقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، يبقون ولا يزالون ثابتين حتى يأذن الله تعالى بإرسال تلك الريح فتقبض روح كل مؤمن ومسلم ولا يبقى بعدهم على وجه الأرض إلا الأشرار كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال الله الله**» أن ينقطع ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، وفي اللفظ الآخر «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال لا إلٰه إلا الله**» ينتهي تمامًا نسأل الله العافية أمر التوحيد، فعند ذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فعليهم تقوم الساعة**».

فلا تزال هذه الطائفة ولله الحمد منصورة، وعلامة هذه الطائفة الكبرى التي تميزها عبر القرون كلها أنهم أهل توحيد، العلامة الجلية البينة التي يعرف بها أن هؤلاء على الحق أنهم موحدون، أما إذا كانوا مشركين فكيف يكونون على الحق؟ وكيف يكونون منصورين؟ فمن استمسك بهٰذا التوحيد ولزم السنة فإن الله تعالى ينصره، ونصر هذه الطائفة على نوعين:

- **النوع الأول**: نصرهم بالسنان وبالقوة، بأن يهيئ لهم الله تعالى النصر على أعدائهم.
- **النوع الثاني**: النصر بالحجة والبرهان.

فأما النصر بالحجة والبرهان فهو دائم لا ينقطع، وأما نصرهم بالسيف وبالسنان فهذا يقع لكن قد يتخلفوا فترة لحكمة يشاءها الله تعالى فتكون العاقبة في النهاية لهم فهم منصورون بلا شك، لهٰذا قال: «**على الحق منصورة**» فهم منصورون قطعًا؛ لكن قد يتأخر النصر لأمر يشاءه الله تعالى، ولحكمة هو أعلم بها حتى يتم أمره تعالى فينصرون، ولهٰذا قال فيهم: «**لا يضرهم من خذلهم**» لأن أهل الحق كثيرًا ما يخذلون، وينفض المغرورون أيديهم عن نصرتهم، ويزهدون في مسلكهم حتى لو اجتمع من في الأرض وزهدوا في هؤلاء فإن الله ناصرهم وإن رغمت أنوف المضللين قال: «**حتى يأتي أمر الله**».

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

---

(١) نهاية المجلس التاسع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

❁ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب ما جاء في السحر**، وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قال عمر: (الجبت): السحر، (والطاغوت): الشيطان. وقال جابر: الطواغيت: كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد.

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قالوا: يا رسول الله: وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**».

وعن جندب مرفوعًا: «**حد الساحر ضربه بالسيف**» رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف.

وفي «صحيح البخاري» عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر.

وصح عن حفصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت، وكذلك صح عن جندب. قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ باب ما جاء في السحر، والسحر في اللغة ما خفي ولطف سببه، ولهٰذا جاء في الحديث: «**إن من البيان لسحرا**» سمي سحرا لأنه يقع خفيًا، ومنه سمي السحر في الليل سحرا؛ لأنه يكون في آخر الليل، خفي، السحر كما قال المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الكافي»: عزائم ورقاء وعقد، تؤثر بإذن الله تعالى في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه كما قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الفلق]؛ لأن النفاثات هن السواحر ينفثن يعقدن العقدة وينفثن فيها لولا أن السحر له حقيقة لما أمر الله

تعالى بالتعوذ منه.

❁ والسحر نوعان:

○**النوع الأول:** سحر تخييل من الخيال، بأن يظهر أن الساحر فعل كذا وكذا وهو لم يفعله وهذا يقع كثيرًا في مجموعة من الألعاب ومنها ما يقع فيما يسمى بالسيرك فإن جملة من أفعالهم أفعال سحرة.

○**النوع الثاني:** السحر الحقيقي الذي يؤثر ويكون ذلك والعياذ بالله، بأن الساحر يبيع دينه للشياطين، فيكفر بالله عَزَّوَجَلَّ فيعينونه قبح الله الجميع على ما يرومه من الشر والفساد وذلك أن الله تعالى قال لما ذكر تعلمهم من الملكين ببابل هاروت وماروت: ﴿ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾ فدل على أن السحر كفر، لم يقولا فلا تسحر، قالا فلا تكفر؛ لأنه إذا دخل في السحر كفر، وذلك أن السحر يتقرب به السحرة للشياطين ويقدمون نعوذ بالله من حالهم ومآلهم دينهم مقابل التعاون معهم، فيذبحون لهم من دون الله، ويتركون الصلاة، ويخرجون من الإسلام إرضاء للشياطين، ولهٰذا تلاحظ أن السحرة إذا قبض عليهم وجد عندهم أخزاهم الله ولعنهم وجد عندهم مصاحف قد لوثوها بالقذر من النجاسات كالحيض والبول ونحوه هذا من تقربهم للشياطين لعنة الله على الجميع، يتقربوا إلى الشياطين بفعلهذه الأفعال القذرة بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

فالسحر كفر لأن الساحر لا يتأتى له السحر حتى يكفر، فإذا كفر أعانته أولياءه من الشياطين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ﴾ أي من نصيب، هذا السحر من اشتراه ما له في الآخرة من خلاق أي من نصيب قال ابن عباس في المراد بقوله من خلاق أي من نصيب، قال قتادة قد علم أهل العلم فيما عهد إليهم أن الساحر لا خلاق له في الآخرة، فالساحر ليس له دين لأنه يكفر ابتداء فليس له في الآخرة أي نصيب.

❁ **قال المؤلف:** «قوله: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]».

ما المراد بالجبت؟!

قيل إن المراد بالجبت ما لا خير فيه الشيء الذي لا خير فيه يطلق عليه الجبت، ويفسر أيضًا بالسحر لأن السحر أيضًا من الجبت، والطاغوت فسر هنا بالشيطان يؤمنون بالجبت والطاغوت فسر هنا بأن

المراد به الشيطان من عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فسر الجبت بالسحر والطاغوت بالشيطان.

وقال جابر في الطواغيت هم الكهان ينزل عليهم على كل واحد منهم شيطان في كل حي، أي: حي في كل قبيلة من قبائل العربي واحد، نسأل الله العافية والسلامة.

ثم ذكر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» أي: المهلكات، قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال: «**الشرك بالله**» وتقدم الكلام على معنى الشرك وأنه هو المخرج من الملة والسحر، قرن السحر بالشرك مباشرة لأن السحر كفر مثل الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

قال المؤلف: «وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق».

النفوس التي حرمها الله لا يجوز أن تقتل، فكل مسلم وكل معاهد يحرم قتله، قال: إلا بالحق، إلا بالحق بأن يفعل ما يوجب قتله، كأن يشرك أو أن يقتل نفسا أو أن يزني بعد إحصانه ففي هذه الحالة يستحق القتل، أما إذا لم يستحق القتل وقتل فإن ذلك من أبشع وأفظع الكبائر وهو بعد الشرك بالله مباشرة، ليس بعد الشرك ذنب أشد من سفك الدم.

«**وأكل الربا**» والربا أصله الزيادة، والربا نوعان:

- **الأول**: ربا فضل.
- **الثاني**: وربا نسيئة.

ربا الفضل: بأن تعطيه مثلًا صاعا جيدًا من بر بصاعين رديئين من البر، أو صاعا جيدًا من التمر مقابل صاعين من التمر، هذا فيه الآن ربا فضل أي: زيادة، فلا يجوز بين المتماثلات، أي: تمر بتمر، شعير بشعير، أما إذا اختلف الجنسان كأن تبيع تمرا ببر، لا بأس أن يكون هناك تفاضل أي: زيادة بشرط أن يكون التقابض في محل العقد، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**البر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر ربا إلا هاء وهاء يدا بيد**» مباشرة يدا بيد، أي: لا بُدَّ من التقابض لا بُدَّ فيها فإذا كانت متماثلة تمر بتمر فلا بُدَّ من شرطين، فإذا كانت من جنس واحد لا بُدَّ من شرطين التماثل صاع بصاع حتى لو كان الصاع رديئا والصاع الآخر جيدًا، فإذا قلت كيف يبيع الرديء بالجيد، يقال ما ألزمه أحد يبيع صاعين من التمر بنقود ويأخذ النقود ويشتري الجيد، أما بهذه الطريقة يكون فيه تفاضل بنفس الجنس فلا يحل، وأيضًا لا بُدَّ من التقابض في نفس المحل، فإذا اختلف الجنسان فكما ذكرنا، هذا النوع متعلق بربا الفضل.

❍**ربا النسيئة**: والمراد بالنسيئة التأخير، كأن تقول اصرف لي هذا الدينار من الذهب بعشرة دراهم، الدينار يعادل عشرة، فيقول معي تسعة، خذ تسعة وأعطيك الباقي لاحقًا ما يجوز، هذا نسيئة أي: أخر، لا بُدَّ من التقابض في الحال، وهكذا لو كان له عليه دين، فلما حل الوقت قال: أعطني الآن قيمة ما بعتك قال: ما عندي الآن القيمة لكن أمهلني سنة وزدني، فيمهله السنة ينسئه يؤخره، وبدلًا من أن يسلمه ألف ريال التي يطلبه يقول: تكون بألفين أو بألف وخمسمائة، فيكون فيها زيادة فضل ويكون فيها نسيئة تأخير، كل هذا محرم، وأكل مال اليتيم، أكل المال كله محرم بالباطل لكن اليتيم لما كان صغيرة ولا يدري وربما كان رضيعا لا يدري بماله، تسلط عليه من لا يخاف من الله تعالى فأكلوا ماله فشدد في أمر آكل مال اليتيم وإلا فالأصل أن كل مال يؤكل فهو محرم بالباطل، فهو محرم.

۞ **قال المؤلف**: «**والتولي يوم الزحف**».

أي: إذا زحف العدو والتقى صف المسلمين وصف الكفار فلا يحل الفرار.

۞ **قال المؤلف**: «**وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**».

قذفهن أي: بالزنا، بأن يقول هي والعياذ بالله زانية، وهي محصنة عفيفة مؤمنة وغافلة لا يأتي في ذهنها أصلًا الزنا، فيشتد عقوبته، القاذف تشتد عقوبته ويلزمه في الشرع ثلاثة أحكام تسقط عدالته وترد شهادته ويجلد ثمانين جلدة. مع ما ادخره الله له من العذاب إلا أن يتوب، وذكر شيخ الإسلام أن القرآن العظيم ليس فيه ذكر العذاب المهين، إلا للكفار، كل آية فيها ذكر للعذاب المهين فهي للكفار، ويذكر العذاب الأليم للمسلمين ممن يعصون، قال: إلا قاذف المحصنة، فذكر الله أن عذابه مهينا، فقذف المحصنات أو المحصنين أيضًا، ليس المقصود المرأة فقط المحصن أو المحصنة في هذا الوعيد.

❍**الشاهد من الحديث**: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عد السحر من الموبقات والمراد بالموبقات المهلكات، وفي حديث جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو جندب الخير الأزدي وليس جندب بن عبد الله البجلي، أنه قال: «**حد الساحر ضربه بالسيف**» وذلك أن ساحرا كان يظهر اللعب فيظهر أمام الناس بالتخييل بسحر التخييل أنه أسقط رأس أحد، كأنه قطع رأسه، ثم يقوم بإعادته، ففتن الناس وصار بعضهم يقول: سبحان الله يحيي الموتى فجاء جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مشتملا على السيف فلما بدأ يلعب لعبه هٰذا، ضربه بالسيف وقطع رأسه قال: إن كان صادقا فليعد رأسه، أي: كل ما كان يعمله كان يلعب يعبث بالأعين، وما كان يقطع الرؤوس حقًا؛ ولكن كان يخيل كما قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ۝٦٦﴾ [طه]، تخييل فقط،

وقلنا إن السحر نوعان:

سحر حقيقي يمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه، له أثر ولهٰذا أمر الله بالتعوذ منه، ونوع آخر تخييل ليس له حقيقة، فكان هذا الرجل يخيل أنه يقطع الرؤوس ثم كأنه يعيد الرأس بزعمه فضربه بالسيف وقتله قتلا حقيقيًا وقال إن كان صادقا فليعد رأسه، وذكر أن في الحديث «**حد الساحر ضربه بالسيف**»، والواجب في حق الساحر أن يقتل، وظاهر النصوص أنه يقتل بلا استتابة، وهنا يقول وعن جندب مرفوعا: أي: مرفوعا إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الترمذي: الصحيح أنه موقوف على جندب، أن هذا من كلام جندب، وفي البخاري عن بجالة بن عبدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة هذا الذي في البخاري، الذي في البخاري أنه أمر بقتل هؤلاء في عموم أنحاء بلاد الإسلام، أن الواجب أن يقتل كل ساحر وساحرة.

فقتلوا ثلاثا من السواحر، وظاهر الصنيع كنا قلنا هنا أنهم يقتلون بلا استتابة، هل تقبل توبة الساحر إذا تاب قبل أن يقبض عليه، هذا وضع تقبل توبته أما إذا قبض عليه وقال سأتوب يقال: إن كنت صادقا في توبتك فهي فيما بينك وبين الله تنفعك، أما في الدنيا فلا بُدَّ من قتلك حتما، وهذا الذي عليه أكثر أهل العلم وهو القول الصحيح أن الساحر يجب قتله، وترك السحرة وعدم قتلهم يؤدي إلى شر عظيم؛ لأن السحرة إذا عملوا أنهم يقتلون تركوا السحر أو فروا من الموضع الذي تقطع فيه رؤوسهم، أما إذا تركوا فإن شرهم يستطير ويزيد.

۞ **قال المؤلف:** وصح عن حفصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت».

هذه الجارية سحرت أم المؤمنين حفصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فأمرت حفصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن تقتل هذه الجارية فقتلت.

۞ **قال المؤلف:** يقول أحمد: صح عن ثلاثة من أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

أي: قتل السحرة، ومراده بالثلاثة أنه صح عن عمر وعن حفصة وعن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ واليوم سنختصر الدرس لبعض الأشغال عندي -وإن شاء الله- نتمه فيما بعد، نسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

---

(١) نهاية المجلس العاشر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

۞ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«باب بيان شيء من أنواع السحر**

قال أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا عوف عن حيان بن العلاء، قال: حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت**».

قال عوف: العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض والجبت، قال: الحسن: رنة الشيطان. إسناده جيد ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه، المسند منه.

وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**» رواه أبو داود وإسناده صحيح.

وللنسائي من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئًا وكل إليه».

وعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**ألا هل أنبئكم ما الغضة؟ هي النميمة، القالة بين الناس**» رواه مسلم. ولهما عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**إن من البيان لسحرًا**».

بعد أن ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ باب مفرد في السحر ذكر الباب الذي بعده في بيان شيء من الأنواع الداخلة في السحر.

بدأ بالحديث المسند الذي رواه أحمد في مسنده رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت**» ثم فسر الراوي وهو عوف فسر المقصود بالعيافة فقال: إن العيافة هي زجر الطير، العرب في الجاهلية كانوا يعطون الطيور قدرًا كبيرًا جدًا في ذهابها عن ميامنهم أو عن شمائلهم في الجاهلية وكانوا يظنون أن لذلك أثر بناء عليه يقدمون أو يحجمون فإذا طارت الطيور عن اليمين تفاءلوا وقالوا: هذا سفر ميمون إذا أرادوا السفر أو قصد أحدهم الحاجة، وإذا طارت عن شمال الواحد منهم

قالوا: هذا سفر مشئوم ورجع الواحد منهم عن حاجته، وهذا من خرافات الجاهلية وقلة عقولهم، ومن دلائل فراغ قلوبهم من التوحيد حيث علقوا أمورهم بمجرى الطيور عن يمينهم أو عن شمالهم، ولا شك أن هذا دال على ما في الجاهلية من سخافة العقول وقلة الفهم، وسلم الله تعالى الأمة من ضمن ما سلم من هذه الأباطيل والضلال المبين كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ [آل عمران].

وكانوا يأتون إلى الطير إذا لم تطر عن يمين الواحد منهم أو شماله فيأتون إليها في أوكارها فيحركونها ويطيرونها حتى تطير عن يمين الواحد منهم أو عن شماله، وعليه حمل بعض أهل العلم كالشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بأن تترك الطيور على مكوناتها ففسر بأن المقصود أترك الطير ولا تتعرض له بحيث تطيره حتى يذهب عن يمينك فتتيامن أو يذهب عن شمالك فتتشاءم.

○**فالعيافة**: هي زجر الطير، يقال: عاف يعيف عيفًا إذا زجر وحدث وظن، وأما الطرق: فهو الخط يخط بالأرض، نفس الوضع كانوا يخطون خطوطًا إذا أراد الواحد منهم الإقدام أو الإحجام يخطون عدة خطوط، خطوط كثيرة ثم يبدءون في محوها، فإن بقي خط واحد يبدءون في محوها بشكل سريع ثم في نهاية المحو يبقى أحد أمرين: إما أن يبقى خطان، وإما أن يبقى خط واحد، فإن بقي خط فمعناه كذا، وإن بقي خطان فمعناه كذا، و هذه كلها من خرافات أهل الجاهلية، ولهذا جاء الحديث فيها بأن هذه كلها من الجبت.

۞ **قال المؤلف**: «إن العيافة والطرق والطيرة».

والطيرة – إن شاء الله تعالى – يأتي لها كلام في بابها.

۞ **قال المؤلف**: «من الجبت».

الجبت: يطلق على ما لا خير فيه؛ فالسحر يطلق عليه الجبت، ويطلق على الصنم، فالجبت كلمة تشمل ما لا خير فيه، ومن هنا ادخل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الحديث في قوله: باب بيان شيء من أنواع السحر، فالمعنى في قوله: الجبت هنا أن كلهذه المذكورات لا خير فيها، وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ تقدم أنه فسر الجبت بالسحر وبه يعرف مقصود المصنف حين أدخل هذا الحديث في باب شيء من أنواع السحر، لأنه جعلها رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه كلها من أنواع السحر بالنظر إلى أن الجبت من معانيه السحر.

أما قول الحسن في بيان الجبت فهذا قول آخر في معنى الجبت رنة الشيطان، الرنة: الصوت المعروف يقال: رنة رنينًا، فذكر في الشرح رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن المقصود برنة الشيطان أن إبليس رنة أكثر من مرة، رنة حين لعن كما نقل من تفسير بقي بن مخلد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن إبليس رنة رنات، رنة حين لعن، ورنة حين أهبط، ورنة حين ولد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب، فالمقصود بها الرنة التي من الشيطان؛ لكن في بعض الروايات قال الحسن: إنه الشيطان، فإذا قيل إن المقصود بالجبت الشيطان يكون هذا على القول الثاني في المراد بالجبت هو أن المراد به الشيطان تحديدًا لا مجرد رنته.

حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**» يقال: قبست العلم إذا تعلمته، ومعنى الشعبة المراد به الجزء أي أن تعلم علم النجوم هو تعلم جزء من السحر كما في الحديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**الحياء شعبة من الإيمان**» أي أن الحياء خصلة وجزء من أجزاء الإيمان، فهنا قال: «**من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر**» أي أن تعلم علم النجوم هو نوع من تعلم السحر، ففيه التصريح بأن علم النجوم من السحر، ويأتي له تفصيل -إن شاء الله تعالى- في بابه عند الكلام على التنجيم.

قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**زاد ما زاد**» أي: كل ما زاد من تعلم علم النجوم زاد في الإثم الحاصل بزيادة اقتباسه من شعب السحر هٰذه.

وفي حديث النسائي النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك**» السحرة من شأنهم كما قال الله عَزَّوَجَلَّ لما ذكر التعوذ من شرهم قال: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤﴾ [الفلق]، العقد هي العقدة المعروفة يأتي السحرة كما هو ملاحظ من أعمالهم قبحهم الله أنهم يأخذون مثلًا حبلًا ويربطون هذا الحبل عقدة وربما جعلوا في الحبل أكثر من عقدة، «**فمن عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر**» أي: على طريقة السحرة؛ لأن السواحر هن المراد بقوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤﴾ فإنهن ينفثن في هذه العقد.

ونفثهن: هو بعد أن أدين للشيطان ما أراد حيث كفرن بالله عَزَّوَجَلَّ، فيترتب من نفثها بإذن الله عَزَّوَجَلَّ ومن سعي الشيطان إضرارًا إذا شاء الله، إذا شاء الله فإنهم لا يمكن أن يضروا أحد إلا بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، فلهٰذا قال: «**من عقد عقدة ثم نفث فيها**» النفث: هو هواء خفيف يكون معه بعض الريق وهو دون التفل،

التفل أكثر، أي: الإنسان يقال تفل بمعنى أنه أخرج ما في فمه؛ لكن النفث يكون معه ريق خفيف، وكما أن النافث ينفث من السحرة على هذا الحال، فالنافث للرقية ينفث أيضًا ويكون في نفثه شيء من الريق كما في حديث «**بريقة بعضنا يشفى مريضنا**» الحديث، فإنه يكون بإذن الله عَزَّوَجَلَّ من آثار النفث، نفث الراقي ما يحل بإذن الله تعالى هذه الأعمال السحرية.

۞ قال المؤلف: «ومن سحر فقد أشرك».

في هذا نص على أن الساحر مشرك، وتقدم أن الصحيح أن الساحر كافر، وأن هذا هو الذي عليه أكثر أهل العلم، وأن كفره وشركه أكبر، ولهٰذا قال الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الساحر: الساحر يقتل ولا يستتاب، وهو الذي يتقرب للشيطان ويدعي علم الغيبهذا لا يستتاب أصلًا وإنما يقتل مباشرة؛ لكن لو تاب فيما بينه وبين الله وترك ما هو فيه من شر فإنه ينفعه بإذن الله تعالى ذلك.

۞ قال المؤلف: «ومن تعلق شيء وكل إليه».

من علق قلبه بشيء فإن الله تعالى يكله إلى ما علقه إليه، فمن علق قلبه بالله عَزَّوَجَلَّ فالأمر كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٣]، أي فهو كافيه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ومن علق قلبه بشيء من هذه الخرافات، بصخرة من الصخور، بقبر من القبور، بشيء من الطيور، فإن الله يكله إلى هذا الحال، وإلى هذا الضار، وهكذا إذا تعلق قلبه بأحد من الناس فإن الله تعالى يكله إليه؛ لأن القلب نسأل الله أن يمن علينا بذلك.

يجب أن يفرد ويخلص في تعلقه بالله عَزَّوَجَلَّ بحيث يكون تعلقه يعلم أن الضر والنفع وأن جميع أمور التقدير إنما هي لله وحده لا شريك له، وأنه لا يمكن أن يضره أحد بشيء إلا بإذن الله، ولا يجلب له أحدًا نفعًا إلا بإذن الله، فيكون أصل تعلق قلبه بالله عَزَّوَجَلَّ ويعلم أن ما سوى الله تبارك وتعالى فإنما هم أسباب، أسباب قد يصل على أثرهم شيء من الخير، ولم يصل ذلك إليه إلا بإذن الله، وقد يصله ضر، ولن يصله من ذلك شيء إلا بإذن الله، فيتعلق قلبه في هذه الحالة بالله عَزَّوَجَلَّ، من وفق لهٰذا فإنه يكون أعظم الناس شجاعة وقوة قلب، وبقدر ما يعظم توكله على الله بقدر ما يعظم أمر قوة قلبه وإقدامه على الخير، وبقدر ما يضعف من ذلك بقدر ما يكون من آثار ذلك في قلبه.

ثم ذكر حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي هو في مسلم أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ألا أنبئكم ما**

العضه؟» هكذا ضبطت بفتح العين وإسكان الضاد والهاء المضمومة العضه، وبعضهم ضبطها بالعضه بكسر العين وفتح الضاد، والعضه أصله البهت، فسألهم وهذا يقع منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يسألهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عن أمر من الأمور «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**» «**ألا أنبئكم**» بهذه الطريقة يكون فيه لفت لنظر المسؤول ويهتم للمسألة، فسألهم: «**ألا أنبئكم ما العضه؟ هي النميمة، القالة بين الناس**».

النميمة: هي نقل الكلام من أحد في أحد بقصد التحريش والإفساد، وإلا لو نقل كلام طيب فقال: كنا في مجلس فجاء ذكرك فقال: فلان أثنى عليك ودعا لك بخير، فإن هذا نقل كلامًا طيبًا، وإنما المقصود نقل الكلام الذي فيه التحريش والإفساد؛ لأن ذلك له أثر كبير في الشر والفساد.

○ما علاقة هذا الحديث أيضًا بأنواع السحر؟!

ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقل قول يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة.

النمام يفسد إفسادًا عظيمًا، والغالب الغالب على أهل النميمة أنهم يخلطون نميمتهم بكذب، فيجمعون إلى نقل الكلام الذي يراد به التحريش والإفساد يجمعون إليه الكذب.

○ما الذي يترتب على النميمة؟!

يترتب عليها شرًا عريض جدًا، وكثير من النزاعات والمقاطعات التي وقعت بين الناس، بل المضاربات، بل ربما القتال الذي كان منتهى نميمة نقلت من أحد في أحد، فلهٰذا أعلم أنه لا يحل أن تنقل كلام أحد في أحد بتاتًا، مهما قال فيه من الكلام السيئ، الذي ينبغي ويتعين إذا سمع كلام قبيح أن يرد على من تكلم في عرض أخيه المسلم بأن يقال: اتقي الله عَزَّوَجَلَّ وأترك عنك، أخاك المسلم فله حق عليك، وله حق علينا أيضًا بأن ندفع عنه لا تتكلم في أخيك المسلم بهذه الطريقة، هذا هو الواجب أن يرد الباطل.

إذا جبن الإنسان ولم يرد فلا يجمع مع الجبن نميمة، يسكت ثم يذهب ويقول: يا فلان كنا في مجلس فقال فيك فلان كذا وكذا من السب، وقد يقول النمام أنا ما كذبت أنا ما نقلت إلا الحق واسألوه، واسألوا من في المجلس هل زدت حرف؟ أنا ما زدت، يقال: لا يجوز النميمة في ذاتها كبيرة، بل ثبت عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن النمام نسأل الله العافية يحجب عن الجنة قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا يدخل الجنة**

نمام» فأمر النميمة خطير جدًا ويترتب عليها فساد عريض كما قال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فالواجب أن يكف عن النميمة وأن لا تنقل حتى لو كان المتكلم فيه عزيزًا عليك، قد يكون المتكلم فيه ابن عم لك، أو أخ لك تحبه في الله تبارك وتعالى مع ذلك لا تنقل، الذي تنقل إليه النميمة الواجب عليه شرعًا أن لا يقبل من النمام، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم]، ففي النميمة أطراف ثلاثة: النمام الذي ينقل النميمة للطرف الذي تكلم فيه، والمتسبب في النميمة وهو الذي تكلم في المسلم ابتداء، والطرف الثالث: وهو المنقول إليه الكلام السيئ في خاصة نفسه.

فالمتحدث المنطلق بالكلام السيئ هذا قد أساء ولولا كلامه هذا ما وجدت نميمة، لو أنه كف عن أخيه المسلم ما وجدت نميمة تنقل؛ لكن هو ابتدأ بالكلام السيئ فوجد الوسيط وهو النمام الذي ينقل الكلام إلى الطرف الثالث وهو الشخص الذي تكلم فيه، فالواجب على الطرف الأول ألا يتكلم ابتداء في أخيه المسلم بالشر والسوء، الطرف الثاني وهو النمام الواجب إذا سمع أن يرد عن عرض أخيه، فإن لم يرد على عرض أخيه فليسكت ولا ينقل هذا الشر، الطرف الثالث وهو المنقول إليه إذا نقل إليه المتعين عليه أن يقول للنمام لا تخبرني بهٰذا أسكت، الله تعالى نهاني عن أن أطيع من ينقل النميمة قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم]. فالواجب عليك حين سمعته أن ترد عن عرضي، فإن لم ترد عن عرضي فلا تجمع الشرين بالسكوت عنه، وقد يسكت لعذر، هو قد يسكت لعذر يقبل منه شرعًا، وقد يسكت لجبن؛ لكن لا تجمع إلى سكوتك أن تنقل لي الكلام، ولهٰذا جاء عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه نهى أصحابه أن ينقل أحد عن أحد منهم إليه شيء، قال: «**فإني أحب أن أخرج إليك سليم الصدر**» هذا هو المتعين.

والواجب أن يتقى الله عَزَّوَجَلَّ وأن يعرف أن مثل هذه الأحكام، هذه الأحكام أيها الإخوة ليست خاضعة لهوى الناس بأن يقول القائل: أيعقل أن أسمع في ابن عمي أو في أخي كلامًا ولا أنقله إليه؟ نعم لا تنقله إليه، أتدري أن نقلك هذا الكلام إليه قد يتسبب في سفك دم، أتدري أنه قد يتسبب في مقاطعة بين الطرفين هذين قد يستمران في مقاطعة إلى أن يموتا، أتدري أنه قد يؤدي إلى مشاجرات وخصومات شديدة، فالمتعين عليك أن لا تنقل النميمة، والمتعين كما قلنا أن ترد، فإن لم ترد عن عرض أخيك فلا

تنقل النميمة، ودع عنك هذا قريبي، هذا عزيز علي، هذا لا يمكن أن أسكت عن أن يقال فيه كذا وكذا، هذا هو المتعين وهو الواجب، والواجب على المسلمين أن يتقوا الله تعالى وأن يعلموا أن هذه من أكثر ما يفسد ما بين الناس كما قال يحيى رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم ذكر عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن من البيان لسحرًا**» اختلف أهل العلم في المراد بالحديث هل جرى على سبيل الذم أو جرى على سبيل المدح؟ لأن قوله: «**إن من البيان لسحرا**» السحر في إطلاقه الأغلب عليه أنه يقال للذم، فالساحر مذموم، والسحر عمل قبيح لكن قد يطلق السحر على البيان، أطلق السحر هنا على البيان، ومن المعلوم أن البيان تارة يكون في بيان الحق، وتارة يكون في تزيين الباطل، فمن هنا كان الأقرب والله أعلم وهو الذي اختاره الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الحديث جاء على سبيل المدح إذا كان البيان في حق، وإن كان في تلبيس الباطل فهذا هو محل الذم.

ولهٰذا الحديث محل تفصيل، فقوله: «**إن من البيان لسحرا**» فإن كان بيان للحق وتوضيحًا له وإزالة للشبهة وتجلية لأمر من أمور الدين بأسلوب سليم وبيان عظيم فهذا لا شك أنه يمدح، هذا لا شك أنه يمدح لأن هذا من تزيين الحق والدعوة إليه، أما إن كان العكس بأن يزين الباطل ويزخرفه ويحسنه حتى يجري على الناس الباطل بسبب البيان الذي زين فيه الباطل والأسلوب الذي استعمل به فلاشك أن هذا مذموم، فمن هنا كان قوله «**إن من البيان لسحرا**» يشمل الأمرين؛ لكن لا ينبغي أن يصل الإنسان في البيان إلى المبالغة في البلاغة والبحث عن الكلمات الغريبة ووحشي اللغة ونحو ذلك فهذا مذموم لحديث «**إن الله يبغض الرجل البليغ أو البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة**».

ما ينبغي المبالغة كما يحدث من بعض الناس بحيث أنه يتكلم في أمر مثلًا من الأمور وربما كان خطبة جمعة وجمهور الموجودين عنده من العوام فيتكلم بكلمات أكثر من في المسجد وربما كل من في المساجد لا يفهمها ثم يقول: إن هذا من البيان، أنت لست في مسابقة لتبين ما عندك من بيان، أنت ينبغي أن توصل الكلام إلى الناس بالأسلوب الذي يفهمونه ويفقهونه ولست في مقام مسابقة بينك وبين شاعر أو بين بليغ في استخدام الكلمات وبيان ما تعرف وما عندك من القدرة على البيان اللغوي، الفرق كبير؛ فالمبالغة في أمر البيان هذا لاشك أنه مذموم، وحتى لو قال: إني أريد أن أزين الحق، لا تزين الحق بالشيء الذي فيه مبالغة بحيث تكون عندك طريقة كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانه**» ما ينبغي هٰذا، والحق ولله الحمد أبلج وفيه من الحسن والجمال ما لا ينبغي أن يبالغ فيه

هذه المبالغة.

الحاصل أن المقصود بالحديث أنه إن بين الحق ووضح وجلي بأسلوب سليم بعيد عن التكلف وفيه بيان وجذب للسامعين وتزيين للحق فلاشك أن هذا ممدوح، أما إن كان العكس بأن يزين الباطل كأن يزين سب الصحابة ويزين خروج النساء للاختلاط بالرجال والميادين التي نهى الله تعالى عن خروجهن إليها فهذا خبيث يستخدم البيان للشر، فلهذا يصدق عليه أن بيانه هنا كان في الشر، فالسحر المذكور هنا هو سحر باطل، بخلاف السحر إذا كان لبيان الحق فإنه يحمد فاعله، ولاشك أن الإنسان قد يذوق الكلام بحيث يقلب الأمر الممدوح إلى مذموم، والعكس يجعل المذموم ممدوحا، ويجعل الممدوح أيضًا مذمومًا، ولهذا قال الشاعر:

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وإن تشأ قلت ذا قيء الزنابير

يعني العسل يقول: إن شئت قلت هذا مجاج النحل وسميته باسم المجاج وسميته باسم النحل، تقول: هذا مجاج النحل تمدحه، وإن تشاء أي: تشاء ذمه قلت: ذا قيء الزنابير، الزنبور هذا حشرة وقد قاء قيئًا

مدحًا وذمًا وما جاوزت وصفهما والحق قد يعتريه سوء تعبير

أي: أنت في مدحك وفي ذمك ما جاوزت الوصف فهذا عسل نحل، وهذا من حيث أنه يخرج من بطنه نعم هو على سبيل القيء، وهو زنبور فيقول: إن شئت عبرت بهذه الطريقة، وإن شئت عبرت بهذه الطريقة، الحاصل أن المسلم يبين الحق ويجليه ويوضحه بطريقة لا يعجز الناس عن فهمها، فإذا جلاه وبينه ووضحه وحسنه بطريقة تفهم فهذا من البيان السليم، وهو من السحر الحلال، أما إذا حصل العكس فزين الباطل وشين الحق فإنه من السحر الخبيث المذموم.

۞ **قال المؤلف: باب ما جاء في الكهان ونحوهم**، روى مسلم في صحيحه، عن بعض أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من أتى عرَّافًا فسأله عن شيء فصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» رواه أبو داود.

وللأربعة، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، عن «**من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود موقوفًا.

وعن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعا: «**ليس منا من تَطير أو تُطير له أو تَكهن أو تُكهن له أو سَحر أو سُحر له، ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» رواه البزار بإسناد جيد، ورواه الطبراني بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: «**ومن أتى..**» إلى آخره.

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك، وقيل: هو الكاهن، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العراف: اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق».

❁ **قال المؤلف:** «باب ما جاء في الكهان ونحوهم».

الكاهن الضابط له مثل ما ذكر في آخر الباب رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكاهن من يخبر عن المغيبات يدعي أن لديه قدرة على معرفة المغيبات، وقيل: أنه الذي يخبر عن ما في الضمير أي: يقول: إني أخبرك عما يجوس في نفسك الآن مما تتحدث به ومما لا يعلم به أحد، وإنما أعرف ما الذي أنت الآن تفكر فيه، والآن ما الذي يهمك، وما الذي تخفيه وتضمره.

شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر أن العراف، العراف هنا صيغة مبالغة من ادعاء المعرفة يشمل الكاهن والمنجم والرمال ونحوهم يقول يدخل كل هؤلاء في اسم العراف، فعلى هذا يكون الكاهن عرافا، والمنجم عرافا، والرمال الذي يدعي معرفة الأمور من خلال الرمل ونحوه كل هؤلاء يدخلون في حد العرافة.

○**ما ضابطهم؟** يتكلمون في معرفة الأمور بهذه الطرق، أحد يدعي أنه يعرف ما في الضمير، يعرف المغيبات التي ستأتي في المستقبل يسمى الكاهن، آخر منجم يدعي معرفة هذه الأمور من خلال علمه

بالنجوم، آخر يدعي معرفة هذه الأمور من خلال أمر الرمل والخط ونحوه، كلهذه يصدق على أصحابها أنهم عرافون أي: يدعون معرفة الأمور بهذه الطرق، لهٰذا قال شيخ الإسلام: بهذه الطرق، سواء من طريق الكهانة، من طريق النجوم، من طريق الرمل.

بدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بما رواه مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي حفصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أم المؤمنين عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حكم من أتى عرافًا، لاحظ أن الباب باب ما جاء في الكهان ثم قال: ونحوهم، أي: يشمل من يكون من العرافين، والرمالين، غيرهم، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أتى عرَّافًا فسأله عن شيء**» إذا أتى إلى عراف، وتقدم أن العراف يشمل هؤلاء جميعًا من كاهن ورمال وغيرهم، فسأله مجرد سؤال «**لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**» و هذه عقوبة شديدة للغاية، لأنه يصلي مائتي صلاة، يصلي مائتي صلاة هذا من الفرض؛ لأن مدة الصلوات في أربعين يومًا هي مائتي صلاة فيصلي هذه الصلوات ولا تقبل له، نسأل الله العافية والسلام.

وتلزمه شرعًا لو قال: أنا الآن سأحسب أربعين يومًا لن أصلي فيه، ترك الصلاة كفر أخبث من فعلك؛ لكن يلزمك أن تصليها وليس لك أجر عليها، كل هذا عقوبة له على إتيانه للعراف وسؤاله؛ لأن المفترض أن هؤلاء الكفرة الفجرة لا يعززون ولا يأتون ولا يكثر حولهم العدد، ولا يعظمون بسؤالهم كأنهم مصدر للمعرفة، لاشك أن هذا من المخالفة العظيمة للشرع، وبه تعلم أن الإتيان إلى المواضع التي يكون فيها أهل السحر، وأهل العرافة ونحوه أنها من المنكرات العظيمة جدًا، وأن الآتي إليهم يخاف عليه، وهكذا من تابعهم في قنواتهم ونحوها لاشك أنه يصدق عليه إذا اتصل مثلًا بهم وسألهم ليس إلزامًا أن يسافر إليهم في بلادهم، إذا سألهم حصل المقصود، وشمله والعياذ بالله هذا الحديث «**لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**» هو قد يسأل ولا يصدق، وقد يسأل ويصدق، فإذا سأل فإنه لا تقبل له الصلاة أربعين يومًا.

الحديث بعده «**من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**» لماذا يكفر؟ لأنه صدقهم في ادعاءهم أنهم يعلمون الغيب، ومن اعتقد في أحد أنه يعلم الغيب فإنه يكون كافرًا، إذا قال أحد أنا أعلم الغيب فإنه يكفر، وإذا قال أحد هذا الرجل نعم يعلم الغيب فإن هذا القائل يكفر أيضًا؛ لأن علم الغيب كما قال عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٢٠]، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ

أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن]، الآية.

فالغيب لله عَزَّوَجَلَّ، ومن أسمائه تعالى عالم الغيب، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿**عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ**﴾ فكل هذا علمه عند ربي عَزَّوَجَلَّ، وعلم الغيب مرتبط بالربوبية وهذا وجه الفظاعة والخطر على من يصدق أحدًا في علم الغيب، وجه الخطر أن علم الغيب مرتبط بالربوبية، الربوبية يرتبط بها أمور عظام: الخلق، والتدبير، ويرتبط بها أن الغيب لله تبارك وتعالى فهو الذي يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فإذا اعتقد أحد علم الغيب في غير الله عَزَّوَجَلَّ فقد اعتقد فيه ما لا يعتقد إلا في الله ففي هذه الحالة يكفر.

تقدم أن الكهان لأنه يأتي أمر وهو أنهم قد يخبرون بالأمر فيقع، فيقال: تقدم حديث النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال: «**ومسترق السمع هكذا**» وحرف سفيان يده وبدد أصابعه وأن الملائكة تنزل بإذن الله تعالى في العنان وهو السحاب فتتكلم بالأمر من الوحي فيخطفه الشيطان ويلقيه إلى الذي تحته، فهذا ليس علم غيب، هذا مثل ما لو أتيت إلى اثنين وتلصصت عليهما وهما لا يدريان مثلًا، أو من خلال الهواتف الآن وطرق التجسس الجديدة الآن وغيرها استطاع أن يدخل إلى إنسان ويستمع إلى ما يقول هل علم الغيب هٰذا؟ هذا حكمه حكم الجالس معهم تمامًا، كأنه سمع مثله مثل رجل أتى إلى مجلس واختفى في بعض المجلس، وصار الناس يتحدثون ثم لما خرجوا قال: إن هؤلاء قالوا كذا وكذا، هذا ما علم الغيب، علم الغيب يكون بأن يعلم بلا واسطة أي: هؤلاء يدعون علم الغيب بدون واسطة يقولون إن عندنا قدرة على أن نعلم المغيبات دون أن نكون مباشرين لحضورها، من اعتقد هذا فإنه يكفر.

لكن الرسل عليهم الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿**عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ٢٧**﴾ أي: أن الله يطلع الرسل على بعض الغيب وليس على كل الغيب؛ لأن الغيب لله عَزَّوَجَلَّ كما قال: ﴿**فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ**﴾ ولا يجوز أن يعتقد أن الرسول يعلم الغيب كله، وكيف يعلم الغيب كله؟ لو علم الغيب كله لعلم ما علمه الله، والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما قدمنا مرارًا إذا رأى من يزادون عن حوضه وقال: «**من أمتي، مني، أصحابي أصيحابي**» تقول له الملائكة: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، كيف يعلم الغيب، إنما يعلمه الله من الغيب بما شاء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وقد كان اليهود يأتونه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيسألونه عن المسألة فيأتيه جبريل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بجواب مسائلهم كما في حديث الذي أتى وقال: إني سألك عن مسائل لا يعرفها إلا اثنان أو نبي، فلما أجابه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أخبره أنه لم يكن عنده علم بها حتى أخبره جبريل، وهكذا الذي سأل عن من قتل في سبيل الله مقبلًا غير مدبر أين هو؟ فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**من قتل في سبيل الله مقبلًا غير مدبر فهو فإنه يكون في الجنة إلا الدين أخبرني بذلك جبريل آنفا**» أي: أنه نزل جبريل بأن من قتل وعليه دين فإنه لا يشمله الحديث هذا المقصود أن يطلع الله تعالى الرسل على أمر ليتبين أنهم صادقون فيما ينسبونه لله.

ولهذا يعقوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما افتقد ابنه يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يدري أين هو ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٧]، ولم يدري أنه عزيز مصر بجانبه، وهكذا النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما قيل في أم المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا ما قيل واشتد الأمر على النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مكث شهرًا لم يدري بالأمر حتى أنزل الله براءتها بعد ذلك، فالغيب المطلق لا يكون إلا لله؛ ولكن يطلع الله تعالى الرسل على ما شاء من غيبه وليس على كل الغيب.

من اعتقد أن كاهن أو غير كاهن كان يعتقد أن أصحاب التصوف وأمثالهم يعلمون الغيب فإنه يكون في هذه الحالة كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**فقد كفر بما أنزل على محمد**».

الحديث بعده «**من أتى عرافا**» بينما الحديث السابق من أتى كاهن، هنا قال: «**من أتى عرافًا أو كاهنًا**» فدل على أن المقصود من أتى أي صنف من هؤلاء عرافا أو كاهنًا أو رمالًا أو منجمًا «**فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»

ثم ذكر حديث عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وحصين هو حصين بن المنذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو صاحب القصة المعروفة أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال له: «**كم تعبد؟**» قال: سبعة ستة في الأرض وواحد في السماء، قال: «**فمن لرغبك ورهبك**»، قال: الذي في السماء.

مر بنا في الحديث قبله ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا أي: موقوف على ابن مسعود من كلامه ولم يرفعه إلى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هذا معنى الموقوف.

بعده قالوا عن عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا مرفوعًا أي أنه رفعه ونسبه إلى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وكان ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يتحوط جدًا في الرواية، وكثير مما كان يقوله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هو من الأحاديث المرفوعة، لكنه كان

يخشى أن يخطأ في الرواية أو نحوها، ولهٰذا مرة قال: قال رسول الله ثم ارتعد وأصفر وجهه ﵁ وقال: أو نحو من هٰذا، أو قريبًا من هٰذا، يخشى أن يكون فيه شيء من التغيير اليسير جدًا في الكلمة التي قالها النبي ﷺ مع أنهم عرب أقحاح يعرفون إذا تكلم الواحد منهم بالمعنى فإنه يقول المعنى الذي قاله النبي ﷺ قطعًا لكنه قال: أبين لكم أن هذا معنى أو قريب من قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في هذا الحديث «**ليس منا من تَطير**» أي: أنه مارس هو التطير، «**أو تُطير له**» من تَطير هو مارس التطير فعل الطيرة بنفسه بأن يتطير كما يأتي -إن شاء الله- أيضًا مفصل من الطيور من جهة ذهابه عن يمينه أو شماله «**أو تُطير له**» قد يطلب من غيره أن يتطير له، أو يقبل قول المتطير، أي: يقبل قول المتطير أي: المتطير يقول: الآن هذا الطير ذهب الآن عن شمالك إن ذهبت وسافرت فإنك ستصاب، فإذا قبل قول المتطير ورجع فإنه أيضًا داخل في حد الحديث وقوله: «**ليس منا**» هذا تدل على أن هذا الفعل كبيرة، إذا قال ﷺ: «ليس منا» لأن ضابط الكبيرة المعروف أنه ما ختم بوعيد أو حد أو وعيد من نار أو العذاب أو ما كان فيها حد أو نحوه، أيضًا وما جاء فيه قوله ﷺ «**ليس منا**» فإن قوله «ليس منا» شيء شديد، وقوله: «**من غشنا فليس منا**» وقوله هنا: «**ليس منا من تطير**» إلى آخره هذا يدل على أن هذا الفعل من الكبائر.

❁ **قال المؤلف: «ليس منا من تَطير أو تُطير له أو تكهن».**

نفسي الشيء تكهن هو «**أو تُكهن له**» قد يذهب إلى الكاهن ويقول: أنا ضاع لي كذا وكذا، يطلب هو من الكاهن أو متى سيأتي غائبي، يطلب من الكاهن أن يتكهن له، فإنه يدخل في هذا الحد «**ليس منا من تَطير أو تُطير له أو تَكهن أو تُكهن له أو سَحر**» باشر السحر بنفسه «**أو سُحر له**» بأن يذهب إلى ساحر ويطلب من الساحر أن يسحر، ثم قال: «**ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ» وهذا كله يدل على كثرة ما ورد في الباب من أن إتيان هؤلاء وسؤالهم وتصديقهم أنه نوع من الكفر بالله، وهذا أمر شديد بلا شك.

ثم ذكر قول البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العراف: الذي يدعي المعرفة؛ لأن عراف من عرف يعرف معرفة يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بهذه المقدمات في زعمه على المسروق يقول المسروق والشيء الذي ضل منك وضاع، وهذا معنى مكان الضالة أي: الضالة التي ضلت وضاعت، والشيء الذي سرق منك

تجده في المكان الفلاني تجده عند الشجرة الفلانية، هو يدعي معرفة الأمور بهذه الطريقة.

۞ **قال المؤلف:** «العراف من يدعي المعرفة بالمقدمات التي يستدل بزعمه بها على المسروق».

وقيل: إن العراف هو الكاهن، ثم فسر الكاهن حتى يعرف العراف.

۞ **قال المؤلف:** «والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وهكذا قيل: الذي يخبر عما في الضمير».

وتقدم أن شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: العراف تشمل كل هؤلاء ممن يدعي معرفة الأمور بطريق الكهانة أو النجوم أو الرمل أو نحوهم.

۞ **قال المؤلف:** «وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوم يكتبون أبا جاد».

أبا جاد: هي الأحرف المعروفة هذه أبجد هوز المعروفة، يعرف حرف الألف وحرف الباء، فمن تعلمها بالتهجي وللكتابة فإنه لا يدخل في الوعيد؛ لأن تعلم القرآن، قراءة القرآن، وتعلم العلم الشرعي لا يمكن أن يكون إلا من خلال معرفة الحروف، ليس مراد ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا هٰذا، وإنما مراده قوم يدعون أنهم يعرفون الغيب من خلال علم الحروف أيضًا، يزعمون أنهم من خلال الحروف يستطيعون أن يتوصلوا إلى الغيب.

فقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق، أي من نصيب، أي: ليس له نصيب؛ لأن قوله هنا: في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم يدلك على المراد، أنه ليس المقصود أن يكتبوا الحروف؛ لأن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يعلم أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان له كتاب، وكان يكاتب الناس، والقرآن كتب، فهذه ليس الإشكال في مجرد وجود الكتابة والأحرف، وإنما الإشكال في زعم أنه يعرف الغيب من خلال علم الحروف هٰذه، بحيث يعتقد أن النجوم لها تأثير، وأن لديه قدرة على معرفة الغيب من خلالهذه الحروف، فليس له في الآخرة عند الله عَزَّوَجَلَّ من خلاق أي من نصيب.

۞ **قال المؤلف: باب ما جاء في النشرة**، عن جابر ﷺ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن النشرة فقال: «**هي من عمل الشيطان**» رواه أحمد بسند جيد. وأبو داود، وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

وفي البخاري عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طب أو يؤاخَّذ عن امرأته، أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه. انتهى.

وروي عن الحسن أنه قال: لا يحل السحر إلا ساحر.

قال ابن القيم: النشرة: حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:

حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة، فهذا جائز».

۞ **قال المؤلف:** «باب ما جاء في النشرة».

النشرة: نوع من العلاج يعالج به من يظن أن به مس من جنون، سميت بالنشرة، لأنه ينشر بها عن من خامره الداء أي يكشف، ينشر أي يكشف ويزال عنه بإذن الله تعالى المرض.

۞ **قال المؤلف:** «عن جابر ﷺ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن النشرة فقال: «**هي من عمل الشيطان**».

وهذا ذم؛ لأن كونها تسمى بعمل الشيطان كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠]، فقوله: ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ هذا لاشك أنه ذم لها ولا يمكن أن يكون حمد وإباحة لها، فدل على حرمتها وأنه لا يجوز أن ينشر بالأسلوب الذي يخالف الشرع كما سيأتي -إن شاء الله تعالى- بيانه وتفصيله.

وسئل أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنها أي: عن هذه النشرة فقال: ابن مسعود يكره هذا كله، ابن مسعود وأصحابه يكرهون هذه الطرق، والكراهة هنا لاشك أنها كراهة التحريم؛ لأن الكراهة كثيرًا ما تطلق في عرف الشرع وفي كلام السلف على التحريم، وليس المراد به ما اصطلح عليه عند الأصوليين المتأخرين

أن ما يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله، هذا اصطلاح متأخر ولا ينبغي أن تحمل عليه النصوص الدالة على التحريم.

فقوله تبارك وتعالى في سورة الإسراء: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ٣٨﴾ راجع إلى ماذا؟ راجع إلى الشرك، وإلى الزنا، وإلى قتل النفس، وإلى أكل مال اليتيم، هذا لا شك أنها محرمة، فقوله: مكروهة، المقصود به الكراهة التحريمية قطعًا، ونبه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إعلام الموقعين إلى أن من خطأ المتأخرين أنهم يحملون النصوص الشرعية التي لها معنى مستقر عند السلف على اصطلاح حدث عند المتأخرين وهذا خطأ كبير؛ لأن معنى ذلك أنه يغير المعنى بهذه النصوص، إذًا قوله: ابن مسعود يكره هٰذا، كله أي: يكرهه على سبيل التحريم.

ثم ذكر قول قتادة: قلت لابن المسيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو سعيد الإمام المعروف: رجل به طب، الطب من الأضداد، عندنا مجموعة من الألفاظ تطلق على معنيين متقابلين، فالسليم تطلق على اللديغ الذي لدغ على سبيل التفاؤل بأنه سيسلم، فإذا قيل: فلان أصابه شيء يقول: لا والله الحمد فلان سليم، أي: سلم هذا المعنى، هذا المعنى المعروف للسليم؛ لكن يطلق على اللديغ الذي لدغ السليم مع أنه ليس بسليم لكن على سبيل التفاؤل بأنه سيسلم وسيعافى من هذه اللدغة، وهكذا قوله الطب، الطب هنا من الأضداد فيقال لعلاج الداء طب كما هو معلوم، والسحر من الداء ويقال له طب، فيطلق الطب على السحر وهو داء وليس بدواء، ويطلق على العلاج أيضًا الطب.

❁ **قال المؤلف:** «رجل به طب».

أي: سحر، أو يؤَّخذ هكذا بضم المثنى، وبعدها الألف مفتوحة والخاء بالفتحة المشددة ما يؤخذ، وإنما يؤَّخذ، ما المراد بكونه يؤاخذ؟ أي أنه يحبس عن امرأته فلا يصل إلى جماعها، أي: أن هذا السحر أثر بإذن الله تعالى بحيث أنه لا يتمكن من جماع امرأته.

أيحل عنه أو ينشر؟ أيضًا ينشر بالشين المشددة، هل يحل عنه هذا السحر أو ينشر وتطلب النشرة؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه.

ما مراد سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: لا بأس به؟ المقصود بلا بأس به أي: بالنشرة، لا بأس أن يزال عنه السحر، ولم ينه أحدًا عن الإصلاح وعن إزالة السحر، ما مقصوده الآن بالفتوى بالجواز؟ هل المقصود

أنه لا بأس أن يحل عنه السحر بسحر مثله أو المقصود لا بأس أن يحل عنه السحر بعلاج شرعي؟ يحمل كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الثانية أن المقصود لا بأس أن يسعى في علاجه، لأنه يريدون بالسعي في علاجه الإصلاح، والإصلاح لا يطلق على السحر، السحر جبت، والسحر من عمل الشيطان فلا يناسب أن يقال عنه إصلاح، بل هو إفساد وشر، ولهٰذا تحتم قتل الساحر، فليس الساحر من أهل الإصلاح وإنما هو من أهل الإفساد.

قال: فأما ما ينفع فلم ينه عنه، وهكذا قول الحسن: لا يحل السحر إلا ساحر، حل السحر كما فصل ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على نوعين:

○**النوع الأول:** هو أن ينشر عن المسحور من خلال سحر ساحر، هذا نوع، وهذا الذي أخبر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيه أنه من عمل الشيطان وهو كما قلنا ذم له، قال: وعليه يحمل قول الحسن: أي: أن السحر لا يحل إلا بسحر مثله، كيف يفعلون هٰذا؟ يأتون إلى ساحر آخر، ثم والعياذ بالله يتقرب الناشر والمنتشر، أي: الشخص الذي يزاول السحر، والشخص الذي يطلب أن يزال عنه الداء يتقربون إلى الشيطان، وتقربهم إلى الشيطان سحر، فيبطل عمله عن المسحور، هل يجوز هٰذا؟ ما يجوز، وهل الحسن يقصد أن هذا يصح؟ هذا إخبار من الحسن يقول: لا يحل السحر إلا ساحر أي: من خلال السحرة أنك إذا أتيت السحرة فإنه سيترتب على إتيانك للسحرة ليبطلوا عنك السحر الذي أصابك أنك ستتقرب مع الساحر إلى الشيطان، فإذا تقربتما إليه خرجتما من الملة فعند ذلك يبطل الشيطان عمله عن المسحور.

○ما العمل إذًا إذا وقع السحر؟!

ينشر عنه بالرقية وبالتعوذات، وبالأدوية المباحة، وبالدعوات كل هذا جائز، مما ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سحره لبيد بن الأعصم عدو الله، تقول عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: إنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة تقول: فدعا ودعا أي أنه صلوات الله وسلامه عليه دعا وأكثر وألح وأكثر من الدعاء ثم قال: يا عائشة إن الله أفتاني وأخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسحر وأمر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأن ينزح ماء البئر الذي به السحر ثم أبطل السحر وزال عنه.

فالنشرة بالرقية، والرقية بأن يقرأ عليه من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، ومما ثبت عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ

الوارد عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الثابت في جملة من الأدعية تجدها في صحيح البخاري وأمثاله، البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ اعتنى بالبابهذا في كتاب الطب، اعتنى بأمر الرقية ذكر رقية النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وذكر ما يتعلق برقية العين ونحوها، وأفرد لها أبواب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فالرقية علاج شرعي وهي أعظم ما يؤثر بإذن الله تعالى ويبطل السحر والله على كل شيء قدير، وهكذا التعوذات الاستعاذة بالله قطعًا وليس المقصود أن يتعوذ بالله عَزَّوَجَلَّ، وهكذا الأدوية والدعوات المباحة، كل دعاء مباح فإنه يحل استعماله وقد ينفع ويخفف من أمر السحر، أو يجعل الله عَزَّوَجَلَّ فيه شفاء، قال: فهذا جائز.

أما أن يكون المقصود أن يذهب إلى الساحر ويطلب منه أن يحل السحر فهذا لا يجوز، وهذا الذي عليه الفتوى وعليه العمل، وذلك أن طلب ذلك من الساحر كما قال ابن القيم: أنه يتقرب الساحر والآتي إليه لا بُدَّ أن يتقرب إلى الشيطان حتى يحل السحر، هل يقال أذهبوا إلى الشيطان أشركوا به حتى يحل السحر؟ لا يمكن أن يصح هٰذا، لأنه فيه تقديم لمصالح الجسد على أمر الدين أي: يقال: أشرك بالله عَزَّوَجَلَّ حتى يرفع عنك الشيطان ما أصابك من سحر، بل اتجه إلى رب الأرض والسَّمٰوات سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وألح عليه عَزَّوَجَلَّ وأحسن به الظن وهو بحوله ومنته الذي بيده الملكوت سبحانه والذي لم يضروك إلا بإذنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فلن ينفعك شيء إلا بإذنه فاسلك المسلك الشرعي، أما القول: بأنه يجوز أن يؤتى السحرة فهذا فيه أولًا كما قلنا ترخيص لبقاء السحرة، والساحر تقدم أن حده ضربة بالسيف، وأنه يقتل أصلًا بلا استتابة فكيف يقال أذهب إلى السحرة، معنى ذلك أنه لا بُدَّ من إبقاء السحرة.

الأمر الآخر: أنه إذا قيل بمثل هذا معناه أن الساحر إذا طلب منك شيء من الشرك فإنك تنفذ حتى يحل الشيطان عنك السحر هذا قول باطل وليس بصحيح والذي عليه العمل وفيه الفتوى أن الساحر لا يجوز الذهاب إليه، لا ليسحر أحدًا كما تقدم «**ليس منا من سحر أو سحر له**» ولا يحل الذهاب إليه ليطلب منه أن يحل السحر بل يتجه إلى رب الأرض والسَّمٰوات سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

وقد يبتلي الله عَزَّوَجَلَّ العبد كما أنه قد يبتليه بالمرض وبالفقر وبالجوع، قد يبتليه الله تعالى بشيء من هذا من السحر أو غيره فيلجأ إلى ربه تبارك وتعالى ويحسن بالله الظن، ويكثر من الإلحاح على رب

العالمين، ويلزم الرقية الشرعية وبإذن الله تعالى يحل عنه، ولا يجوز اعتقاد أن السحر لا علاج له ولا حل له، الذي يقول هذا لم يعرف الله حق معرفته، من هم الشياطين حتى يعجزوا رب العالمين الذي يدبر الأرض والسَّمٰوات، وهذا التفخيم للجن وللسحرة وللعين هذا كله من قلة البصيرة، ومن قلة الوعي، ومن قلة العلم بالله عَزَّوَجَلَّ شياطين عباد ضعفاء لله عَزَّوَجَلَّ، تعرف أن في حديث سفيان الذي تقدم منه يخرقه بإذن الله عَزَّوَجَلَّ الشهاب فيقطعه ويمزقه ويذهب، والله تعالى قال: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [النساء]، لا يحل المبالغة في أمر الشياطين، الشياطين والملائكة والجن والإنس والدواب بأنواعها خاضعة لرب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يدبر ويصرف الأمر كما شاء.

يدبر الأمر من السماء إلى الأرض سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فما ينبغي المبالغة يقال: هذا أمر لا حيلة فيه، أو يقال: هذا العلاج لا يمكن أن يشفى صاحبه فغير صحيح باطل، حتى لو عجزت المستشفيات قد يشفى بالدعاء، قد يشفى بماء زمزم، قد يشفى بنوع من العلاج يعرفه أعرابي في الصحراء عجز عنه البشر كلهم، من قال أن العلاج لا يعرف قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من داء إلا وأنزل الله له دواءه علمه من علمه وجهله من جهله**» فإذا جهله الأطباء جهله بقية الناس، قد يعرف بإذن الله عَزَّوَجَلَّ العلاج فلا ينبغي أن تسد أمام الناس الأبواب، وأن يضيق أمامهم الطريق إلى رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأن يقنطوا من رحمته، قال: كلنا عبيد لله عَزَّوَجَلَّ أنسنا وجننا وملائكتنا كله لله عبيد ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ٩٣﴾ [مريم].

○وما معنى التوحيد؟!

إذا لم يوجد في قلب العبد تعظيم الله تبارك وتعالى واللجوء إليه، واعتقاد أن كل ما سواه فإنه ضعيف ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ٩٥﴾ هذه عظمة الربوبية، أما أن يفخم في عبد من العباد حتى يجعل كأنه ربهذا من ضعف التوحيد فيتكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويقال: الساحر الذي يقال يذهب إليه نقول يذهب إليه ليقام فيه حد الله عدو الله عَزَّوَجَلَّ، كم أضر؟ وكيف يصلح الساحر؟ الساحر نحن نعود ننقض كلامنا إذا قلنا بجواز الذهاب إلى الساحر، من الداء ومن الشر؟ الساحر، كيف يسير الداء والشر هو الخير وهو الدواء هذا كلام متناقض أن يقال هؤلاء السحرة مجرمون أضروا الناس، ما العلاج؟ أن يذهب إليهم لينفعوا الناس،

هذا كلام متهافت باطل، لأنهم إذا كانوا هم الضرر فكيف يكونون هم النافع، فالواجب أن يعلم أن السحر لا يجوز أن يلجأ في علاجه إلى السحرة ولا إلى الأساليب المحرمة التي توصل إلى الشرك والذبح لغير الله، لأنه يطلبون منه أن يذبح لغير الله أن لا يسمي على الذبيحة، أن يذبحها لغير القبلة يقول: خذ هذا الاسم الغريب ما يدري ما هو، يقول له: إذا أردت أن تذبح ولا تسمي الله توجه إلى غير القبلة هذا الاسم اسم شيطان وأزاحه عن القبلة حتى يتقرب بها إلى الشيطان نسأل الله العافية، فكل هذا لا شك أنه لا يجوز ولا يحل نسأل الله السلامة والعافية.

❁ **قال المؤلف: «باب ما جاء في التطير**، وقول الله تعالى: **﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾** [الأعراف]. وقوله: **﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾** [يس: ١٩]، الآية.

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر**» أخرجاه. زاد مسلم: «**ولا نوء، ولا غول**».

ولهما عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل**» قالوا: وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الطيبة**».

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**أحسنها الفأل، ولا ترد مسلمًا فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللّٰهمَّ لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**».

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا؛ ولكن الله يذهبه بالتوكل**» رواه أبو داود، والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمرو: «**من ردته الطيرة عن حاجة فقد أشرك**» قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «**أن تقول: اللّٰهمَّ لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إلٰه غيرك**».

وله من حديث الفضل بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك».

قال المؤلف: «باب ما جاء في التطير».

أي: من الذم والوعيد والتحذير منه، والتطير: هو التشاؤم، يتشاءم بمرئيات، بمسموعات، أو بغيرها مثلًا، بأرقام بأيام بأشهر، بحيث يقع في ذهنه، أن يمضي أو يرجع، مثل ما تقدم في أمر الطيور، الطيرة بكسر الطاء، مثل الخيرة مصدر، وأصلها التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء، أي: تارة إذا مر الظبي عن يمينه قال: هذا سفر ميمون لأن الظبي مر عن يمينه، وإذا مر عن شماله تشاءم، وهكذا الطيور، إذا مرت عن يمينه قال: هذا سفر ميمون من اليمين، وإذا مر عن شماله قال هذا سفر مشئوم وهكذا، خرافات، وإذا أتاك من أمامك فله معنى، وإذا أتى من خلفك فله معنى، وإذا أتى من خلفك فله معنى وعن يمين له معنى، وعن شمال له معنى والطائر والظبي لا بُدَّ أن يأتيك إما أن يواجهك وإما أن يأتي من خلفك وإما عن يمينك وإما عن شمالك، لا بُدَّ أن يكون مجيئه بهذه الطريقة، وهكذا الطائر، الطائر لا بُدَّ أن يطير إما عن جهتك اليمنى أو جهتك اليسرى، فربط الأمور في الإقدام على السفر مثلًا أو الإحجام أو الإقدام على أي أمر من الأمور بناء على مثل هذه الأمور لاشك أنه من الشرك، وهو من عمل آل الكفر.

قال الله عَزَّوَجَلَّ في قوم فرعون: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾ [الأعراف]، يقول عَزَّوَجَلَّ في أول الآية: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ إذا أتتهم الحسنة مثل الخصب والرزق والسعة، يقولوا نحن خليقون جديرون حقيقون بهذا نستحقه وإن يصبهم عكس ذلك من قحط وجدب وغيره يقولون هذا كله بشؤم موسى ومن معه.

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: الشؤم إنما جاءهم من قبلهم بسبب كفرهم وتكذيبهم لرسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وليس موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ المتسبب فيما أصابهم؛ ولكن هم بكفرهم سلط الله تعالى عليهم، وهكذا قوله تعالى: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾ [يس]، طائركم معكم أي حظكم وما نابكم من الشر معكم بسبب أفعالكم وكفركم وهذا في خبر أصحاب القرية، ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾ وليس منا ولا بسببنا ولكن هو بسبب كفركم، ثم ذكر حديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**لا عدوى ولا طيرة**»، ما المقصود بنفي العدوى هل المقصود أنه لا يمكن أن ينتقل المرض بتاتا أو المقصود: لا عدوى على الاعتبار الذي كان يظنه أهل الجاهلية هذا هو المقصود الثاني، كان أهل الجاهلية يظنون أن المرض ينتقل مباشرة وهكذا

أهل الجاهلية اليوم ممن هم من أهل الكفر في الغرب والشرق، يظنون أن المرض ينتقل تلقائيا، هذا باطل من جهة الشرع، وباطل من جهة الواقع، فإن من المعلوم المتعين المؤكد عند الأطباء وغيرهم أن البلد يفشوا فيها البلد أو في المعسكر الذي يقع للاجئين وأمثالهم ينتشر فيهم مرض من الأمراض، هذا المرض بعرف الطب يسمى مرضا معديا، فيموت منه عدد كبير ويصاب آخرون ويبقى جملة غير قليلة منهم أحياء لم يصيبهم المرض، فدل على أنه لا يمكن أن ينتقل بنفسه.

المرض سبب، المرض سبب إذا كان هذا المرض قد جعله الله وقدره لوفاة العبد فإنه يموت، أما إذا لم يقدر الله أن يموت العبد بهٰذا المرض فلو اجتمع فيه أنواع الأمراض فإنه لا يموت، ولهٰذا قوله: لا عدوى أي بالاعتبار الجاهلي، أن المرض ينتقل حتما، إذًا لا ينتقل إلا بإذن الله؛ لكن هل يمنع هذا التحرز والاحتياط؟ لا، لا يمنع، هذا من باب أخذ الأسباب، لا بأس به، إنما المنهي عنه أن يعتقد أن المرض ينتقل مباشرة وتلقائيا فهذا لا يحل اعتقاده وإنما ينتقل بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم قال: «ولا طيرة»، وتقدم شرحها أي: أنها منفية، يدخل في هٰذا، في التطير ما سألت عنه الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا رأي الرجل حادثا شنيعا وكان ذاهبا لحاجة فرجع، أي: رأى الحادث، قد يكون حادثا في أناس احترقوا أو تقطعوا هذا الحادث شنيع، فرجع، هل يعد من الطيرة؟ فقال: نعم إلا إن كان الطريق مخوفا فيه سباع ونحوه أي: أمر حسي، أما إذا رأي حادثا ومتجه مثلًا يريد أن يأخذ عمرة، فرأى هذا الحادث وقد احترق الناس أو تقطعوا وذهبت أوصالهم فرجع، لماذا رجعت؟ قال: أنا أشعر بضعف، هذه الطيرة، هذه طيرة، امضي وتوكل على الله، هؤلاء إذا أصابهم حادث، يصيبك أنت؟ هذا أمر قدري قدره الله تعالى عليهم، فكيف ربطت ما بين ما رأيت وبينما أنت عازم على الذهاب إليه، إذا رجعت فهذا من التطير وهو نوع من الشرك.

قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لا عدوى ولا طيرة**» النفي هنا أبلغ في إبطال هذا الاعتقاد الفاسد، لأنه ليس له بتاتا أي معنى.

سئل الشيخ أيضًا عن قول العامة: خير يا طير؟ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا من جهلهم، يعلمون، ما لها معنى، يقول: خير يا طير، ما العلاقة بالطير، إذا قال لأحد، قال: خير ما هذا الفعل، هذا فيما بينه، يا طير ما علاقة الطير، أي: العرب كانت تقول في مثل هذه الأشياء بأنها تسأل عن الطير وبما سيخبر به الطير، كل هذا من المخلفات الضالة التي ينبغي التخلص منها.

قال: «**ولا هامة**»، وقوله: ولا هامة كانوا يعتقدون أن القتيل إذا قتل فإنه إذا لم يؤخذ بثأره يكون هناك طير يقع على بيت القتيل حتى ينتقم من القاتل، وفيه قول الشاعر:

يا عمرو إلا تدع شتمي   أضربك حتى تقول الهامة

أي: تخيلونها هكذا، أي: إذا لم يقتص له مدة أربعين يوم ولم ينتقم فإن هذا الطائر يطير وقد يسمونه البومة يذكر بالانتقام من القاتل، فقول ما له أساس هذا الكلام وليس هناك طير أي: على هذا الوضع الذي يزعمونه، هناك بومة لكن على الوهم الذي يقولون إنها تأتي لتذكر قتلة القتيل بالانتقام منه مدة كما قال الشاعر:

إلا تدع شتمي ومنقصتي   أضربك حتى تقول

هٰذا المقصود، اسقوني، أي: أنها تطلب من ينتقم من القاتل هذا لا أصل له.

وهكذا قوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ولا صفر**»، قيل أن الصفر هنا حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس، وقيل إن المراد به شهر صفر، وهذا كأنها أظهر والله أعلم؛ لأنهم يتشاءمون كما قلنا بالأيام، يتشاءمون بالأشهر، هذا من فعل الجاهلية، فكانوا يتشاءمون من شهر صفر ولا يزال التشاؤم من شهر صفر عند الجهالة إلى الآن، فتجدهم يجتنبون الزواج مثلًا في شهر صفر، وكل هذا لا أساس له.

۞ **قال المؤلف: «ولا نوء ولا غول»**.

الغول هي: مخبلات الجن، يقال لها السعالي، يظن أن بعض الناس أنها تعمل هذا بنفسها، فنفى صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقع ذلك منها ولا تعمل إلا بأمر الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا الغول المقصود به الغول.

أما النوء: فهو واحد الأنواء، ويأتي الكلام بإذن الله تعالى على الأنواء والكلام فيها في موضوع التنجيم -إن شاء الله تعالى-.

۞ **قال المؤلف**: «ولهما عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا عدوى ولا طيرة**».

وهذا تقدم شرحه.

❁ **قال المؤلف:** «ويعجبني الفأل».

ما المراد بالفأل؟!

قوله: «يعجبني الفأل» هذا يدل على أن الفأل من الطيرة لكنه مستثنى، ما الفأل؟ الكلمة الطيبة، كلمة طيبة يسمعها الإنسان كأن يكون مريضا فيسمع رجلًا ينادي آخر يقول: يا سالم، فيتفاءل، يتفاءل بالسلامة، هذا لا بأس به، بل هو طيب لماذا؟ لأنه حسن ظن بالله.

أما الطيرة فمنعت لأنها سوء ظن بالله عَزَّوَجَلَّ فالشيء الذي فيه إحسان الظن بالله تبارك وتعالى أو إنسان قد ضاع له شيء يبحث عنه فسمع رجلًا ينادي آخر اسمه واجد، فقال: يا واجد، هو يكلمه لا يكلمه أنت فتتفاءل بأن تجد ما ضاع، وإذا نادى قال: يا سالم، تتفاءل بأن تسلم، فأل حسن ظن بالله عَزَّوَجَلَّ، هذا طيب، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الكلمة الطيبة، ولهٰذا قال في الحديث الذي بعده: «**ذكرت الطيرة عن رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فقال: أحسنها الفأل**» فدل على أن الفأل من الطيرة لكنه مستثنى قال: «**ولا تردوا مسلمًا**» أي: الطيرة المسلم الذي علم حقيقة دينه لا يمكن أن ترده الطيرة، حوادث بشعة ولا طيور أو ظباء أو بومة أو رأي رجلًا أعور، كل هذا من خرافات أهل الجاهلية، إن كنت مسلمًا حق الإسلام فلا ترجع، لا ترده.

فإذا رأي أحدكم ما يكره، رأي شيئًا يكرهه، فليقل، أي: وليقدم هذا المعنى، يقدم على حاجته ولا يرجع ويسأل الله تعالى، اللّٰهمَّ لا يأت إلا بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات أي: المصائب إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك، هذا دعاء عظيم وفيه تقوية لقلب المؤمن وفيه بيان أن الأمور مردها إلى الله عَزَّوَجَلَّ، لا يأت بالحسنات والخير إلا أنت، ولا يدفع السيئات من المصائب وغيرها إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك.

ثم ذكر قول ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وهو حديث مرفوع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطيرة شرك الطيرة شرك**»، اعلم أن الطيرة على حالين:

○**الأول:** حال الشرك الأصغر وهو الأغلب والأعم على عموم المسلمين، فيرى أمرًا ويخاف؛ لكن لو قيل أن تعتقد أن الطير هذا يتصرف في الكون قال: معاذ الله. أنا وقع مني ضعف وخوف؛ لكن الكون الطير وغير الطير لا يصرفه إلا الله، أما إذا اعتقد أن ما تطير به له نوع تصريف مستقل عن الله فإنه شرك

أكبر؛ لكن عموم المسلمين الذي يقع منهم طيرة لاشك أنهم يقعون في الشرك الأصغر، قال: «**الطيرة شرك الطيرة شرك**» ثم قال: «**وما منا إلا**» ولم يتم الجملة، المقصود: وما منا إلا ومن يقع منه ذلك، هذا المعنى يقع منه شيء مثل ما ذكرنا، لو رأي حادثا شنيعا يجد شيء من الضعف والخوف مثلًا، أو يكون مثلًا ممن اعتاد الطيرة في الجاهلية فمر الطير عن شماله فشعر بشيء من الخوف، أي: يقع مثل هذا الأمر، لكن؛ ولكن الله يذهبه بالتوكل، أي: أنه يتوكل ويعزم على جعل الأمور منوطة بالله عَزَّوَجَلَّ ويربط قلبه بالله ويترك عنه هذا الذي خطر بباله فيذهب عنه ولا يضره، هل قوله: وما منا إلا، تابع للحديث؟ أي: هل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: الطيرة شرك الطيرة شرك وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل، قال بهٰذا بعض المحدثين كابن القطان وغيره، ورجحه أيضًا الألباني؛ لكن الذي يظهر والله أعلم، والذي قرره ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأيده الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن هذا من كلام ابن مسعود، فالمرفوع ينتهي عند قوله: «**الطيرة شرك**» أما قوله: وما منا إلا، فهذا كلام ابن مسعود أي: مدرج في الحديث فهذا قول ابن مسعود أي: وما منا إلا ومن يقع منه ذلك؛ ولكن الله يذهبه بالتوكل، وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يمكن أن يقع من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيء يوصف بأنه شرك، فمثل هذا لا يقع منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ولهٰذا قال رواه أبو داود والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود، الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: آخر هذا الخبر وهو قوله: ومنا إلا من كلام ابن مسعود وليس من كلامه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

الحديث بعده:

۞ **قال المؤلف: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك».**

هذا ضابط، ضابط يضبط لك أمر التطير والتشاؤم، إذا كنت قد أقدمت تريد السفر، فرأيت أو سمعت ما أوقع في قلبك شيء من الخوف، ما الضابط الذي بناءًا عليه تقع في الشرك أو تسلم من الشرك؟ إن ردتك عن حاجتك، فرجعت وتركت السفر، فهذا شرك وقعت فيه، أما إذا أقدمت وتوكلت على الله وإن وقع في قلبك ما وقع، وعزمت وتوكلت على الله، فذلك لا يضرك، فالضابط الذي يحكم من خلاله بالشرك أن تتسبب الطيرة وأن يتسبب تشاؤمك بأمر من الأمور في رجوعك فإن رجعت فقد أشركت، سئل ما كفارة ذلك؟ فقال أن تقول: «**اللّهمّ لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إلٰه غيرك**».

ثم ذكر حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وهو حديث الفضل بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا والذي ضبط الأمر: إنما الطيرة

التي بناءًا عليها يحكم بالشرك وبناءًا عليه يذم الإنسان إذا وقع فيها ما أمضاك أو ردك، أي: أنك تقع في الطيرة وتذم وتقع في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الطيرة شرك، إذا كنت لما مر بك الظبي على اليمين أو الطير على اليمين استرحت وعزمت على الذهاب، أو العكس، لما مر بك على الجهة اليسرى خفت ورجعت، هنا يكون الضابط، إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك فإذا عزمت بسبب أنك رأيت طيرا أو ظبيا أو غيره أو أي نوع جعلك تقدم على ما أنت عليه فهذا من الشرك إلا الفأل كما تقدم، الفأل لأنه أنت عازم على ما أنت فيه ذاهب، لكنه يجعلك تحسن الظن بالله، وأنت ذاهب إلى الذي أنت فيه، فسمعت من يقول يا سالم أو يا واجد فأحسنت بالله الظن، أما إذا أقدمت بناء على أن الطير ذهب إلى يمينك أو رجعت بناء على أن الطير مر على شمالك فإنك تكون واقعا في الشرك، إنما الطيرة ما أمضاك أي: في حاجتك أو ردك عنها...

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ⁽¹⁾.

* * *

---

(١) نهاية المجلس الحادي عشر.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

❁ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب ما جاء في التنجيم**، قال البخاري في «صحيحه»: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها. فمن تأول فيها غير ذلك اخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به. انتهى.

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر**» رواه أحمد وابن حبان في صحيحه».

عقد رَحِمَهُ ٱللَّهُ الباب كما ذكر شيخنا ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبيان بطلان ما يتعلق بالناس من النجوم، يقول: نجّم يُنجّم تنجّيما، أي: باب ما جاء فيمن اعتقد أن للنجوم أثرا، هذا معنى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

○**التنجيم**: هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، ينظر في الفلك وما يتعلق باجتماع الأفلاك وافتراقها يقول سيقع كذا، سيقع رخص، سيقع غلاء سيحدث وباء، سيحدث حروب بناء على ماذا؟ قلت هذا الكلام، يقول: لأن النجوم حركتها كذا وكذا، فمن اعتقد أن لهذه النجوم في افتراقها واجتماعها تأثيرا في الأحوال والحوادث الأرضية فإنه بلا شك يكون مشركا والشرك هنا متعلق بالربوبية فهو شرك غليظ من الشرك الأكبر بلا شك.

ذكر أهل العلم أن علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه المنجمون هؤلاء من علم الكوائن والحوادث ونحوها ما يقع في الأحوال العلوية هٰذه، ويزعمون أنهم يدركون معرفة ما سيحدث في الأرض بمسير هذه الكواكب واجتماعها وافتراقها ثم ذكر قول قتادة الذي في الصحيح خلق الله هذه النجوم لثلاث وهي منصوصة، كلهذه الثلاث منصوصة مبينة زينة للسماء، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]، وعلامات يهتدى بها، زينة للسماء ورجوما

للشياطين هذا منصوص الآية، ولقد زينا السماء، هذا معنى قوله زينة للسماء، ورجوما للشياطين بقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾.

قوله: علامات يهتدى بها، في قوله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل]، فمن تأول فيها غير ذلك، بأن ادعى في هذه النجوم كذا وكذا وأنها يحدث من اجتماعها كذا وأن من تزوج بالنجم الفلاني يقع له كذا وكذا وأن من ولد في النجم الفلاني يكون من حاله كذا وكذا، فإنه بلا شك قد تأول فيها غير ذلك، وفسر تفسيرًا خاطئا باطلا وأخطأ فيمن زعم وأضاع نصيبه أي من الآخرة، وتكلف ما لا علم له به، أي: هذا قول باطل وليس عليه أي أساس وليس هو فيه على أي برهان وإنما هو باطل من الأباطيل يدعيه هؤلاء المنجمون ومثل ما علمت هذه الحماية العظيمة للتوحيد من أن يأتي إنسان فيدعي الغيب من خلال النجوم، يدعي الغيب من خلال العرافة آخر من خلال الكهانة، آخر من خلال السحر، آخر من خلال الرمل، آخر من خلال الرمل آخر من خلال الخطوط تخط به الأرض ونحو ذلك، هذه حماية لعقيدة الناس وربط في الأمور برب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علما وتأثيرا، علما فهو الذي يعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتأثيرا من حيث إن التأثير الحقيقي والتدبير عند رب العالمين لا عند هؤلاء المدعين هذه الأباطيل.

❁ **قال المؤلف:** «وكره قتادة تعلم منازل القمر».

أي: أنه كره التعلم فيما يظهر مطلقًا، يقول الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تعلمها لمعرفة الطرق والأوقات لا بأس بها، قال تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾.

هٰذا يسمى علم التسيير، التسيير من السير، تاء بعدها سين ويائيين تسيير، هذا العلم عليه مثلًا أهل التقاويم وأمثالهم، المنهي عنه والذي به الشرك ما يسمى بعلم التأثير، فهذا المحرم، وهذا مثل ما تقدم في مدعي من يدعي علم الغيب، فقتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ كأنه سد الباب، قال: إنه لا ينبغي تعلم منازل القمر وهكذا ابن عيينة لم يرخص فيه، يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأوا أن هذا سدا للذريعة كأنهم أرادوا أن يسدوا الذريعة بأن تعلم علم التسيير قد يترتب عليه دخول الإنسان في علم التأثير ولاسيما الجاهل ومن ليس عنده من الإيمان من يردعه.

۞ **قال المؤلف:** «ورخص في المنازل أحمد وإسحاق، أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهوية رحمهم الله».

لأنه لا محظور في تعلم المنازل، والله تعالى ذكر أن هذه النجوم يهتدى بها، على سبيل المثال دائمًا في الجهة الشمالية هذه النجوم السبع مسماة: بنات نعش، هذه جعلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في هذه الجهة الشمالية، ما الفائدة إذا عرفت الشمال، إذا عرفت الشمال عرفت بقية المنازل، عرفت بقية الجهات؛ لأن الشمال يقابله الجنوب إذا كان هذا الشمال مباشرة هذا الجنوب، ومعلوم أن الشمال إذا كنت متجها إلى القبلة يكون الشمال عن يمينك إذًا فالقبلة أمامك وبالتالي الشرق خلفك، فهي أربع جهات جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وله الحكمة البالغة هذه النجوم السبع في جهة الشمال، إذا ضاع المسافر ولم يدر إلى أي وجهة متجه هو وهو يريد مكة مثلًا، ثم اتضح له في الليل، اتضحت له هذه النجوم السبعة، عرف أنه مخطئ في سفره فيعدل ويتجه إلى الغرب، هذا بفضل رب العالمين أن جعلهذه النجوم السبع في الجهة الشمالية الثابتة بإذن الله تبارك وتعالى على هيئة معروفة، اثنتان بجانب بعضهما ثم فوقهما اثنتان ثم بأمر الله تبارك وتعالى الثلاث من دونهم سطرًا واحدًا.

هٰذا جعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يهتدى بها، وهو يقول: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾، فمعرفة مثل هذه الأمور لا محظورة فيه وإنما الإشكال والبلاء إذا ادعيت أن هذه الأفلاك و هذه الكواكب حركتها تدل على أنه سيقع رخص سيقع حرب سيقع سلم من ولد في يوم، في نجم كذا، فمعنى ذلك أنه سيعيش بقية حياته تعيسا من تزوج في النجم الفلاني فزواجه سيكون سعيدا، هذا هو البلاء و هذه هي الخرفات الجاهلية، إذًا فمجرد تعلم المنازل لا إشكال فيه بإذن الله عَزَّوَجَلَّ ولهٰذا يقول الخطابي: إن علم النجوم الذي يدرك عن طريق المشاهدة، كل أحد يعرف أن بنات نعش هذه في الجهة الشمالية والخبر الذي يعرف به الزوال فائدة تعرف بها القبلة، تعرف بها أيضًا أوقات الصلوات فإنه غير داخل في المنهي عنه فهذه الأمور لا تدخل في النهي، ثم ذكر قول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر**» وهو العياذ بالله الواقع في شرب الخمر ونسال الله العافية والسلامة يحجب عنها، ولاشك أنه لو مات وهو مسلم فإنه إذا لم يدخل الجنة فإنه لا يدخلها ابتداء؛ ولكن لاشك أنه إذا كان من أهل التوحيد ولقي الله وهو يشرب الخمر فإنه لا يخلد في النار، ولا يحجب عن الجنة الحجب النهائي بحيث لا يدخلها البتة، ليس هذا مقصودا، الأحاديث دلت، والنصوص والآيات في الشفاعة وغيرها دلت على أن

أهل التوحيد مردهم إلى الجنة لكن قد يعذب في النار مدة ويحجب عن الجنة والعياذ بالله مدة ثم يدخلها بإذن الله تعالى.

❁ **قال المؤلف:** «ومصدق بالسحر».

هذا الذي جعل للحديث هنا علاقة، ما علاقة الحديث، يقول الشيخ: ما علاقة الحديث بالباب، الباب متعلق بالتنجيم، الحديث في تصديق السحر، ولم يذكر التنجيم، يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يدخل فيه التنجيم، تقدم حديث من اقتبس شعبة من النجوم؛ لأن التصديق بالسحر يدخل فيه التصديق بأمر النجوم هٰذا.

❁ **قال المؤلف:** «وقاطع الرحم».

والعياذ بالله، قطيعة الرحم من أعظم وأسوأ الذنوب والرحم رحمك هم قرابتك من أبيك وأمك، فأقربائك من جهة أبيك، هم إخوان أبيك وأخوات أبيك وأعمام أبيك وأخوال أبيك وهكذا، ومن جهة أمك أيضًا، إخوان أمك الذين هم أخوالك، وأخوات أمك وهن خالاتك وهكذا، أعمام وخالات أمك وقطعا الأجداد، أجدادك هؤلاء أيضًا لهم حقهم لأنهم يعدون أباءا، الجد يعد أبا، والجدة تعد أما، فالرحم لا تأتيك القرابة منها إلا من طريق أبيك أو أمك، أما الرضاعة فتختلف، الرضاعة تختلف وليس شأنها شأن الرحم التي تقطع، أعمامك أخوالك وأبنائهم أيضًا ومعلوم أنهم درجات، فمثلا ابن ابن ابن عمك ليس مثل ابن عمك القريب، وابن عمك ليس عمك، فهم درجات ينبغي أن تصلهم بكل ما يعده الناس وصلا، من زيارة إن أمكن ويتفاوتون أيضًا في أمر الزيارة، فمنهم من يستلوح ويحب الزيارة ويفرح بها ولاسيما الكبار منهم مثل أخوالك وأعمامك هؤلاء قدرهم وحقهم كبير، وبطريق الأولى أجدادك أما الأب والأم فمعلوم عند كل أحد أمر البر لهما وعظم شأنهما أمرهما من الوضوح بمكان؛ لكن مثل ما ذكرنا قد يكون الأقارب كثيرين جدًا، قد يكون بعض الناس مثلًا له جد تزوج عدة نساء، فله أخوال كثر وإذا كان من جهة أبيه له أعمام كثر وأعمام أب وهكذا، يقال كل هؤلاء ينبغي أن تحسن إليهم ما استطعت من كلمة طيبة من زيارة إذا أمكن من القيام معهم إذا احتاجوا والوقوف معهم إذا احتاجوا ومصابهم والفرح لفرحهم وهكذا إجابة دعوتهم، وكل ما يمكن أن يدخل عليهم السرور فإنك تحرص على ذلك ما استطعت وأمر الرحم أمر عظيم، وينبغي الحرص عليه ولهٰذا العقلاء يحرصون على

التحمل من قراباتهم أشياء لا يتحملونها من غيرها، لأنه يخشى أن يكون هناك قطيعة فيتحمل وقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد أتاه رجل مرة فقال: «**اذنوا بئس أخو العشيرة، فلما دخل انبسط إليه** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **فقالوا يا رسول الله إنك قلت بئس أخو العشرية قال: إن من شرار الناس من تركه الناس اتقاء فحشه**»، فقد يستدعي أمر صلة الرحم التحمل لبعض المواقف وبعض الأقوال وهذا ينبغي على طالب العلم وعلى ضده نحو التقوى أن يحرص عليه وأن يتحمل من أقاربه ويصبر عليهم؛ لأنك مقابلة السوء بمثله يؤدي إلى القطيعة.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

* * *

---

(١) نهاية المجلس الثاني عشر.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

۞ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب ما جاء في الاستسقاء**، وقول الله تعالى: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ (٨٢)﴾ [الواقعة].

وعن أبي مالك الأشعري ﵁ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة**» وقال: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**» رواه مسلم. ولهما عن زيد بن خالد ﵁ قال: صلى لنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب**».

ولهما من حديث ابن عباس ﵄ ما معناه. وفيه: قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فأنزل الله هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ (٧٥)﴾ [الواقعة] إلى قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ (٨٢)﴾».

۞ **قال المؤلف:** «باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء».

السين والتاء إذا قيل استسقى كثيرًا ما يراد بها الطلب، استسقى طلب السقيا، ونحو ذلك مما تكون السين والتاء فيه دالة على الطلب، وقد تأتي في بعض الأفعال بلا إرادة الطلب كقولك: استقر السين والتاء هنا لا تعني الطلب؛ لكن في كثير من الأحياء تكون السين والتاء للطلب، ما المراد بقوله: الاستسقاء؟ الاستسقاء في أصله هو طلب السقيا؛ لكن الاستسقاء بالأنواء هو نسبة السقيا ومجيء المطر إلى الأنواء، هذا المراد بالاستسقاء، فما المراد بالأنواء؟ أولًا الأنواء جمع نوء، وهي منازل القمر، وهي ثمانية وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة منزلة منها، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩] يسقط في الغرب كل ليلة منزلة منها في الغرب، فإذا سقطت هذه المنزلة طلعت أخرى مقابلة لها من الشرق، العرب

زعموا أن المطر مع سقوط كل منزلة، وطلوع المنزلة المقابلة لها يكون فيها مطر وينسبون المطر إليها فيقولون مطرنا بنوء كذا، سمي نوءًا؛ لأن استعماله من المراد بكلمة ناء، ناء بمعنى نهض وطلع، فمن ذلك سمي بالنوء، عرفنا بذلك المراد بالباب أنه نسبة السقيا والأمطار إلى هذه الأنواء.

❍ما حكم ذلك؟!

من نسب المطر إلى هذه الأنواء فالحديث مصرح بأن فعله كفر، والكفر في الاستسقاء بالأنواء على نوعين اثنين:

❍النوع الأول: كفر أكبر مخرج من الملة وهو ما إذا اعتقد أن هذه الأنواء هي المدبرة والتي يكون إليها تصريف أمر هذه الأمطار، وهذا قليل جدًا والله أعلم؛ لأن من المعلوم أن العرب في الجاهلية كانوا يقرون أن الذي إليه إنزال المطر هو الله ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣] لكن يوجد بلا شك، وجد منهم من صار ينسب الأمور إلى هذه الأنواء فهذا كفر أكبر، وهكذا الزنادقة الآن من زنادقة الشرق والغرب يعتقدون أن هذه الأمور ليست بتدبير إلهي وإنما هي راجعة إلى ما يكون في هذا العالم من هذه المصادفات بزعمهم، وهذا كفر لا إشكال في كونه كفرًا.

❍النوع الثاني: لكن الغالب أن هذا النوع يدخل فيه الكفر الأصغر بالنسبة للمسلمين فإن المسلم مستقر عنده تمامًا أن هذه الأنواء مصرفة مدبرة وأنها تحت تقدير العزيز العليم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن ليس إليها هي التصريف والتدبير؛ لكن لما كان قوله مطرنا بنوء كذا فيه نسبة المطر لهذه الأنواء كان ذلك من الكفر الأصغر، ونؤكد دائمًا على طلبة العلم أهمية التفطن إلى معاني الكفر والشرك في النصوص، الفرق كبير جدًا بين الكفر الأكبر وبين الكفر الأصغر.

الكفر الأصغر والشرك الأصغر والنفاق الأصغر كلها أصحابها مسلمون لهم جميع أحكام الإسلام: إذا ماتوا صلي عليهم، يورث منهم ورثتهم المسلمون، كل أحكامهم أحكام المسلمين فلو فهمت نصًا من النصوص الواردة في الكفر الأصغر على أن المراد به الكفر الأكبر يكون هذا خطير للغاية؛ لأن معنى ذلك أنك سوف تحكم في المسلمين بأحكام الكفار وهذا ما فعلته الخوارج، إن الخوارج أساس إشكالهم كان في التكفير من هذه الزاوية؛ لأنهم جهلوا معاني النصوص فأنزلوا هذه النصوص على غير

أهلها فلأجل ذلك خرجوا على الجماعة، خروجهم على الجماعة هو معنى كونهم خوارج لهٰذا سموا خوارج؛ لأنهم خرجوا، ومعنى خروجهم على الجماعة ليس خروجهم علي وعليك فقط وإنما خروجهم على السلطان الذي يحكم الجماعة؛ لأن الجماعة مكونة من قطبين اثنين الحاكم والمحكوم، وهم لا يخرجون على أفراد الناس بالجملة، أول خروجهم لا يخرجون على فلان وعلى فلان من جارهم وإنما يخرجون على جماعة المسلمين بأن يقولوا هذه الجماعة ليست جماعة إسلام وحاكمها حاكم كافر والراضون بحكمه راضون بكفر، فإما أن يكفروهم معه وإما أن يجعلوهم في حد من يستحق العقوبة باعتبار أنهم سكتوا عن الكفر؛ ولهٰذا لاحظ في تاريخ الخوارج أنهم دائمًا يكفرون الجماعة الحقيقية ويجعلون لهم جماعة يسمونها جماعة المسلمين هذا في تاريخ الخوارج منذ عبد الله بن وهب الراسبي الذي خرج على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سموه أمير المؤمنين وانحازوا إلى حروراء وسموا بلدهم بلد الإسلام وسموا دار علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دار الكفر، الإشكال أنهم قالوا: إن عليًا حكم الرجال فكفر، فلأجل ذلك خرجوا على جماعة المسلمين.

فالكفر هنا إذا أطلق وفي كثير من النصوص مما يكون من أفعال المسلمين يراد به الكفر الأصغر، وهكذا الشرك يراد به الشرك الأصغر لكن لا بُدَّ من التفصيل؛ لأن ثمة أحوال أن يكون الكفر فيها أكبر وتارة يكون الكفر فيها أصغر مثل تحكيم غير الشرع، تحكيم غير الشرع تارة يكون كفرًا أكبر لا إشكال في كونه كفرًا أكبر بالإجماع، وتارة يكون كفرًا أصغر؛ فلأجل هذا لا بُدَّ من التفطن والتنبه إلى المراد من الكفر في النص؛ لأن الفرق فيه كبير جدًا فإنك إذا قلت أنه كفر أكبر حكمت بأحكام الكفار على من وقع فيه، وإذا قلت أنه كفر أصغر فهو مما يقع فيه من عصا من المسلمين.

ذكر قوله تعالى: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] هذه لآية ذكرها الله عَزَّوَجَلَّ بعد أن ذكر سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ما يتعلق بالنجوم، ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ٧٧ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ﴾ [الواقعة] أي شكركم، تجعلون حظكم من شكر الله عَزَّوَجَلَّ أنكم تكذبون، كيف يكذبون؟ يقولون مطرنا بنوء كذا، يقول الشيخ عبد الرَّحمٰن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا أولى ما فسرت به الآية أن المراد به هنا يتعلق بقولهم مطرنا بنوء كذا وكذا وأن هذا هو المقصود من الآية، وذكر أن هذا

هو قول جمهور المفسرين. من أهل العلم من قال إن المراد بقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]، المراد به القرآن وله وجه، هذا لكن ظاهر السياق والله أعلم وما فسرت به الآية من قبل ابن عباس وغيره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أنه يدل على القول الأول، ثم ذكر قول أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية**».

❍ **أولًا:** لا بُدَّ من التعريف بالجاهلية، الجاهلية هي الحالة التي كانت قبل مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] وقال: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣] إلى غير ذلك من النصوص التي نسبت فيها الأفعال هذه أو نسب أشخاص أو جماعات إلى الجاهلية، وهي نوعان:

❍ **النوع الأول:** الجاهلية العامة المطبقة هذه ولله المن والفضل انتهت ببعثة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه بعد بعثة هذا النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتهت الجاهلية التي كانت قبل مبعثه، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب**» كان أهل الأرض ممقوتين أجمعين إلا عددًا قليلًا ممن بقوا على دينهم مما كان على الصواب في طريقة أهل الكتاب الذين لم يبدلوه، أما بقية أهل الأرض فكانوا ممقوتين عند الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأنهم على هذه الجاهلية، هذه الجاهلية لا يجوز اعتقاد أنها موجودة، ولا إطلاق أننا في جاهلية، الأمة البشرية كلها في جاهلية، توجد جاهلية في مواطن وفي مواضع مثل الوضع في أوروبا وأمريكا لا شك أنه شرعًا وضع جاهلية؛ لأن الغالب المغيم هو الكفر فأوضاعهم أوضاع جاهلية؛ لأن الذي يسود فيهم منذ قرون متطاولة هو الوضع الجاهلي سواء بالوضع الإلحادي الذي هم عليه منذ قرونهم الأخير أو ما كانوا عليه مما يدعون أنهم فيه على النصرانية ودين عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ منهم براء فهؤلاء أهل جاهلية؛ لكن لا يقال إن الأرض يخيم فيها الجاهلية؛ لأن الإسلام أزال الجاهلية العامة، ولهذا هذه الإطلاقات لا يطلقها طالب علم أن الأمة في جاهلية كلها لا، ما يمكن أن يطلق هذا طالب علم لأنه يعلم ما الفائدة من بعثة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأين الرحمة، وما أرسلنك إلا رحمة، وأين قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق**» فلا بُدَّ من وجود من يكونون على الحق ولله الحمد، هذا النوع الأول وهي الجاهلية العامة انتهت؛ لكن قلنا إنه توجد جاهلية في مواضع وأماكن في الأرض، نعم وبعضها منذ قرون لكن لا يعرف

الإسلام، وهذا نعم من تقصير أهل الإسلام لكن وضعهم وضع جاهلية، ويكفي أن تعلم أن عبادة بوذا مثلًا منذ قرون طويلة في آسيا منذ قرون متطاولة في عدد من البلدان لا يعرفون إلا هذه الديانة الخبيثة، فهؤلاء قوم لا شك أنهم على الجاهلية؛ لأنهم هم وجاهلي العرب سواء؛ لكن لا يعمم الحكم على الأرض كما قلنا؛ لأن ولله الحمد انتهت الجاهلية العامة ببعثة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

○ **النوع الثاني**: مما يطلق عليه الجاهلية صفات وخصال من خصال أهل الجاهلية، فيكون في الإنسان خصلة جاهلية وهو مسلم، ولا يكون ذلك دالًا على الكفر؛ ولهٰذا من قامت به خصلة من خصال الجاهلة لا يقال أنه صار جاهليًا كأبي جهل معاذ الله، يكون فيه هذه الخصلة الجاهلية وهو من المسلمين، مثل ما أنه يكون فيه شرك أصغر وهو من المسلمين، يكون عنده بدعة وهو من المسلمين، يكون عاصيًا وهو من المسلمين فالخصلة الجاهلية موجودة في من اتصفوا بهذه الصفات التي أطلق عليها الشرع اسم الجاهلية، ومن أحسن ما صنف في هذا ما صنفه الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه في كتابه «**مسائل الجاهلية**» التي خالف فيها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل الجاهلية، وهو كتاب عظيم نافع جدًا، ذكر فيه جملة من الخصال، فيكون في المسلم خصلة جاهلية كما أن المسلم يكون فيه خصلة من خصال المنافقين لكنه ليس بمنافق، فالمسلم الذي يكذب فيه خصلة من خصال النفاق كما أخبر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ثلاث من كن فيه كان منافقًا: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**» فمن حدث فكذب فإن هذه الخصلة فيه تكون من خصال النفاق لكن هو مسلم.

○ **ولهٰذا يا إخوة!!** فهم النصوص بما فهمه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والتابعون على جانب كبير جدًا من الأهمية، وأن لا تفهم النصوص هكذا من قبل الإنسان بحيث يأخذ من إطلاق النص أن ثمة كفرًا ينسب إلى فلان الذي وقع في هذه الخصلة جهل منه، هذه الحقيقة كما قال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في الخوارج: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المسلمين، هذا هو السبب الآخر في كون الخوارج يكفرون المسلمين، يستدلون بآيات فيها الحكم بالكفر وأن صاحبها من أهل النار الذين لا يشك في كونهم من أهل النار بخلود أبدي خلود الكفار؛ لكن هذه الآيات ما نزلت في المسلمين وإنما نزلت في الكفار، فيفهمون أن هذه الآيات يراد بها هذه الأحوال من أحوال المسلمين.

فهذا الأمر ينبغي أن يلاحظه طالب العلم أن فهم النصوص يجب أن يكون من خلال تعلم معانيها على أهل العلم وفهمها كما أفهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحابة، وقد جاء عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال في

النساء: «**إنهن يكفرن**» الصحابة مباشرة قالوا: يكفرون بالله؟ قال: «**يكفرن العشير**» فهذا تنبيه على أن الكفر يطلق على غير الكفر بالله.

فمثل هذه الأمور مهم أن تنضبط فإذا ضبطت وعرفت علم طالب العلم الفرق بين طريقة المرجئة وطريقة الخوارج، الفوضى الآن الحاصلة عند كثير من الناس أنت مرجئ أنت خارجي، سبحان الله غالب من يخوض في هذه الأمور جهلة لا يدري ما معنى كلمة خارجي، إذا قلت خارجي فإنه يقتل شرعًا هذا المعنى، إذا قلنا أنه خارجي يقتل شرعًا، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**اقتلوهم أين لقيتموهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**» لا تكن هذه الإطلاقات الخطيرة ألعوبة، ثم يأتي شخص آخر فيتحدث عن مسألة قد يكون فيها مخطئًا فيقال أنت مرجئ والإرجاء درجة من درجات الضلال والزيغ وهي درجة كانت قوبل بها غلو الخوارج، وأضرت هاتان الفرقتان الخبيثان فرقة الخوارج وفرقة المرجئة أضرت بالأمة غاية الإضرار فلا تأتي لسني وترمي عليه هذه الكلمة وأنت ما تدري ما يترتب عليها.

○ **ولهٰذا ضبط هذه المسائل مهم جدًا،** ومعرفة الإطلاقات الشرعية والإطلاقات التي تطلق على أهل البدع، والإطلاقات عندنا علم يسمى علم الأسماء والأحكام، علم يا إخوة هذا مهم جدًا علم الأسماء والأحكام أي: أسماء الدين مؤمن مسلم كافر منافق فاسق هذه أسماء ما الذي يترتب عليها؟ أحكام، إذا قلت أنه مسلم فالمسلم له حقوق وله أحكام، إذا قلت كافر وتريد الكفر الأكبر لزمت أمور مترتبة على إطلاق كلمة الكفر ولهٰذا سمى أهل العلم هذا العلم علم الأسماء والأحكام؛ لأن كل اسم له حكم فعندنا مثلًا اليوم نصراني في الصباح كان نصرانيًا نقول هذا كافر، أسلم في المساء نقول انتقل اسمه من اسم الكافر إلى اسم المسلم، وبالتالي انتقل حكمه من أحكام الكفار إلى أحكام المسلمين فلو مات الآن صلينا عليه وورثنا قرابته المسلمين دون قرابته الكفار، هذا معنى كون هناك أسماء وأحكام، نفس الوضع هذه الأسماء إذا أطلقت فقلت هذا رافضي هذا خارجي هذا مرجئ هلا لا يتلاعب بهذه الإطلاقات، الإطلاقات هذه لا يتلاعب بها؛ لأنه يترتب على هذه الإطلاقات يترتب عليها أحكام، فمن هنا كان من المهم أن نضبط مسألة الجاهلية، ما المراد بها، فنقول: يكون في الرجل خصلة من خصال الجاهلية وهو مسلم لا شك فيه، حتى إن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال هذا لرجل من خيار أصحابه وهو أبو ذر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، أبو ذر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أغضبه بلال رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ جميعًا فقال أبو ذر لبلال على طريقة العرب وعلى طريقة الناس إلى الآن: يا ابن السوداء، ما علاقة أم بلال بالخصمة التي بين أبي ذر وبين بلال، ما علاقة الأمهات

والآباء؟ دائمًا الأمهات والآباء ما علاقتهم بالخصمة بين طرفين، ما يدخل الآباء والأمهات إلا مخطئ ما يطلق، هذا ما لأبيه علاقة ولا لأمه علاقة فإذا عيره بشيء من مثل هذه الأمور بأن يعيره بأنه أعجمي أو أن كما سيأتي أن في نسبه في نظره دنوًا أو أن لونه كذا هذه من خصال الجاهلية؛ لهٰذا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أعيرته بأمه؟**» لما قال له يا ابن السوداء، قال: «**أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية**» لاحظ العبارة دقة العبارة النبوية، ما قال إنك من أهل الجاهلية، قال: إنك امرؤ فيك جاهلية، فيكون في العبد جاهلية وهو مسلم، بل جاء عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أعلى هذا السن مني؟ أي: بعد هذا العمر، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نعم إخوانكم خولكم جعلهم الله تعالى تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس**» فكان أبو ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعد ذلك يلبس غلامه الذي يملكه نفس ما يلبسه مع أنه لا يلزمه شرعًا، ويطعمه نفس ما يطعمه من شدة تأسيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأرضاه؛ لأن إطلاق كلمة الجاهلية أعطته درسًا كبيرًا بأن هذه الإطلاقات يا أسود يا ابن السوداء لا تطلق هذه من إنسان طالب علم وفاضل وخير ما يطلق هذه الإطلاقات، ومنه اللمز بالقبائل كما سيأتي، والحط من الأنساب، هذا ما يطلق الإنسان إلا وفيه خصلة من خصال الجاهلية.

لكن ما فرق الصحابة عن غيره، الصحابي يعلم فيتعلم، ينبه فينتبه، يزجر فينزجز، حتى جاء عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه وضع خده على الأرض وأمر بلالًا أن يطء عليه، أي: من شدة تنصله من هذه الكلمة، وما يخلفه مثل هذه الألفاظ في الإنسان، فعلى طالب العلم أن يتخلص من مثل الألفاظ و هذه الأسماء و هذه العبارات تعيير الناس بقبائلهم بألوانهم بكون أبيه كذا أن صنعته كذا أنه يعمل كذا أنه من نسب دنيء أي: ما تكون من طالب علم يا إخوة، طالب علم فاضل يعي العلم لا تكون منه؛ لأن العلم يطهر يا إخوان مثل الماء، ما الفائدة من العلم الآن إذا تعلم وعلمت أن هذه خصلة من خصال الجاهلية وأنت مستمر على ما أنت عليه من عشرين سنة وأنت تردد هذه الكلمة، ما استفدت من العلم، كونها تسمى خصلة من خصال الجاهلية لا شك أنها تستلزم التنفير والخوف والرهبة منها والبعد الشديد عنها حتى لا تكون فيك خصلة من خصال الجاهلية، أتحب أن تلقى الله بخصلة جاهلية؟ من يحب أن يلقى الله بخصلة جاهلية؟ إذًا قوله: أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن يدل على أن هذه الخصال القبيحة ستستمر في الأمة وهذا الحديث من دلائل نبوته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن هذه الخصال مشتدة وكثيرة ولم تترك في الأمة والله المستعان إلا من قبل من يتقي الله عَزَّ وَجَلَّ.

○**الخصلة الأولى**: الفخر بالأحساب أي: التعاظم على الناس بما كان من آبائك وأجدادك ومآثرهم وأنهم كانوا شجعانًا وكرامًا وكذا وكذا، خصلة جاهلية، إن كان آباؤك كذلك مخلصين لله عَزَّوَجَلَّ وقاصدين بذلك وجهه وأوقعوا الشجاعة في وجهها والكرامة لله فهذه أعمالهم هم ليست لك، إذا تفاخرتم بأجداد لهم شرف قلنا صدقتم ولكن بئس ما ولدوا، هم أفاضل وأخيار لكن أنت سيء ما نهجت على نهجهم الطيب الطالح، الفخر بالأحساب أنا من قبيلة كذا، أنا آبائي كانوا كذا وكذا، عياذًا بالله هذه من خصال الجاهلية ولا ينبغي بالمسلم هذا وقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد**» التفاخر ليس من الخصال التي تكون من المؤمن، أي نعمة مثل نعمة العلم، نعمة المال أي نعمة أعطاك الله عَزَّوَجَلَّ إياها توجب عليك إن كنت تعي أن تذل لله وتخضع له؛ لأن الله تعالى ساقها إليك وامتحنك بها سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ ولهٰذا لما أوتي لسليمان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأن الأنبياء أعرف الناس بالله بالعرش عرش ملكة سبأ من اليمن ووضع عنده في الشام أول ما رآه ماذا قال؟ هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر، على العبد أن يعي أن هذه النعم مثل نعمة الأمن ونعمة المال والصحة ونعمة الشباب والعافية هذه ابتلاء يبتلى بها العبد فيجب أن يلاحظ هذا الأمر، أما الفخر بالحسبهذا لا وجه له، حتى وإن كان أبوك رجلًا عالمًا فاضلًا وشجاعًا مقدامًا كريم هذا متعلق به فكونك تتفاخر به هذا من الدناوة، والغالب أن الذي يتفاخر بمثل هذه الأمور إنما يتفاخر بها لقصوره هو، فلو كان على سمتهم وعلى هديهم لعمل لكن لأنه يقصر عن مثل هذه الأمور فإنه يكفيه مجرد التفاخر بما كانوا عليه.

○**الخصلة الثانية**: الطعن في الأنساب وهذا كثير في الناس ما أكثر ما تسمع الطعن في قبائل والتهوين من شأنها هذا من قبيلة كذا هذا أبوه دبار، هذا أبوه كذا، هذا أيضًا من خصال أهل الجاهلية، ولاحظ أن ثمة شيئين متقابلين، الأمر الأول: فيه تفاخر ورفعة، والثاني: فيه إنزال هذا المتفاخر بحسبه يريد أن يرفع نفسه، والطاعن في الأنساب يريد أن ينزل غيره، لغير الأسلوب الشرعي وغير الطريقة الشرعية مثلما ذكرنا في موضوع الأحساب، الأنساب الجميع عربهم عجمهم باديتهم حاضرتهم وباديتهم أسودهم وأبيضهم وأحمرهم كلهم يرجعون إلى أب واحد وهو آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليس للبشرية أبوين أب له مزية فأبنائه لهم مزية والبقية يأتون من أب وضيع فلهم مزية دونه، أبدًا البشرية كلها ترجع إلى آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولهٰذا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لينتهين أقوام عن تفاخرهم إن الله قد أذهب عنكم عبية**

الجاهلية وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم» لأنهم من أهل الجاهلية **«أو ليكونن على الله من الجعلان التي تدفع النتن بأمتها»** تفاخر بأن أباك كان في الجاهلية رجل يعبد الأصنام، تتفاخر برجل يعبد الأصنام أو برجل يعبد القبور وغيرها، ما هذا التفاخر؟ الله أذهب عنا عبية الجاهلية والجميع يرجعون لآدم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والتفاخر لا يكون بهٰذا، إنما التفاخر يكون كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣] بالتقوى التي فيها عمل الإنسان، أما أنت تتفاخر أنك من عرب وأن لونك ليس اللون كذا، وأنك ولدت في موطن مثل الجزيرة العربية وأن نسلك وأنك من نسل يعودون إلى كذا وكذا من القائل ما لك علاقة أنت بهٰذا، أنت ولدت في بلد لم تختر الولادة فيه، وكونك من تلك القبيلة لا علاقة لك به، لونك لا علاقة لك به، لسانك كونك من عرب لا علاقة لك به، هذه أمور قدرها الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يكون التفاخر فيها أصلًا ولا تكون الرفعة والنزول من خلالها، وإنما بالتقوى كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ المقصود أن يتعارفوا وأن يصل الإنسان رحمه ويتقرب إلى الله بذلك، أما التفاخر فليس إلا من فعل أهل الجاهلية، ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣].

○ **الخصلة الثالثة:** من خصال الجاهلية التي ذكرها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وهي المرادة هنا في الحديث في الباب: والاستسقاء بالنجوم أين نسبة المطر إلى الأنواء كما تقدم، والنياحة، والنياحة هي رفع الصوت بالندب على الميت، معلوم أنها من التسخط بقضاء الله عَزَّوَجَلَّ، وكل هذا لا يحل سواء من رجل أو من امرأة، فهي من كبائر الذنوب وثمة عذاب شديد نسأل الله العافية للنائحة؛ لكن تأمل قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «والنائحة إذا لم تتب» إذا لم تتب فهذا عذابها فدل على أن أي أحد يلقى الله تبارك وتعالى بعد ذنب تاب منه فإن الله تعالى يكفره ولو حتى كان الشرك، فإنه إذا تاب فإن الله تعالى يتوب عليه، أما إذا لقي الله عَزَّوَجَلَّ بذنبه فإنه تحت مشيئته تعالى إن شاء عذبه وإن شاء عاقبه، ذكر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هذا النوع الشديد من عذاب النائحة نسأل الله العافية والسلام، قال: «والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال، السربال واحد السرابيل وهي الثياب والقمص، السربال هذا من ماذا؟ تلبس ماذا، ما السربال الذي تلبسه، ما القميص الذي تقمصه؟ من قطران نسأل الله العافية، قيل أنه النحاس المذاب وقيل أنه الزفت، فإذا لبسته يجعل أيضًا معها درع من جرب، الجرب مرض من الأمراض له أثر شديد

جدًا على الجلد فإذا اجتمع القطران والجرب اشتد نسأل الله العافية والسلامة اشتد الألم فتجعل على هذا الحال؛ لأنها تسخطت وأظهرت عدم الصبر والواجب الصبر على أقدار الله تعالى وترك خصال الجاهلية.

۞ **قال المؤلف:** «عن زيد بن خالد ﵁ قال: صلى لنا».

أي: صلى بنا.

وعندنا قاعدة في حروف الجر أيها الإخوة حروف الجر تتعاقب، أي: تقول صلى لنا صلى بنا معلوم أنه صلى لله ﷺ؛ ولكن صلى لنا أي صلى بنا هذا المعنى، حروف الجر تتعاقب فتأتي بعض الأحيان اللام محل الباء ونحو ذلك، صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية، وهي الموضع الذي قرب مكة، على إثر سماء، قوله على إثر أي هو ما يعقب الشيء الذي يعقب الشيء يقال على إثره أتى فلان على إثر فلان أي: أنه جاء عقبه، السماء هنا في هذا الحديث، السماء تطلق ويراد بها السَّمٰوات المعروفة وتطلق ويراد بها العلو؛ ولكن في هذا الموضع المقصود به المطر، على إثر سماء لأن المطر يأتي من السماء من السحاب، على إثر سماء جاءهم هذا المطر لما أصبحوا فتحدثوا على طريقتهم، فمنهم من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، ومنهم من قال: مطرنا بفضل كذ وكذا، فقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما صلى بهم انصرف أي: انصرف من صلاته، «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» أي: بالوحي الذي أوحاه لنبي ﷺ، قالوا: الله ورسوله أعلم. لأن هذا أمر لا يعلمونه، و هذه الكلمة الله ورسوله أعلم تطلق في حياة النبي ﷺ، بعد وفاة النبي ﷺ لا شك أن الأشياء القدرية التي تقع لا يعلم بها ﷺ، فليس لأحد إذا قيل جاء فلان من سفره ليس له أن يقول الله ورسوله أعلم؛ لأن الرسول ﷺ لا يعلم بدليل ما ذكرناه غير مرة من قوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما رأى ما يذادون عن حوضه، وقال: مني ومن أمتي أصيحابي، قالوا: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، قال: أقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، فهو لا يعلم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما يقع في الأمة من كذا وكذا، نعم أخبر بأمور ستقع؛ لأن الله أوحى إليه بأنها ستقع، أما بأن يعلم الآن أن أوضاع المسلمين كذا وأن أحوال أهل البلد هذا كذا وأحوال هذا البلد كذا فلا يجوز اعتقاد هٰذا؛ لأن هذا من علم الغيب الذي لله وإنما يعلم ﷺ ما أعلمه، لا شك أنه أعلم الناس بالله وبشرع الله صلوات الله وسلامه عليه فيقال: الله ورسوله أعلم فيما يتعلق بمثل هذه

المسائل، أما إطلاقها مطلقًا في كل حدث وغيره فهذا لا يصح إطلاقه، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب» لأنه نسب المطر إلى فضل الله ورحمته، أي: لولا فضل الله تعالى ورحمته ما نزل المطر، وهذا مشروع أن يقال عند المطر، هذا الذكر يقال عند المطر مطرنا بفضل الله ورحمته، ويدعى الله صيبًا نافعًا، «وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب» تأمل كلمة كبيرة جدًا كافر بي مؤمن بالكوكب ليست سهلة؛ لكن بنفس الوضع الذي قلناه تارة يكون كفره أصغر وتارة يكون أكبر، هذا المعنى، والمسلم إذا أطلق هذه العبارة فلا شك أنه يريد بهٰذا الإطلاق أن الله تعالى هو الذي إليه الأمر كله ولكن هذا النوء سبب والتسبيب عند رب العالمين ومع ذلك يكون كفره في هذه الحالة أصغر، أما لو اعتقد أنها من النوء مباشرة كما قلنا فإنه كفر أكبر لكن ما في مسلم يعتقد مثل هذه العقيدة، ماذا لو قال مطرنا في وقت الربيع؟ مطرنا في الشتاء؟ لاحظوا العبارة في تفيد الظرفية، أما الباء ماذا تريد؟ السببية مطرنا بنوء كذا بسببه يعني، أما إخبارك تقول أي: مطرنا في يوم الثلاثاء صحيح ما فيه إشكال، تخبر عن الظرف الذي وقع فيه المطر أن الله قدره، ولا يكون معنى في هنا أنك تنسب الأمر هنا إلى النوء أو نحوه، فلو قلت مثلًا مطرنا في الربيع، مطرنا في الصيف، مطرنا في يوم الجمعة ما في هذا إشكال؛ لأنه إخبار بالوقت الذي وقع فيه المطر.

ولهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ما معناه. أظنه في مسلم الحديث أظنه في مسلم دون البخاري، أن ابن عباس رضي الله عنهما أخبر أنهم يقولون: لقد صدق نوء كذا وكذا؛ لأنهم في الجاهلية يعتقدون أنه ينزل المطر في النوء الفلاني؛ لكن ينسبونه كما قلنا الإشكال أنهم ينسبونه يعتقدون أنه إذا ناء أي: طلع يحدث مطر بالمنازل التي ذكرنا فأنزل الله هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ [الواقعة] ما المراد بالنجوم في الآية؟ من أهل العلم من قال: إن المراد بالنجوم هنا النجوم التي هي المعروفة هذه النجوم المعروفة فمواقعها على حال لا يحيط به إلا جبار السَّمٰوات والأرض، هل الآية فيها قسم أو نفي القسم؟ الآية فيها قسم بلا شك؛ لأن الله يقسم بما شاء من خلقه كما أقسم بالليل وبالضحى، فلا أقسم ليس معناه أنه ينفي القسم وإنما فيه إثبات فلا أي: ليس الأمر كما تزعمون، أقسم بمواقع النجوم، ما مواقع النجوم؟ من أهل العلم من يقول: إن المراد به النجوم المعروفة، ومنهم من يقول إن النجوم هي المرتبطة بنجوم القرآن فإن القرآن نزل منجمًا أي: مفرقًا فمنهم من يقول إن المراد نجوم القرآن أي نزوله مفرقًا ومنهم من يقول

إن المراد النجوم المعروفة وهذا الذي اختاره ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو الأظهر والله أعلم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ أي: هذا القسم الذي أقسم الله تعالى به قسم عظيم لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به عليه، ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾ أي محفوظ ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ ما المراد بالكتاب هنا في الآية؟ قيل إن المراد بالكتاب اللوح المحفوظ، وقيل: إن المراد الكتاب الذي بأيدي الملائكة الذي يكون فيه المحو والإثبات، وهو الذي نصره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال لقوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ والمراد به الملائكة ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ٨١﴾ أي أتريدون أن تمالؤوهم وتركنوا إليهم؛ لأن مقولة الكفار هي الكفر بالقرآن العظيم، ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ﴾ [الواقعة] وسبق شرحها.

* * *

۞ **قال المؤلف:** «باب قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٦٥] وقوله: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: ٢٤] الآية.

عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**» أخرجاه.

ولهما عنه قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله رسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يُحِبّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار**». وفي رواية: «**لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى.. إلى آخره**».

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال وَلاية الله بذلك، ولن يجد عبدٌ طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يُجدي على أهله شيئًا. رواه ابن جرير).

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [البقرة] قال: المودة».

هٰذا الباب يتعلق بمحبة الله عَزَّوَجَلَّ، ومحبة الله تبارك وتعالى هي أصل دين الإسلام الذي يدور عليه قطب رحاه، بكمالهذه المحبة يكمل إيمان العبد وبنقصها ينقص إيمانه.

واعلم أن المحبة، محبة الله تعالى ومحبة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نوعين اثنين:

❍**النوع الأول:** وجود أصل المحبة، وجود أصل محبة الله ومحبة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذه في كل مسلم مهما بلغ من العصيان وهمها بلغ من الغفلة، فما من مسلم كائن ما كان تقصيره إلا وعنده أصل محبة الله ومحبة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم لم يوجد عنده أصله المحبة لكان كافرًا، أصل المحبة أصل حب الله عَزَّوَجَلَّ، وإن ضعف في قلبه لكن وجود أصل الحب لا شك أن هذا مباشرة في قلب كل مسلم فمن لم يوجد عنده أصل محبة الله وأصل محبة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهذا ليس بمسلم أصلًا.

❍**النوع الثاني:** كمال المحبة وهو الذي يتفاوت فيه الناس التفاوت العظيم، كما محبة الله تعالى كما سيأتي إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ، جاء عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أتي له برجل شرب الخمر فأمر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجلده،

فجلد فقال أحد الصحابة ﷺ: لعنة الله عليه ما أكثر ما يؤتى به إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تلعنه إنه ما علمت يحب الله ورسوله**» مع أنه شارب خمر أي: أقيم عليه الحد، الزناة شراب الخمور قطاع الطريق مهما بلغوا في المعصية أصل محبة الله لا شك أنها في قلوبهم، النوع الثاني: هو الكمال وهو الذي كثيرًا ما تأتي النصوص بنفيه كقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده ووالده**»، «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه**» لا شك أن المقصود هنا الكمال كقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» من هو الذي يحب لأخيه نفس ما يحب لنفسه؟ لا شك أنهم الأقل، قلة ندرة نادرة جدًا في الأرض، الذي يكملون المحبة على هذا النحو لا شك أنهم قلة؛ لأن العادة أن النفوس كما قال تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨] العادة أن النفوس تحب أن تنفرد وتتميز ويحب الإنسان أن لا يكون هناك أحد قريبًا منه حتى يبرز ويظهر فضلًا عن أن يكون قرينًا له تمامًا، من يحبهذا لغيره؟ لا شك أنهم قلة، إذًا النفي هنا لا المقصود نفي أصل الإيمان، وهنا أيضًا أمر مهم جدًا في نفس الإيمان الخوارج ضلت من هذه الجهة، فإن نفي الإيمان يقصد به في كثير من النصوص نفي الكمال، وسيأتي إن شاء الله حديث يدل على هذا بصراحة لا يستطيع أن يناقش فيه أي خارجي، فنفي الإيمان يقصد به في كثير من الأحوال نفي كمال الإيمان لا نفي أصله.

بدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالآية العظيمة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦٥] الكفار يحبون الأنداد وهي ما اتخذوه مما عبدوه من دون الله عَزَّوَجَلَّ، الند هو الشبيه والنظير، اتخذوا هؤلاء أندادًا نظراء يحبونهم كحب الله نسأل الله العافية السلامة، إذا أحبوهم كحب الله وقعوا في الشرك؛ لأن محبة الله يجب أن تكون خاصة به تعالى لا يحب أحد كما يحب الله عَزَّوَجَلَّ، ما ضابط المحبة التي هي خاصة بالله عَزَّوَجَلَّ لا يصح أن يحب أحد سواها؟ ضبطها صاحب التيسير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: المحبة التي لا تصلح إلا لله، كونها لا تصلح إلا لله معناه أنها لا يصح أن تصرف لغيره عَزَّوَجَلَّ، مع ذلك ما المحبة التي لا تصلح إلا لله؟ نهاية الذل وكمال الخضوع هي لا تصح إلا لله، لا تصح للرسل ولا للملائكة وللآباء ولا للأمهات وإنما هي خاصة لله لأنها كمال خضوع ونهاية الذل فهذه محبة عبادية لا تصلح إلا لله عز جل.

كل محبة محمودة فإنها تكون راجعة إلى حب الله عَزَّوَجَلَّ، فحب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحب الله

وحب المؤمن لأخيه المؤمن لأجل الله لأجل محبة الله، وهكذا كل محبة محمودة تكون راجعة إلى هذه المحبة العظيمة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ ما المراد بقوله تعالى: ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾؟ قيل: إن المراد الذين آمنوا أشد حبًا لله من أصحاب الأنداد لأندادهم، أي: أن المؤمنين يحبون الله محبة أشد من محبة المشركين للأنداد هذا القول الأول، القول الثاني: والذين آمنوا أشد حبًا لله من المشركين في حبهم لله، وذلك أن محبة المؤمنين خالصة، أما المشركون فذهب قسط من محبتهم لهذه الأنداد، المحبة التي على هذا النحو إذا أحبها أحد غير الله عَزَّوَجَلَّ تكون شركًا؛ لأن هذا النوع من المحبة خاص بالله تبارك وتعالى، والمحبة من حيث عموم معناها نوعان اثنان، محبة عادية كأن يحب الإنسان أكلًا وشربًا وملابس مباحة ونحو ذلك هذه عادية لا يقال فيها إن هذا قد أحب غير الله فيقع في الشرك، ما لها علاقة مطلقًا، بلهذه المحبة لا بُدَّ منها، كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب الحلواء والعسل صلوات الله وسلامه عليه، يحب الدباء عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فالمآكل والمشارب والملابس هذه إذا كانت مباحة محبتها عادية، أما المحبة العبادية فهي التي ذكرنا ضبطها وتكون بكمال الخضوع ونهاية الذل.

۞ **قال المؤلف:** «قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة]».

من أحب هؤلاء البشر من الآباء والأبناء والإخوة والزوجات والعشيرة، أو أحب متع الدنيا كالأموال والتجارات والمساكن الجميلة المهيئة، البلدان، أحبها محبة أعظم من محبة الله ورسوله ومحبة الجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ فليتربص أي: فلينتظر، ينتظر ماذا؟ ينتظر ما يحل به من العقاب.

ومن جميل ما ذكر ما نقله محمد بن خفيف الشيرازي عن ابن سريج الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ما الدليل على وجوب حب الله أو على عقوبة من فرط في محبة الله؟ قال: فما كان عندنا جواب، قال: فقرأ الآية وآخرها: لا يحب الفاسقين، قال: فسماهم بالفاسقين من فعلوا هذه من جعلوا محبة هذه الأشياء مقدمة على محبة الله فليتربصوا وليعلموا أنهم فاسقون فلا يتهددهم الله هذا التهدد إلا لأنهم قد فرطوا، وهذا يدل على أمر مهم للغاية، وهو أن الدين كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**رأس الأمر الإسلام**» وبالتالي فهو مقدم على الوطن وعلى العشيرة وعلى مصلحة الشخص الخاصة به وعلى آبائه وأمهاته وزوجته

ومسكنه وكل شيء، ولأجل ذلك أمر الله بالهجرة والهجرة هي الانتقال من بلدك إذا كان بلدًا كافرًا إلى بلاد الإسلام، ما الذي قدم هنا؟ قدم الدين على الوطن؛ لأنه إذا لم يمكن عبادة الله في وطن لكونه وطنًا كافرًا ويمنع أهله من عبادة الله عَزَّوَجَلَّ فلا يحل البقاء فيه، يذهب الإنسان وإن كان يذهب غريبًا وقد يذهب فقيرًا كما قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ [الحشر: ٨] فيعودون غرباء في غير بلدانهم، ويعودون فقراء؛ لأنهم تركوا أموالهم لأجل تقديم الدين على الوطن، ولا شك أن الدين يقدم على كل شيء، يقدم على روحك التي بين جنبيك وأن تقدمه على نفسك وعلى مشتهياتك فضل عن آبائك وأمهاتكم وأزواجك وأولادك وعشيرتك ووطنك، الدين لا يمكن أن يقدم عليه شيء البتة.

۞ **قال المؤلف:** «وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده».

والولد تشمل الذكر والأنثى.

۞ **قال المؤلف:** «ووالده».

من أم وأب.

۞ **قال المؤلف:** «الناس أجمعين».

من زوجات وأقارب وأحباب وإخوة كل أحد، لم قدمت محبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الأقربين على هذا النحو؟ لأن أعظم بشر له منة علينا هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الله هدانا به وأرشدنا سبحانه إلى طريق الجنة وأنقذنا به من طريق النار، فمهما ذكرت في فضل أبيك وأنك ومن أحسنوا إليك لا يمكن أن يصلوا إلى هذه الفضيلة التي بلغها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الحديث فيه عبرة وفائدة كبيرة، إذا كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يؤمن أحد حتى يجعل رسول الله أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين، فما بالك بحب الله الذي أرسله؟ حب الله أعظم من حب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلأجل ذلك لا يقدم على حب الله تعالى شيء البت، وأحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حبًا لله، ومحبته فرع عن محبة الله عَزَّوَجَلَّ.

فدل على عظمة قدر حب الله عَزَّوَجَلَّ، وأن محبة الله تعالى هي أصل الدين، وأن جميع المحاب المحمودة ترجع إلى محبة الله عَزَّوَجَلَّ، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين، فمن قصر ولم يتمكن من أن يجعل محبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه الدرجة هل يكفر؟ هذا الذي نقول الآن: لا يكفر لكن يكون عنده لا شك نقص في إيمانه؛ لأنه لو عظم إيمانه لقدم محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على محبة هؤلاء جميعًا، وثبت ما هو أعظم من هٰذا، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه**» فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال: «**والذي نفسه بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك**» فقال عمر: فإنك الآن أحب إلي من نفسي، فقال: «**الآن يا عمر**» الحديث رواه البخاري، فيجب أن تقدم محبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على محبة النفس، والإنسان أشد ما يحب، يحب نفسه، ومع ذلك يجب أن يقدم محبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على النفس، هذه المقامات العظام يدعيها كل أحد، سل من شئت من المسلمين هل تحب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلتفت إليك غاضبًا توجه إليه هذا السؤال؟ فيه أحد يقال له هل تحب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ هل فيه مسلم يقال له هل تحب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ما فيه مسلم إلا ويحب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و هذه الآن دعوى، ما الذي يثبت هذه الدعوى؟ أنت تقدم أوامره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما تشتهيه نفسك، تأمل عند صلاة الفجر حتى تعرف المحبة الحقيقة من المحبة المدعاة، في الليل الشاتي البارد أو في الليالي ليالي الصيف التي يقصر فيها الوقت ويكون القيام لصلاة الفجر بعد إجهاد وتعب النهار وتكون مدة النوم بعض الأحيان قصيرة تأمل من يقوم ويقدم أمر عبادة الله تعالى طاعة لله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحبًا لله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هوى نفسه، تأمل الآن يا أخي المال أنت عندك مال معين، هذا المال تستطيع أن تجعله مضاعفًا هناك سرقة هناك رشوة هناك ربا هناك اختلاس هناك أشياء كثيرة في نظر الناس تنمي المال، والنفس تحب المال، فيمتنع المسلم عن جميع المعاملات المحرمة بل والمشبوهة حبًا لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقديمًا لأوامر الله وأوامر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مشتهيات نفسه، وهكذا أشياء كثيرة، أي: تأمل والله المستعان حال الناس الآن في مسألة تتعجب منها غاية العجب واحد سنتي بين المسبل وغير المسبل إذا رفعت ثوبك فقط واحد سنتي فوق الكعب صرت غير مسبل وإذا أنزلته صرت مسبلًا تتعجب سبحان الله من حال كثير من الناس من أهل الإسلام وكبار السن وأهل الصلاة، يأتي الواحد منهم فيسبل ثوبه، لم؟ يبدأ يذكر من الأعذار

والذرائع يا لله العجب، إن كنت محبًا لله وأنت محب لا شك، لا شك قلنا أصل محبة الله موجودة، أي: كون الناس سيقولون فيك كذا ولا كذا أو إذا أطلقت لحيتك سيقال فيك كذا أنت ستترك أمور الدين لأجل الناس، أرأيت لو سخروا بصلاتك؟ بصومك ستتركها لأجلهم؟ لا تكترث قدم محبة الله عَزَّوَجَلَّ على كل أحد، ولا تلفت إلى مثل هذه الأمور، ولهٰذا تتعجب من هذا الضعف، ولهٰذا قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**» القوة هنا ما المراد بها؟ قوة الإيمان لا قوة الشخصية قوة الأجساد؛ لأنه يقول المؤمن القوي فهذا وصف للإيمان نفسه، فتجد الإنسان من أضعف الناس جسمًا مثلًا لكن عنده من قوة الإيمان وما قام من قلبه من تقديم محبة الله عَزَّوَجَلَّ ما لا يكترث بالناس كلهم، لو أنهم سخروا به أو غيره، فتظهر المحبة، المحبة كل أحد يقولها، ولهٰذا قال تعالى: ﴿**قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ**﴾ [آل عمران: ٣١] سمى بعض أهل العلم هذه الآية آية المحنة، امتحان واختبار؛ لأن كل أحد يدعي محبة الله عَزَّوَجَلَّ، فيأتي اتباع من أرسله الله للبشرية، فإن اتبع فهذا دليل محبة الله عَزَّوَجَلَّ.

في الحديث بعده أن النبي الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان**» هذه الثلاث إذا وجدت في العبد وجد حلاوة الإيمان أي: طعم الإيمان، وهذا يدل على كمال عظيم لمن حقق هذه الثلاث؛ ولهٰذا جاء في الحديث الآخر، جاء الحديث بلفظ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا..الخ**» ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: «**أن يكون الله رسوله أحب إليه مما سواهما**» **هذا** لما قلنا إن محبة الله ومحبة الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لا يصح بتاتًا أن يتقدمها شيء فالمحبة الأصل محبة الله، محبة الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لم قرنت بمحبة الله عَزَّوَجَلَّ؟ لأن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أحب لأجل الله عَزَّوَجَلَّ؛ ولأن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أرسله الله، كما أنه لا تنفع شهادة أن لا إلٰه إلا الله إلا بشهادة أن محمدًا رسول الله فلا تنفع محبة الله إلا بمحبة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ «**وأن يُحِبّ المرء لا يحبه إلا لله**» إذا أحب إنسانًا فإنه إنما يحبه من أجل الله عَزَّوَجَلَّ، فأمر المحبة مع أنها أمر يرتبط بمشتهيات النفوس عادة، النفوس تميل إلى فلان دون فلان لكن جعل حبه مع أنه أمر قلبي لكن جعل حبه خاضعًا لله عَزَّوَجَلَّ فلا يحب إذا أحب إلا لله عَزَّوَجَلَّ، كما أنه لا يبغض إلا لله عَزَّوَجَلَّ، ولهٰذا قد يحب من هو بعيد عنه نائي ليس له به قرابة لأجل أنه مطيع لله وعلى السنة، ويبغض من هو منه قريب لأجل أنه على الضلالة والزيغ أو الكفر، فمحبته راجعة لا إلى هوى النفوس ومشتهياتها ولكنها راجعة إلى دين الله عَزَّوَجَلَّ وشرعه «**وأن يكره أن**

يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه» قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾ [الحجرات] فالمؤمن يكره الكفر؛ ولهٰذا لا يطيق أن يسمع كلمات الكفار، ويكره الكفار، لأجل الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنهم أعداء الله، وسماهم الله بأعدائه وقال: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] فهو يبغض الكفار لله عَزَّوَجَلَّ، ويبغض الكفر ويكره أن يسمع كلمة الكفر، ويكره أن ينتشر الكفر وأن يستفحل أمر الشرك والضلال والزيغ وأن يقبل الناس عليه لكرهه للكفر، فكيف بحاله هو أن يعود إلى كفر، هذا عنده مكروه جدًا؛ لأن الله تعالى أكرمه بالسلامة من الكفر، كما أنه يكره أن يؤخذ ويلقى في النار، أمر عظيم جدًا في تبيين بغض الكفر، لو أن إنسانًا أخذ وكتف واتجه به إلى النار وعلمت ما قام بقلبه من كره أن يلقى في النار فإن كره نفسه لإلقائه في النار هو كما يكره أن يلقى في النار ويتعذب العذاب الشديد بالنار فإنه يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه **«كما يكره أن يُقذف في النار»**. في لفظ آخر: «**لا يجد أحد حلاوة الإيمان إلى آخره**».

۞ **قال المؤلف:** «وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: من أحب في الله، وأبغض في الله».

كما قلنا حبه لأجل الله عَزَّوَجَلَّ، بغضه أيضًا راجع إلى أحكام الله عَزَّوَجَلَّ وإلى شرعه ليس على الهوى؛ لأن الناس لا بُدَّ أن تحب وتكره؛ لكن هو يخضع حبه وبغضه لشرع الله عَزَّوَجَلَّ، ووالى في الله، أي: إذا والى يوالي أولياء الله، ويوالي أهل الإسلام، وإذا عادى عادى أعداء الله وأهل الكفر والفجور، قال: من كان بهذه الحال فإنما تنال بفتح الواو وَلاية الله بذلك، هذا نال ولاية الله، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [يونس].

۞ **قال المؤلف:** «ولن يجد عبدٌ طعم الإيمان، وطعم الإيمان».

أي: درجة كما قلنا عالية من الإيمان، وإن كثرت صلاته وصومه قد يكثر العمل منه لكن لن يتحقق عنده وجود طعم الإيمان حتى يكون كذلك، بأن يخضع حبه وبغضه، أما أن يجلس هؤلاء أهل البلد الفلاني أبغضهم، لماذا؟ هؤلاء أهل البلد ما أحبهم، هؤلاء بيننا وبينهم مشاكل هذا وضع الجاهلية، ولهٰذا قال الشافعي رَحِمَهُٱللَّهُ: من قال إني أبغض بني فلان لا لإساءة وردت إليه أي: كأن أضروه ضربوه ظلموه، قال: ولكني أبغض الرجل لأنهم من بني فلان لا لإساءة وردت من هذا الرجل إليه قال: فأبغضه فقط لأنه من بني فلان فقال: فهو ساقط العدالة ترد شهادته، يدل على الفسق، إذا كان يقول أنا قبيلة كذا

هؤلاء أبغضهم، من أساء لك منهم؟ ما أساء لي أحد لكن أنا أبغض هذه القبيلة أبغض هذا البلد من بلاد المسلمين، أبغض مدينة كذا أبغض قبيلة كذا أبغض حامولة كذا، أبغض بني فلان، هذه بغضاء جاهلية تسقط شهادة الإنسان إذا كان يبغض الناس لأجل مدنهم لأجل ألوانهم لأجل لغاتهم؛ لأن هذه أمور جاهلية كما قلنا، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، الآن العلاقات التي تكون بين الناس هي دائمًا على مصالح دنيوية إذا كان كلام ابن عباس في زمنه فما بالك بالوضع الآن، لا شك أنه يزداد شدة، وذلك لا يُجدي على أهله شيئًا.

ثم ذكر أن المراد في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ١٦٦﴾ [البقرة] يقول: المودة أي: المودة التي كانت بينهم في الدنيا، خانتهم أشد ما احتاجوا إليها وتبرأ بعضهم نسأل الله العافية السلامة من بعض عند الموقف العظيم العسير في الآخرة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥] ولهذا قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ٦٧﴾ [الزخرف] لأنهم تحابوا في الله، أما في الآخرة فهؤلاء المتحابون في الدنيا على هذه المحبة الشديدة يكونون نسأل الله العافية السلامة؛ ولهذا فسر قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ١٦٦﴾ [البقرة] بأن المراد بها المودة التي كانت بينهم في دار الدنيا.

۞ **قال المؤلف: «باب قول الله تعالى:** ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٧٥﴾ [آل عمران]، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨] الآية، وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ الآية، [العنكبوت: ١٠].

عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: «**إن من ضعف اليقين: أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره**».

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من التمس رضا الله بسخط الناس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سَخِطَ الله عليه وأسخط عليه الناس**». رواه ابن حبان في صحيحه».

❁ **قال المؤلف:** «باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران]».

ذكر ما يتعلق بالخوف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والخوف نوعان، قلنا المحبة نوعان، الخوف الحقيقة أكثر من نوع؛ لكن لنضبط مثلًا نوعين من أنواعه، نقول:

○ **النوع الأول**: الخوف العادي الذي يخاف الإنسان من السباع يخاف من الظالم أن يصيبه ضرر ويتعدى عليه كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا﴾ [القصص] هذا خوف عادي، وهكذا خوف الإنسان لو رأى قطيعًا من السباع متجهة إليه ما يقال لا تخف؛ لأن ما فيه عاقل إلا ويخاف، فهذا خوف عادي مثل ما قلنا في المحبة العادية.

○ **النوع الثاني**: خوف العبادة، خوف العبادة أظهر أنواعه خوف السر الذي يكون في سر العبد يخاف الإنسان في داخله، من أحسن ما ضبطه الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «**تيسير العزيز الحميد**» قال: أن يخاف من غير الله أن يصيبه بمكروه بقدرته ومشيئته ولو لم يباشره، إذا تأملت التعريف عرفت أن هذا لا يجوز أن يخاف أحد على هذا الحد إلا الله وحده لا شريك له، الذي تخافه أن يصيبك بمكروه بمجرد مشيئته هو الذي تعالى إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، هو الذي عنده التصريف وقدرته، هو القادر على كل شيء، قوله: ولو لم يباشره لأنك إذا خفت من أحد أن يصيبك بمشيئته وقدرته مع مباشرته السبب الذي يوصل الضرر إليك هذا خوف عادي أي: كأن تخاف من إنسان متجه إليك، الآن هو تحققت عنده المشيئة لقتلك وعنده قدرة الآن لأن معه سلاح يريد قتلك إذا خفت هنا خوف عادي؛ لكن إذا خفت من إنسان أن يصيبك بمجرد أن يشاء لك الموت تموت بمجرد أن يشاء لك المرض تمرض، على أي أساس؟ قال: عنده سر يستطيع أن يصيب الناس بمجرد أن يشاء أن يمرض يمرضون أن يموتوا يموتون، إذا اعتقد هذا في أحد فإنه يشرك شركًا أكبر يخرج من الملة؛ لأن هذا لا يخاف أحد على هذا الحد إلا الله وحده لا شريك له،ولهٰذا كل من يخافون الموتى مشركون شركًا أكبر؛ لأنه يعتقد أن الميت عنده قدرة في قبره على أن يوصل إليه الضرر، وثمة خوف وهو خوف يقع في الإنسان على سبيل العصيان وهو أن يخاف من أحد فيعصى الله لأجله مثل أن يخاف مثلًا موظف من رئيسه فيؤخر الصلاة

لأجله، هو قطعًا مسلم لكنه عصى فهذا خوف مذموم لا يكون به كفر وشرك، لا لكنه خوف حمله على فعل المعصية سواء بمباشرة المعصية أو بترك الواجبهذا خوف مذموم.

۞ **قال المؤلف:** يقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ﴾».

ما معنى يخوف أوليائه؟!

المعنى إن ذلك الشيطان يخوفكم بأوليائه أولياء الشيطان هم أعداء الله، فالشيطان يسعى أن يزرع في النفوس أن أعداء الله هؤلاء عندهم من القدرات وعندهم من الاستطاعة البالغة على تدمير غيرهم وأنهم يتمكنوا من أن يستأصلوا الناس وربما قال إن هذه الدولة تستطيع تدمر الدنيا مرة وتلك تدمر الدنيا تسع عشرة مرة هذا كلام فارغ.

الكون له رب يدبره، وهؤلاء البشر مسلمهم وكافرهم والجن والملائكة والطيور والدواب خاضعة لتصريف العزيز الحميد الذي لا حول لأحد ولا قوة له إلا به عَزَّوَجَلَّ، فزرع الخوف على هذا النحو لا شك أنه من قلة الإيمان ومن قلة العقل، هؤلاء بشر عندهم أسباب الأمة مأمورة بالإعداد واتخاذ الأسباب و هذه الأمة إذا أطاعت الله معها الأمر الأعظم في النصر وهو نصر الله تعالى، فإذا أعدت الإعداد الصحيح الإعداد بأن تعود إلى الله في المقام الأول وتعد من السلاح ما تستطيع؛ لأن الله قال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم﴾ [التوبة: ٦٠] الذي تستطيع فقط، فإذا كنت على نهج سوي سليم كفاك الله تعالى الأمر؛ لأن النصر من عند الله قال: وما النصر إلا من عند الله، إن تنصروا الله ينصركم، يكون أمر النصر لله عَزَّوَجَلَّ، فالشيطان يحاول أن يزرع في النفوس أن عند أعداء الإسلام كذا وكذا من القدرات وغيرها لا شك أنه من الشيطان يسعى إلى أن يخوف؛ ولهٰذا قال تعالى: ﴿تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

ذكر الآية بعدها: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ أهل هذه الصفات ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾ [التوبة: ١٨] هؤلاء هم الذين يعمرون المساجد العمارة الحقيقة، أهل الإيمان بالله وإيقام الصلاة وإيتاء الزكاة وعندهم الخشية، الخشية والخوف متقاربان؛ لكن الخشية لها تعلق بأعمال القلب أكثر، وأيضًا الخشية تكون غالبًا عن علم، الخوف بعض الأحيان يقع من

غير علم، لذلك قد يخاف الإنسان ما لا ينبغي أن يخاف، فالخشية تدل على نوع من العلم؛ ولهٰذا ذكر الله تعالى خشيته، ويذكر خوفه أيضًا أي: يجب أن يخاف لكن كأن الخشية أشد أنواع الخوف، ﴿وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ اعلم أن عسى في القرآن كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عسى من الله واجبة، أي: هؤلاء الذين عمروا المساجد بالإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ وإيقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولم يخشوا إلا الله فهم المهتدون هذا المعنى، وهكذا لما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ من لم يستطع الهجرة قال: فعسى أولئك، فهؤلاء فعسى في هذا المقام من الله ليست مثل عسى من الإنسان، الإنسان يقول عسى أن يقع كذا ما يستطيع أن يحققه وعنده قدرة على أن يجريه؛ لكن الله قال وعسى فإن عسى من الله كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا واجبة.

❁ **قال المؤلف:** «قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]».

هذا حال أناس عندهم ضعف في إيمانهم ينقلب الواحد منهم والعياذ بالله على القهقرى بمجرد أن يبتلى، فهذه صفات قوم كما قال ابن كثير: من المكذبين يدعون الإيمان بألسنتهم ولم يثبت في قلوبهم، إذا جاءتهم محنة فتنة ابتلاء اعتقدوا أن هذا من نقمة الله بهم فارتدوا نسأل الله العافية عن الإسلام، وقد يقع من بعض المسلمين ولو لم يبلغ إلى حد الكفر أنه إذا أوذي بالغ مبالغة شديدة في النكوص عن الشرع وربما داهن في دين الله عَزَّوَجَلَّ فلا ينبغي بأهل الإيمان ذلك، فينبغي بالمؤمن أن يعتصم بالله ويتكل عليه وإذا أوذي في الله فإنه يحتسب الأذى؛ ولكن لا يتعرض لمنهج وأسلوب على خلاف الشرع فليؤذى فإنه لا يؤجر، أي: إذا استعمل طريقة أوذي بسببها هذه الطريقة طريقة خاطئة فإذا أوذي فإنه هو المخطئ كأن ينكر المنكر بأسلوب غير شرعي فإذا أوذي فهو أخطأ في إنكار المنكر بهذه الطريقة فسلط عليه من سلط من هؤلاء الذين آذوه.

❁ **قال المؤلف:** «عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن من ضعف اليقين».

واليقين أكمل الإيمان.

قال المؤلف: «أن ترضي الناس بسخط الله».

أي: أن تبحث عن الشيء الذي يجعل الناس يرضون عنك فتسخط الله لأجل أن يرضوا نسأل الله العافية والسلامة، الحديث في سنده مقال؛ لكن معناه صحيح كما ذكر الشراح، من أتى إلى أمر يسخط الله تعالى كأن يفطر في رمضان لأجل أن يرضى عنه الناس، أو يترك الصلاة لأجل أن يرضى عنه الناس، أو تترك المرأة الحجاب لأجل أن يرضى عنها الناس، ونحو ذلك من الأعمال، هذا من ضعف اليقين بلا شك، أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، أي: أن يكون الرزق الذي جعله الله تعالى على أيديهم وهم مجرد سبب فيه تضيف هذا الرزق إليهم وتحمدهم عليه، وتنسى الذي أنعم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليك وسخر هؤلاء ليوصل الخير إليك على أيديهم ولا يعني ذلك أن لا يشكر من أحسن إليك قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**» من لا يشكر الناس لا يشكر الله؛ لكن شكرهم شيء وأن تنسى رب العالمين الذي سخرهم لك شيء آخر، فأنت في الأساس تحمد الله الذي هيأ هؤلاء وسخر هؤلاء لك حتى أوصل الله تعالى على أيدهم الخير، ولا يعني ذلك أن تتركهم من الشكر والدعاء، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، يقول شيخنا ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ربما منعوك وهم مصيبون في منعك، أي: إذا منع الإنسان من أمر من الأمور قد يكون الصواب شرعًا هو أن يمنع كأن يطلب أمرًا لا يحل له كأن يطلب مثلًا أن يوظف قبل من هو مستحق فيقال ما يحل هٰذا، معنى ذلك أني أظلم هذا لأجل أن ترضى أنت فيغضب، غضبك لا اعتبار له؛ لأن الواجب في مثل هذه الأمور أن يعدل بين الناس وإذا كان هناك ما يسمى بالدور أو الصلة ونحوه ما يحل أن يقدم أحد على أحد، قد يكون إنسان متخرج من سنتين وهذا متخرج الآن فتقديم هذا على هذا ظلم وتعدي فإذا غضب فليغضب،فمن ذلك أن تذمهم على ما لم يؤتك الله، وأمر آخر في معنى الحديث، لن يصل إليك أمر إلا بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا طلبته من الناس فإن كان الله تعالى هيأ أسبابه فسيصلك وإن لم يهيأ أسبابه فالله صرفه عنك وقد يكون صرفه تعالى رحمة بك، فلا تذم الناس، إنما يذم الناس إذا منعوك ما هو حق لك، أما أن تطلب أمرًا يكون المرجع فيه إلى اختيارهم يعطونك أو لا يعطونك ثم يأبون أن يعطوك فهذا راجع إليهم لا

إليك فلا تجلس تذمهم وتشتمهم في المجالس فإن هذا من ضعف اليقين، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره. لا يعني ذلك منع السبب ينبغي أن نسعى في الرزق وأن نتكل على الله عَزَّوَجَلَّ.

لكن اعلم أنه قد يشتد حرصك لكن لن يصلك من رزقك إلا ما قدره الله عَزَّوَجَلَّ لك، وهكذا الرزق الذي سيصلك لو أن إنسانًا كره أن يصلك هذا الرزق فإن كرهه وبغضه لن يرد عنك رزق الله، تكون عندك هذه القاعدة أن رزق الله لا يجره حرص حريص حتى لا تتقطع في المبالغة في الحرص وتشتد وتهتم تعلم أن هذا الأمر سيأتيك ما قدر لك منه، ولا يرده كراهية.

ثم ذكر حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقد كتبت به إلى معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين طلب أن تحدثه بحديث وطلب منها أن لا تكثر؛ لأن الولاة وأمثالهم لو كتبت لهم أوراق طويلة عندهم من الأعباء ما لا يستطيعون أن يقرؤوا شيئًا كثيرًا فطلب منها أن تنجز فذكرت له هذا الحديث: «من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس»، إذا أرضيت الله وكان قصدك أن ترضي الله عَزَّوَجَلَّ لكن سخط الله منه وربما تهجموا عليك وربما أساءوا إليك باللفظ، أنت تريد رضى الله ولا تكترث بسخطهم، كونهم يسخطون أو لايسخطون هذا أمر لاتكترث به إذا كان قصدك أن ترضي الله عَزَّوَجَلَّ.

واعلم أن هذا لا يعني أن تتعمد إسخاط الناس، لا ينبغي أن يكون عندك الأساس أن ترضي الله عَزَّوَجَلَّ فمن رضي من الناس فالحمد لله، من سخط من الناس لا تكترث به، ولا تهتم له؛ لأن أساس قصدك أن ترضي الله، فإذا كان هذا قصدك أن ترضي الله فإذا كان هذا قصدك وهذا المنطلق الذي انطلقت منه فإن الله تبارك وتعالى فقد سلكت السبيل الصحيح وإن الله تبارك وتعالى سيحسن لك العاقبة؛ لأنك إذا أرضيته تعالى بسخطهم فسيكفيك مؤنتهم، وسيكف عنك تعالى شرهم، ومن عكس الأمر نسأل الله العافية فأرضى الناس بسخط الله لن يغنوا عنه منه الله شيئًا، أنك إذا داهنت الناس وتركت ما أوجب الله وفعلت ما حرم الله لأجل أن يرضوا فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا، فمن التمس رضا الناس بسخط الله فإن الله يعقبه أن يرضى عنه تعالى وهؤلاء الساخطون أحيانًا كثيرة يهيأ الله تعالى أن

يرضوا لاحقًا، ولا سيما إذا كان الإنسان مخلصًا قاصدًا وجه الله وعنده حكمة وتحمل وتصبر فإن المسلم يقول ما بالي الآن أنا متسلط على هذا الرجل الخير الصالح أنا أعلم أن ما فعله حق وأنه على الشرع فيرضى عنه الناس لاحقًا؛ لكن ليكن همك في الأساس رضا الله تعالى، رضي الناس الحمد لله ما رضوا لا تكترث، والتمس رضا الناس بسخط الله فسخط الله سيحل عليه والعياذ بالله ومع ذلك كثير من الأحيان هؤلاء الناس الذين يداهنون ويطلب رضاهم يسخطون على هذا الذي التمس رضاهم بسخط الله جزاء وفاقًا.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

* * *

---

(١) نهاية المجلس الثالث عشر.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

بسم الله، يأتينا إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ، باب في النهي عن سب الريح وما يصرفه الله تعالى من مثل هذه الأجواء والأحوال فيه عبرة وفيها سنة عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقد نهى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن سب الريح؛ لأن الناس يسبونها لأنها ربما حصل من آثارها ضرر، وهي مطيعة لربها عَزَّوَجَلَّ يرسلها تبارك وتعالى بما شاء، فالمشروع إذا هبت الريح أن يقال: اللَّهمَّ إنا نسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أرسلت به، هذا الذي ينفع وهذا الذي فيه الفائدة للمؤمن.

۞ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب** قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة] وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ الآية: [الأنفال: ٢] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾ الآية: [الأنفال: ٦٤] وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين ألقي في النار، وقالها محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ الآية [آل عمران]» رواه البخاري».

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب قول الله تعالى، والتبويب على الآية من طريقة أهل العلم رحمهم الله تجده كثيرًا في صحيح البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأكثر ما عمل هذا في كتاب التوحيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من صحيحه، وبوب على عدد من الآيات، وهكذا كتاب التفسير من صحيحه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فمن طريقة أهل العلم أن يبوبوا على الآية، الموضوع هنا في التوكل.

۞ **قال المؤلف:** «قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة]».

التوكل: هو الاعتماد بالقلب على الله عَزَّوَجَلَّ وتفويض الأمور إليه عز اسمه، هو بهٰذا المعنى من جهة القلب لا يصلح أن يصرف لغير الله تعالى، فيكون القلب معلقًا برب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ معتمدًا

عليه قد فوض أمر التدبير والتقدير إليه وحده لا سواه هذا فيما يتعلق بمعنى التوكل؛ لكن لا شك أن التوكل على هذا المعنى لا يعني ترك الأسباب؛ لأن الأسباب مرتبطة بغير القلب، الأسباب مرتبطة بجوارحك كأن تسعى لجلب الرزق كأن تتعاطى علاجًا لعل الله تعالى أن يشفيك من مرض، كأن تستعمل الثياب للاستدفاء من البرد ونحو ذلك هذه أسباب، ولا يجوز أن تجعل مصادمة بين ما يتعلق بالقلب وبين ما يتعلق بالجوارح، فإن اعتماد القلب لا يعني ترك أسباب الجوارح، ولهٰذا كان سيد المتوكلين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حقق مقام التوكل مع أخذه بالأسباب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل هجرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما هاجر إلى المدينة مع أنه أعظم المتوكلين على الله ألا أنه اتخذ السبب وبقي في الغار ثلاثة أيام ثلاث ليال حتى ينقطع عنه الطلب ثم هاجر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أيضًا في حروبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستعمل السلاح وما كان يبدوا هكذا للعدو ويقول: أنا نبي الله وهو سيكفيني أمري بل لا بُدَّ من أخذ الأسباب، فليس ثمة تعارضًا بين ما يتعلق بالقلب من ربطه لله نسأل الله أن يكرمنا بذلك بحيث لا يكون عند الإنسان أدنى التفات، من وفق لذلك أعطاه الله من قوة القلب ومن الرضا بقسمة الله ومن حسن الظن بالله تعالى شيئًا لا يكاد يوصف؛ لأن قلبه من هذه الناحية مرتبط بالله.

أما الأسباب فإن الأسباب تبذل ولا يحل أن تترك الأسباب، فلا يجعل الإنسان توكله عجزًا ولا عجزه توكلًا، أي: لا يجعل التوكل الذي يكون قد قام بقلبه التوكل نوعًا من العجز بحيث يترك الأسباب،ولا يجعل العجز توكلًا، التوكل غير العجز فالتوكل الاعتماد بالقلب وتفويض الأمور إلى الله مع السعي بالأسباب، و هذه هي سنة نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسنية الأنبياء جميعًا صلوات الله وسلامه عليهم.

في الآية يقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ يلاحظ في الآية تقديم الجار والمجرور، أي: قدم الجار والمجرور الجار الحرف على والاسم العظيم اسم المجرور، تقديم الجار والمجرور دائمًا يفيد فائدة وهو الحصر على الله فتوكلوا أي لا تتوكلوا إلا على الله، وهكذا تقديم المفعول به مثل قولك: إياك نعبد، أبلغ من قولك نعبدك؛ لأن تقديم المفعول به في قولك إياك أي لا نعبد إلا أنت وحدك لا سواك فيقول تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ أي لا تتوكلوا إلا عليه ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ إن كنتم صادقين في إيمانكم فلا تتكلوا إلا عليه وحده لا سواه.

في سورة الأنفال ذكر تعالى خصال أهل الإيمان فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ الآية: [الأنفال: ٢] يخافون الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ والآية صريحة نص في أن الإيمان يزيد وينقص لأن ما يزداد يكون قابلا للزيادة ناقصًا فلما زاد صار في حال خالف فيه الحال الذي قبله وهو حال النقصان، ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ وهذا محل إجماع من أهل السنة أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح لا يجوز أن يجعل أن يخرج شيء من هذه الأركان عن حقيقة الإيمان، فمن أخرج شيئًا من هذه الأركان عن حقيقة الإيمان فهو من المرجئة؛ لأن المرجئة قوم أرجئوا أي أخروا العمل عن الإيمان وزعموا أن العمل ليس داخلًا في حد الإيمان فسموا بالمرجئة، أما أهل السنة فبإجماعهم أن الإيمان قول واعتقاد وعمل، ونقل الإجماع على هذا الإمام الشافعي قال: إن إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ومن لقينا أن الإيمان قول وعمل ونية أي: من جهة القلب، لا ينفع واحد منها دون الآخر، أي: أنها أركان فالإيمان أركانه هٰذه، لا بُدَّ أن تجتمع، ولا يقال إن العمل شرط هذا خطأ، ليس شرطًا؛ لأن الشرط يسبق معناه أنك تخرجه عن حقيقة الإيمان بل هو ركن، الركن من ماهية الشيء، ما فرق الشروط عن الأركان؟ الشروط تسبق فلا تكن داخلة في حد ما تعرفه، فمثلًا من شروط الصلاة الطهارة هل أنت تتطهر وأنت تصلي أو قبل الصلاة؟ قبل الصلاة فإذا قلنا أنها شرط فالشروط قبل الصلاة، إذا قلنا الأركان معناه أنها داخلة في حقيقة الشيء وماهيته فنقول: من أركان الصلاة تكبيرة الإحرام، من أركان الصلاة الركوع السجود،من أركان الصلاة قراءة الفاتحة، هذه داخل الصلاة؛ فلهٰذا العمل داخل حقيقة الإيمان فلا يقال أنه شرط بل يقال العمل ركن وحقيقة في الإيمان، ولهٰذا قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ ثم قال: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾ لاحظ أيضًا هنا في الآية كالآية السابقة: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ في الآية هنا: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾ أيضًا قدم الجار والمجرور على التوكل أي لا يتوكلون إلا عليه تعالى وحده لا سواه.

۞ **قال المؤلف:** «قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾ [الأنفال]».

أولًا ما معنى الحسب؟! الحسب هو الكافي حسبي الله أي الله يكفيني سبحانه هو كافي وكافيك وكافي أتباعك، فقوله حسبك الله أي الله كافيك ومن اتبعك أي كافي من اتبعك، وليس المعنى حسبك الله

وحسبك المؤمنون، لا، بل المقصود حسبك الله أي الله كافيك وهو تعالى حسب المؤمنين أيضًا وليس المعنى حسبك الله وحسبك المؤمنون، لا، ولهٰذا هذه الألفاظ التوكل التقوى العبادة الحسبهذه خاصة بالله كما ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: إن من قال: إن المعنى حسبك الله وحسبك المؤمنون قال: هذا خطأ محض، لا يجوز حمل الآية عليه فإن الحسب والكفاية لله وحده كالتوكل والتقوى والعبادة؛ ولهٰذا قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾ ففرق بين الحسب الذي هو الكافي وبين التأييد فقال: ﴿أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾ أيضًا أيدك؛ لكن من جهة الحسب قال: ﴿فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾ ولم يقل حسبك المؤمنون، وهكذا قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ [التوبة: ٥٩] فجعل الحسب خاصًا بالله وجعل الإيتاء من والرسول، هذا فرق بيّن أن الحسب خاص بالله، وبه يعلم أن الصواب إن شاء الله أنه لا يصح أن يقال: توكلت على الله ثم عليك، أهل العلم رحمهم الله قرروا أن قول الإنسان توكلت على الله وعليك لا يجوز، هل يجوز أن تقول: توكلت على الله ثم عليك؟ من أهل العلم من أجازها والصحيح إن شاء الله أنها لا تجوز؛ لأن التوكل معناه اعتماد القلب كما تقدم وتفويض الأمر وهذا لا يصلح أن يكون إلا لله فلا يقال إني فوضت الأمر واتكلت واعتمدت بقلبي على الله ثم عليك ما يصلح هٰذا؛ لأن الاعتماد والحسب والتوكل والكفاية هذه لله وحده لا شريك له؛ ولهٰذا لا يقال توكلت على الله ثم عليك على الصحيح، وإنما يقال توكلت على الله.

ذكر الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن التوكل على غير الله نوعان:

- **النوع الأول**: ما هو شرك أكبر، وذلك إذا توكل على غير الله في أمر لا يقدر عليه إلا الله، الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله مثل هداية القلوب مثل إصلاح الذرية مثل إدخال الجنة والنجاة من النار، ونحو ذلك مما هو خاص برب العالمين، فمن توكل على غير الله في مثل هذه الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله فإنه يكفر ويكون ذا شرك أكبر.

- **النوع الثاني**: من توكل على غير الله وعلمت الآن معنى التوكل هو اعتماد القلب، من توكل على غير الله في أمر يقدر عليه المخلوق، كأن يتوكل على الأمير في رفع المظلمة وأن يتوكل على التاجر في أمر سداد دينه مثلًا، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا شرك أصغر فجعل التوكل على غير الله شركًا بكل اعتبار، فإن توكل

على غير الله في أمر لا يقدر عليه إلا الله فذلك شرك أكبر، وإن توكل على غير الله في أمر يقدر عليه مخلوق فذلك شرك أصغر؛ لأنه يقدر عليه ولكن لا يتوكل عليه، نعم يبذل السبب كأن ترفع المظلمة إلى السلطان وتلتمس العلاج عند الطبيب لكن قلبك متكل على الله تعلم أن السلطان وأن التاجر وأن الطبيب وأن كل أحد إنما هم أسباب وأنا الأمر بيد الله وحده لا شريك له.

ثم ذكر قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] عرفنا الآن أن الحسب هو الكافي أي أن من توكل على الله فإن الله تعالى يكفيه وإذا كفاك الله ضمنت الربح والفوز في الدنيا والآخرة؛ لأن الله تكفل لك بأمر وكفاك فإنه لو اجتمع في السَّمٰوات ومن في الأرض على أن يضروك لن يضروك، ولهٰذا من أكرمه الله وأعانه نسأل الله أن يمن علينا بذلك، من أعانه الله بقوة التوكل فإن هذا يكون من المفلحين في دنياه وأخراه، ويتكفل رب العالمين بأمره سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ؛ ولهٰذا لما اتكل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ واتكل الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ على الله فتح الله لهم المشارق والمغارب، أناس في المدينة في موضع من أفقر المواضع في الأرض ومن أبعدها عن التأثير في الأرض ببحارها وبراريها وبلدانها والدول الكبار في ذلك الوقت، جعل الله هذا الموضع المحدود في الجزيرة العربية جعل الله تعالى منه انطلاقة الجيوش حتى استمكنوا من جزيرة العرب، ثم استمكنوا من بلاد الشام وما ورائها أيضًا مما كان تحت حكم الروم، واستمكنوا من بلاد الفرس من جهة العراق وإيران وخراسان وأقاصي المشرق توكلًا على الله عَزَّوَجَلَّ وثقة به تعالى، ولهٰذا بقدر ما يعظم التوحيد والتوكل في القلب بقدر ما يفتح الله تعالى أبواب الفضل والرحمة والتوفيق للأمة في دينها ودنياها.

❁ **قال المؤلف:** «ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن هذه الكلمة العظيمة: حسبنا الله ونعم الوكيل».

حسبنا الله أي: الله كافينا ونعم الوكيل أي: نعم الموكول إليه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، هذه الكلمة العظيمة قالها الخليلان وهما أكرم أنبياء الله عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه إبراهيم عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ حين ألقي في النار قال حسبي الله ونعم الوكيل أي الله تعالى كافينا وكفاه عَزَّوَجَلَّ ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ٦٩﴾ [الأنبياء] فهذا معنى الكفاية أن الله تعالى كفاه كيد الكفار والنار التي تحرق حال الله عَزَّوَجَلَّ بينها وبين إبراهيم بالأذى بأن تؤذيه، وقالها محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران]» وذلك أن أبا سفيان ومن معه

بعد أن حصل ما حصل من معركة أحد بلغ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أبا سفيان ومن معه أجمعوا الكرة والرجعة على المسلمين، فخرج صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سبعين راكبًا حتى انتهى إلى موضع يسمى حمراء الأسد ألقى الله تعالى في قلب أبي سفيان قبل إسلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي قلوب المشركين الرعب فرجعوا إلى مكة، مر بهم ركب من عبد القيس من شرق الجزيرة، فقال أبو سفيان: هل أنتم مبلغون محمدًا عني رسالة؛ لأنهم كانوا متجهين إلى المدينة، قالوا: نعم قال: إذا وافيتموهم فأخبروهم أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حسبنا الله ونعم الوكيل فألقى الله الرعب في قلوب المشركين ورجعوا مع أنهم انتصروا في أحد؛ لكن لما خرج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم في سبعين راكبًا فقط متكلين على الله عَزَّوَجَلَّ وأتوا إلى حمراء الأسد، وإذا بأبي سفيان ومن معه قد دب الرعب في قلوبهم ورجعوا إلى مكة مع أنهم انتصروا في أحد، أتى المسلمون إلى حمراء الأسد التي هي الموعد فلم يجدوا المشركين فاشتروا بعض البضائع ورجعوا ولهذا قال تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ واشتروا ورجعوا إلى أهليهم ولم يلقوا كيدًا من العدو، وهذا من آثار توكلهم ومن آثار كون الحسب الحقيقي لهم عَزَّوَجَلَّ قد كفاهم وقال حسبنا الله ونعم الوكيل فالعبارات عظيمة ولها مدلول كبير.

۞ **قال المؤلف:** «**باب** قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] وقوله: ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن الكبائر فقال: «**الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله**».

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله. رواه عبد الرزاق».

المكر: هو إيصال الضر إلى الممكور به وهولا يشعر هذا معنى المكر أن توصل الضر إلى من تريد إيقاع الضر به وهو لا يشعر، أما إذا واجهته وعلم فهذا ليس بمكر، المكر نعوذ بالله من مكره، نوعان، نوع مذموم ونوع محمود، فالنوع المذموم أن يمكر لمن لا يستحق المكر فالله منزه عن هذا عز اسمه، النوع الثاني: أن يمكر بمن يستحق أن يمكر به وهذا محمود وهو الذي تمدح الله تعالى به، وأخبر أن كيده متين، وأنه كاد ليوسف، كذلك كدنا ليوسف وأخبر أن كيده متين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتهدد بمكره وأخبر أنه لا

يأمن مكره تعالى إلا الخاسر.

فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف] الآيات في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ فمكر الله عَزَّوَجَلَّ بمن عصاه يكون بأن يسبل ويرخي عليه من النعم فيواجه هذه النعم بدل الشكر بالطغيان واستعمال النعم في معصية الله فيزيده الله نعمًا فيبطر ويشتد عتوه وعصيانه فيزيده الله نسأل الله العافية والسلامة، فإذا بلغ في المجاهرة بمعصية الله والمحادة بأمره مبلغًا تامًا أخذه الله تعالى على حين غرة، وكان إسبال النعم عليه نوع استدراج، الاستدراج بأن ينزله الله تعالى درجة درجة، الدرجات مثل طبقات السلم مثل ما أن الإنسان ينزل درجة درجة، فإن الله تعالى نعوذ بالله من مكره واستدراجه يجعل على العباد من النعم ما يزداد ويكثر وينتشر فإذا قابلوها بالعصيان نعوذ بالله من ذلك واستعمالها فيما يسخطه تعالى، فإنه تبارك وتعالى لا يباغتهم، وإنما يزيدهم إكثارًا للحجج عليهم؛ لأن هذه النعم قد تحصلت فكان الواجب أن تشكر فزادت فوجب أن تشكر أكثر؛ لكن الذي حدث أن زاد العتو والتعصي نسأل الله العافية فيأخذهم تعالى على حين غرة، وما يأخذهم تعالى إلا على حين غفلة نسأل الله العافية والسلامة، وهدد سبحانه من الأخذ على حين حرة وعلى حين غفلة وهذا ما يخاف على الناس دائمًا، والحال عائذًا بالله من مكره أن ينظر في القيام بأمر الله عَزَّوَجَلَّ مع النعم، فإن كانت النعم تزداد وأمر الله تعالى يمتهن فهذه الأمة ممكور بها، وهؤلاء القوم ممكور بهم قطعًا وسيصلون إلى حال من النقمة نعوذ بالله إن لم يعودوا لله عَزَّوَجَلَّ فتكون نسأل الله العافية الأخذة أخذة كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾ [القمر] فتنقلب الأحوال ويفتقر الناس ويتشردون ويذهب ذاك العز بل الغرور والتعصي والتكبر ينقلب إلى مذلة قد يرحمهم أكثر البشر بسببها نسأل الله العافية ونعوذ بالله من مكره، وهذا من أشد ما يخافه من نور الله قلوبه من هذه المعاصي المنتشرة، فإن المعاصي لا تضر إلا أصحابها إذا استخفوا بها صاحب الخمر لا يضر إلا نفسه إذا أغلق على نفسه البيت وشرب الخمر ما يضر الناس يضر الناس، الإشكال في أن تبرز هذه المعاصي ويقل الإنكار بل وأخبث من هذا أن ينكر على أهل الإنكار كما يحصل من قبل المجرمين المفسدين الذين ينكرون على من ينهون عن المنكر، النهي عن المنكر من أعظم أسباب العافية؛ لأنه ما دام هناك من ينهى عن المنكر ويأمر بالمعروف ويظهر هذا ويفشو فالأمة لا تعاقب بإذن الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن هذه المعاصي يقابلها إقامة لأمر

الله تعالى، أما إذا كانت المعاصي تكثر والنهي عن المنكر يضعف فالعقوبة لا تستبعد أبدًا،والله تعالى يمهل نسأل الله أن يعيذنا من مكره، قد يمهل الناس سنين عددًا، كم أمهل قوم نوح؟ ﴿فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾ [العنكبوت:١٤].

○كم أهمل قوم فرعون؟!

حتى تعرف كم أهمل قوم فرعون أين نشأ موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟ نشأ في قصر فرعون، ثم لما قتل القبطي وذهب إلى مدين يقول له عدو الله فرعون الذي بقي: ﴿وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩﴾ [الشعراء] أي: الآن موسى تقدم به السن وهذا لا يزال يأمر الناس أن يعبدوه فلما أخذهم الله تعالى أخذهم أخذ عزيز مقتدر، ولهٰذا تعزيز الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ليس حفظًا للدين وفقط، هو الأصل أصل أن يعزز لله لكنه في الواقع حفظ حتى للبلدان ولدنيا الناس، فلا يكون في وجوه الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر إلا أهل الجهالة الذين لا يعون أو أهل النفاق والضلال؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بإذن الله تعالى وقوته وعزته ما دام قويًا عزيزًا فالله لا يعاقب، هؤلاء الذين ينهون عن المنكر ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ﴾ [هود: ١١٦] ما دام الفساد ينهى عنه فإنه لا يضر بإذن الله إذا كان ينهى عنه ويقمع أهله وتقام فيهم أحكام الله، وإلا من المعلوم أن المعاصي موجودة؛ لكن الإشكال إذا منع الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وصار يشوه بسمعتهم، وصار يلتمس أخطاؤهم، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر مثل أي إنسان مثله مثل الشرطي مثله مثل الشخص الذي في الجيش مثله مثل الشخص الذي يعمل في البلدية أو في غيره يخطأ كما يخطئون؛ لكن لاحظ أهل النفاق وأهل الضلال ينتظرون غلطة حتى يكبروها ولا سيما الإعلام الفاسد، وكأن الشرطة لاتخطئ وكأن من في البلدية لا يخطئون وكأن من في الدوائر الحكومية الأخرى لا تخطأ هذه دائرة تخطأ كما يخطأ غيرها، وخيرها وصلاحها والنفع فيها أضعاف، أضعاف ما يقع من خطأ؛ لكن أهل النفاق وأهل الضلال والفسق لا يستريحون إلا بإفساد هذه الشعيرة العظيمة، فالحاصل أن مكر الله تعالى يقع عندما يضعف النهي عن المنكر والأمر بالمعروف وتفشوا والعياذ بالله المنكرات والمعاصي. الأمن من مكر الله عَزَّوَجَلَّ يقع من المتلاعب المتساهل المجترئ على المعاصي، عكسه القانت من رحمة ربه تعالى فهما في طرف مقابل، الطرف المقابل هو

الذي يقنط من رحمة الله قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ٥٦﴾ [الحجر] القنوط هو والعياذ بالله استبعاد الفرج واليأس، وخطأ كبير جدًا كيف تستبعد الفرج من أرحم الراحمين الذي إن أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، كيف تستبعد الشفاء من مرض، كيف تستبعد أن يسدد دينك؟ كيف تستبعد أن ينصر الله تعالى أمتك، كيف تستبعد أن يصلح الله تعالى الحال وربك سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أعظم من يجب أن تحسن به الظن؛ ولهٰذا يعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما فقد يوسف ثم فقد أخاه ثم قال الثالث: ﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ﴾ [يوسف: ٨٠] لاحظ عظم حسن ظنه بالله ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ﴾ لاحظ لما تفاقم الأمر اقتقد يوسفهذه السنين ثم افتقد أخاه ثم الثالث قال لن أبرح الأرض قال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ﴾ فينبغي أن ينشر في الناس حسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لكن حسن الظن بالله مع حسن العمل؛ لأن الذي يحسن عمله يحسن ظنه والذي يسوء عمله يسوء ظنه فينبغي أن يعلم أن حسن الظن مقرون بحسن العمل فإذا أحسنا العمل وقمنا بما أوجب الله فينبغي أن نظن بالله تعالى أحسن الظن، أما أن يحصل اليأس تيأس من أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين تيأس ممن يصرف الأمور كلها تعالى، تيأس ممن هو أرحم بعباده من الوالدة بوالدها، لا يقنت من رحمة الله تعالى ويستبعد الفرج وييأس إلا القوم الضالون.

ثم ذكر أن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أخبر أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ سئل عن الكبائر والكبيرة هي ما ورد الشرع فيها المعاصي التي ورد الشرع فيها بوعيد يقتضي وعيدًا بالنار والعياذ بالله أو بعذاب في القبر أو نحوه أو ختمت بلعن أو غضب وهكذا من قيل فيه ليس منا ونحو ذلك فإن هذه كلها دالة على وقوع الكبيرة على أن الذنب الذي ذكرت فيه هذه الأمور أنه من الكبائر فلما سئل عن الكبائر وليس المقصود الحصر؛ لأنه لم يقل عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليس ثمة كبائر إلا هذه وإنما ذكر أمثلة لها، فقال: «**الشرك بالله**» ومعلوم أن الشرك بالله هو أعظم الذنوب وهو أخبث وأقبح الكبائر، «**واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله**» اليأس هذا فعل الذي يقطع الرجاء والأمل من الله، والآمن من مكر الله هذا فعل المتلاعب المتساهل بأحكام الله تعالى، مع ذلك هو آمن كأن عنده من الله تعالى عهدًا بأنه لن يعاقب، منهج الخوارج أقرب إلى منهج اليأس، ومنهج المرجئة اقرب إلى منهج الأمن نسأل الله العافية والسلامة.

ولهذا الخوارج يؤيسون العصاة ويقنطونهم من رحمة الله والمرجئة يجرؤون العصاة على المعصية، ومنهج أهل السنة أن العاصي ينبغي أن يحذر ولا يأيس فيجمع له أهل السنة بين الخوف والرجاء وهو الواجب وهو منهج القرآن، قال تعالى في عباده الصالحين في شأن آل زكريا أو في الأنبياء قبلهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠] فيجتمع الرغد والرهب معًا فلا يركز على الرغبة والرجاء وحدهما ولا يركز على الرهبة والخوف وحدهما بل يجمعان، ولهٰذا قالوا: إن الخوف والرجاء بمثابة الجناحين للطائر فإن انكسر أحد الجناحين كأن يغفل الخوف ويركز على الرجاء لم يستطع الطائر الطيران، وهكذا إذا انكسر الجناح الثاني وإنما ينضبط طيرانه إذا اجتمع عنده الجناحان سليمين الخوف والرجاء.

ثم ذكر حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله. يقول ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المراد بروح الله يقول: هو قريب من معنى الرحمة الروح يقول: قريب من معنى الرحمة وفيه أي: شيء من انتظار الفرج من الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، نسأل الله أن يفرج لنا ولأمة الإسلام وأن يحمدنا وإخواننا المسلمين العاقبة في الدنيا والآخرة.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

* * *

---

(١) نهاية المجلس الرابع عشر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

❁ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله.** وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت**».

ولهما عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**».

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة**».

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط**».

❁ **قال المؤلف:** «باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله».

الصبر: أصله هو الحبس بالنفس والمنع لها عن الجذع والتسخط، وحبس اللسان عن التشكي، وحبس الجوارح عن ما لا يليق من لطم الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك عند وقوع المصائب، فاشتقاق الصبر من صبر إذا حبس ومنع، يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذكر الله الصبر في تسعين موضعه في كتابه، وهذا يدل على العناية الكبيرة بهذه العبادة، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الصبر ضياء**» وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ما أعطي أحدًا عطاء خيرًا وأوسع من الصبر**». وقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: وجدنا خير عيشنا بالصبر، وقال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ثم قال بعد أن رفعه صوته: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له أي: لا إيمان كامل لمن لا صبر له، هذه الدار قد شاء الله عَزَّ وَجَلَّ أن تكون على حال قال فيه سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ [البلد] فلا بُدَّ فيها من مفارقة الأحباب، ولا بُدَّ فيها

من وقوع المصائب التي يبتلي الله تعالى بها عباده، فيظهر من يصبر لله عَزَّوَجَلَّ ويظهر من يجزع ويتسخط، وهي دار امتحان وابتلاء، ومن ضمن ما يبتلى به الإنسان أن يبتلى بما يبين صبره، والصبر في الشرع ثلاثة أنواع:

- ○ **النوع الأول:** الصبر على طاعة الله كالصبر على الصلاة والجهاد والصيام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- ○ **النوع الثاني:** الصبر عن معصية الله، بأن يحبس نفسه ويمنعها عن ما حرم الله عَزَّوَجَلَّ من الفواحش والسرقة ونحو ذلك مما حرم الله.

- ○ **النوع الثالث:** الصبر على أقدار الله المؤلمة التي يكون فيها شدة على النفس، وقد أخبر الله تعالى أنه جعلهذه الدار دار امتحان قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ ﴾ [البقرة: ١٥٥] فلما كان الحال في هذه الدار على هذا الوضع قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾.

الكلام في الصبر سهل؛ ولكن الشأن فيه تحقيقه؛ لأنه يتناول ثلاثة أمور، يتناول القلب بأن يحبس تحبس النفس عن ما لا يجوز من التسخط لقدر الله عَزَّوَجَلَّ، وحبس اللسان ومنعه من أن يلفظ باللفظ الذي لا يليق أن يلفظه مقابل ما قدر الله تعالى بأن يظهر التسخط والجزع ورفض ما قدره الله تعالى، وأيضًا الجوارح بأن لا يفعل فعل أهل الجاهلية الذين يظهرون الجزع بشق جيوبهم وضرب وجوههم ونحو ذلك.

بدأ بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن]، هذه الآية أولها قوله سبحانه: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ ﴾ فلا تقع مصيبة من المصائب في الأنفس ولا في غيرها إلا بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، فالله تعالى هو الذي قدرها، فلما كان الأمر كذلك وعلم المؤمن أن الله تعالى هو الذي يقدر هذه المصائب فإنه يهدى قلبه ويعلم أن رب العالمين يمتحنه، وهو عَزَّوَجَلَّ أرحم بعباده من الأم بولدها، وأن لله فيما قدر أبلغ الحكم، وأن ما قدره سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ هو لطيف على كل حال،وأن ما يستحقه العبد أكثر مما وقع، ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ ﴾

[الحديد: ٢٢] قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى] ثم قال: ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ فلا تتصور أن ما يصيبك هو ما تستحقه كاملًا؛ لأن ما تستحقه كاملًا لم يقع؛ لأن الله تعالى إنما يقدر هذه المصائب بسبب ما اقترفه الإنسان إما من التقصير في طاعة الله والغفلة أو مباشرة ما حرم الله عَزَّوَجَلَّ فيقدر الله تعالى له ما شاء من هذه الأقدار المؤلمة التي يكفر الله تعالى بها سيئاته ويمتحن بها إيمانه، فإذا علم المؤمن أن هذا من الله تعالى رضي وسلم، ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ لأن الله قدره وشاءه، ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ ما دام أمرًا من عند الله فإن القلب يهدى ويطمئن، لهٰذا قال علقمة وهو ابن وقاص رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان معنى الآية: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم، لأنها لما كانت مما قدره الله وعلم أن تعالى امتحنه بها رضي وسلم، وهذا الأثر الحقيقة ورد عن ابن مسعود، لكنه اشتهر عن علقمة لكن ورد معناه عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وإن اشتهر علقمة وعلقمة من تلاميذ ابن مسعود، فلعله أخذه من شيخه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اثنتان في الناس هما بهم كفر**» تقدم الكلام على هذه الأسماء التي يطلقها الشرع على المعاصي، وأن هذه الأسماء ينبغي أن يعلم أنها تارة يراد بها الكفر الأصغر، وتارة يراد بها الكفر الأكبر فيجب التنبه لمعنى الحديث حتى لا ينقل معنى الكفر الأصغر لحديث ورد في الكفر الأصغر؛ لأن معنى ذلك أنك سوف تكفر المسلمين، إذا وقع من المسلم كفر أصغر أو شرك أصغر أو نفاق أصغر أو ظلم أصغر فهو مسلم، وإن وقع منه هٰذا، أما إذا قلت أنه وقع منه كفر أكبر أو شرك أكبر معناه أنك تقول: إنه وقع في الردة، اثنتان في الناس هما بهم كفر وهما خصلتان مستديمتان في الناس والله المستعان: الطعن في النسب، وتقدم الكلام في الطعن في النسب بأن يعاب النسب أو يقال هذا ليس ابن فلان مع أن نسبه ثابت فيطعن في نسبه أو ينقص من نسبه هذا ابن الدباغ هذا ابن كذا، كل هذا لا يصح، الطعن في الأنساب وتنقيص الأنساب والحط من قيمة الناس لا يحل، وهو من خصال أهل الجاهلية كما تقدم، وسماه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كفرًا أي كفر أصغر وكله يوجب التنفير والحذر البالغ من الوقوع في مثل هٰذا، قال: والنياحة على الميت تقدم الكلام أيضًا عن النياحة وما يكون للنائحة وهو رفع الصوت بالندب وتعداد فضائل الميت ونحو ذلك.

❁ **قال المؤلف:** «ولهما».

أي: للشيخين البخاري ومسلم.

❁ **قال المؤلف:** «عن ابن مسعود ﵁ مرفوعًا أي إلى النبي ﷺ: **«ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»**.

هذه أمور كان يفعلها أهل الجاهلية إظهارًا للجزع وعدم الصبر على ما قدر فيضربون الخدود يوجهون اللطم إلى الخد، والكلام على لطم الخدود هو مجرد مثال، أما لو ضرب رأسه أو ضرب صدره أو أظهر أي نوع من أنواع الضرب فهو داخل؛ لكن المعتاد أنهم يضربون خدودهم؛ لكن لو ضرب جبهته مثلًا أو ضرب رأسه إظهارًا للجزع كل هذا داخل في النهي وفي الذم.

في قوله: «**ليس منا**» هذا من نصوص الوعيد كان الإمام أحمد وسفيان رحمهما الله وغيرهم من أهل العلم يرون أن تترك هذه النصوص ولا تتأول ليكون أوقع وأبلغ في النفوس وأبعد للناس وأزجر لهم عن أن يفعلوا مثل هذه الأمور، لا شك أن قوله ليس منا تقدم أن بعض أهل العلم رأى أن ما ورد فيه لفظ ليس منا يعد من الكبائر فيضاف إلى تعريف الكبيرة: أن ما ختمت بحد أو ما ذكر فيها حد أو ختمت بوعيد بحد أو لعن أو ذكر فيها وعيد بعقوبة في النار أو نحو ذلك يرى شيخ الإسلام أن قول النبي ﷺ «ليس منا» يدل على أن هذا الفعل من الكبائر أيضًا.

❁ **قال المؤلف:** «من ضرب الخدود وشق الجيوب».

من طرائقهم أيضًا شق الجيوب، **والجيب**: هو هذا ذو الأزرار الذي يدخل فيه الرأس من الثوب وليس هو الجيب الذي نتعارف عليه هكذا وإن كان أي: لا إشكال لا يقال لا يحل أن تطلق كلمة الجيب هذا أمر تعارف عليه الناس باللغة العامية؛ لكن ينبغي إذا جاءت النصوص أن لا نفهمها بلهجتك العامية هذا خطأ؛ لأن النبي ﷺ يتحدث بالعربية فتفهم اللفظ بالنص العربي لا بالمتداول عند الناس، وشق الجيوب، شقهم للجيوب إظهار أيضًا للجزع فيأخذ أحدهم جيبه هكذا ويقطع أزراره ويشق ثوبه، وقد تكون والعياذ بالله امرأة وتبدو العورات من أثر هٰذا، وكل هذا من فعل أهل الجاهلية، ودعا بدعوى الجاهلية، يرى كثير من أهل العلم أن كلمة دعوى الجاهلية يدخل فيها حتى النياحة بندب الميت والدعاء بالويل والثبور كانوا يقولون يدعون على أنفسهم بالويل والثبور عند المصائب، ابن القيم

رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول يدعوا يدخل في الدعوى بدعوى الجاهلية حتى الدعوة التي تقع بالدعاء إلى القبائل والعصبية إلى المذاهب الضالة والطوائف والمشايخ والتحزب على مثل هذا يقول هذا داخل في دعوى الجاهلية، هذه أمة، أمة واحدة لا يفرقها مثل هٰذا، فالواجب أن لا يدعى بدعوى الجاهلية في أهل الإسلام؛ لأن الجاهلية يجب أن لا يعيدها أحد إلى الأمة فإذا أعاد أحد إلى الأمة شيئًا مما كان من موروثات الجاهلية الخبيثة فقد أساء غاية الإساءة لأنه أدخلهذه خصال الجاهلية في أمة التوحيد وأمة الإسلام.

۞ **قال المؤلف:** «وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا**».

الإنسان من آثار الغفلة وقلة الشكر والتقصير بما أوجب الله، ومن آثار وقوعه في المعاصي يستحق عقوبات فهو بين أمرين، إن كان الله يريد به الخير عجل له العقوبة في الدنيا فأصابته المصائب في الدنيا، ما فائدة ذلك؟ فائدة ذلك أنه إذا ورد الآخرة وإذا بتلك الذنوب قد محصتها تلك المصائب، ولهٰذا هذه المصائب كما عبر شيخ الإسلام يقول نعمة؛ لأنها مكفرات للذنوب وتدعو إلى الصبر، وأيضًا فيها شيء مما يقتضي الإنابة لله عَزَّ وَجَلَّ وانكسار النفس، والله تعالى أعلم بعباده، الإنسان لا يسأل الله أن يسلط عليه الذنوب العقوبات لا، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**سلوا الله العافية**» لكن إذا وقعت فينبغي أن يستعين الله تعالى وأن يصبر على ما قدر له من مصائب كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا فعوقب، إما في نفسه أو في ماله أو في أحبته، «**إذا أراد بعبده الشر**»، نسأل الله العافية، إذا أراد الله تعالى أن يسلط على هذا العبد وأن يذيقه غب ما فعل من هذه المعاصي فإنه في أحيان كثيرة يكون في حال من الراحة الشديدة في دنياه، فإذا وافى القيامة نسأل الله العافية حتى يوافي به يوم القيامة، «**وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه**» فلم يعاجله بالعقوبة «**حتى يوافى به يوم القيامة**» يأتي هذا العبد بالذنب وقد تحقق منه المعصية لله عَزَّ وَجَلَّ ومع ذلك لم يمحصه ولم يكفره شيء من المصائب، ما الذي يحدث له؟ نعوذ بالله يحدث له من شدة العقوبة، هذا المعنى، وذلك أن الله تعالى أراد به الشر فسلط عليه ذلك.

الذي بعده يقول: وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا حديث آخر؛ لكن لما كان الراوي واحدًا ذكره الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بأن موضوعها قريب، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء**» فبقدر ما يعظم البلاء يكون الجزاء عليه أكثر، وبقدر ما يكون أقل يكون الجزاء عليه أقل، «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم**» وذلك أن الله تعالى جعل هذه الدار دار ابتلاء وامتحان لمن وعاها وعرفها، حتى قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سئل أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «**الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة**».

ولهٰذا العبد لا يتهم الله تعالى في قضائه، ولا يقول ما يقوله الجهلة فلان أصابه كذا وكذا وهو لا يستحق، و هذه كلمة عظيمة خطيرة جدًا، قولك: لا يستحق معناها أنك تنسب الله تعالى للظلم أنه فعل ما لا يليق نسأل الله العافية والسلامة بل يقال هذا يقع للمؤمن؛ لأن الله تعالى قد أحبه وأراد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يرفع من درجته عنده إذا وافاه في القيامة، ومصائب الدنيا مربوطة بالدنيا، فإذا توفي العبد مرده على الوفاة وجد آثار هذه المصائب وفرح بها فرحًا شديدً حتى جاء في الحديث: أن العباد في القيامة يتمنون أنهم كانت تقرض أجسامهم بالمقاريض في الدنيا لما يرون مما جعل الله تعالى لأهل البلاء.

فالبلاء ينبغي أن يعلم أنه بحكمة من عند الله عَزَّوَجَلَّ وأن الله تبارك وتعالى يبتلي به عباده وأن العبد مستحق له، وأنه بين أن يكفر به السيئات وترفع به الدرجات فلا يحل أن يظهر الإنسان شيئًا من التسخط على ما قدره الله تعالى سواء في نفسه أو في أهله أو في ماله أو في وضع أمته عمومًا يعلم أن لله تعالى الحكمة البالغة، ثم إن العباد قد يرون من حكمة الله تعالى من المصائب في الدنيا قبل الآخرة شيئًا يجل عن الوصف، هذه المصائب في بعض الأحيان ما يكون أجرها فقط في الآخرة، يكون فضل وفائدة هذه المصائب على العبد في دينه فيرجع إلى الله تعالى رجوعًا لولا أن الله سلط عليه هذه المصائب لاستمر في غلفه؛ ولهٰذا قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام معناه: أن الله تعالى إذا أراد بالعبد الخير سلط عليه عز اسمه ما يدق به رقبته ويرغم به أنفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالعبد قد يكون مغترًا في كامل عافيته وشبابه ونعمته فإذا سلطت عليه هذه العقوبات هذه البلايا رجع إلى ربه تعالى، ولو أنه مات على حال السابق من الغفلة للقي الله تعالى هالكًا؛ فلهٰذا رب العالمين أعلم بعباده فيما يقدر وعز اسمه حكيم عليم وهو بهم أرحم،وما يستحقونه أشد؛ لكن لطفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي جعلهذه المصائب على هذا الحال وبين تعالى

من حكمه كقوله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٤١﴾ [الروم] هذه هي الحكمة أن يرجع الناس، يرجع العباد إلى ربهم تبارك وتعالى، فمن رضي فله الرضا، عبد قدر الله تعالى عليه وهو ربه ورب العالمين أمرًا إن رضي هذا العبد الفقير المحتاج المسكين فله الرضا من الله تعالى، وفيه إثبات هذه الصفة لله تبارك وتعالى، وإن سخط ماذا سيفعل هذا العبد المسكين إذا سخط؟ يضر نفسه ولا يضر الله شيئًا «**ومن سخط فله السخط**» نسأل الله العافية والسلامة.

۞ **قال المؤلف: «باب ما جاء في الرياء**، وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [فصلت: ٦].

وعن أبي هريرة مرفوعًا: «**قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**» رواه مسلم.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**». قالوا: بلى. قال: «**الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لِمَا يرى من نظر رجل**». رواه أحمد».

۞ **قال المؤلف:** «باب ما جاء في الرياء».

الرياء: مشتق من الرؤية والمراد به أن يظهر أحد العبادة لقصد أن يراه الناس فيحمدونه عليها، فالرياء من الرؤية كأن يتصدق ليراه الناس وما تصدق إلا ليرى فقط، أما لو لم يكن عنده أحد يراه فإنه لا يتصدق؛ لأنه ليست همته في الصدقة على المسكين وإنما همته في أن يراه الناس، وكذا بقية الأعمال كأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ونحو ذلك مما قد يظهره ليراه الناس فيحمدوه عليه، نسأل الله العافية والسلامة، هو خطير للغاية، لا شك في خطورته وأن الإنسان لا يمكن أن يزكي نفسه منه، قال ابن أبي مليكة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم يخاف النفاق على نفسه أي: يخاف هذا النوع من النفاق وهو أمر الرياء ونحوه، النفاق الأصغر المقصود، ومن خطره نعوذ بالله من شره أن من أظهر الدين أُحب هذا هو المعتاد، وعلى قدره عند المسلمين، فقد يأتي الشيطان والنفس الضعيفة ويسول الشيطان للعبد أن يفعل كذا وكذا وأن يقول كذا وكذا من أجل أن يظهر أمام الناس فيؤدي ذلك إلى أن يمدحوه ويحمدوه ويريهم العمل، وهذا قد يقع في أمور كثيرة، قد يقع في العبادات، وقد يظهر وهو كثير في هذا الوقت والله المستعان في أمر المطالبة بالحقوق يأتي إنسان ويظهر أنه يريد حقوق الضعفاء والمساكين

ومراده ليس هؤلاء المساكين وإنما مراده أن يحمد ويمدح ويشتهر ويقع ذلك، يقع أن من دخل في مثل هذه المسائل وأظهر الحدب والجذع على المستضعفين والمساكين وأنهم ممن يعطى حقوقهم والواجب أن يكون كذا وأن يمنع كذا، الحقيقة أن هذا يؤدي إلى محبة الناس بمثل هذا وأن يرى في مظهر القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لا يكترث بحكام ولا بأحد وإنما غرضه المساكين هؤلاء، لا يعني ذلك أن من طالب بحق أو نحوه بأسلوب شرعي أنه يمنع، لا ليس المقصود هٰذا؛ لأنه سيأتي إن شاء الله التحذير من عكس الرياء إن شاء الله؛ ولكن المقصود أن مثل هذه المسائل خطيرة، مسائل الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، مسائل العلم والتعلم ومسائل العبادة ومسائل إظهار ومسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسائل المطالبة بالحقوق يخشى على الراعي يخشى على الرعية من مثل هذه المسائل أن تظهر لأجل أن يرى الناس أن هذا الرجل عنده كذا وكذا من الصلاح وما غرضه إلا أن يراه الناس نسأل الله العافية والسلامة، لأجل ذلك كان ينبغي الحذر.

وقد جاء في الحديث: «أكثر منافقي أمتي قراؤها»، والمقصود بقرائها من هم من أهل العلم؛ لأن أهل العلم محبوبون في الأمة ومقدرون تجد الواحد منهم شابًا يدخل المجلس فيقوم له أهل المجلس كبارهم وصغارهم وربما حلفوا عليه أن يتقدم في صدر المجلس وهذا يؤدي إلى أن يجلب لبعض النفوس يجلس لها حب أن يظهر الإنسان ويشتهر ويشار إليه بالبنان فالمقام مقام خطير، والعبد يسأل ربه أن يعيذه من شره.

قد جاء في الحديث أن من قال هذا الدعاء أن الله يكفيه شر الشرك صغاره وكباره، «اللّٰهمَّ إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم»، والعبد كما مقال سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: «من منا لم يرائي»، لا يستطيع إنسان يقول أنا كل مقام قمته وتعلمته وعلمته ودعوت وقلت وكتبت وفعلت وأمرت بمعروف ونهيت عن منكر وأظهر عبادة، لو قال إني آمن نفسي أن يكون ذلك قد صار منه شيء من الرياء يكون مخطئًا، كما قال سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من منا يأمن أن يقع منه شيء من الرياء فالأمر خطير بلا شك.

فمن أجل ذلك ينبغي الحذر منه، ولأجل ذلك كان من علاج الرياء الحرص على السر في الأعمال أن يسر الإنسان في الأعمال، وأن يجعل على أن يجعلها فيما بينه وبين الله، فالإنسان إذا مثلًا قام في الليل متهجدًا لا يراه أحد هذا ما يرائي أحدًا ما يريد أحدًا وإنما يريد الله تبارك وتعالى بالحض على أن تكون هذه النوافل أن تكون في البيوت، من حكم ذلك وليست الحكمة الوحيدة ولكن من حكم ذلك أن ذلك أدعى

للإخلاص، فينبغي أن يلاحظ الإنسان هذا وأن يسأل ربه المعونة على نفسه بالدعاء اللّٰهمَّ إني أعوذ بك من شر نفسي، فالنفوس يكون فيها محبة أن تشتهر وتمدح تظهر وتحبهذا فلأجل ذلك قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واحذر كمائن نفسك اللاتي   متى خرجت عليك كسرت كسر

النفس قد تجعل لك كمين لك أنت نفسك، فلأجل ذلك ينبغي أن يلاحظ الإنسان ذلك وأن يسأل الله العون على نفسه وأن يعيذه من شرها ومن شر الشيطان وشر كل ذي شر.

هٰذا مقام يتعلق بالرياء، **ما الذي عكس هذا المقام؟!** بعض الناس إذا سمع كلهذه الكلمات والتحذير والآثار الواردة صار عنده ردة فعل مجانبة للعلم خاطئة فصار يترك العمل الصالح يقول: أخشى أني أرائي فربما صام الناس مثلًا يوم عاشوراء واشتهر هذا وصاموا مثلًا في يوم عرفة وهو أمر مشتهر فيظهر أمام الناس أنه يشرب الماء ويأكل يقول أنا أريد أن يرى الناس أني لم أصم حتى لأني لو صمت ربما كنت أرائي، لا شك أن هذا مقام خاطئ وأنه طاعة للشيطان، ليس المقصود من التحذير من الرياء أن يأخذ الإنسان جانبًا عكسيًا تمامًا فيترك العمل الصالح؛ لأجل أن لا يقول الناس فيه كذا؛ لأنه ما الذي فعله؟ المرائي فعل الفعل ليراه الناس فقصده الناس، هذا ترك الفعل خوفًا من الناس، وينبغي أن يعمل العمل لله تعالى ولا يتركه للناس فيكون متوسطًا ويترك عنه الوسوسة، ولو عرض أو خاف على نفسه شيء من الرياء فإنه يسأل الله أن يعينه ويعيده ويحاول أن يجدد النية ونحو ذلك، فلا ينبغي المبالغة والعكس وأن يوجد عند الإنسان ردة فعل حتى يترك الأمور المحبوبة لله عَزَّوَجَلَّ، يقول: أخشى أني أرائي فكل هذا خطئ وهذا بعد توفيق الله عز جل يوفق طالب العلم له إذا تعلم العلم الشرعي وعرف الوسط، وهذا مثل ما يقال مثلًا في أمر الطهارة فقد يسمع بعض الناس التحذير من التساهل في النجاسة ولا سيما البول وأن عامة عذاب القبر من البول فيكون عنده ردة فعل فيوسوس، ويستمر في نظره يطهر نفسه وينزه نفسه فيجلس في أثناء قضاء حاجته مدة طويلة، لا ليس هذا المقصود ليس المقصود من التحذير من التساهل بالبول المتساهلون بالبول هم الذين يكترث أن يصيب البول رشاش البول ثوبه وجسده ولا يهتم بذلك ويذهب للمسجد، وهؤلاء أناس الذين ورد أنهم يعذبون في قبورهم قد اجترؤوا على أمر النجاسة وصارت صلاتهم باطلة؛ لكن ليس معنى ذلك أن يأتي عند الإنسان ردة فعل بأن يوسوس ويستمر ليقضي حاجته ويستمر يتنزه ويتنظف من حاجته فترة طويلة يقول أخشى أن أعذب في القبر كما فعل بالمتساهل في بوله، هذه أمور خاطئة ينبغي أن يكون الإنسان وسطًا في مثل هذه المسائل في أمور العلم يتعلم العلم الشرعي ويمشي على سنن نبي الله

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويترك عنه الإفراط والتفريط.

۞ **قال المؤلف:** «قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الكهف: ١١٠]»

الشاهد هنا فمن كان يرجوا ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ الرجاء يطلق في بعض الأحيان بمعنى الخوف، وهو هنا بمعنى الخوف فمن كان يرجوا أي يخاف لقاء ربه فليلاحظ أمرين اثنين ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ يعمل العمل الصالح.

۞ **هذه الآية فيها شرطا قبول العمل:**

وهما الإخلاص والمتابعة ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا﴾ [الكهف: ١١٠] هذا هو شرط المتابعة، ولا يكون العمل صالحًا إلا إذا كان على هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما إذا كان على غير هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا يقال أنه عمل صالح، فحتى يكون العمل صالحًا لا بُدَّ أن يكون على طريقة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى هديه وأن يتابع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه، هذا الشرط الأول.

○ **الشرط الثاني:** ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا؛ لأن لا يقصد بعبادة الله تعالى أحدًا كائنًا من كان، وأحدًا هنا نكرة في سياق النهي، فتعم الملائكة والأنبياء لا يحل أن يشرك بنبي ولا ملك ولا صالح ولا أي أحد، وبناء عليه فإن من أخلص لله تعالى عبادته وقصد بها وجه الله تعالى وأدى العبادة على طريقة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن الله يقبل منه،أما إن عمل العمل الصالح في الظاهر وانطوى في الباطن على رياء فإنه لا ينفعه، وإن أخلص في الباطن وعمل عملًا يظنه صالحًا لكنه أداه على غير طريقة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه لا ينفعه، ولهذا قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما قرأ الآية قال: «أخلصه وأصوبه»، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ قال: أخلصه وأصوبه، قالوا: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل وإذا كان صوابًا أي: على هدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يكن خالصًا لم يقبل ولا يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، فيجب أن يجمع الشرطان.

ثم ذكر حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا أي: إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قال الله تعالى**» أي: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن هذا من الأحاديث القدسية التي قالها رب العالمين: «**قال: أنا أغنى الشركاء عن الشرك**» الله عَزَّوَجَلَّ غني عن عبادة العباد بالكلية ولا ينتفع سبحانه بطاعة الطائعين كما لا تضره معصية

العاصين، فإذا عُمل عمل أشرك بين الله وبين غير الله تعالى فيه فالله غني عن العبادة حتى لو كانت خالصة، فكيف بمن أتى وأشرك مع الله غيره والعبادة يجب أن تكون خالصة لله عَزَّوَجَلَّ، لهٰذا قال: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**» إذا عمل عملًا لله عَزَّوَجَلَّ من الأعمال الصالحة، لكنه أراد به غير الله فإن رب العالمين يترك هذا العمل وليس هو عَزَّوَجَلَّ بحاجة إلى عمل هذا العامل، تركته وشركه؛ ولهٰذا في ابن ماجة أن الرب تعالى يقول: «**فأنا منه بريء وهو للذي أشرك**» أي: الذي أشرك مع الله عَزَّوَجَلَّ، أي: هذا العبد حين أشرك غير الله معه في هذه العبادة الله تعالى يجعل هذا العمل كله للذي أشرك به هذا رائى وأراد أو تعبد أي: عبد غير الله عَزَّوَجَلَّ مع الله؛ ولهٰذا ينبغي أن يلاحظ أمر الرياء ويكون على ما ذكرنا على حال من التوسط،ومن علامات كون القلب حيًا أن يكون العبد خائفًا من الرياء؛ لهٰذا قال ابن مسعود أو بعض السلف رَضِيَ ٱللَّٰهُ عَنْهُ: والله ما خافه إلا مؤمن، أو الحسن البصري، ما يخاف الرياء إلا مؤمن،ولما قيل لابن مسعود أيضًا أو لبعض السلف قال له رجل: إني أخاف أن يكون في عملي شرك قال: لا تخف؛ لأن المشرك عادة لا يخاف على نفسه الشرك، وإنما المؤمن هو الذي دائمًا يقول: أخشى أن يكون في عملي شيء من إرادة غير الله عَزَّوَجَلَّ أخشى أن أكون غير مخلص ونحو ذلك.

ثم ذكر حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّٰهُ عَنْهُ: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**» المسيح الدجال هو أعظم فتنة كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ما بين خلق آدم وقيام الساعة أمر أكبر من المسيح الدجال**» فهو أعظم الفتن على الإطلاق، يقول: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**» لا شك أن هذا أمر يقتضي الخوف والرعب منه؛ لأن أعظم الفتن هو المسيح الدجال؛ لكن المسيح الدجال لم يبتلى به إلا من أدركه، أما كثيرون ممن يتوفون قبل أن يدركوه فإنهم لا تضرهم فتنته، وهكذا من أدركه واستعان الله تعالى ولزم الشرع فإن فتنة المسيح أيضًا الدجال لا تضره؛ لكن الأمر الذي قد يصيب المسلم ممن هو قبل المسيح الدجال ووقت المسيح الدجال والمؤمن دائمًا يخاف على نفسه لما سألهم هذا السؤال، قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**الشرك الخفي**».

❍ **الشرك نوعان:** شرك ظاهر يرى أو يسمع أي: ترى من وضع حلقة وضع تميمة تراها أو تسمعه حلف بغير الله، أو دعا غير الله فهذا شرك ظاهر هناك شرك خفي وهو الذي لا يعلم به إلا علام الغيوب يكون داخل النفوس، فظاهر العمل طيب حسن، صيام صدقة صلاة حج أمر بمعروف نهي عن منكر

جهاد؛ لكن ثمة شرًا انطوى في قلبهذا العامل هو نوع من الشرك لكنه خفي يعن الناس نسأل الله العافية، ثم ذكر له المثال عليه: «**يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لِمَا يرى من نظر رجل**» إنما زين صلاته لأن ثمة رجلًا ينظر إليه، وأما صلاته المعتادة التي يصليها فإنها ليست هذه الصلاة التي يصليها العبد، كأن يكون رجلًا يصلي مثلًا الركعتين في تحية المسجد في مدة ثلاث أربع دقائق دخل فرأى رجلًا من أهل يعني الرفعة في علمهم أو في دنياهم من أهل الجاه من أهل المال فلما رآه أراد أن يريه أن عنده شيئًا من الخشوع والإطالة في الصلاة فصلى الصلاة مثلًا في الركعتين هاتين في عشر دقائق هذه الزيادة إنما زادها لأجل أن رجلًا يراه نسأل الله العافية والسلامة، فهذا رياء؛ لأنه في داخله شيء خفي وهو أنه يريد أن يمدحه هذا الرجل وأن يكون عنده بالمكان الذي فيه رفعة فزين الصلاة لأجل أن يراه هذا الرجل فهذا من الشرك، وهذا مثال وغيره من الأمثلة يمكن أن يطبق عليه كأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويظهر هذا أمام الناس ويكون قصده أن يمدح وما ذكرناه أن الإنسان قد يطالب بالحقوق ويعني يظهر أنه حدب على المساكين ومن لم تصلهم حقوقهم وظلموا وكذا وكذا، وهو في واقع الأمر إنما يريد أن يمدحه الناس.

فهذه المسائل كلها داخلة في هذا أن ثمة شركًا خفيًا والشرك إذا كان خفيًا فإنه لا يرى، كما قلنا ولا يسمع فمن خطورة الرياء كفانا الله وإياكم شره أن العبد غفل عن الله عَزَّوَجَلَّ وطالع الناس وهذا وجه قبيح للغاية؛ لأنه من جهة أنه يعلم أن رب العالمين مطلع على قصده هو يعلم أنه مذنب ويعلم أن الله تعالى يعلم الغيب؛ لكن غفل عن هذا الأمر العظيم وصار يلاحظ الناس، ولا يعلم بخبث طويته إلا عالم الغيب تعالى.

وهذا الحقيقة أنه أمر مرعب ومخيف ويجعل الإنسان يخشى من الرياء لأن فيه نوع من الغفلة القبيحة جدًا عن الله تعالى؛ لأن هدفه هو الناس مع غفلته عن رب العالمين، والرياء منه رياء أكبر وهو المخرج من الملة وهو رياء المنافقين الذين هم في الداخل كفار في بواطنهم كفار في واقع الأمر؛ ولهٰذا قال تعالى في المنافقين: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ [النساء] فهذا من شأن المنافقين؛ لكن الرياء الذي يقع من المسلم رياء أصغر قطعًا وشرك أصغر ولا يصل إلى هٰذا؛ لأن المسلم يعلم أن ثمة جنة ونارًا ويتعبد لله عَزَّوَجَلَّ بعبادات ويخلص في عبادات أخرى، لكنه في مثل هذه العبادة أراد أن يري الناس، أما في عبادات أخرى هو يرجو الجنة ويخاف من النار ويعلم أن له ربًا مطلعًا عليه، وهو مسلم

أي: لا يشك ولا يتردد في أنه من المسلمين؛ لكن يأتي عنده هذا النوع من مثلًا ملاحظة نظر أمير أو عالم أو تاجر أو صاحب وجاهة يظهر هذا أمامه أو جماهير، الجماهير الآن صارت فتنتها في بعض الأحيان اشد من فتنة أي: النظر للسلاطين أو غيرهم، بعضهم يريد أن يمدحه الناس وأن يتداول القوم اسمه ويشتهر ويكون في وسائل الإعلام وغيرها، ويشار إليه بالبنان هذا من البلاء من الفتن الكبيرة في مثل هذا الوقت، فكلهذه المقاصد أيًا كان من قصده كما في الآية: ﴿يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ أي أحد من ثري من سلطان من صاحب جاه من جماهير لا يجعل قصده إلا لله عَزَّوَجَلَّ.

۞ **قال المؤلف:** «**باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا**، وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ﴾ الآيتين [هود: ١٥-١٦].

في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع**».

۞ **قال المؤلف:** «باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا».

ما الفرق بين هذا الباب والباب السابق؟!

الباب السابق تقدم أنه أن يري الإنسان الناس عمله فهو يريد الناس ويريد مثلًا ثناء الناس عليه ويتصنع أمام الناس ويتزين لهم، هذا الباب فيمن يريد الدنيا بأن يعمل العمل الصالح يريد به عرضًا من الدنيا مثل من يجاهد ليأخذ مالًا، فمراده بالعمل الصالح هنا أخذ المال، المرائي مراده بالعمل الصالح أن يمدحه الناس وأن يثنوا عليه وأن يروا عمله.

لهٰذا يقول الشارح: إن بينهما عمومًا وخصوص مطلقًا يجتمعان في مادة وهو ما إذا أراد الإنسان بعمله التزين عند الناس والتصنع لهم هذا رياء، وإذا أراد الدنيا وهو أيضًا إرادة للدنيا بالتصنع عند الناس وطلب المدح لهم ويفارقه الرياء من كونه عمل عملًا صالحًا أراد به عملًا من الدنيا، مثل ما ذكرنا من يجاهد ليأخذ المال، فسواء أراد بالعمل الصالح المال كمن يجاهد ليأخذ المال وغرضه الغنيمة أو أن يعطى مالًا على جهاده أو ما تقدم في المال السابق ممن يعمل العمل الصالح ليراه الناس ويثنوا عليه كل هذا والعياذ

بالله مما يوقع العبد في الشرك؛ ولهٰذا قال باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

ثم ذكر الآية قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ الآيتين [هود] من أراد هذه الدنيا بعمله وإنما أراد ما فيها من ثواب وما فيها من زينة كالمال يوفر الله عَزَّوَجَلَّ له ثواب أعماله الصالحة في الدنيا بسرور في ماله وأهله وولده، وهم فيها أي: هذه الدنيا لا يبخسون، أي لا ينقصون و هذه الآية خصصتها الآية الأخرى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن﴾ [الإسراء: ١٨] لأن لن يصيبه إلا ما قدر له أيضًا؛ لكن ماذا يكون حاله في الآخرة نسأل الله العافية لما أراد الدنيا؟ قال: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ أي لا ينقصون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ فهذه هي العاقبة لما أراد الدنيا كانت العاقبة أن عوقب في الآخرة بأن كان من الداخلين إلى النار وحبط عمله نسأل الله العافية وبطل ما كان يعمل.

۞ **قال المؤلف:** «في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ قال».

في الصحيح أي: صحيح البخاري.

۞ **قال المؤلف:** «أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«تعس عبد الدينار»**.

تعس قيل المراد سقط، أي: أنه هلك، وقيل: شقي؛ لأن التعاسة بمعنى الشقاء وهي ضد للسعادة، وتقال كلمة تعس لمن يتعثر وينكب بوجهه فقد دعا عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ في هذا الحديث بالهلاك، عبد الدينار، الدينار من ذهب وهو العملة التي يتداول بها في وقت سبق فيتعاملون بالدينار، الدينار ذهبي والدرهم من فضة، فهناك نسأل الله العافية من عابد للدينار والدرهم لكونهما مقصوده بعمله يرد المال قصده المال.

۞ **قال المؤلف:** «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة**».

الخميصة: ما هي إلا مجرد ثوب يكون من خز أو من صوف ويكون معلمًا عليه أي: علامات، همه نسأل الله العافية هذا الكساء فهو عابد لهٰذا الكساء، يريد أن يعطى ولو كساء.

✹ **قال المؤلف:** «تعس عبد الخميلة».

كذلك نوع من الأكسية.

✹ **قال المؤلف:** «إن أعطي رضي».

إن أعطي لأن الدنيا مقصوده إن أعطي منها رضي وصار حاله مثلًا إذا كان في بيعة لحاكم إن أعطاه هذا الحاكم رضي عن هذا الحاكم، ووفى له ببيعته وأمر الناس بالسمع والطاعة له؛ لأنه يستفيد منه «**وإن لم يعط سخط**» لأن غرضه الدنيا، فلما لم يعطى من الدنيا سخط وصار المقياس عنده في الرضا والسخط هو مجرد ما عبده ونسأل الله العافية وأراده من الدنيا.

✹ **قال المؤلف:** «تعس وانتكس».

أي: هذا دعاء عليه من النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ انتكس بأن ينقلب على رأسه عليه بالخيبة.

✹ **قال المؤلف:** «وإذا شيك فلا انتقش».

أي: إذا أصابته شوكة فلا انتقش أي فلا قدر على أخراجها، لما ذكر حال هذا المريد للدنيا، ذكر حال المخلص لله عَزَّوَجَلَّ.

✹ **قال المؤلف:** «طوبى لعبد».

طوبى: قيل إن المراد بطوبى أنه اسم من أسماء الجنة وجاء أنها شجرة من شجر الجنة يسير الراكب فيها مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمام هذه الشجرة، طوبى لعبد هذا حاله.

✹ **قال المؤلف:** «أخذ بعنان فرسه في سبيل الله».

أي: أنه يجاهد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، وقد أخذ بعنان الفرس في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، دائمًا في حال من الترقب والحرص والحب للجهاد في سبيل الله، وهذا يا إخوة في الجهاد في سبيل الله المنضبط على حدود الشرع لا على ما يتوهم أنه جهاد وتبذل فيه الأموال والأرواح ثم لا يكون جهادًا؛ ولهٰذا كما تقدم في أمر الرياء وأمر ما يتعلق بالتحرز من البول ونحوه كما يقال يجب أن تؤخذ هذه الأمور بعلم حتى لا يؤخذ إنسان بطرف مقابل للرياء أو بطرف مقابل من الوسوسة في أمر البول كذلك الحال في الجهاد في سبيل الله يجب أن يعلم أنه على حال من الجهاد في سبيل الله حقًا؛ حتى يكون ما بذله في سبيل الله في طريق يرضي

الله عَزَّوَجَلَّ، ما حال هذا العبد؟ من شدة انشغاله بالجهاد لم يتفرغ لحال نفسه؛ فلأجل ذلك أصاب ظاهره في جسمه أصاب ظاهره ما دل على عدم انتباهه أو عدم عنايته العناية التامة بشعره وحاله، فبدأ برأسه فقال: «**أشعث رأسه**» أي: أن شعر رأسه متطاير قد شغله الجهاد عن الادهان وتسريح الشعر، «**مغبرة قدماه**» قمدماه مغبرة لأنه كثير الذهاب والإياب ولا يكترث بأن يصيبه الغبار والتراب، ثم هو لأنه مخلص لله عَزَّوَجَلَّ يريد الجهاد في سبيل الله ونصرة دين الله لا يهتم بالموضع الذي يجعل فيه، فإذا قيل له أنت الآن ينبغي أن تكون في الحراسة وتحمي الجيش يقبل، «**إن كان في الحراسة كان في الحراسة**» ما عنده أي تردد قيل احرس احمي الناس الآن الليل هذه يبقى؛ لأنه يعلم أنه في جهاد في سبيل الله فمهما كان في أي موضع فهو مرضي لله تعالى به، «**وإن كان في الساقة**» الساقة هي مؤخرة الجيش «**وإن كان في الساقة كان في الساقة**» وأمر الحراسة والساقة آخر الجيش فيهما شدة، أكثر مشقة من غيرها لكنه لا يهتم؛ لأنه يريد إرضاء الله تعالى عكس السابق، لما ذكر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من عبد الدينار والدرهم ذكر المخلص لله تعالى، ثم مع ذلك هذا المجاهد في سبيل الله الذي هذا حال وهذا مقدار إخلاصه قدره عند الناس ليس رفيعًا ولا يهتم ولم يكترث؛ لأنه مخلص، «**إن استأذن لم يؤذن له**» أي: إن جاء للأمراء ليستأذن عليهم ليدخل عندهم ما عرف ما يعرف من هذا وما يكون ليس من أهل الوجاهة وأهل المعرفة لم يؤذن، بخلاف من يعرف ويكون له مقام ومنصب وجاه فإنه إذا قيل فلان بالباب قيل أدخلوه؛ لكن هذا مخلص لله وهمه أن يرضي الله تعالى؛ لكن عند الناس قد لا يعبؤون به ولا يهتمون به، «**إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع**» لو أنه دخل في أمر يريد عند الأمراء مثلًا أن يشفع في شأن أحد شفاعة شرعية لم يشفع؛ لأنه لا يعرف من هو هذا حتى يشفع، العادة أن الذين يشفعون يكون له قدر عند المشفوع عنده، فإذا جاء مثل هذا وإذا به غير معروف هو أصل إن استأذن ما أذن له، فبطريق الأولى إن جاء ليشفع يقال من هو حتى يشفع أصلًا هذا هو المخلص لله عَزَّوَجَلَّ، وليس الإخلاص مقصورًا على هٰذا، لا قد يوجد من له مكانة وقدر إن استأذن أذن له وإن شفع قبلت شفاعة يكون من أهل العلم والخير والفضل وهو مخلص؛ لكن ذكر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هذه الحالة بعد أن ذكر حالة من يعبد الدينار والدرهم والخميصة فذكر حالة طالب الدنيا وحالة من يريد الله تبارك وتعالى.

۞ **قال المؤلف: «باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم فقد اتخذهم أربابًا من دون الله**، وقال ابن عباس ﵄: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!.

وقال أحمد بن حنبل: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

عن عديّ بن حاتم ﵁: أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾الآية [التوبة: ٣١] الآية. قال: فقلت له: إنا لسنا نعبدهم. «**أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلّون ما حرم الله فتحلونه**» فقلت: بلى، قال: «**فتلك عبادتهم**» رواه أحمد والترمذي وحسنه».

۞ **قال المؤلف:** «باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم فقد اتخذهم أربابًا من دون الله».

الشيء الذي حرمه الله لا يمكن أن يكون مباحًا، والشيء الذي أباحه الله لا يمكن أن يكون حرامًا، الشيخ الذي حرمه الله لو اضطر الإنسان إليه يقال في حال الضرورة؛ لكن الشيء المحرم المستقر كشرب الخمر والزنا وأمثال ذلك من المحرمات يستحيل أن يكون مباحًا، كيف تكون مباحة فإذا حللها أحد وأطيع في التحليل والتحريم فالذي أطاع في هذا قد اتخذ ربًا مع الله عَزَّوَجَلَّ ربًا من دون الله تعالى.

۞ **قال المؤلف:** «باب من أطاع العلماء والأمراء».

لم نص عليهما؟! لأن المعتاد هم الذين يطاعون، أن العلماء يطاعون لمكانهم من الدين، والأمراء يطاعون لمكانهم من الدنيا؛ لكن لو أطاع غيرهم لو أطاع عابدًا أو أطاع غير عابد وغير عالم وغير أمير أطاعه في تحليل ما حرم الله، كأن يطيع نسأل الله العافية كاتبًا مفتونًا من الكتاب ليس بعالم ولا بأمير ولا بزاهد فأطاعه في تحليل ما حرم الله فقد اتخذه ربًا، وإنما نص على العلماء والأمراء لأن العادة أن الطاعة تكون لهم بأن يطاع هؤلاء في الدين وهم العلماء ويطاع أولئك في الدنيا. من أطاع العلماء والأمر في تحريم

ما أحل الله، الشيء الذي أحله الله تعالى لا يقلب محرمًا فما أحله الله من الأشياء المأكولة والمشروبة والملبوسة لا يقال فيها إنها محرمة ولا يحل أن يحرمها أحد، فلو حرمها أحد وأطيع في تحريم ما أحل الله فقد اتخذ المطيع هذا الذي حرمها اتخذه ربًا من دون الله تعالى، وهكذا كما ذكرنا في التحليل والتحريم.

ثم ذكر قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يوشك أي يقرب ويسرع أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟! رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يحدث بحديث عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقيل له إن أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقولون كذا وكذا، فقال: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أي: أن تعاقبوا وترجموا، أقول قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقولون أبو بكر وعمر؟ أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذا قالا بهٰذا القول فهما مجتهدان ولهما وجهتهما التي أرادا بها وجه الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لكن ما تعمدا مخالفة الحديث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، في بعض الأحيان العالم الصحابي أو التابعي أو أي عالم بعدهم قد يخفى عليه حديث قد يجتهد اجتهادًا ولا يرى أنه خالف بهٰذا الاجتهاد الحديث، فاجتهاده هو به مأجور وإن أخطأ؛ لأنه إذا كان من أهل الاجتهاد واجتهد وأخطئ فله أجر الاجتهاد وإذا أصاب فله أجران أجر الاجتهاد والصواب، فلا يحل لأحد أن يأتي ويقول اتركوا الحديث واعملوا بقول العالم أو بقول الصحابي أو بقول فلان، العالم أو الصحابي له أجره فيما اجتهد وأراد الخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فيما أرادوا ولم يتعمدوا مخلفة حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا أتاك الحديث النبوي الثابت فلا تجعل شيئًا يعارض هذا الحديث من قول عالم أو غير عالم.

ولهٰذا قال: «أقول قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقولون قال أبو بكر وعمر» يوشك أن تعاقبوا على مثل هذا فإذا قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هذا في أبي بكر وعمر وهما أفضل الصحابة على الإطلاق فكيف بغيرهم؟ هذا المعنى، إذا كان من ترك الحديث لاجتهاد صحابي اجتهد الصحابي ولم يعلم مثلًا أن في الباب حديثًا ثم قال سأترك الحديث وأعمل بقول الصحابي قال: يوشك أن تعاقبوا وأن ترمى بحجارة من السماء فلما بالك بمن يخالف الحديث بقول غير الصحابي سواء من أقوال العلماء الذين اجتهدوا رحمهم الله وصار اجتهادهم على غير الصواب والحديث ثابت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يقدم على حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيء نهائيًا؛ ولهٰذا كتب عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: إنه لا رأي لأحد مع سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا تأتي تقول قال فلان أو اجتهد فلان، إذا جاء في السنة عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ليس لأحد أن يدعها أيًا كان الذي جاء عنه القول مهما كان مقامه ومنصبه، هذا المعنى.

وذكر قول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، أي: عرفوا أسانيد الأحاديث من جهة صحتها وضعفها وعلموا مثلًا أن هذا الحديث صحيح، فلما علموا ذلك وتحقق عندهم أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ثبت ذلك عنه أخذوا برأي سفيان، سفيان هو الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو من أئمة العلم، وهو نفس الوضع اجتهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وصار له أقوال من الأقوال التي اجتهد فيها وهو يصيب يخطأ كغيره من الأئمة.

الأئمة الأربعة وغير الأربعة كلهم يصيبون ويخطئون ما يمكن يقال أحمد بن حنبل لا يخطئ الشافعي لا يخطئ، هذا كلام لا ينبغي أن يقال، ولا يحل لأحد أن يقوله؛ لأنهم يصيبون ويخطئون؛ ولهٰذا كان لهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أكثر من قول، فالشافعي له مذهب قديم ومذهب جديد، اجتهد في أمور ثم طرح له أن الصواب على غيره فترك قوله السابق، وهكذا الإمام أحمد يأتي عنه أكثر من رواية؛ لأنهم يريدون الحق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فيصيبون ويخطئون فإذا عرفت صحة الحديث فلا تذهب إلى رأي سفيان ولا غير سفيان، قال: والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ أي عن أمر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحذروا من أمرين﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أن يفتنوا لأنهم تركوا حديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ما علموه وعرفوه أنه ثابت عنه فتركوه وأخذوا بقول غيره ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ أو ينزل الله تعالى بهم أو أن ينزل الله تعالى بهم عذابًا نظير ما فعلوا، أتدري ما الفتنة؟ أي: الواردة في الآية، الفتنة: الشرك أي: قد يسلط الله تعالى على هذا العبد زيغ قلبه وانتكاسته عن الدين بأسره، لعله إذا رد بعض قوله أي: إذا رد بعض قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك أي: فيموت عليه، فكل هذا يؤكد على وجوب تقديم سنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على قول كل أحد وأنه ليس لأحد أن يقول لي رأي يخالف الحديث، يقال: رأيك إذا خالف الحديث يدل على أنه رأي فاسد، واجتهاد العالم إذا اجتهد العالم وكان اجتهاد على خلاف الحديث علمنا أن اجتهاد خاطئ فيقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأجزل الله له المثوبة وله بإذن الله تعالى أجر اجتهاده؛ لكن الحديث يقدم على قول كل أحد كائنًا من كان.

ثم اعلم أن علماء الأمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ كالأئمة الأربعة وغيرهم قد حذروا من تقليدهم أو تقديم قولهم على قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وكثر هذا جدًا عنهم رحمهم الله أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد كلهم قد حذروا من أن تقدم أقوالهم على قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وألزموا من درس العلم عليهم ومن

تفقه على نفس المدرسة التي فيها هذا العالم أن يقدموا الحديث النبوي إذا بلغهم على قولهم، وأقوالهم في هذا كثيرة.

ساق الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعضًا منها وساقها غيره، وهي كثيرة ويطول المقام بها.

عن عديّ بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان نصرانيًا، ثم إن الله عَزَّوَجَلَّ منّ عليه بالإسلام فقدم على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسمع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ قوله تعالى في أهل الكتاب: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾الآية [التوبة: ٣١] تقدم أن الأحبار هم العلماء عند أهل الكتاب وأن الرهبان هم العباد،﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾ فعدي باعتبار أنه نصراني سابقًا استشكل معنى الآية، قال: يا رسول الله: إنا لسنا نعبدهم أي: ما كنا نعبدهم نأتي إليهم فنصلي لهم صلاة كما يصلي المسلم لربه فلم نكن نتخذهم على هذه الشاكلة وإنما العبادة تكون لله هذا مراده.

مع أن النصارى عندهم بلا شك صرف العبادة لغير الله كالسجود لرهبانهم وأحبارهم؛ لكن العبادة التي يتعبدها المسلم لله من صلاة ونحو ذلك، يقول: ما كنا نفعل هذا معهم، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلّون ما حرم الله فتحلونه**» يقول عدي: فقلت: بلى أي: هذه نعم إذا حرموا علينا الحلال حرمناه مع أنه حلال في دين النصارى وإذا أحلوا لنا الحرام مع أنه في دين عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حرام؛ لكن يقول إذا أحلوه لنا فإنا نستحله، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**فتلك عبادتهم**» و هذه هي العبادة المنبنية على الشرك في الطاعة، أن الشرك تارة يكون في العبادة بأن يدعوا غير الله ويسجد لغير الله ونحو ذلك من العبادات المعروفة، هناك شرك في الطاعة كما أنه لا يعبد إلا الله ولا تصرف العبادة إلا لله عَزَّوَجَلَّ فإن الطاعة الأصل هي لله عَزَّوَجَلَّ، فمن أطاع غير الله الطاعة التي لا يطاعها إلا الله فقد عبد هذا المطاع.

ولهٰذا قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع فإذا أطاعه حتى في تحريم الحلال وفي تحليل الحرام فلا شك أنه قد عبده واتخذه ربًا، ولهٰذا هذا النوع الذي يكون شركًا أكبر هو أن يطيعهم بحيث يقول هذا الحرام الآن صار مباحًا، لم؟ قال: لأنهم حللوه

لنا، وذاك المباح الذي كنا نعمله الآن صار علينا حرامًا، لم؟ قال: لأن الأحبار حرموه هذا شرك أكبر؛ لأنه صار يتابعهم في أمر التحريم والتحليل، مع أن التحليل والتحريم لله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يشرع وحده لا سواه، كل هذا دال على أمر أن الطاعة يجب أن تكون في المعروف، من ألزم الله تعالى بطاعته من المخلوقين طاعتهم مقيدة، الطاعة المطلقة لله عَزَّوَجَلَّ ويطاع الرسول صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طاعة مطلقة أيضًا، لأنه لا يمكن أن يأمر إلا بطاعة الله قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] فلا يمكن أن يأمر صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا بحق، فلهٰذا كانت طاعته مطلقة وطاعة الله مقيدة، من سوى الله ورسوله فإنهم جميعًا طاعتهم مقيدة فلا يطاعون بإطلاق؛ لأنهم قد يأمرون بأمر لا يجوز أن يطاعوا فيه، فالعلماء والأمراء والزوج مع زوجته والوالد مع أولاده والسيد مع عبده يأمرون بأوامر وألزم الله تعالى بطاعتهم، ألزم الله الرعية بأن تطيع الحكام لكن في المعروف فإذا أمروا بمعصية فلا يطاعون وهكذا، السيد إذا أمر عبده بمعصية لا يطيعه، الوالد إذا أمر ابنه أو بنته بمعصية لا يطيعه، الزوج إذا أمر زوجته بمعصية لا يطاع؛ لأن طاعة المخلوقين هؤلاء طاعة مقيدة أما الطاعة المطلقة فهي لله تعالى ولرسوله صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ **قال المؤلف:** «**باب** قول الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ۝٦٠﴾ [النساء] الآيات، وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١﴾ [البقرة] وقوله: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦] وقوله: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ﴾ [المائدة: ٥٠] الآية.

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّٰهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**» قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

وقال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد -لأنه عرف أنه لا يأخذ الرِّشوة- وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود -لعلمه أنهم يأخذون الرشوة- فاتفقا أن يأتيا كاهنًا في جُهَيْنَة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾ وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله.

هٰذا الباب مناسب جدًا أن يذكر بعد الباب السابق؛ لأن الباب السابق يتعلق بمن أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابًا من دون الله، ذكر هنا من يتحاكمون لغير الشرع الواجب أن يحكم في أرض الله على عباد الله بشرع الله، ولا يجوز أن يحكم على عباد الله تعالى أي قانون وتسن دساتير وتفرض أحكام تخالف الشرع فإن هذا من أعظم الفجور ومن أخبث ما يعصى الله عَزَّ وَجَلَّ به، وفي صوره ما هو كفر أكبر بإجماع العلماء وفيه ما هو كفر أصغر كما ذكر ابن القيم وعلماء الأمة: أن تحكيم غير الشرع تارة يكون كفرًا أكبر وتارة يكون كفرًا أصغر، الذين يحكمون بغير الشرع لا شك أنهم قد أسرفوا إسرافًا عظيمًا وقد حادوا الله تعالى محادة شنيعة بشعة هي من أعظم وأقبح الكبائر؛ لأن أحكام الله هي التي يجب أن تطبق في أرضه تبارك وتعالى، العباد عباده والأرض أرضه والشرع شرعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإذا طبق على غير عباد الله تعالى في أرض الله تعالى أحكام تخالف شرع الله فهذا من أفحش وأقبح ما يحاد العبد به ربه تعالى.

بوب على قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ يعجب الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هؤلاء الذين يدعون ويزعمون زعمًا أنهم قد آمنوا بما أنزل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآمنوا بما أنزل الله تعالى على الأنبياء من قبله، الإيمان هذا لا بُدَّ أن يترتب عليه أن تقبل بحكم الله تعالى الذي أنزله على نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لكن شأنهم معاكس لهٰذا الذي يزعمونه من الإيمان؛ لأنهم لا يريدون التحاكم إلى شرع الله بل يريدون التحاكم إلى غير شرع الله، التحاكم إلى غير شرع الله سماه الله تعالى في هذه الآية بالطاغوت، والطاغوت من الطغيان وهو تجاوز الحد، وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في تعريف الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فإذا تجاوز الحد وعبد غير الله فهذا المعبود إذا كان راضيًا فإنه طاغوت، وهكذا المتبوع والمطاع في مخالفة الشرع يكون طاغوتًا؛ ولهٰذا قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ فالطغيان هنا يراد به ما يعلق من تحكيم غير شرع الله عَزَّ وَجَلَّ، قال تعالى: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا يزعمون أنهم آمنوا ويتحاكمون إلى الطاغوت وقد أمرهم الله تعالى بأن يكفروا بالطاغوت، قال

تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ [النساء] ألستم تزعمون أنكم قد آمنتم بالله عز وبما أنزل على رسوله وبما أنزل على المرسلين؟ تعالوا إلى ما أنزل الله مما تدعون أنكم قد آمنتم به، ﴿قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا (٦١)﴾ فسمى الله الصادين عن شرع الله تعالى منافقين، وهذه خصلة ملازمة لأهل النفاق هم مبغضون لشرع الله عَزَّوَجَلَّ، ويأبون الانصياع لأحكام الله تبارك وتعالى، وعندهم تمنع وبغض وبغضاء وعدم رضوخ لشرع الله عَزَّوَجَلَّ فهذه صفة المنافقين قديمًا وحديثًا لا يريدون شرع الله؛ لأن أهوائهم لا تتم مع شرع الله عَزَّوَجَلَّ وهم أهواء وقد انعدم الإيمان فيهم فلا يريدون أن يطبق شرع الله وإنما يريدون تطبيق حكم الجاهلية كما سيأتي في قوله: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ﴾ ﴿رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا (٦١) فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ هذه من خصال المنافقين إذا احتاجوا واضطروا وأتاهم ما يلجئهم بدؤوا يحلفون بالله، وصاروا يزكون أنفسهم وبأنهم ما كانت لهم مقاصد سيئة وإنما كان مرادهم كذا وكذا دائمًا هم أهل اعتذار، ﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ﴾ [التوبة: ٩٤] وهكذا هذه صفة من صفات المنافقين فهم أهل تمنع على تحكيم الشرع، وهم إذا جاء أمر يكشفهم أو احتاجوا واضطروا بسبب المصيبة التي أصابتهم يأتون يحلفون و هذه من طبائعهم أنه يحلفون مع كذبهم،قال تعالى: ﴿وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ (١٤)﴾ [المجادلة] هذه من صفات المنافقين أيضًا أنهم يحلفون على أمر هم فيه كاذبون نسأل الله العافية والسلامة وكل هذا يوجب النفور والخوف من هذه الخصال، وأن يعلم الإنسان أن تمنعه على الشرع أو صده عنه وحلفه على أنه كان مقصده كذا وكذا والله يعلم منه خلافه أن هذا من خصال المنافقين، فيجب على المؤمن أن يحذر ذلك غاية الحذر، ﴿فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا (٦٢)﴾ هذه طريقتهم أنهم ما كان مقصدهم السوء وإنما كان مرادهم كذا وكذا من الأمور الحسنة.

ثم ذكر قوله تعالى وهي في المنافقين أيضًا: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ (١١)﴾ [البقرة] كما تلاحظ أهل النفاق دائمًا يزعمون أن دعواتهم إصلاحية وأنهم أهل إصلاح

وأن مرادهم إصلاح الأمة وإصلاح المجتمع وأنهم إصلاحيون لاحظ هذه الخصلة فيهم سبحان الله العظيم مستديمة، مع أنهم أهل الفساد والشر، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ﴾ فهم يفسدون ولا يصلحون ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١﴾ ما الإفساد في الأرض؟ الإفساد في الأرض كما قال غير واحد من السلف: الله تعالى أرسل الرسل فأصلح بهم حال الناس وأصلح بهم أرضه تعالى، فمن سعى في المعاصي وضاد وحاد الرسل فقد أفسد في الأرض؛ لأن الأرض أصلحها الله بالرسل، فهؤلاء المفسدون قد جاءوا بإفساد ما أصلحته الرسل صلى الله عليهم وسلم وهذا حال المنافقين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١﴾.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦] كما تقدم أصلح الله تعالى الأرض بالرسل عليهم الصلاة والسلام فما كان على خلاف هدي الرسل فهو من الإفساد؛ ولهٰذا قال أبو بكر بن عياش رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآية: إن الله بعث محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إلى أهل الأرض وهم في فساد فأصلحهم الله بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فهو من المفسدين في الأرض؛ لأن الأرض كانت على حال من الجاهلية، بعث الله محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بالإصلاح الحقيقي فأصلح الله تعالى به الأحوال، فإذا جاء أحد بدعوة على خلاف ما جاء به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فقد سعى في الأرض فسادًا وهو من المفسدين ي أرض الله؛ ولهٰذا كانت عبارات المفسرين في هذه الآية تدور حول هذا المعنى.

ثم ذكر قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ﴾ [المائدة: ٥٠] ينكر تعالى على الخارجين عن حكمه تبارك وتعالى الذين يريدون الرجوع إلى حال وحكم الجاهلية، وتقدم أن الجاهلية حالة تكون على خلاف ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، فمن الناس من لا يريد حكم الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ﴾ [المائدة] فلا يريدون حكم الله وإنما يريدون حكم الجاهلية، ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ أعظم وأكرم وأجل الحكم هو حكم الله تبارك وتعالى، هو أعدل شيء ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا﴾ [الروم: ١١٥] فحكم الجاهلية عكس هذا الحال عكس العدل وعكس الصدق ما هو إلا حكم كاذب جائر هو أبعد شيء عن الخير وعن النفع للأمة.

ثم ذكر حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**» أي: لا يؤمن الإيمان الكامل حتى يكون ما يهواه وتحبه نفسه وتميل إليه على

حال من اتباع لما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم ذكر أن النووي صحح الحديث وذكر أنه روي هذا الحديث في كتاب الحجة بإسناد صحيح وهو الحجة على تارك المحجة للمقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لكن خولف في ذلك فنازع أظن ابن رجب وغيره رحمهم الله في صحة الحديث فقال: وعلى كل الحديث معناه صحيح، لا شك أن معناه من حيث المعنى أنه سليم يجب أن يجعل العبد أهوائه وميوله خاضعة لحكم الله عَزَّ وَجَلَّ، ولما جاء به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم نقل عن الشعبي، والشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ قد أرسل هذا إرسالًا؛ لأنه لم ينقله بسند متصل أن رجلًا من المنافقين وآخر من اليهود كان بينهما خصومة، فاليهودي يعلم أن محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبي صادق وأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقيم الحق على القريب والبعيد، فأراد اليهود أن يتحاكم مع هذا المنافق إلى النبي صلى الله عليه وسل؛ لأنه يعرف أمانة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه لا يمكن أن يأخذ الرشوة صلوات الله وسلامه عليه، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد، أما المنافق فقال: نتحاكم إلى اليهود؛ لأن اليهود معلوم أنهم يأخذون الرشوة وأهل أكل للسحت، فاتفقا أن لا يأتيا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا اليهود وإنما اتفقا على أن يأتيا كاهنًا من كهان الجاهلية كان في جُهَيْنَة فيتحاكما إليه؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يتحاكمون إلى الكهان في الجاهلية فنزلت الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ وقيل: إن الآية نزلت في رجلين اختصما فيما بينهما فلما أراد أن يحتكما قال أحدهما: نترافع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي: نرفع هذه الدعوى والقضية هذه إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما الآخر فقال: نرفع هذه القضية إلى كعب بن الأشرف وكعب بن الأشرف من خبثاء اليهود وفجارهم وكان مؤذيًا للمؤمنين أذية عظيمة وشره كبير ومستطير، وسننه على سنن اليهود لا يكون وضعه إلا على وضع اليهود في خبث أخلاقهم وطرائقهم، فاتفقا على أن يأتيا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأن يترافعا إليه، لما ذكر له أحدهما القصة وأن هذا قال نترافع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والآخر قال: بل نترافع إلى كعب، سأل عمر الذي قال نترافع إلى كعب ولم يرضى بالترافع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكذلك؟ أي: هذه الكلمة التي قالها خصمك أهي حقيقية، قال: نعم فقتله عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بضربه بالسيف، ومثل ما قلنا الحديث أي: قد أرسله الشعبي لأنه لم يدرك عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

---

(١) نهاية المجلس الخامس عشر.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

❁ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات**، وقول الله تعالى: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ الآية [الرعد: ٣٠].

وفي صحيح البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكَذَّبَ الله ورسوله.

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه رأى رجلًا انتفض لَمَّا سمع حديثًا عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصفات استنكارًا لذلك فقال: «**ما فَرَق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه**» انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر: ﴿الرَّحمٰن﴾ أنكروا ذلك. فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾».

❁ **قال المؤلف:** «باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات».

الأسماء والصفات في كتاب الله تعالى أثبتها الله تعالى لنفسه متمدحًا معظمًا معرفًا عباده بنفسه، فالواجب أن تثبت كما أثبتها الله وهذا الذي أطبق عليه سلف الأمة الصالح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من أئمة المسلمين أنهم كانوا يقرون هذه الأسماء والصفات لله عَزَّ وَجَلَّ كما وردت وينفون عنها أن تكون مشابهة لصفات المخلوقين لكنها أسماء وصفات حقيقية.

ثم إن الجهمية أتباع الجهم بن صفوان اشتهروا والعياذ بالله برد هذه الأسماء والصفات، وأول من عرف في الأمة برد هذه الأسماء والصفات الجعد بن درهم وهو شيخ السوء لتلميذ السوء الجهم بن صفوان، وقد قتل الجعد وقتل الجهم جميعًا؛ لخبث معتقدهما وفظيع ما نشراه في الأمة من الفتنة

والفساد، فالواجب أن تثبت الأسماء والصفات؛ لأن الله تعالى أثبتها.

الوارد في الأسماء والصفات نوعان في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

○ **النوع الأول**: منها ما هو مثبت كإثبات السميع العليم البصير الحي القيوم ويثبت معه صفات السمع والبصر والحياء ونحو ذلك مما أثبته سواء من الأسماء أو من الصفات.

○ **النوع الثاني**: ما نفاه الله عَزَّوَجَلَّ عن نفسه كنفيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن نفسه الظلم والنوم والسنة والتعب، فالصراط المستقيم في الأسماء والصفات أن نثبت ما أثبته الله ورسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإذا نفى الله ورسوله أمرًا ننفي ما نفاه الله ورسوله، أما أن يعكس الأمر فيثبت ما نفى أو ينفى ما أثبت الله فهذا الذي قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠] هذا هو الإلحاد في الأسماء، ومعنى الإلحاد هو الميل بأن يمال عن الصراط السوي؛ لأن الصراط السوي أن تثبت ما أثبت الله، كما أنك توجب الصلاة لأن الله أوجبها وتحرم الخمر لأن الله حرمها، فلو أباح أحد الخمر ألا يكون مضادًا محادًا لله؟ بلى، فكذلك من نفى ما أثبت الله أو أثبت ما نفى الله فقد حاد الله، وهذا من الإلحاد والميل في هذه الأسماء.

۞ **قال المؤلف**: «وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠]».

كان كفار قريش لا يقرون بهٰذا الاسم لله تعالى، ولما أمر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكاتب في صلح الحديبية أن يكتب بسم الله الرَّحمٰن الرحيم أبى سهيل بن عمرو قبل إسلامه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أبى وقال: لا نعرف الرَّحمٰن اكتب باسمك الله، فكانوا يأبون إثبات هذا الاسم.

لهٰذا يقول أهل العلم: إن من نفى الأسماء والصفات فسلفه كفار قريش؛ لأن الأمة زمن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت تثبت ما أثبت الله، فمن أول من عرف بإنكار شيء من أسماء الله؟ كفار قريش وهم يكفرون بالرَّحمٰن فكانوا يكفرون بهٰذا الاسم، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾ [الفرقان] فالواجب أن يثبت ما أثبته الله، والسلف في هذا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فمن نفى فليس له سلف إلا هذا السلف الطالح من كفار قريش.

وفي صحيح البخاري عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكَذَّبَ الله

ورسوله يوجب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورَحِمَهُ ٱللَّهُ ورحم الجميع يوجب على من يتعلم العلم أن يكون حكيمًا وأن ينظر في أحوال الناس، فإذا كانت بعض الأمور التي قد يستغربها الناس ولأول مرة تطرق أسماعهم لو حدثوا بها لكذبوها وأنكروها مع أنها من الحق، فليس هذا من الحكمة؛ لأنهم في مقام ضعيف من العلم، فهؤلاء يعلمون الأمور بالتدريج فإذا تعلموا وتبصروا وحدثوا بمثل هذه المسائل قبلوها؛ لأنهم قد صاروا في حد من يعلم؛ لكن إذا كانوا جهلة وعوام ثم جاء من يحدثهم بأمور يستغربونها فقد يكذبونها وهي حق؛ فلهٰذا يقول: ينبغي أن يكون طالب العلم حليمًا حكيمًا يعيي الأمور، فإذا كانت بعض المسائل التي تستغرب، والعامة أصلًا هم بحاجة إلى أن يعلموا مبادئ العلم وأن لا يغاص بهم ويخاض بهم في مسائل عميقة قد يستنكرونها ويردون هذه المسائل ويكذبونها مع أنها من الحق، فيدرجون كما يدرج الصبي في التدريس مرحلة مرحلة، حتى يكون شابًا حتى يكون رجلًا ويعيي، أما أن تأتي إلى عامي ربما لا يقرأ ولا يكتب وتحدثه بأمور يستغربها، هذا ليس من الحكمة؛ لأنه قد يكذب وهي إن كانت من الحق؛ ولهٰذا قال: حدثوا الناس بما يعرفون، وقال: ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يُكذب الله ورسوله فلا تتسببوا في هٰذا.

ولما حدث عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بحديث في الصفات كان عنده رجل قليل الفقه، لما حدثه بهٰذا الحديث في الصفات ارتعد بذلك وانتفض، فأنكر عليه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ذلك، وقال: «**ما فَرَق هؤلاء؟**» الفرق هو الخوف، أي: ما خوف هؤلاء «يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه» إذا جاء أمر يشتبه عليهم هلكوا وكان الواجب عليهم في الأمر المتشابه ما أوجب الله من رد المتشابه إلى المحكم، فأما أن يسمع الإنسان المتشابه فيرده ويأباه أو أن يرتعد عنده فهذا من قلة فهمه؛ لأنه قد يهلك، إنسان قد يرد ما اشتبه عليه، وكون الأمر يشتبه عليك يقتضي منك أن تتعلم وتسأل، أما أن يشتبه عليك فترده أو تكون على حال هذا الرجل من الانتفاض والخوف والرعب منه هذا يدل على أنه لا يفقه، لأنه لو كان يفقه لتعلم الأمور تعلمًا وسأل وقال هذا الأمر أريد أن أعرف ما وجهه، أنا أعلم أن كلام الله تعالى وأحاديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلها حق لكن ما وجه هذا الحديث ما معناه، ولا يخوض في الكيفية قطعًا وإنما ما معناه؛ فلهٰذا قال ابن عباس: تجدون رقة عند محكمه، محكمه هو البين والمتشابه هو الذي يكون فيه خفاء ولا يعرف إلا إذا رد إلى المحكم، فمراده أن المفترض عليه حين اشتبه عليه الأمر أن يرده إلى المحكم وأن يسأل حتى يعلم.

في كلام الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقل عن شيخه الشيخ محمد بن عبد الوهاب استماما لما تقدم من قول علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: حدثوا بالناس بما يعرفون أن الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان ينهى عن القراءة في مثل كتب ابن الجوزي المنعش والمرعش والتبصرة لما في ذلك من إعراض الناس عما هو أوجب، وفيها أمور لا ينبغي اعتقادها، وتصد الناس الحقيقة عما ينبغي أن يتعلموه من أمور عباداتهم ومعاملاتهم ودينهم، ولا غنى فيها كبير، فكثير من هذه الكتب مع أنها لابن الجوزي كثير مما فيه ملحظ وفيه إشكال وإن كان قد يوجد في مواضع منها شيء حسن ونافع ينتفع به طالب العلم؛ لكن أن تقرأ على الناس وفيها شيء من أي: كلام القصاص وفيها أمور مستغربة فهذا غير مناسب، الناس ليسوا بحاجة إلى مثل هٰذا، فإذا قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الكلام في ابن الجوزي، فما بالكم بالقصاص اليوم الذين لا زمام ولا خطام لما يؤلفون ولا يعون ولا يدرون؟ فالواجب أن يكون توجيه الناس في الخطب في الكتابة في أمورهم في شيء ينفعهم، أما مثل هذه الأمور التي لا جدوى منها فيكون فيها شيء من الإشكال فينبغي إبعاد الناس عنها.

قال: ولما سمعت قريش رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر: ﴿الرَّحمٰن﴾ أنكروا ذلك. فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ قلنا لأن كفار قريش ينكرون هذا الاسم العظيم على عظمته وجلالة ما يدل عليه هذا الاسم العظيم؛ لأنه على وزن فعلان فهو دال على الرحمة العظيمة الواسعة ومع ذلك كانوا ينكرون هذا الاسم؛ لكن ما كانوا ينكرون الأسماء الأخرى؛ لكن هذا الاسم كانوا ينكرونه؛ لأنهم يجهلون، نقرأ البابهذا نختم به.

❁ **قال المؤلف:** «باب قول الله تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٣﴾ الآية [النحل: ٩٣].

قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي.

وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا.

وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.

قال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي فيه: «أن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر.. الحديثَ» وقد تقدم وهذا كثير في الكتاب والسنة يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره

ويُشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقًا، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير».

الواجب أن تضاف النعمة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] فالواجب دائمًا أن يظهر ويحدث ويلهج ويشكر رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويتحدث باللسان بهٰذا، وأن يحيل الإنسان ما يعطيه الله عَزَّوَجَلَّ إياه من خير في دينه أو دنياه أن يحيله إلى رب العالمين الذي لولاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما تحققت هذه النعمة، فهو الذي أنعم بها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أيًا كانت هذه النعمة، فالأصل أن يلهج بها، وأنكر الله تعالى على الذين يعرفون هذه النعمة ثم ينكروها فهذا لا شك أنه ليس بصنيع من شرك الله عَزَّوَجَلَّ، الواجب في هذه النعم أمور تتعلق باللسان وتتعلق بالقلب وتتعلق بالجوارح.

أما القلب أن يعتقد القلب أنها من الله، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ أما اللسان فالواجب أن يلهج اللسان بالشكر ويظهر الحمد ويعود الإنسان وذرته حمد الله وشكره، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى]، وأما الأمر المتعلق بالجوارح فهو أن تستعمل نعم الله تعالى في طاعة الله فلا تجعل نعم الله مستعملة في معصيته معاذ الله من ذلك.

يقول تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النحل: ٩٣] جاء عن مجاهد أن المراد بهذه النعم عموم المساكن والأنعام وما يرزقونه فكانت كفار قريش يقولون هذا لآبائنا فورثونا إياه، هل هذا واقع؟ من حيث الوقوع هو واقع هذه كانت لآبائهم ثم ورثوها، هل منكر أن يقولوا إن هذه كانت ملكًا لآبائنا ثم ورثناها؟ هذا ليس بمنكر؛ لأنه حديث عما وقع، لكنهم يغفلون عن الذي أنعم بها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإذا قيل لهم من رزقكم يقرون أن الله تعالى هو الذي يرزق ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٣١] لكن يقولون رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا هذا وجه آخر، لأنه يقول نحن نعلم أن الله تعالى هو الذي يرزقنا ولكن شفعت آلهتنا عند ربنا فرزقنا فعاد اعتقاد الرزق أنه من الله عندهم ثابت لكن على هذا النحو يكونون قد كفروا نعمة الله تعالى؛ لأن الله تعالى هو الذي أسدى هذه النعمة، ولولا فضله تعالى لما وصلت إليك.

وإن كان النقل يتحدث به الطالب من ذهنه وفهمه وأنه سهر الليالي وتمكن من المعرفة وأنه ليس كغيره من الطلاب الذين لا يفهمون، وهكذا التاجر قد يقول غيري لا يعرف فنون التجارة وطرق اكتساب المال وهكذا القائد في القتال ونحوه يقول أنا ماهر وأعرف القتال وبصير بالحروب ونحو ذلك، هذا الأمور لا ترد إلا إلى نعمة الله تعالى في المقام الأول، نعم هناك أسباب لكنها بعد توفيق الله، ولو شاء الله تعالى لتعطلت هذه الأسباب ولا ما نفعت هٰذا، فالواجب أن يعتقد اعتقادًا تامًا أن النعمة من الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ أما مثل هذه الطرائق بنسبتها على هذه النحو مع نسيان الله عَزَّوَجَلَّ أو زعم أن هذا بشفاعة الآلهة أو أن ينطوي القلب على نوع من الغرور لأن هذا يدل على حذق وعلى فهم وعلى أنه ليس أحد يعادل هذا الشخص الذي حصلهذه النعمة لا شك أن هذا من عدم التوفيق وعدم شكر نعمة الله كما لا ينبغي أن تشكر.

قال مجاهد: هو قول الرجل هذا مالي ورثته عن آبائي وضحنا وجهه.

عون رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إن هذا يدخل فيه قول الرجل: لولا فلان لم يكن كذا لولا فلان؟ نعوذ بالله لا يصلح هٰذا؛ لأن فلان هذا لولا الله عَزَّوَجَلَّ لما وجد فلان هٰذا، ولو لا الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لما تيسير السبب عن طريق فلان فكيف ينسى من بيده ملكوت السَّمٰوات والأرض وينظر إلى سبب يمكن أن يضمحل، فقوله: لولا فلان لم يكن كذا هذا أيضًا داخل في عدم شكر نعمة الله وعدم نسبة النعمة إلى الله كما ينبغي أن تنسب.

وقال أيضًا ذكر وجه قول بعضهم هذا بشفاعة آلهتنا.

قال أبو العباس وهو ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر حديث زيد بن خالد الذي فيه: «أن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» وهذا كثير في الكتاب والسنة يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويُشرك به وهذا الحقيقة إلى يومك هٰذا، الآن يمدح الطبيب ويمدح المعلم بأنه كذا وكذا ويطال في مدحهم والثناء عليهم وينسى رب العالمين سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الذي يسر هذه الأسباب وهيأ أمور التوفيق وهذا لا شك أنه من الخذلان الحقيقة، أن ينسى من بيده ملكوت السَّمٰوات والأرض والذي أسدى النعمة وحده لا سواه وينظر إلى هؤلاء الذين لو شاء الله لسلطهم على العبد ولكانوا نقمة عليه لا نعمة.

قال بعض السلف: هو كقولهم إذا نجوا وسلموا ووصلوا من البحر بعافية، قالوا: كانت الريح طيبة،

والملاح الذي أي: يقود السفينة كان حاذقًا، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة الناس كثير مما كان يقوله الآن بعض الناس إذا رأى حادث سيارة إذا رأى حادث في الطريق وسلم الله تعالى أحد أصحاب السيارات وحرف السيارة مثلًا وأبعدها يقول هذا سائق ماهر، يا لله العجب هي ليس ثواني أقل من الثواني لولا أن الله تبارك وتعالى هيأ له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هٰذا، وببعض الأحيان يحرف السيارة ولا يريد أن تنصرف إلى هذه الوجهة فيصرفها رب العالمين سبحانه، فلو لا الله تعالى لكان في وسط هؤلاء الذين أصابهم ما أصابهم، فالأمور بيد رب العالمين ولا ينبغي أن يتحدث عن النعم؛ لكن إذا أراد أن يقول إن الريح يقول: نحمد الله عَزَّوَجَلَّ هيأ الله تعالى ريحًا طيبة ويسر الله تعالى توفيقًا وسلامة يتحدث بهذه الطريقة؛ لكن إذا نجا يقول الريح كانت طيبة والملاح كان حاذقًا مثل قول الناس الآن والسائق كان ماهرًا كأنه يقول لولا أن السائق ماهر لوقع الحادث مثلًا، وهذا لا شك أنه من الغفلة ومن الجهل وقلة الحقيقة قلة بصيرة الإنسان أن يكون بمثل هذا الحال في هذه العبارات التي ينبغي أن يتحرز منها غاية التحرز.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

* * *

---

(١) نهاية المجلس السادس عشر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب** قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة].

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في الآية: لأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل؛ وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلانُ وتقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانًا هذا كله به شرك رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**». رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.

وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لأن أحلفَ بالله كاذبًا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقًا.

وعن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان؛ ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**». رواه أبو داود بسند صحيح.

وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يَكرهُ أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك، وَيُجَوِّزَ أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان».

ترجم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الآية: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة] **والأنداد**: جمع الند وهو الشبيه والنظير، واتخاذ الند على نوعين:

○ **النوع الأول**: منه اتخاذ يكون به المرء مشركًا شركًا أكبر، كما اتخذ الكفار مع الله عَزَّوَجَلَّ من المعبودات فجعلوها أندادًا لله تعالى فهذا شرك أكبر، أي: يذبحون لها ويدعونها من دون الله.

○ **النوع الثاني**: وهو كثير وخفي وهو شرك أصغر، هذا الشرك الأصغر كثير في ألسنة جار على ألسنتهم كثيرًا، ترجم بقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي لا تشركوا به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أندادًا لا تنفع ولا

تضر، وأنتم تعلمون أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو ربكم ليس لكم رب سواه يرزقكم وهو الذي خلقكم ويمدكم بالنعم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال ابن عباس في الآية، وابن عباس هو ترجمان القرآن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا دعا له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يعلمه الله التأويل أي: التفسير، وأن يفقهه: «**اللّٰهمَّ فقهه في الدين وعلمه التأويل**» وأفضل أنواع التفاسير على الإطلاق بعد تفسير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تفسير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن الغلط العدول عن تفسير الصحابة إلى تفسير غيرهم إذا خالفه، فخطأ بين إذا كان للصحابة تفسير فهم الذين شهدوا التنزيل وصحبوا النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فهم أولى الناس بمعرفة كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنهم مفسرون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تجد تفاسيرهم منثورة في تفسير ابن جرير في تفسير ابن أبي حاتم وغيرهم ممن يروي عنهم التفسير بالسند، ومن ذلك ما رواه ابن أبي حاتم هنا وهو من أطول كتب التفسير ومن أوسعها التي تروي بالسند تفسير الآيات القرآنية عن الصحابة والتابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال ابن عباس: لأنداد: هو الشرك هذا تفسير من حيث العموم، وإلا كما تقدم الأنداد معناه النذراء والأشباه الذين يتخذونهم مع الله عَزَّ وَجَلَّ، فهو يفسر الآن الأنداد لا بنفس اللفظة؛ لأن التفسير على نوعين:

❍ **النوع الأول:** تفسير للكلمة نفسها مباشر كقولك مثلًا في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] الكلالة من لا ولد له ولا والد، هذا تفسير للكلمة.

❍ **النوع الثاني:** وهناك تفسير بالعموم كقوله هنا: الأنداد هو الشرك، هو الآن لا يفسر كلمة الأنداد من حيث هي لفظة وإنما يتكلم عنها من حيث المعنى بالعموم، الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل.

وهذا يدل على خطورة الشرك، الشرك مع أنه كفانا الله شره خطير ومن أشد ما يكون في القبح؛ إلا أن مما يزيد من خطورته أنه يخفى في بعض الأقوال وفي بعض الأحوال منه، وهذا ماذا يستدعي؟ يستدعي الاستعانة بالله عَزَّ وَجَلَّ في العافية منه، ثم يستدعي أهمية تعلمه حتى يحذر؛ ولهٰذا من أهم ما يكون أن يتعلم التوحيد ويتعلم ضده وهو الشرك، حتى لا يقع الإنسان في الشرك وهو لا يدري، فإن من الناس من يبقى على لفظة شركية سنين من عمره وهو لا يدري، ثم إذا لقي أحدًا من أهل العلم أو الفضل

قال هذا ما يصلح قال سمعته من أبي وجدي ولم نزل عليه منذ سنين شرك وإن كان هذا الوضع منتشرًا وفاشيًا فيكم فهو شرك مثل الحلف بغير الله على سبيل المثال، وهذا يقتضي أهمية تعلم التوحيد وتعلم الشرك.

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء، الصفاة الحصاة الملساء، والنملة سوداء، و هذه الصفاة سوداء وهي ي ظلمة الليل ليست في النهار فاجتمع السواد في لون النملة وفي لون الحصاة التي تدب عليها وفي الظلمة التي يكون فيها هذا الدبيب من النملة، فهي ظلمات فوق ظلمات، فما دام الشرك بهٰذا الخفاء فمن الأهمية أن يتعلم.

ثم ذكر له أمثلة، قوله: وهو أن تقول هي أمثلة فقط: والله، وحياتك يا فلانُة، أو يفي الله الآخر: والله وحياتك يا فلان، لاحظوا الأول حلف بالله والله وهذا هو الحلف الذي لا يجوز أن يحلف إلا بالله أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته، أي: تقول: والله، والرَّحمٰن، والعزيز، ووجه الله، وسمع الله كل هذا صحيح إن حلفت بالله أو اسم من أسمائه أو صفة من صفاته تعالى، هنا يقول: والله وحياتك يا فلانة، أو وحياتك يا فلان، يحلف بالحياة فهذا حلف بغير الله عَزَّوَجَلَّ.

❍ **والحلف بغير الله تعالى شرك** ويأتي فيه حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، أي: أن الإنسان يربي الكلب عادة إذا كان مثلًا في حرث بستان ليحمي هذا البستان، والكلاب لا يحل اقتناؤها إلا لثلاثة أمور فقط للصيد وللبستان لحراسة البساتين وللماشية يكون مع الدواب، أما ما سواه فلا يجوز اقتناؤه ومن اقتناه بغير هذه الأسباب فإنه ينقص من أجره كل يوم قيراط نسأل الله العافية والسلامة، كما ثبت في الأحاديث، الكلاب من طبيعتها أنها إذا رأت من لا تعرفه أنها تصدر هذا الصوت وهو النباح فلما جاء النصوص فرآها هذا الكلب صار يصدر هذا الصوت فيقول: لولا كليبة هذا لأتانا النصوص أي: أحال الانتباه للصوص إلى الكلب نفسه، وترك إحالتها إلى رب العالمين الذي قدر هٰذا، فهذا نوع من الشرك، ولا شك شرك أصغر، وهكذا الحلف بغير الله الأصل أنه شرك أصغر هذا هو الأصل فيه، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، نفس الوضع البط يكون لها صوت يعرفه أهل البيت فلو دخل أحد البيت مثلًا في الليل ورأته البط فإنها تصدر هذا الصوت فينتبه أهل البيت ما بال هذه البط الآن تصدر هذا الصوت لا بُدَّ أن هناك من دخل البيت، فيقول: لولا البط مثل ما قال لولا الكلب فأحال الأمر إليها ولم يحله إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، أي: إذا قال ما شاء

وبالواو فلا يجوز؛ لأنه ساوى بين الله وبين العبد في المشيئة، والتسوية في المشيئة بقوله: ما شاء الله وشئت أو لولا الله وفلان كل هذا لا يجوز، لا بُدَّ أن لا يجعل الواو بين الله تعالى وبين العبد؛ لأن الواو تقتضي التسوية، أما ثم فتقتضي الترتيب والتراخي البطء، فتقول: لولا الله ثم فلان فعلمنا بذلك أن الأصل مشيئة الله، ومشيئة العبد متراخية أي: بعدها فلهٰذا جاز أن يقول لولا الله ثم فلان، أما أن يقول لولا الله وفلان فقد ساوى بالواو لمطلق الجمع والاشتراك، فيكون معنى ذلك أنه ساوى بين مشيئة الله وبين مشيئة العبد وهذا لا يجوز؛ لأن مشيئة العبد لا تكون إلا إذا شاء الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الإنسان: ٣٠] يقول: لا تجعل يها فلانًا أي: لا تقل فلان في هذه المواضع أحل الأمر إلى الله عَزَّوَجَلَّ، هذا كله به شرك يقول: كل ما تقدم من الشرك، والمراد أنه من الشرك الأصغر. وقول الإنسان لولا الله وفلان أو ما شاء الله وشاء فلان نقول: الدرجات ثلاث: أن يفرد الأمر لله عَزَّوَجَلَّ فيقول: لولا الله وهذا هو الكمال، الثاني: أن ينبه إلى مشيئة العبد بحرف ثم فيقول لو الله ثم فلان فهذه تجوز كما سيأتي في حديث إن شاء الله تعالى حديث الملك الآتي في خبره مع الأبرص والأقرع والأعمى، الثالث: أن يقول لولا الله وفلان بالواو فهذه كما قلنا أيضًا كما قال ابن عباس هذا به شرك، أما إذا قال لولا فلان فهذه درجة أسوأ منها كلها درجة رابعة، أن يقول: لولا الطبيب لما شفينا، لولا حذق السائق لهلكنا يحيل الأمر مباشرة إلى غير الله عَزَّوَجَلَّ فهذه أسوأ من الدرجة الثالثة وهي لولا الله وفلان.

۞ **قال المؤلف: وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك».**

قوله: «بغير الله» يقتضي أن الحلف بأي أحد سوى الله من الوطن من الشرف من الأجداد من الآباء من الأنبياء من الملائكة كل هذا لا يجوز؛ ولهٰذا في اللفظ الآخر أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**من حلف بشيء دون الله فقد كفر أو أشرك**» وكل أحد فهو دون الله عَزَّوَجَلَّ؛ فلهٰذا لا يجوز الحلف إلا بالله تعالى.

قوله: «**فقد كفر أو أشرك**»، إما أن تكون شكًا من الراوي هل قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو قال فقد أشرك، ويمكن أن تكون أو بمعنى الواو فتكون فقد كفر وأشرك، ولا شك أن المقصود والأصل أن هذه الأشياء تقع من المسلم وتوقعه في شرك أصغر،وإذا قلنا أصغر فإنه لا يخرج من الملة؛ لكن لا شك أنه

وقع في أمر شديد شنيع كما سيأتي إن شاء الله؛ لكن لو اعتقد أن المحلوف به يستحق من التعظيم ما يستحقه الله هنا يكون شركه أكبر بلا شك؛ لكن الأصل في المسلم أنه لا يعتقد هٰذا؛ ولهٰذا يقال: الأصل أنه شرك أصغر؛ لكن لو اعتقد أن المحلوف به يستحق أو في قوله ما شاء الله وفلان يعتقد فعلًا أن مشيئته مساوية تمامًا لمشيئة الله وليست زلة لسان هكذا لو اعتقد هذا فإنه يكون مشركًا شركًا أكبر.

۞ **قال المؤلف:** «قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لأن أحلفَ بالله كاذبًا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقًا».

الحلف بالله عَزَّ وَجَلَّ على سبيل الكذب هذا نعوذ بالله من كبائر الذنوب، وروى ابن مسعود نفسه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يدل على أن من حلف بغير الله عَزَّ وَجَلَّ على يمين كاذبة فإنه يلقى الله عَزَّ وَجَلَّ على حال يكون قد غضب الله تعالى عليه فيها وسميت هذه اليمين باليمين الغموس قالوا: لأنها تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار، فهي من كبائر الذنوب، ومع ذلك يقول ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذبًا أي: فأقع في كبيرة أحب إلي أي: لو خيرت من أحلف بغيره صادقًا، الحلف بالله كاذبًا جمع أمرين أنه حلف بالله فلم يحلف بغيره فلم يقع في الشرك لكن وقع في كبيرة قبيحة وهي أنه حلف باسم الله العظيم على أمر هو فيه كاذب فصار فعله فعل أهل الكبائر والذنوب، أما حلف بغير الله صادقًا فقد جمع أمرين اثنين. الأمر الأول: أنه وقع في الشرك بحلفه بغير الله أيًا كان المحلوف به، لكنه حلف بغير الله وهو صادق، فجمع مع شركه الصدق في الحلف، ومع ذلك ففعله أقبح من فعل من حلف بالله كاذبًا؛ وذلك أن جنس الشرك أقبح من جنس الكبائر، أعظم الذنوب على الإطلاق الشرك الأكبر يليه الأصغر؛ لأن الشرك الأصغر في الجملة أكبر وأقبح وأفحش من الكبائر؛ ولهٰذا قال ابن مسعود هذا الكلام: لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقًا.

۞ **قال المؤلف:** «وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان؛ ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**»».

وهذا يدل على أن ثم مقصودة شرعًا لما قلنا من أن ثم تفيد التراخي؛ ولهٰذا في حديث قتيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فمن قال ما شاء الله فليفصل بينهما ثم شئت**» فنص على الفصل؛ لأن ثم تقتضي الفصل بين ما قبلها وما بعدها أما الواو قلنا أنها تفيد الاشتراك، وعلى هذا يصح أن يقال ما شاء الله ثم شاء فلان، ولا يصح أن يقال ما شاء الله وشاء فلان.

❁ **قال المؤلف:** «وعن إبراهيم النخعي».

وهو من التابعين رضي الله عنه ومن أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه أنه يَكرهُ أن يقول الكراهة في عرف السلف كثيرًا ما تطلق على المحرم، وهكذا في النصوص الشرعية كثيرًا ما تطلق الكراهة ويراد بها التحريم وليس المراد بها الكراهة التي اصطلح عليها المتأخرون من أنها ما يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله، ولهٰذا لما ذكر الله تعالى في سورة الإسراء عدد من العظائم والموبقات بدأها بالشرك وقتل الولد وقتل النفس والزنا وأكل مال اليتيم وغيرها من الأمور العظيمة قال: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ٣٨﴾ [الإسراء: ٣٨] الكراهة هنا ليست كراهة المتأخرين التي اصطلحوا عليها بأنها ما يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله بل كراهة التحريم؛ لأنها يعاقب فاعلها وهذا مراد النخعي هنا، أنه كان يكره أي كراهة تحريم أن يقول: أعوذ بالله وبك، لأنه ساوى بين الله تعالى وبين العبد بحرف الواو، وَيُجَوِّز أن يقول: بالله ثم بك؛ لأنه فصل بينهما بحرف ثم، ويقول: لولا الله ثم فلان، أي: يجوز، ولا تقولوا: لولا الله وفلان.

❁ **قال المؤلف: «باب ما جاء في من لم يقنع بالحلف بالله.** عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حُلِفَ له بالله فليرضى، ومن لم يرضى فليس من الله**». رواه ابن ماجه بسند حسن».

❁ **قال المؤلف:** «باب ما جاء في من لم يقنع بالحلف بالله».

الحلف بالله أمر عظيم جدًا، واسم الله عَزَّ وَجَلَّ إذا حلف به يراد به تعظيم الأمر وتغليظه والتشديد فيه، فلما كان كذلك كان الواجب على الحالف أن يصدق وأن يتقي الله عَزَّ وَجَلَّ أن يستعمل اليمين في أمر يكذب فيه نسأل الله العافية والسلامة فإن هذا كما تقدم من كبائر الذنوب فيقع في اليمين الغموس التي قلنا أنها تغمس صاحبها في جهنم، فوجه الكلام إليه بأن يصدق.

❁ **قال المؤلف:** «**من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرضى**».

إذا حلف لك أخوك المسلم على أمر حتى لو كنت مترددًا أو مستغربًا فقال: والله إن هذا ما وقع عليك أن ترضى، تعظيمًا لاسم الله عَزَّ وَجَلَّ، وتحسن بأخيك الظن أنه لا يمكن ولا أو لا يظن بالمسلم الصادق أن يحلف بالله كاذبًا؛ لأن الحلف بالله كاذبًا من شنائع الأمور أن يستعمل اسم الله العظيم في أمر هو فيه كاذب.

❁ **قال المؤلف:** «ومن حلف له بالله فليرضى ومن لم يرضى فليس من الله».

وهذا وعيد شديد أنه إذا لم يرضى بالحلف فإنه يتعرض لهٰذا الوعيد، إذا لم يرضى بالحلف بالله عَزَّوَجَلَّ فإنه يتعرض لهٰذا الوعيد أنه ليس من الله، و هذه العبارة ليس من الله شديدة بلا شك، كما ذكرها الله تعالى في القرآن العظيم في الأمور السيئة جدًا، فعبارة ليس من الله شديد أمرها فلهٰذا ينبغي على العبد أن يلاحظ هذا الأمر أول الحديث: لا تحلفوا بآبائكم؛ لأن العرب كانت تحلف بالمعظم فكانوا يحلفون بالكعبة وبالآباء ونحو ذلك، فنهاهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك، وبين أن هذا من الشرك كما تقدم، ومن حلف بالله فليصدق، ولا يكذب حتى لو ضره الحلف بالله، قد يضرك الصدق مثلًا في أمر ويقال أنت الآن اعترفت بكذا وكذا، نعم هذا وقع مني ولم أحلف بالله إلا صادقًا، يحمدك الله العاقبة، لتعظيمك اسم الله تعالى، وإن كان بإمكانك أن لا تحلف فإنك تقول هذا الأمر وقع مني ولا حاجة إلى أن أحلف أنا أعترف بهٰذا الأمر هو فعلًا وقع، هذا الأمر وقع مني، فكونكم تطلبون مني أن أحلف الله عَزَّوَجَلَّ أعظم وأجل في قلبي من أحلف باسمه العظيم على أمر فيه كذب، فإذا حلفت عليه أن يصدق، وإذا حُلف للمسلم بالله من قبل أخيه المسلم فإن عليه أن يرضى، ولهٰذا في الأحكام في المحاكم تحسم الأمور باليمين إذا لم يكن عند المدعي عليه بينة، فإذا ادعيت دعوى فإن أول ما يطلب منك أن تقيم البينة عليه فإذا قلت لا بينة عندي يلتفت إلى المدعى عليه يقال هذا الآن يدعي عليك دعوى وليس عنده بينه فهو من حيث الحجة انتهت حجته، أتحلف؟ فإن كان يتقي الله تعالى ويعلم عظمة المقام بين يديه عَزَّوَجَلَّ والأمر كما ادعى المدعي فعلًا يقول: صدق ولا أحلف كاذبًا، نعم ما ادعاه ما يحتاج أن يأتي ببينة أنا أقر؛ لكن كوني أحلف لا والله لا أحلف على كذب، فإن حلف نسأل الله العافية على كذب فإنه يقع في كبيرة الحلف بالله تعالى كاذبًا وهي اليمين الغموس.

الحاصل أنه يجب أن يعظم هذا الاسم العظيم اسم الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يستسهل أمر الحلف به تعالى، قد قال تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ [المائدة: ٨٩] الأصل أن الإنسان يحفظ يمينه فإذا حلف فإنه لا يحلف إلا صادقًا، وإذا حلف لك بالله عَزَّوَجَلَّ فإنك ترضى.

۞ **قال المؤلف: «باب قول ما شاء الله وشئت.** عن قتيلة أن يهوديًا أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء ثم شئت». رواه النسائي وصححه.

وله أيضًا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما شاء الله وشئت، فقال: «**أجعلتني لله ندًا ما شاء الله وحده**».

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد فلما أصبحتُ أخبرتُ بها من أخبرت، ثم أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرته. قال: «**هل أخبرت بها أحدًا؟**» قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أما بعد؛ فإن طفيلًا رأى رؤيا، أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها. فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد؛ ولكن قولوا: ما شاء الله وحده**».

قتيلة صحابية من الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها بنت صيفي أنصارية، أغلب ظني أنها جهنية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها، روت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتاه يهودي من أحبار اليهود فقال: إنكم تشركون، بلفظ تنددون أي: تجعلوا لله ندًا تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، يني في حلفكم، لا شك أن عند أهل الكتاب بقايا من الحق، وهذا الذي قاله من الحق الذي بقي عندهم، والحق الذي يأتي به أي إنسان من كتابي أو غيره يقبل ولا يرد الحق؛ لأجل أن الذي قال به ليس بمسلم أو فاسق أو مبتدع، هذا لا يمكن أن يكون منهجًا صوابًا؛ لأنك في هذه الحالة ترد الحق، فالحق يقيل من أي أحد قاله، فلما قال هذا اليهودي كلمة الحق قال: إنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت أي: ما تجعلونها بصيغة ثم بل تجعلون التسوية وتحلفون فتحلفون بالكعبة، فأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، فيكون الحلف بالرب سبحانه لا بالكعبة، وإذا أرادوا أن يذكروا أمر المشيئة أن يقولوا: ما شاء ثم شئت». وهذا يدل كما قلنا على قبول الحق ممن قاله وأن المسلم يجتنب الألفاظ التي فيها هذا الإشكال على التوجيه النبوي.

حديث عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلًا قال للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: ما شاء الله وشئت، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**أجعلتني لله ندًا ما شاء الله وحده**» تقدم أن المراتب على ما ذكرنا:

❍**المرتبة الأولى**: إفراد الله بالمشيئة ما شاء الله، أو لولا الله.

❍**المرتبة الثانية**: استخدام ثم فاصلًا بين مشيئة الله ومشيئة العبد ما شاء الله ثم شئت، المرتبة الأولى مرتبة كمال، والمرتبة الثانية مرتبة جواز.

❍**المرتبة الثالثة**: أن يقول ما شاء الله وشئت فهذه هي التي فيها الشك والتنديد.

❍**المرتبة الرابعة**: أن ينسى مشيئة الله بالكلية فيقول: ما شاء فلان أو لا فلان وهي أسوأ كما قلنا.

فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من حرصه العظيم على التوحيد واهتمام البالغ به لما قال هذا الصحابي كلمة يريد بها مدح النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فقال: ما شاء الله وشئت قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: جعلت لله ندًا قل ما شاء الله وحده فأمره عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يفرد الله بالمشيئة، لأنه جمع بين مشيئة الله ومشيئة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بالواو، وفي هذا الاهتمام الكبير منه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالتوحيد.

والأمر الآخر أن من أظهر المنكر وسمع فإنه لا إشكال في الرد عليه بخلاف ما لو كان الإنسان يقع منه خطأ في خاصة نفسه فيمكن أن يكون الكلام بينك وبينه، أما إذا أفشى هذا الأمر وأظهره ولا سيما إذا كان أمرًا كبيرًا يتعلق بالعقيدة ونحوها فإنه لا بُدَّ أن يبين الحق، نعم إن أمكن أن يقال له يا فلان أنت قلت كذا وكذا وهو خطأ وكتبته ونشرته فهذا الكلام الذي وقع منك باطل كما تعلم، اكتب في نقضه أنت ما تبرأ به ذمتك هذا أمر طيب، إذا أمكن ولا سيما إذا كان من أهل العلم والفضل وزل فإنه يقال له أنت رجل من أهل العلم وأخطأت هذا الخطأ وأنسب طريق لتنبيه الناس على خطئك وتكفير سيئة ما وقع منك أن تعود بالتخطئة لنفسك، فإذا حصل هذا فهذا هو الكمال فيقول: إني وقع مني في كتابي أو في مقالة أو في خطبة أو في كذا أني قلت كذا وكذا وأنا أستغفر الله منه هذا الذي وقع مني خطأ وأنا أبرأ إلى الله منه والصواب كذا وكذا، فإذا حصل هذا فالحمد لله، أما إذا قال لا، وأنت من أهل العلم وتعلم أن هذا الذي قاله خطأ فأنت بين أمرين أن تجامله وتسكت فينتشر الباطل باسم رجل من أهل العلم.

❍ **الأمر الثاني**: أن تبين الخطأ وتحفظ له مكانته لا يعني أن تبين خطأه أن تنهال عليه بالشتائم والسب، إذا كان رجلًا من أهل العلم والفضل والسنة؛ لأنه يقال له إما أن تبرئ ذمتك أنت مما وقع منك

وضل به الناس بسببك وإما أن نبرئ ذممنا منك أنت، فأما إن سكتنا شاركناك في المنكر وإذا سكتنا قال الناس تكلم فلان هذا من أهل العلم وأقره عليه إخوانه من أهل العلم، فنصير شركاء لك، فأنت الآن ينبغي أن تنبه الناس لتبرئ ذمتك أنت، ولأن إذا سكتنا سنشترك معك في الباطل، فإذا أبى أو ادعى أن الأمر فيه سعة أو أن له وجهة فإنه يبين الحق ولا يكترث بكونه من أهل العلم والفضل والمكانة ويحفظ له مكانته يقال: لقد تكلم أي: رجل فاضل ولا بأس بتحديده متى؟ إذا أفشاه وأظهره وكتبه في كتاب وانتشر؛ لأن في تحديده في هذه الحالة تبيين، لأنه يقال إن فلانًا يقال إن رجلًا قال كذا وكذا، الحقيقة أنه قيل له عد عما قلت فأبى فلا بُدَّ أن يبين، ولا مانع من أن يقال كتب فضيلة الشيخ فلان كتابة حول موضوع كذا وهي كتابة جيدة وحسنة ونبه فيها على جملة من الأمور الطيبة أجزل الله له فيها المثوبة؛ لكن هو أخطأ في قوله كذا وكذا وما صار إليه في هذه المسألة على خلاف الحق ودل على خلاف قوله النصوص الآتية وأقوال أهل العلم ويبين هذا الأمر، ولا حاجة لحملات عليه ولا حاجة لشيء من التنفير منه ما دام خطأ من الأخطاء التي يمكن أن يقع فيها العالم وطالب العلم.

أما لو كان خطأه والعياذ بالله خطأ فاحشًا كأن يتبنى مقولة للرافضة في سب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم أو أن يتبنى مقولة الجهمية في إنكار الصفات ونحو ذلك فهذا خرج عن السنة؛ لكن المقصود إذا كان الرجل من أهل العلم والفضل والسنة وزل بأمر وأبى أن يعود عنه فإنه لا يجامل في الحق، وإنما يقال هذا الكلام غير صحيح إذا كان أفشاه وأظهره وكتبه وانتشر؛ لأنك لو قلت ما ينبغي أن يرد عليه يقال: ما الذي يبين للناس؟ لو سئلت عن هذا الرجل من أهل العلم لقلت هذا رجل من أهل العلم والفضل ويستحق أن يتعلم عليه وتوجه الناس إليه، فالناس متجهة إليه فيقال هذه المسألة عنده هو فيها أخطأ، وقد وجهناه وطلبنا منه أن يعود عنها فأبى، فلا مندوحة في هذه الحالة وليس أمامنا إلا أن ننبه ولا نجامل في الحق أحدًا. فلأجل ذلك قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الكلام له على الملأ، وإلا كيف رواه الراوي، لو أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال انتظرني يا فلان سأكلمك فيما بيني وبينك لما علم ماذا قال له، لكنه مباشرة رد عليه وهذا يدل على أن الخطأ في العقيدة شديد مع أنه في الأقوال، الخطأ في العقيدة أمره شديد فلن يصبر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع أن من هديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدم التعيين فكان يقول ما بال رجال ما بال أقوام هذا هديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما أظهر هكذا وسمعها الناس فلو سكت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربما ظن الناس أن هذا مما يسوغ فلهٰذا واجهه مباشرة بالإنكار، وأمره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في هذا الموطن أن يقول ما شاء الله

وحده ولم يقل ما شاء الله ثم شئت، إذ قال ما شاء الله وشئت فوجهه إلى الكمال وهو ما شاء الله وحده.

الطفيل بن صخبة رضي الله عنه رأى رؤية، والرؤيا جزء من أجزاء النبوة، فإذا رآها الرائي وأقرها النبي صلى الله عليه وسلم ففي هذه الحالة فإنها تدخل في حد التقرير سنة تقريرية، أما إذا كانت مجرد رؤيا فتحتمل أن تكون رؤيا من الله ورؤيا من الشيطان وهي الحلم، ورؤيا مما يحدث به المرء نفسه، هذا التقسيم الذي قسمه النبي صلى الله عليه وسلم؛ لكن إذا أقر النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا كالأذان، الأذان هو رؤيا رآها عبد الله بن زيد رضي الله عنه وابن أم مكتوم ورآها أيضًا عمر رضي الله عنه فأقر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الرؤية فلذلك يؤذن بناء على الرؤيا أو على الإقرار النبوي، فلما أقر النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا تلك صارت هذه الشعيرة العظيمة شعيرة الأذن وانتشرت في المسلمين.

۞ **قال المؤلف:** «رأى الرؤيا أنه أتى على نفر من اليهود».

اليهود ليسوا كالوثنيين؛ لهٰذا قال: «**إنكم لأنتم القوم**»، لستم مثل غيركم من الوثنيين عباد الأوثان وأيضًا عندهم شيء من العلم ليسوا كالأميين الجهلة.

۞ **قال المؤلف:** «لولا أنكم تقولون: عزير بن الله».

أي: وهذا شرك، «قالوا: وإنكم أنتم القوم أيضًا» يا معاشر المسلمين باعتبار أنكم أيضًا لستم وثنيين وباعتبار أن الله بعث لكم رسولًا وأنزل عليكم كتابًا لولا أنكم تقولون: «ما شاء الله وشاء محمد»، يقول: فإن كنت تعتب علينا أننا نقول عزير بن الله فعندكم أيضًا أنتم غلط وهو تسويتكم في المشيئة بين الله وبين رسول صلى الله عليه وسلم.

۞ **قال المؤلف:** «قال: ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله».

وهذا كفر، هذا مراده أي: هذه كلمة كفرية عظيمة.

۞ **قال المؤلف:** « قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد».

نفس الكلام فلما أصبح حدث بها من حدث رضي الله عنه ثم أخبر بها النبي عليه الصلاة والسلام فحمد النبي صلى الله عليه وسلم الله تعالى وأثنى عليه وهذا المشروع في بداية الخطب أن لا يبدأ بموضوع الخطبة حتى

يحمد الله تعالى ويثنى عليه، ثم قال: «**وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها**» جاء في بعض الروايات: «**كان يمنعني الحياء أن أنهاكم عنها**» أي: كأنه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما لم يكن عنده نص صريح بالمنع كأنه استحى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أن يمنعهم منها، فلما وقعت هذه الرؤيا كان في هذا تنبيه إلى أن هذه الكلمة لا تسيغ ولا تصح، «**وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد؛ ولكن قولوا: ما شاء الله وحده**» هنا أيضًا وجههم إلى أن يقولوا ما شاء الله وحده كما قلنا وهو الكمال، وتقدم في حديث قتيلة أنه يصح أن يقولوا ما شاء الله ثم شئت.

۞ **قال المؤلف: «باب من سب الدهر فقد آذى الله.** وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ الآية [الجاثية: ٢٤].

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يُسبُّ الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار**». وفي رواية: «**لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر**».

۞ **قال المؤلف:** «باب من سب الدهر فقد آذى الله».

الدهر: هو الزمان، الزمان: الليل والنهار يقع فيها من أقدار الله تعالى ما شاء سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فيقع فيه الحلو والمر والخير والشر والمحبوب والمكروه تقع في الليل والنهار، الذي قدرها هو الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فكان من شأن العرب ذم الدهر أي أنهم يسبونه حين ينزل بهم ما لا يحبون من الأمور، فعندما تأتيهم الشدائد وتأتيهم النكبات نحوها فإنهم يسبون الدهر.

○والدهر ما هو؟!

زمان ليل ونهار، يوقع الله في من أقداره ما شاء، فيكون مرجع السب في الحقيقة لله، فالذي قدره ليس الليل أو النهار وإنما الذي قدر في الليل والنهار هذه الأمور هو الله رب العالمين، فيكون السب في حقيقته راجعًا والعياذ بالله إلى الله؛ ولهذا ذكروا أن العرب في الجاهلية كان من شأنهم عند الشدة والبلاء سب الدهر يا خيبة الدهر ويكثر هذا في أشعارهم، فيقول أحدهم:

يا دهر ويحك ما أبقيت لي ولدًا   فأنت والد سوء تأكل الولد

أي: أنه مات أولاده فصار يسب الدهر، من الذي أماتهم؟ المميت سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ هو الذي يحيي ويميت، أما الدهر فقدر الله تعالى في تلك الساعة من الدهر أن يموت فلان، وليس الذي أماته هو الدهر بل

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي أماته، إذًا لما كان من شأن العرب في الجاهلية إذا أصابتهم الشدائد والنكبات أن يقولوا يا خيبة الدهر وأن ينسبوا هذه الأفعال إلى الدهر ويسبونه والفاعل لها هو الله عَزَّوَجَلَّ رجع في الحقيقة سبهم إلى الله نعوذ بالله من ذلك، ومن هنا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ﴾ [الجاثية: ٢٤] أي: في كلامهم هذا القبيح أنه ما هنالك إلا هذه الدار الدنيا يموت قوم ويعيش آخرون وليس هناك معاد وليس هناك بعث، هذا كانت تقوله يقوله مشرك العرب، الفلاسفة قبحهم الله ينكرون البدأة والرجعة نسأل الله العافية والسلامة، ومنهم من ينكر الرب بالكلية نسأل الله السلامة والعافية ويزعمون أن هذا الكون يعود وفق سنين معينة يدعونها وأنه يعود عودًا معتادًا وأن لا رب أصلًا هناك وإنما هو دهر أرحام تدفع وأرض تبلع نسأل الله العافية والسلامة من مقالة أهل الكفر سواء من الوثنيين أو من الفلاسفة، وليعلم أن الفلسفة التي فتن بها من فتن إذا عرفها الإنسان عرف أنها من أعظم أنواع الكفر وأقبحه وأشده، فالفلسفة التي يتغنى بها كثيرون ولا يدرون ما معناها وينقلون كلام الفلاسفة ويسمونهم الحكماء لا يدرون أن الفلسفة حقيقتها أن لا إيمان بالله، ولا بوحي ولا بملائكة ولا أنبياء ولا بيوم آخر من بعث أو جنة أو نار، لا يدرون بهٰذا كثير من الناس، لهٰذا ينقلون عن هؤلاء الملاحدة من الفلاسفة وهم لا يدرون.

بعضهم يقول الفلاسفة المسلمون ويجمع الكلام المتناقض؛ لأنه إذا كان فيلسوفًا يعي ويفهم الفلسفة على الطريقة التي عليها اليونان أنها كفر محض، واليونان الذين فتن الناس بفلسفتهم أمة وثنية كغيرها من الأمم الوثنية الجاهلية عندهم مجموعة من الأوثان كما عند غيرهم من الأمم الوثنية من العرب قبل الإسلام وغيرهم، أمة وثنية محضة يرجعون إلى أهل الشمس وأهل الخمر وإلى أهل الحب ونحو هذه الأمور الوثنية الدالة على ثخافة ما عندهم وكان سقراط الذي يعظم كان أحد السحرة كما ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ساحر عند أحد ملوكهم، فالمقولة هذه سواء قالها العرب أو قالتها زنادقة الفلاسفة العرب قبل الإسلام المقصود من لا يقر بالدهر، العرب يقرون بالله بلا شك؛ وأنه هو الخالق وهو الذي بدأ، ولكنهم يأبون الإيمان بالعبث، أما هؤلاء فزنادقة لا يقرون بالرب أصلًا. قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ مجرد ظنون وتخرصات.

ثم ذكر عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الحديث القدسي: «**قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم**» هذه أذية لا تضر الله؛ لأن الله تعالى وإن آذاه العبد المقالة القبيحة والسيئة لكن الله تعالى لا يمكن أن تضره معصية

العاصي، كما في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنكم لم تبلغوا تضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**» فلا يمكن أن يضر الله؛ لكن أن يؤذى بالقول السيئ وبالفعل السيئ لا شك أن الله تعالى لا يرضى هذا لعباده ويؤذيه هذا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، «**يُسبُّ الدهر، وأنا الدهر**» قوله تعالى وأنا الدهر ليس معناه أن الله هو الزمن نفسه؛ لأن الله هو الذي خلق الليل والنهار فكيف يكون الليل والنهار هو الله؟ ليس هذا هو المقصود وإنما يبين ذلك اللفظ الآخر بقية الحديث: «**وأنا الدهر أقلب الليل والنهار**» أي: أن هذا الدهر الذي تسبونه أنا الذي أصرفه وأقلب الأمور فيه فيكون سبه واقعًا على من صرف الأمور فيه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن ما يقول أهل الجهل والجاهلية، وفي اللفظ الآخر: «**لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر**» تبين تقدم معنا قوله فإن الله هو الدهر وفيه دلالة على عدم جواز إطلاق هذه العبارات بسب الليل والنهار والعياذ بالله عبارات الناس لعن الله الساعة الفلانية ولعن الله اليوم الذي عرفت فيه فلان، اسأل الله العافية مقولات خطيرة جدًا قبيحة، وهي كلها داخلة في هٰذا، واعلم أن سب الدهر لا يكاد يسلم منه الشعراء يندر أن تسمع شاعرًا لا يسب الدهر وهذا من كونهم يقولون ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝٢٢٥﴾ [الشعراء] يندر إلا إذا كان شاعرًا من أهل العلم والبصيرة، وإلا فالعادة فإنه في الشعر العامي أو في ا لشعر الفصيح تجد سب الدهر وإسناد الأمور إلى غير الله، سب الدهر حوى أمرين اثنين قبيحين:

○**الأمر الأول**: أنه أسند الأمر لغير الله فإذا وقع ما وقع من مصيبة قال لعن الله هذا اليوم، لماذا تلعن هذا اليوم؟ قال: لأنه هذا اليوم هو الذي حصل منه النكد وحصل منه كذا، والواقع أن الذي قدر هذا هو الله، ففي سب الدهر و هذه مسألة ينبغي أن يتفطن لها ففي سب الدهر إسناد للفعل الذي فعله الله لغيره، و هذه قبيحة من القبائح.

○**الأمر الثاني**: هو الذي ذكرناه الآن أن فيه تسخطًا على القدر لكن بدلًا من أن يقول أنا ساخط على ربي يذم الدهر الذي وقع فيه أو الساعة أو اليوم أو الليلة التي وقع فيها ما وقع فيعود سبه والعياذ بالله على من قدره سبحان الله وتعالى عما يقولون، والواجب على العبد أن يتقي الله تعالى وأن يترك عنه هذه الألفاظ القبيحة من لعن الدهر ولعن الساعة وأنها ساعة نحس حين عرفت فلانًا واليوم اللي عرفت فيه فلانًا، كلهذه الألفاظ أو الزمن أو الدهر أيًا كان التعبير يجب أن يتقى الله وأن تترك هذه الألفاظ بالكلية.

❁ **قال المؤلف: «باب قول الله تعالى: في التسمي بقاضي القضاة ونحوه.** في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله**»، قال سفيان: مثل شاهان شاه، وفي رواية: «**أغيظُ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه**» قوله: أخنع يعني: أوضع».

المؤلف رحمة الله تعالى عليه: بوب بهٰذا التبويب واستدل عليه بحديث ليس فيه هذا النص، وهو كلمة قاضي القضاة، الذي جاء فيه النص هو ملك الملوك أو ملك الأملاك، هذا أخنع أي: أذل اسم عند الله عَزَّوَجَلَّ من تسمى بهٰذا الاسم الذي لا يليق أن يتسمى به بشر، أن يسمى البشر بالملك لا بأس، معلوم أن هذا يجوز؛ لأنه ملك في بقعة في وقت وغيره يملك كما أنه هو يملك؛ لكن إذا سمى نفسه بملك الملوك أو ملك الأملاك أي: أنه يملك هؤلاء الملوك جميعًا وهذا باطل ولا يصح أن يطلق على بشر كائن من كان، حتى لو اشتد ملكه فإنه لا يقال هذا الكلام؛ لأن الذي يملك الملوك هو رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا يحل مثل هذه الإطلاقات التي تدل على عموم الملك وعموم القضاء؛ لأن عموم القضاء ليس إلا لله وحده؛ لكن قاضي نعم، ملك نعم؛ لكن قاضي القضاة قاضي القضاة الذي يقاضيهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومردهم إليه هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهكذا الملوك الذي يملكهم عَزَّوَجَلَّ هو فإذا قال أحد أنا أملك الملوك أو أنا القاضي على القضاة فقد ادعى هذه الدعوى العظيمة؛ ولهٰذا أخنع أذل اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله، الملك الحقيقي لله عَزَّوَجَلَّ.

قال سفيان: مثل شاهان شاه، شاهان شاه عند الفرس معناها ملك الملوك فسواء قيلت بالعربية أو بالعجمية، في الرواية الأخرى قال: «**أغيظُ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه**» نسأل الله العافية والسلامة أي: من تسمى بهٰذا الاسم ملك الملوك، الغيظ نسأل الله العافية لا شك أن الغيظ من صفات الله تعالى وإذا اغتاظ الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على العبد فالويل له ثم الويل له نسأل الله العافية والسلامة، وذلك أن هذا العبد الضعيف الذليل زعم أنه في مقام لا يكون إلا لله رب العالمين، فلهٰذا يغتاظ الرب عَزَّوَجَلَّ منه غيظًا عظيمًا؛ ولهٰذا قال إنه أخبث رجل وأغيظ رجل، وهذا التسمي بهٰذا الاسم يدل على الكبر والغطرسة وقد جاء أن المتكبرين يحشرون يوم القيامة نسأل الله العافية والسلامة أمثال الذر، الذر النمل الصغير هذا والموقف فيه هذا الجمع الهائل من البشر يطأهم الناس بأقدامهم ليذوقوا ذل ما كانوا يعملون من تكبرهم في الدنيا.

ومن عجيب ما وقع أن الدولة الرافضية دولة بني بويث وهي دولة رافضية استولت على بغداد فترة

من الزمن وكان بنو العباس لهم معهم مجرد الاسم آخر ملك من ملوكهم تسمى بملك الملوك ثم سبحان الله سقطت هذه الدولة بعدها، بعد أن تسمى بملك الملوك وأمر الخطباء أن يدعو له في الخطبة بدلًا من أن يقولوا الملك أو الأمير أو غيره أن يسموه بملك الملوك، فسقطت دولتهم بعدها، ومن عجب ما ذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن شيخه ابن الجماعة ذكر أنه رأى أباه في المنام فسأله عن حاله قال: ما وجدت شيئًا أشد علي من هذا الاسم وهو اسم قاضي القضاة، أي: أن تسميه بقاضي القضاة وجد أنه قد شدد عليه الأمر فيه، حيث تسمى باسم لا يجوز أن يتسمى به القاضي، فعندنا أمير الأمراء وقاضي القضاة وملك الملوك هذه كلها تدل على نوع عموم، في القضاء في الملك والتصرف فهذا كله لا يجوز، وعند قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٤٥﴾ [المؤمنون] أحكم الحاكمين رب العالمين سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، هناك حكام حاكمون؛ لكن أحكم الحاكمين ملك الملوك قاضي القضاة لا يصح أن تطلق على البشر؛ لأن الذي يحكم الحكام ويملك الملوك ويقضي على القضاة هو الله رب العالمين فكلهذه الأسماء التي ترفع العبد وهو الذليل المحتاج إلى ربه وتعطيه مثل هذه الأسماء التي لا يستحقها العباد فإنها تكون بهذه المثابة من التحريم وفيها ما فيها من الشر والفساد.

۞ **قال المؤلف: «باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك.** عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال له النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إن الله هو الحكم وإليه الحكم**» فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيءٍ أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين، فقال: «**ما أحسن هٰذا؟ فمالك من الولد؟**» قلت: شريح ومسلم وعبد الله، قال: «**فمن أكبرهم؟**» قلت: شريح، قال: «**فأنت أبو شريح**» رواه أبو داود وغيره».

يجب احترام أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وأن لا تطلق هذه الأسماء على أحد، ولا سيما الأسماء التي يختص بها؛ لأن أسماء الله منها أسماء يختص بها الرب، لا يجوز أن تطلق بتاتًا على أحد مثل الرَّحمٰن، مثل رب العالمين، لا يجوز أن تطلق على أحد؛ لكن ما يشترك العبد فيه مع الرب عَزَّوَجَلَّ في مجرد التسمية يسمى العبد بهذه التسمية بحسب ذله وافتقاره وفنائه، مثل اسم الملك ومثل اسم رؤوف رحيم قال الله تعالى في نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝١٢٨﴾ [التوبة] أطلقها على عبد وهكذا كونه عليم أيضًا سمى الله تعالى إسحاق بأنه عليم سماه بالعليم، وسمى إسماعيل على أنبياء الله جميعًا الصلاة والسلام بالحليم، فمثل هذه التي يصح أن تطلق على الله وعلى العبد تطلق على الله باعتبار العظمة والكمال الذي يليق بأسمائه، وتطلق على العبد باعتبار ضعفه وفنائه وافتقاره، نعم لا بأس؛ لكن ما اختص الله تعالى به

فإنه يجب أن يحترم وأن لا يطلق على العبد، ومن ذلك ما ذكرناه من هذه الأسماء مثل الله نسأل الله العافية لا يحل أن يطلق على أحد من المخلوقين، مثل الرَّحمٰن فإنه خاص بالله عَزَّوَجَلَّ، مثل رب العالمين ونحو ذلك من الأسماء التي تختص به.

○هل اسم الحكم خاص بالله أو يجوز أن يطلق على غيره؟!

من أهل العلم من قال إنه يجوز على غيره بدليل أن في أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عددًا ممن أسمائهم الحكم، قالوا: وما غيره النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقالوا: إن الحكم إذا أطلق على أحد فإنه يطلق عليه باعتبار أيضًا، مثل ما نطلق على الملك أنه ملك باعتبار أنه عبد من عباد الله، وهكذا الحكم نطلق عليه أنه حكم باعتبار أنه عبد من عباد الله عَزَّوَجَلَّ، من أهل العلم عمل بالحديث، قال: الحديث دليل على أن الحكم لا يطلق إلا على الله بدليل قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأبي شريح: «**إن الله هو الحكم وإليه الحكم**» وغير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسم أبي شريح من هذا الاسم؛ لأن هذا الاسم لا يصلح أن يطلق على غير الله.

سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو شريح لما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إن الله هو الحكم وإليه الحكم**» قال أبو شريح: إن قومي إذا اختلفوا في شيءٍ أي: أنه يرجع إليه كأن له مكانة ومنزلة عند قومه فيحكم بينهم فيرضى الطرفان، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أحسن هٰذا؟**» **أي**: **هذا** الفعل منك حسن، الشيء الذي فيه إصلاح بين الناس وإطفاء للفتن الثائرة لا شك أنه أمر مستحسن، ثم قال: «**فمالك من الولد؟**» قال: شريح ومسلم وعبد الله، قال: «**فمن أكبرهم؟**» قلت: شريح، قال: «**فأنت أبو شريح**» فكناه باسم أكبر أولاده، الكنية أو أنه يكنى هو ما صدر بأب أو أم الكنية إذا قيل أبو فلان أم فلان هذه تسمى كنية أي: كني بهذه الكنية أبو فلان أم فلان.

من أهل العلم كما قلنا من قال: إن الحديث أي: كأنه قال إن الحديث لا يثبت وبالتالي يبقى الاسم هذا على الجواز، ولا سيما وعدد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لهم هذه الأسماء، وآخرون قلنا من أهل العلم ومنهم الشيخ محمد كما ترى هنا اختار هذا وأن هذا مما يغير إذا وجد في الناس وأنه خاص بالله، والقول بأن في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من اسمه الحكم صحيح؛ لكن أتذكر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير اسم أحد أصحابه من الحكم إلى عبد الله، فإن صح الحديث كان مقويًا للقول بمنع إطلاق اسم الحكم، وبالتالي يكون القول بأنه وجد في الصحابة اسم الحكم ولم يغيره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقابله أنه ثبت أن النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير اسم أحدهم من الحكم إلى عبد الله، وإذا غير اسم واحد فليس معناه أن البقية يبقون على أسمائهم، وإن كان الاسم في الحقيقة قد يغلب لكن إن ثبت الحديث هذا ولا أتذكر الآن سنده؛ لكن إن ثبت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير اسم الصحابي الحكم إلى عبد الله تقوى جدًا حجة من قال: إن هذا الاسم لا يجوز أن يطلق إلا على الله، وأن قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله هو الحكم» اسم من أسمائه تعالى، وإليه الحكم أي: الحكم لله عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠] والحكم لله عَزَّ وَجَلَّ شرعًا وقدرًا فالحكم له وحده لا سواه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فعلى كل حال ينبغي الابتعاد عن هذا الاسم، والسلامة من أي: الإشكال الوارد فيه، ولا سيما مع وجود هذا الخلاف فيه من قبل أهل العلم والحمد لله الأسماء كثيرة.

في الحديث أنه يكنى الإنسان باسم أكبر أولاده فيقال إذا كان عنده مجموعة من الأولاد مثل زيد وهو كبير وسعد وعمر وعلي يقال هو أبو زيد هذا بناء على قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**فمن أكبرهم**» قلت: شريح، قال: «**فأنت أبو شريح**».

❁ **قال المؤلف: «باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول**، وقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ الآية [التوبة:٦٥].

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -دخل حديث بعضهم في بعض- أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنًا ولا أجبن عند اللقاء، أي: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه القراء، فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذهب عوف إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق، قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كأني أنظر إليه متعلقًا بنِسعة ناقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن الحجارة تنكب رجليه وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون**» ما يلتفت إليه وما يزيده عليه».

❁ **قال المؤلف**: «باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

أي: فقد كفر هذا المعنى، هو الآن هذا قوله من هزل أي: استخف واستهزأ بشيء فيه ذكر لله عَزَّ وَجَلَّ

أو القرآن الكريم أو الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه يكفر، وهل كفر أصغر أو أكبر؟ كفره أكبر؛ لأن الاستهزاء لا يقع إلا ممن تنقص الرب سبحانه أو نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو الإسلام، وهذا الأمر يحذر منه الشباب غاية التحذير فإنه من أكثر ما يشيع في الشباب، ولا سيما مع طلبهم الضحك وحرصهم على أن أي: يكون عند الواحد منهم شيء من الفكاهة يقال: احذر غاية الحذر أن تجعل دين الله عَزَّ وَجَلَّ محل ضحكك ولعبك.

○ **انتبه غاية الانتباه!!** لأن هذه الأمور العظام ليست محل المزاح، المزاح بقدره الشرعي بقدر ليس فيه سخرية بمسلم وليس فيه ألفاظ نابية وقبيحة لا يمنعك منه أحد على أن لا تبالغ فيه فتكون دائمًا ليلك ونهارك ما عندك جد أبدًا دائمًا فلان يهزا يهزأ ما ينبغي للعاقل.

لكن المزاح السليم طيب وحسن، وثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه ربما مازح بعض أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وقد يمازح الصحابة بعضهم بعضًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فما فيه إشكال، لا رهبانية في الإسلام، يقال تمزح وهذا غلط؛ لكن يقال المزح له منهج شرعي منضبط بحيث لا يتجاوز حدود الله فإن وصل إلى حد أن يسخر بالله عَزَّ وَجَلَّ أو بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بالقرآن العظيم أو بشعيرة من شعائر الله كالصلاة أو الحج فإن ذلك كفر يخرج به الهازل من دين الله عَزَّ وَجَلَّ، فعليه أن يتوب إلى الله توبة من يرجع إلى الدين من جديد، نسأل الله العافية والسلامة.

ولذلك عدها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النواقض عد في النواقض من سخر برب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أو القرآن أو بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو بشيء من الدين كأن يهزأ بالصلاة أو بغيرها، واعلم أن الاستهزاء له صور تارة يكون بالكلام وتارة يكون بالرسم مرسوم، وتارة يكون من هؤلاء السفلة من الممثلين وأضرابهم فيأتون إلى شعائر رب العالمين فيسخرون بها ويستهزئون بها، سواء كان في شك تمثيل في شكل رسوم في شكل كلام يتلقوا به، في شكل كتابة يكتبها شعر نثر أيًا كانت ما دام فيها استهزاء بالله أو بنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ فإن ذلك كفر فليحذر ذلك غاية الحذر.

بدأ بالآية: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ ﴾ [التوبة] هذه الآية بينها الحديث بعدها، أن رجلًا وهو عبد الله بن أبي عدو الله رأس المنافقين قال في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء يعنون النبي

صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأصحابه، أرغب بطونًا يعنون أنهم أهل أكل وشره وحب للطعام، وكذب عدو الله فإن النبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ كان من أقل الناس أكلًا وكان يأكل عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ الأكل الذي يكون فيه ما يقيم صلب الإنسان ولا يبالغ عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ في الأكل ولا يسرف؛ لكن من شأن المنافقين الكذب، وكان صلوات الله وسلامه عليه يمر عليه ثلاثة أهلة أي: يمر عليه شهران اثنان لم يوقد في بيته نار نهائيًا لم يطبخ شيء، يقول عروة لعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: فما كان يقيتكم؟ قالت: الأسودان التمر والماء، يأكلون تمرًا ويشربون ماء، فالقول بأن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بهٰذا الحال لا شك أنه من الكذب القبيح ومن البهتان البين، «أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنًا» أصدق الناس رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لكن لما كان المنافقين أكذب الناس اتهموا أصدق الناس بالكذب، «ولا أجبن عند اللقاء» يعنون أن هذه الخصال الثلاث الرغبة في الأكل وكذب الألسن والجبن والخوف عند الحروب موجودة في رسول الله وأصحابه، وهذا استخفاف مباشر بالنبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وهو من الكذب فكان رسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في المعارك أقرب الصحابة إلى العدو، وكان صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في غزوة حنين لما فر من فر من الصحابة ركب بغلته نحو العدو وقال: «**أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب**» قال أهل العلم: وهذا من الشجاعة منقطع النظير، جين يفر عدد من أتباعك ثم تقدم أنت وتعرف بنفسك وتقول أنا النبي لا كذب، قالوا: فلا يفعل هذا إلا أشجع الناس على الإطلاق؛ لأنه لم يقدم ويسكت ويقول لعلهم لا يعرفوني فقال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب؛ لكن المنافق من شأنه دائمًا الدجل والكذب، وهذا رأس ماله قبحهم الله.

«يقول الراوي» أي: رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ «وأصحابه القراء» كلمة القراء أي: أهل العلم، وهذا يدلك على أن السخرية بالصحابة وسب الصحابة مقرون بسب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، كما تفعله الرافضة، ولهٰذا قال مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وأرضاه: إنما سبوا أصحاب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لينالوا من رسول الله حتى يقال رجل سوء، ولو كان صالحًا لكان أصحابه صالحين، فلو كان رجلًا صالحًا هذا النبي لكان الصحابة الذين معه صالحين؛ لكن لما كان هؤلاء الصحابة غير صالحين كما تقول الرافضة قبحهم الله، قال: المراد الطعن فيمن رباهم وعلمهم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، لا شك أن هذا هو المقصود، فمقصد أعداء الله ممن يسبون الصحابة يقصدون بالأصالة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ. يقول عوف: كذبت، وهذا هو الواجب إذا قال أحد مثل هذه الكلمات القبيحة في حق الله أو رسوله أو الصحابة أو في دين الله يقال كذبت عدو الله هذا من الكلام الباطل والبهتان، قال: ولكنك منافق، وكذلك الحال؛ لأن هذا رأس المنافقين، «لأخبرن

رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، أي: بمقالتك هذه أي: المسألة لا يسأل عنها، «فذهب عوف إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه»، أي: نزل الوحي بالآية كعادة المنافقين ﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ﴾ [المائدة: ٩٤] هذه طريقة المنافقين يفعلون الأفاعيل القبيحة ويقولون الأقوال الخبيثة ثم يأتون يعتذرون ويحلفون فهذا وضع المنافين دائمًا.

فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق، أي: أنا لا نقصدك ولكنا لأن الطريق إلى تبوك مسيرة شهر والحر شديد نريد نوع من المزاح نريد نوعًا من الترفيه، أما أن نقصدك فلا، حديث الركب حتى يخف عنا عناء السفر من شدة الحر وطول الطريق، قال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كأني أنظر إليه متعلقًا بنِسعة ناقة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه لما ركب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناقة تمسك بزمام أو بخطام الناقة وصار بالحبل الذي في الناقة وصار يعتذر، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يمشي كان يسير على ناقته ولا يكلمه، يقول: وإن الحجارة تنكب رجليه أي: مستمسك والناقة تسير وهو مستمسك بالنسعة فالحجارة تضرب في رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون**» ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ فدل على أن هذا كفر مخرج من الملة إذا قاله الإنسان وسخر بالله وبرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بشيء من أحكام الله عَزَّ وَجَلَّ المعلومة فإنه يكفر بعد إيمانه معنى أنه يرتد قوله كفرتم أي: كفرتم بهٰذا الكفر عن الإسلام، بعد إذ كنتم مسلمين كما قال تعالى في المنافقين: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ [المنافقين: ٣] نسأل الله العافية والسلامة، فالأمر خطير، يقول: ما يلتفت إليه وما يزيده عليه أي: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كان يرد عليه إلا بالآية؛ لأن الله أمره ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ﴾ قل ماذا؟ هذا المسموع الآن ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾.

واعلم أمرًا في غاية الأهمية، أن من اشترك في نقل السخرية ونشرها مشارك في الإثم فقد يقول أنا ما سخرت بالصلاة لكن أنا أضحكتني هذه المقالة أو هذا المقطع التمثيلي وغيره أنا ما سخرت؛ لكن ماذا فعلت؟ نقلته، نقلت ماذا؟ نقلت السم نقلت الشر فستسأل عما فعلت، وكل من وصله إلهي من طريقك فإنك آثم بإيصال هذا الباطل إليه، فالواجب أن يتقى الله في أمر دين الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سخرية به

تلميحًا أو تصريحًا فإن ذلك كفر مخرج من الملة والواجب أن يرد على الساخر وأن يسكت وإن كان في مجلسك أكبر الناس، فلو سخر في مجلسك تقول: لا تسخر واتق الله والكلام الذي قلته كلام عظيم يجب أن تتوب منه، تسخر برب العالمين، برسول الله ﷺ تسخر بالقرآن تسخر بشعيرة كالصلاة ما تتقي الله ما تستحي، وليغرب من مجلسك لا حفظه الله، لأنك الآن أمام أمرين إرضاء الله أو إرضاء هذا الذي سخر برب العالمين، ثم عليك أن لا تنقل هذا الباطل وتفشيه في الناس وتنشره؛ لأن الناس يضحكون منه والجاهل خاصة لأنه لا يعلم يبدأ ينشره ويفرقه في الناس فتكون ناشرًا للباطل نعوذ بالله من حال أهل الضلال والزيغ.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

* * *

---

(١) نهاية المجلس السابع عشر.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

❁ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب ما جاء في قول الله تعالى:** ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ الآية [فصلت:٥٠] قال مجاهد: هذا بعملي، وأنا محقوق به.

وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: يريد من عندي.

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص:٧٨].

قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب.

وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل، وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله تعالى أن يبتليهم فبعث إليهم ملكًا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه قذره فأعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو: البقر شك إسحاق فأعطي ناقة عشراء وقال: بارك لك فيها. قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعرًا حسنًا، فقال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر أو الإبل، فأعطي بقرة حاملًا قال: بارك لك فيها، فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم قال: فأعطي شاة والدا فأنتج هٰذان وولَّد هذا فكان لهٰذا وادٍ من الإبل، ولهٰذا وادٍ من البقر، ولهٰذا وادٍ من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن والمال بعيرًا أتبلغ عليه في سفري فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرًا فأعطاك الله** عَزَّ وَجَلَّ **المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت، قال:**

وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهٰذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هٰذا،فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فو الله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك، إنما ابتليتم، قد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك» أخرجاه».

عقد الباب رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الآية، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ [فصلت:٥٠] هذا إنسان جاحد الذي لا يعرف قدر الله وضعف نفسه وشدة احتياجه لربه إذا أذاقه الله الرحمة بعد الضراء ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ ثم يضيف عياذًا بالله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ۝٥٠﴾ هذا جاحد للقيامة، متفاخر يرى أن نفسه شيئًا ويعزو إليها ما أكرمه الله تعالى به من النعمة ابتلاء، ما آتاه الله تعالى من النعمة ابتلاء، فسر المراد بالآية بتفاسير لا يناقض بعضها بعضًا هكذا تفسير السلف كل تفسير له وجه، يقول مجاهد في المراد بقوله: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾يعني هذه الرحمة التي أصابته يقول: هذا بعملي، وأنا محقوق به أي: أني أستحقه، هذا أمر بعملي وبكدي وجهدي وما سهرت فيه من الليالي وما أمضيت فيه من الأسفار فهذا أمر راجع إلي أنا بما أنا عليه من النباهة والفطانة بما أنا عليه من الجهد والكد فيعيد الأمر إلى نفسه، مع أنه قد مسته الضراء قبل ذلك؛ ولكن هو لم يعتبر، الذي تمسه الضراء ثم تصيبه النعماء هو يعلم أنه كان قبلهذه النعماء في ضراء؛ لكن كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ۝٣٤﴾ [إبراهيم].

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: يريد من عندي، أي: يحيل الأمر إلى نفسه والأمر من عنده هو، القول الثالث، قال قتادة هو قريب أي: منه أيضًا يقول: على علم مني بوجوه المكاسب يقول: أنا عندي فطنة ونباهة ومعرفة وقدرة على الكسب والاحتراف على أن أتجر وغيري ما يعرف، أنا أعرف ما لا يعرفه غيري نسأل الله العافية والسلامة.

قال آخرون: إن المراد بقوله هنا يعيده إلى الله تعالى، أي أني عند الله ذو مكانة أستحق معها هٰذا، وأنا أهل لها، قالوا: فالمعنى على علم من الله أني أهل لهٰذا الذي جاءني من هذه النعماء، أي: أني عند الله

بمكانه أستحق، وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف أي: شرف ومكانة أنا مؤهل عند الله بأن أصيب هٰذا، ولا تعارض بين هذه الأقوال فإن الجاحد والجاهل يقول هذا كله. وقد يتنوعون فيقول بعضهم هذا وبعضهم يقول هٰذا

ثم ذكر عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذا الحديث العجيب في ثلاثة من بني إسرائيل اجتمع فيهم الفقر في أموالهم والبلاء في أبدانهم، الأول أبرص يصيبه البرص في جلده بتغير الجلد، والثاني وأقرع في شعره، والثالث أعمى وهو الذي لا يبصر، فأراد الله تعالى أن يبتليهم أي أراد أن يختبرهم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فبعث الله تعالى ملكًا هذا الملك أتى إلى الأبرص وسأله: أي شيء أحب إليك؟ مباشرة قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني هذا الذي قد قذرني الناس به، الناس أي: يتقذرون من هذا الشكل، بإذن الله وقدرته عَزَّوَجَلَّ والله على كل شيء قدير مسح الملك فبرأ بإذن الله تعالى وذهب عنه قذره أعطي اللون الحسن والجلد الحسن فزال ما ببدنه من داء، سأله وهو فقير نسأل الله العافية والسلامة أي أصناف المال يحب: أي المال أحب إليك؟ ابتلاء واختبار، قال: الإبل أو البقر الشك من الراوي وهو إسحاق، يقول إما أن هذا الأول قال الإبل والثاني قال البقر، أو أن هذا الأول قال البقر والثاني قال الإبل، فأعطي ناقة عشراء وهي الحامل بطنها فيه ولدها ودعا له بالبركة، وإذا أنزل الله تعالى البركة فإن الأمر يتضاعف ويكثر والله على كل شيء قدير، قال: بارك لك فيها. ثم إن الملك أتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن؛ لأن القرع في شعره ويذهب عني هذا الذي قد قذرني الناس به فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعرًا حسنًا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر أو الإبل، على الشك السابق من الراوي، فأعطي بقرة حاملًا ودعا له الملك أيضًا بالبركة، أتى الملك الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ فقال مباشرة: أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس، فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم فأعطي شاة والدا فتم لهؤلاء النعمة في أبدانهم وفي أموالهم ليختبروا وليبتلوا بعد ذلك، ثم إن كل واحد منهما صار يعمل فيما أوتي صاحب الناقة ولدت له، وصاحب البقرة ولدت له، وصاحب الشاة ولدت له، ولما كان الرب قد أنزل البركة صار لهٰذا وادٍ من الإبل تكاثرت، ولهٰذا وادٍ من الغنم، ولهٰذا وادٍ من البقر، ولهٰذا قال: فأنتج هٰذان وولّد هٰذا، أي: أن هذا تولى نتاجها أي: عنده هذه عشراء و هذه حامل فتولى نتاجها، ثم إن الله تعالى بعد أن تمت عليهم النعمة في أبدانهم وأموالهم أرسل إليهم وهذا قطعًا بعد سنين كما تعلم سيستمر سنوات؛ لأنها كثرت أموالهم وصار عند هذا وادي من الإبل وهذا وادي من

البقر فالغافل الذي تطاولت عليه السنين في النعمة ينسى ما كان عليه في أول أمره، أو يتناساه فأرسل الله تعالى هذا الملك، وأتى إلى كل واحد منهما في هيئته أتى إلى الأبرص في هيئته وهو أبرص بإذن الله عَزَّوَجَلَّ ملك في صورة رجل أبرص، أتى الأقرع في صورة رجل أقرع، أتى الأعمى في صورة رجل أعمى، وقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال أي: الأسباب في سفري والإنسان إذا انقطع في سفره يسمى ابن سبيل، وابن السبيل تحل له الزكاة،سمي بابن السبيل كأن السبيل، والسبيل هي الطريق كأن السبيل ولدته كأنه ولد للسبيل؛ لأنه انقطع في هذا السبيل فصار لا يستطيع أن يذهب إلى الوجهة التي كان مسافرًا لها وبلده الذي خرجه منه لا يستطيع الرجوع إليه؛ لأنه انقطع في سفره فصار شرعًا مستحقًا للزكاة، حتى لو كان في بلده غنيًا إذا لم يتمكن من أن يرسل مثلًا إلى بلده ويأتيه مثل وضعنا هذا الآن يمكن لو انقطع بالإنسان مثلًا ضاعت نفقته أو غيره يستطيع أن يراجع الآن ولله الحمد البنك أو غيره ويسحب من رصيده أو يرسل له أحد فلا يكون مثل الوضع سابقًا؛ لكن لو وجد ابن سبيل الآن فحكمه حكم أهل الزكاة.

ابتلى الله كل واحد منهم بأن أتى الملك إليه في نفس صورته ليتذكر الحال الذي كان عليه قبل ذلك وقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال وهي الأسباب في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، هذا من دلائل أن استخدام ثم مأذون به، مثل ما تقدم فيما شاء الله ثم شئت، ونحوها، والملك لا يقول كلامًا فيه شرك أو لا يجوز، لا شك أنه كلام في محله فأراد أن يذكره أنه ليس له إلا الله عَزَّوَجَلَّ ثم هذا الأقرع حين كلمه أو حين الأبرص حين كلمه أو هذا الأعمى حين كلمه، ثم عظم عليه الأمر: سأله بالله، وقال: أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن يذكره بنعمة الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه قبل ذلك ما كان له لون حسن، والجلد الحسن والمال بعيرًا، أي: ما أريد إلا بعيرًا واحدًا من هذا الوادي عنده وادي متكامل، بعيرًا أتبلغ عليه في سفري فقال نسأل الله العافية والسلامة ونعوذ بالله من الشقاء: الحقوق كثيرة، استحقاقات الأموال كثيرة، فقال الملك: كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرًا فأعطاك الله عَزَّوَجَلَّ المال؟ يذكره بالوضع الذي كان عليه والذي هو ماثل أمامه يراه في الملك، فقال لما أعمى الله بصيرته: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر، أي: هو يجحد أنه كان سابقًا فقيرًا وهذا حال المخذولين.

الإنسان يحمد الله، ومن حمد الله عَزَّوَجَلَّ عليك وإظهار نعمته أن تذكر فاقتك بما من الله تعالى به عليك وأن الله أكرمك ولولاه تعالى لما اغتنيت، ولولاه تعالى لما اهتديت، وأن هذا الفضل كله من الله،

وأنه لولا الله ما كنا شيء، يجب يتحدث بهٰذا الإنسان ويحمد ربه؛ لكن في الذنوب انتبه، في الذنوب لا تتحدث بذنوبك كأن تقول مثل ما يفعل بعض الجهلة، كنا نزني كنا نشرب الخمر كنا كذا نسأل الله العافية سل الله الستر واحمد الله العافية وإذا عافاك الله تعالى من هذا البلاء فلا تأتي لتقر على نفسك بأمور يلزم من الإقرار منها شرعًا حد ونبه على هذا الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسئل عن حكم كون بعض العصاة الذين هداهم الله يأتي ويقول: إني كنت أفعل كذا وكذا ويصرح بأمور من المحرمات وبعضها كبائر وبعضها فيها حدود أصلًا، لما سئل الشيخ عن من يتحدث بمثل هذه الأمور من المعاصي ويؤتى بهم بعض الأحيان كما ترون أي: في اجتماعات وفي ملتقيات ويبدأ يتحدث عن نفسه فقال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأسكنه الجنة قال: أي: كلامًا لينستر بستر الله تعالى ولا يتحدث بهٰذا، فقيل له: إن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ تحدثوا بما كانوا يفعلون في الجاهلية تدري بم أجابهذا الحبر الكبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟ قال: إن الإسلام يجب ما قبله الصحابة في الجاهلية كانوا مشركين، هذا مسلم يختلف الحال، الصحابي إذا قال إني دفنت بنتي في الجاهلية وإني شربت الخمر وإني كنت أزني وأني كنت أعباد الأوثان يقال أسلم وانتهى جب الإسلام ما قبله، أما هذا الذي يتحدث بعض الأحيان يقول: كنت في رمضان العام الماضي لا أصوم نسأل الله العافية والسلامة، وكنت إلى شهرين لا أصلي، وكنت العام الماضي أزني وأشرب الخمر، نسأل الله العافية والسلامة ما هذا الجهل؟ انستر بستر الله عَزَّوَجَلَّ واحمد الله وأجمل في الكلام أجمل قل نحمد الله كنا عصاة وكنا غافلين وكنا نخطئ وكنا نفرط فيما أوجب الله بهٰذا الشكل، هذا التحديث بنعم الله، أما أن تقر بحدود تقول العام الماضي كنت أزني أنت الآن أقررت بما تستوجب معه إقامة الحد، فهذا من مشاكل من يدخلون في الدعوة وهم جهلة هذا وأمثاله يجب أن يتعلم لا يصدر أمام الناس ويتحدث ويقر على نفسه بما يستوجب به الحد الشرعي؛ لكن كما تقدم أن من عمل بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح، فالمفترض أن يعرف هٰذا، وحديث الإنسان عما هداه الله به لا يعني أن يتحدث الإنسان بالتفاصيل عما كان يعمل وإنما يتحدث إجمالًا، نحمد الله أن من علينا بأن رجعنا إلى طاعته وصرنا نحافظ على ما أوجب الله علينا من الصلوات ومن الفرائض وكذا ونحمد الله أن سلمنا من أمور الإيقاع في الذنوب، حدث بهٰذا الشكل بهٰذا التعميم، أما أن يقول فعلت وفعلت ما الفائدة؟ إنسان يقر يقول كنت أفعل وكذا نسأل الله العافية والسلامة وأن يسترنا بستره في دنيانا وأخرانا.

الحاصل أن الملك ذكره: ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرًا فأعطاك الله عَزَّوَجَلَّ المال، قال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر، هذا المال في وفي آبائي وأجدادي أنا ما أعرف الفقر ونحو هذا من الكلام، فدعا عليه الملك الذي دعا عليه بالبركة دعا عليه بهذه الدعوة التي تمحقه: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت، إن كنت تكذب فيما تقول فعسى الله أن يردك على ما كنت عليه قبل أن يقع لك ما وقع، وأتى الأقرع في صورته، نفس الوضع، فقال مثل ما قال لهٰذا، ورد عليه مثل ما رد عليه نفس الرد نسأل الله العافية، فقال الملك: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت، وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين، وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أتاه وهو أعمى والأعمى هذا مبصر الآن ويتذكر أنه كان أعمى وأتاه في هيئة فقير والأعمى يذكر أنه كان فقيرًا، فقال: أسألك بالذي رد عليك بصرك عظم عليه الأمر بأن سأله بالله الذي أغناه وعافاه، شاة أتبلغ بها في سفري، اختبار إنما يريد من ذلك الأول بعيرًا ويريد من الثاني بقرة ويريد من الثالث هذا شاة واحدة، ولكل واحد منهم وادي فالأعمى أكرمه الله باستذكار نعمته وأقر أول ما أقر: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، ما قال إني ما كنت في الأول ما أقر به أن الله تعالى قد أنعم علي ورد علي بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، أنت الآن تريد شاة واحدة أنا الآن لن أجهدك أي: لن أشق عليك، هذا المال الآن أمامك خذ منه ما شئت، أي: استذكارًا منه لنعمة الله وإقرارًا بها، فو الله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم أي: أنتم معاشر الثلاثة، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك نسأل الله العافية والسلامة فهذا مما ينبه به أي: النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أمته إلى استذكار نعمة الله عَزَّوَجَلَّ واستحضارها والتفطن إلى شكرها وعدم الاغترار بما من الله تعالى به على العبد من عافية أو مال أو نجاح كما يقع لبعض الطلاب ينجح وتكون درجاته دائمًا جيدة ليتقي الله ويعلم أن هذا من الله عَزَّوَجَلَّ وأنه لولا فضل الله عَزَّوَجَلَّ عليه لما وفق، وهكذا التاجر في تجارته وهكذا القائد إذا انتصر كل هذا يجب أن يعلم أنه من نعمة الله وفضله.

يقول: فيما يتعلق بالرواية التي فيها حياؤه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هم كانوا يقولون ما شاء الله وشاء محمد، فالرواية قال: يمنعني منها الحياء،الرواية الأخرى، في الرواية هنا يقول: يمنعني منها كذا وكذا بينتها الرواية الأخرى يمنعني منها الحياء. أما كون هذا من تأخير البيان عن وقت الحاجة؟ فلا ليس ذلك لأنه ما كان عنده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نص منع، وإلا لو كان عنده نص منع أي: مباشرة ما ترك الأمر؛ لكن كان

الأمر عنده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإن كان يكره أي: مثل هذه لكن ما كان عنده نص قاطع بالمنع من هٰذا، فلذلك توقف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فلما جاءت هذه الرؤيا علم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنها رؤيا حق فأمر بها.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

* * *

---

(١) نهاية المجلس الثامن عشر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

❁ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب قول الله تعالى**: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ الآية [الأعراف:١٩٠] قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اتفقوا على تحريم كل اسم معبدٍ لغير الله، كعبد عمرو، وعبد الكعبة وما أشبه ذلك، حاشى عبد المطلب.

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في الآية قال: لما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتُطيعُنَّني أو لأجعلن له قَرْني أيلٍ، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن -يخوفهما-، سَّمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتًا، ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حب الولد فسمَّياه عبد الحارث، فذلك قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ [الأعراف:١٩٠]، رواه ابن أبي حاتم.

وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته.

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ [الأعراف:١٨٩] قال: أشفقا أن لا يكون إنسانًا، وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما».

جعل الترجمة على الآية وهي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [الأعراف] اختلف المفسرون في المراد بالآية؛ لأن أول الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦۖ﴾ أي: فلما جامعها حملت حملًا خفيفًا فمرت به؛ لأنه يسير وسهل، ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ لأن الحمل إذا مضت مدة للمرأة منه ثقل الحمل، ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا﴾ بالتثنية ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ أيضًا بالتثنية ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا﴾ أيضًا بالتثنية ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ في قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ جعلها بالجمع.

اختلف المفسرون في المراد بالآية، فابن عباس وأصحابه على أن المراد بالآية آدم وحواء؛ لأن الله تعالى قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ والنفس الواحدة التي خلقنا منها معلوم من هي، أن الله تعالى جعل مرد البشر إلى آدم، فلما قال بعد ذلك: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ أيضًا بالتثنية قال هؤلاء المفسرون: إن الآية عائدة إلى النفس الواحدة وإلى زوجها، ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ وعود الضمير هنا بالتثنية يدل على أن المقصود آدم وحواء.

وقال آخرون من أهل العلم كابن كثير وغيره من المفسرين قالوا: إن أول الكلام في آدم وحواء ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ ثم صار بقية الكلام في غير آدم وحواء كما ذكر الله تعالى مثل هذا الأسلوب في سورة تبارك حيث ذكر الله تعالى أنه جعل رجومًا للشياطين هذه رجوم الشياطين ذكرها قبل تعالى المصابيح، قال: والمصابيح الثابتة في السماء ليست هي التي ترجم بها الشياطين، قال: فانتقل من الجنس إلى النوع في سورة تبارك، قالوا: وهنا أيضًا انتقل من الجنس في قوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ هذه آدم لا إشكال وزوجه، قال: وبقية الكلام في ما يفعله الناس من ذريتهما، والذي يظهر والله أعلم وتدل عليه الآية أن الكلام في آدم وحواء، وهذا الذي نصره ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وهو قول مجاهد وقتادة من المفسرين المشاهير، ونصره الشيخ واختيار الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ونصره الشيخ سليمان بن عبد الله والشيخ أيضًا عبد الرَّحمٰن بن حسن هنا والشيخ صالح الفوزان وهو الظاهر من الآية، الظاهر من الآية هو هٰذا، ويدل عليه بقية هذه الآثار التي سنذكرها.

يقول: قال ابن حزم وهو أبو محمد بن حزم من فقهاء الأندلس وكان ظاهري المذهب وهو مشهور صاحب المحلى وغيره من الكتب، قال: اتفقوا أي: أهل العلم على تحريم كل اسم معبدٍ لغير الله، المعبد هو الذي يسبق الاسم فيه بكلمة عبد أو إذا كانت امرأة أمة فتقول عبد الله وتقول في المرأة أمة الله، فلا يحل أن يقال لأحد عبد على سبيل التسمية ويعبد لغير الله كأن يقال عبد الكعبة أو عبد الحسين أو عبد علي كل هذا لا يجوز، هذا الإطلاق على سبيل التسمية لا يحل، ولا ينافي ذلك أن يقال إن الإنسان إذا ملك عبدًا أن يقال هذا عبد فلان، هذه ليست تسمية هذا إخبار بأن فلانًا يملك هذا العبد ويختلف الحال ويأتي له كلام إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ. اتفقوا على تحريم كل اسم عبد لغير الله كعبد عمرو، وعبد الكعبة هذه من أسماء أهل الجاهلية، وما أشبه ذلك، حاشى عبد المطلب وهو جد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ وذلك

أن عبد المطلب هذا لم يكن معبدًا لشخص يسمى المطلب، المطلب هذا من هو؟ المطلب هذا عم شيبة جد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسمى شيبة الحمد، وكان عبد المطلب عند أخواله بني النجار في المدينة وهم الذين نزل عليهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما وصل المدينة فهم أخوال جده، فلما أتى المطلب عم عبد المطلبهذا إليهم أخذه لما شب ورجع به إلى مكة، لما وصل إلى مكة كان الغلام هذا من آثار السفر قد أصابه شيء من شعث السفر وكأنه أي: أصابه شيء من آثار الشمس من ذهابه من المدينة إلى مكة فكأنه صار في وجهه شيء من الاسوداد من آثار السفر وإلا ليس أسود هو ولكن من آثار السفر ولم يكن أي: قد تنظف ونحو ذلك فلما دخل به عمه وأهل مكة لا يعرفونه قالوا: من هذا الذي معك يا مطلب، فاستحى أن يقول ابن أخي فقال: هذا عبدي فسمي عبد المطلب، فليس هذا مثل عبد الكعبة، لا أنه مقصد المطلب أن هذا عبدي أي: أني أملكه، فهل يصح أن يسمى أحد بعبد المطلب بعد ذلك؟ لا ما يصح، ما يجوز أن يسمى بعبد المطلب؛ لكن هذا سبب تسمية جد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعبد المطلب، وعلى كل حال أسماء الجاهلية بتسمية بالتعبيد لغير الله لا تحل سواء كانت لعبد المطلب أو عبد شمس أو عبد الكعبة أو عبد عمر أو أي اسم من هذه الأسماء، لا يحل أن يعبد الاسم إلا لله عَزَّ وَجَلَّ فيقال عبد الله عبد الرَّحمٰن عبد العزيز عبد الملك ونحو ذلك.

ثم ذكر تفسير ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا للآية في قوله تعالى: لما تغشاها أي: آدم قال: لما تغشاها أي تغشى حواء آدم لما تغشى آدم حواء حملت فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتُطيعُنّي أو لأجعلن له قَرْني أيلٍ، أي: خوفهما بأنه سيجعل لهٰذا الغلام قرنين، فإذا كان كذلك إذا أراد أن يخرج من البطن فإنه سيشق البطن، ولأفعلن ولأفعلن -يخوفهما-، سَّمياه عبد الحارث، أي: على نفسه، أي: لأنه يسمى الحارث إبليس حتى تكون التسمية والتعبيد له فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتًا، ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله فأبيا أن يطيعاه، أي: آدم وحواء فخرج ميتًا، ثم حملت فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حب الولد، وهو أمر معلوم أنه يضعف عنده الإنسان أحب أن يعيش حيًا فسمَّياه عبد الحارث، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآ﴾ [الأعراف:١٩٠]، الآن الشركاء في ماذا؟ مثل ما ذكره بعده بسند عن قتادة قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته معاذ الله أن يقال إنهما يعبدان الشيطان، لكنهما أطاعاه والطاعة في المعصية يطلق عليها أنها شرك في الطاعة؛ ولهٰذا المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ قال: أن هذا الشرك مجرد تسمية لم تقصد حقيقته، أي لما غلبهما حب الولد، وقال أيضًا: فيه ذكر الفرق

بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة قد تطيع إنسانًا فيطلق على هذه الطاعة لأن فيها نوع معصية أن هذا شرك لكن لا يعني الكفر، أما الشرك في العبادة بأن تعبده وهذا شرك أكبر، قال: شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته.

ثم ذكر عن مجاهد: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ [الأعراف:١٨٩] قال: أشفقا أن لا يكون إنسانًا، أي: خافا أن لا يكون على هيئة الناس، وذكر معناه عن الحسن وسعيد وإن كان الظاهر أن الثابت عن الحسن خلاف هٰذا؛ لأنه يرى القول الآخر بتفسير الآية، على كل حال لا يحل أن يعبد أحد بغير الله عَزَّوَجَلَّ كائنًا من كان، يجب أن يكون التعبيد لله وأن يقال عبد الرب عبد الكريم عبد الرَّحمٰن عبد الله ونحو ذلك، أما أن يعبد لغير الله فلا يجوز.

❁ **قال المؤلف:** «**باب** قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ الآية [الأعراف: ١٨٠] ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يلحدون في أسمائه يشركون.

وعنه: سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز. وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها».

بوب أيضًا على الآية وهي قوله تعالى: باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ والحسنى اسم تفضيل، ولم يقل سبحانه: ولله الأسماء الحسنة، بل قال الحسنى وهي باسم التفضيل التي قد بلغت في الحسن أكمله وأعظمه، فلا أكمل ولا أعظم من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ: فادعوه بها، فتدعو رب العالمين بأسمائه يا رحمن ارحمني، يا غفور اغفر لي، رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور، لاحظ اغفر لي ذكرت فيه اسم الغفور، تب علي ذكرت اسم التواب، فتتعبد لله بهذه الأسماء، ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾.

○ما المراد بالإلحاد؟!

أصل الإلحاد في كلام العرب هو العدول عن القصد والميل والجور والانحراف، ومنه سمي اللحد في القبر لحدًا؛ لأن الذي يحفر القبر ينزل مسافة بسمت واحد، فإذا أتى آخر القبر وهو الذي يصير فيه اللحد أمال الموضع الذي ستعجل فيه الجنازة أمالها نحو القبلة، وكان يشق القبر شقًا هكذا ثم أمالها نحو حتى توضع الجنازة ويوضع الميت على جنبه الأيمن، سمي لحدًا؛ لأنه مال عن سمت القبر ليس

حفرة كاملة وإنما مال فسمي لحدًا، فهذا معنى الميل.

○ما المراد بالميل في الأسماء والصفات؟!

أنواع، أنواعه كثيرة الأصل في الأسماء والصفات أن نثبت ما أثبته الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن ننفي ما نفاه الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا هو المنهج المستقيم في الأسماء والصفات، فمن مال عن هذا المنهج بأن أثبت ما نفى الله أو نفى ما أثبت الله فهذا نوع إلحاد، أي أنه مال عن الطريق المستقيم؛ لأن الواجب أن نثبت ما أثبت الله وأن ننفي ما نفى الله، فلما عكس الأمر فأثبت الشيء الذي نفاه الله كما فعلت الممثلة حيث أثبتوا التمثيل في صفات الله مع أن التمثيل منفي بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] أو نفى ما أثبت الله كما فعلت المعطلة من الجهمية والمعتزلة وفروعهم من الأشعرية والماتريدية ومن سواهم نفوا شيئًا مما أثبته الله وأثبته رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهذا نوع إلحاد، وبه تعلم أن كلمة الإلحاد في الأسماء والصفات لا تعني الكفر الشائع عند الناس، الناس الآن يطلقون كلمة الإلحاد على من لا يقر بوجود الله ويريدون به الإلحاد المطلق؛ لكن إذا قيل عنده إلحاد في الأسماء معناه أنه مال عن المنهج والصراط المستقيم فيها، ومنهج السلف إثباتها كما وردت من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، وأنها تثبت على ظاهرها المعلوم البين منها، وأن معناها جلي واضح، فالاستواء على العرش معناه العلو والارتفاع على العرش؛ ولهذا يفسر ويبين معناه؛ لأن معنى الصفة واضح، أما الكيفية بأن يقال كيف يستوي الرب؟ ما كيفية وجه الرب؟ فلا يجوز السؤال بتاتًا عنها؛ ولهذا لما قال رجل لمالك: الرَّحمٰن على العرش استوى؟ قال: الاستواء معلوم أي: معلوم المعنى، والكيف مجهول؛ لأنه لا يحل أن يخاض فيه بل هو من أمور الغيب، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ثم أمر بإخراج السائل لقلة أدبه وسؤاله عن الله بهذه الطريقة، فالله لا يسأل عنه بكلمة كيف، هذا ما يتعلق بالأسماء. قال: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ وبه نعلم أن من خالف منهج السلف في الأسماء والصفات فقد ألحد سواء كان من المعطلة أو كان من الممثلة الذين يمثلون صفات الله بصفات خلقه؛ لأنه لا يجوز أن تمثل بصفات المخلوقين ولا يجوز أن تعطل عن معانيها التي بينها الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن أنواع الإلحاد في الأسماء والصفات ما ذكر هنا أن تسمى المعبودات والأصنام بأسماء الله، كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سموا اللات من الإله، أي: أنه أطلقوا على اللات اسم اشتقوه قبحهم الله من اسم

الله الإله، وسموا العزى من اسم الله العزيز وهكذا كلهذه الإطلاقات تعد نوع إلحاد؛ لأن فيها ميلًا عن الصواب، وفسر الإلحاد في الأسماء بالشرك فقال: يلحدون في أسمائه يشركون.

وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها فإدخالك في أسماء الله تعالى ما ليس منها أيضًا هذا نوع من الإلحاد كما يسمي النصارى رب العالمين بالأب وكما تطلق الفلاسفة على الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الأسماء القبيحة التي يطلقونها عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مما لا يحل أن يطلق عليه، فالأسماء والصفات توقيفية ما معنى كونها توقيفية؟ أي: أن الله لا يسمى باسم ولا يوصف بوصف إلا بما دل عليه القرآن والسنة فنقف حيث دلتنا النصوص وليست مجال اجتهاد، ما يقول أحد ماذا نسمى الله؟ ما يحل أن تسمي الله أنت، إنما الله يسمى نفسه، سمى وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ويسميه رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما أنت أن تجتهد وتقول دعونا نسمي الله باسم كذا فهذا لا يجوز، فإطلاق هذه الأسماء كما تطلق الفلاسفة أو النصارى على الله عَزَّ وَجَلَّ مثل هذه الإطلاقات لا شك أنه لا يحل؛ لأن هذا من تسمية الله عَزَّ وَجَلَّ بما لم يسمي به نفسه فهو نوع من الإلحاد فيها، وبه يعلم أن الواجب في الأسماء والصفات أن تثبت كما جاءت في النصوص وأن يكون فهم معانيها كما بينه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفهمه الصحابة وأفهموه التابعين وتلقته أئمة الإسلام عنهم وأنه لا يحل الإلحاد فيها بأي نوع من الإلحاد سواء بنفي ما أثبت الله أو بإثبات ما نفى، أو بإطلاق أسماء الله تعالى على هذه المعبودات، أو إدخال أسماء ليست لله عَزَّ وَجَلَّ وتسمية الله تعالى بها كل هذا نوع، كلهذه من أنواع الإلحاد في الأسماء.

۞ **قال المؤلف:** «**باب: لا يقال: السلام على الله.** في الصحيح عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنا إذا كنا مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تقولوا: السلام على الله؛ فإن الله هو السلام**».

۞ **قال المؤلف:** «باب: لا يقال: السلام على الله».

أخذًا من الحديث قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لا تقولوا السلام على الله**» وذلك أن السلام على الله أنت إذا دعوت الإنسان فقلت السلام عليكم هذا نوع دعاء تدعو له بالسلامة فهل يصح أن تدعوا لله عَزَّ وَجَلَّ بالسلامة؟ الله هو الذي يدعى ولا يدعى له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كيف تدعو لله؟ الله عَزَّ وَجَلَّ ليس محتاجًا حتى تدعوا له بأن يسلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن ذلك علوًا كبيرًا، بل هو الذي يطلب منه السلامة بأن يسلمك الله في

دينك ودنياك وآخرتك وأهلك وذريتك وتدعو لأمة الإسلام بالسلامة في دينها ودنياها هذا هو الذي يطلب من الله أن يسلمك ويسلم أمتك ويسلم أهلك وذريتك، أما أن تدعوا لله بالسلامة كيف تدعو لله عَزَّوَجَلَّ بالسلام؛ لأن هذا يقتضي نوعًا من النقص كأن الله تعالى يحتاج إلى أن يدعى له عياذًا بالله من مثل هٰذا، فالله هو الذي يدعى ولا يدعى له.

يقول ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وتقدم أكثر من مرة أن الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ قد يقول في الصحيح ويراد به الصحيحان معًا صحيح البخاري وصحيح مسلم، وهذا كثير وسبق التنبيه، وتارة يقول في الصحيح ويكون في أحد الصحيحين، ولهٰذا طالب العلم يتفطن إلى هٰذا، أن المقصود في بعض الأحيان جنس الصحيح أنه في الصحيح الذي هو صحيح البخاري ومسلم معًا أو في الصحيح وهو أحدهما بأن يكون في البخاري دون مسلم أو في مسلم دون البخاري، يقول رَحِمَهُٱللَّهُ يقول ابن مسعود: كنا إذا كنا مع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، وهذا كما تقدم لا يصلح لما ذكرنا، السلام على فلان، أي: من الملائكة كما ورد في اللفظ الآخر على جبريل وميكائيل، فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا تقولوا: السلام على الله؛ فإن الله هو السلام**» من أسمائه تبارك وتعالى السلام، فلا يقال لله عَزَّوَجَلَّ هٰذا، فإن الله تعالى من أسمائه عز اسمه اسم السلام.

❁ **قال المؤلف:** «فإن الله هو السلام».

فيه إثبات لهٰذا الاسم العظيم، واسم السلام أي: السلام أي: هذا الاسم العظيم اسم السلام تضمن إثباتًا ونفيًا، إثباتًا للاسم وهو أن الله تعالى يسمى عز اسمه بالسلام، وتضمن نفيًا وهو نفي كل نقص عن الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فإنه سالم منه عز اسمه، فهذه الألفاظ فيها تنبيه إلى الأدب مع رب العالمين عَزَّوَجَلَّ وتنبيه إلى طريقة الدعاء السليمة، وتنبيه إلى أن الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يجب عندما ترفع حاجتك إلى الله أو تريد أن تعظمه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فإنك لا تعظمه إلا وفق منهج الشرع ولا تدعوه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ دعاء كما سيأتي في باب بعده دعاء يكون فيه شيء من الإشكال من حيث المعنى أو التقييدات كما سيأتي في قوله الله اغفر لي إن شئت والنهي عنها، الحاصل أن على طالب العلم أن يتفطن إلى هذه الأشياء الممنوعة في الإطلاق مع الله، وأن يعرف ما السبب، أي: أنت علمت أنه لا يقال السلام على الله؛ لكن ما السبب؟ أي: يتبين له العلة ويتضح له ذلك.

❁ **قال المؤلف: «باب قول: اللهمَّ اغفر لي إن شئت.** في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لا يقول أحدكم: اللّٰهمَّ اغفر لي إن شئت، اللّٰهمَّ ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة؛ فإن الله لا مكره له**» ولمسلم: «**وليُعَظِّم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيءٌ أعطاه**».

قولك: «اللّٰهمَّ اغفر لي» **المغفرة**: هي ستر الذنب مع التجاوز عنه بأن يسترك الله عَزَّوَجَلَّ ويتجاوز عن ذنبك، ومن أسمائه تعالى الغفور والغفار، فأنت تسأل الله تعالى أن يسترك بستره وأن يتجاوز عن ذنبك، وتقدم أن المغفر سمي بالمغفر؛ لأنه يستر الرأس، فالمغفرة هي سؤال الله تعالى ستر الذنوب والتجاوز عنها، يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا يقول أحدكم**» أي: عندما يدعو ربه: «**اللّٰهمَّ اغفر لي إن شئت**»، ما معنى الكلام إذا قلت اللّٰهمَّ اغفر لي إن شئت؟ معناه اللّٰهمَّ اغفر لي إن شئت وإن شئت فلا تغفر، هذا وجه الإشكال في قولك إن شئت، فلا يقول العبد هذا الدعاء بهذه الصيغة، بل يعزم المسألة كما قال: «**ليعزم المسألة؛ فإن الله** عَزَّوَجَلَّ **لا مكره له**»، فقولك: «اللّٰهمَّ اغفر لي إن شئت» دال على عدم العزم في المسألة، بل اجزم، اللّٰهمَّ اغفر لي اللّٰهمَّ ارحمني، اللّٰهمَّ اهدني اللّٰهمَّ نجني من النار، اللّٰهمَّ أورثني الفردوس ولا تقل إن شئت، هذا ما يدل على عزيمة في المسألة، فليعزم ولا يكون مترددًا، ويعزم عزمًا جازمًا بأن يسأل الله ويلح على الله عَزَّوَجَلَّ إلحاحًا، أما قولك: اللّٰهمَّ اغفر لي إن شئت هذا خلاف العزم، ولهٰذا قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**فإن الله لا مكره له**»، أي: هذا تعليل للنهي.

○لماذا منعت من قولك إن شئت؟!

ذكر في أسباب هذا أكثر من وجه، منها: أن قولك اللّٰهمَّ اغفر لي إن شئت يشعر بأن لله تعالى مكرهًا على الشيء فكأن الداعي يقول أنا لا أكرهك يا رب إن شئت فاغفر وإن شئت فلا تغفر، فالأمر راجع إليك وهذا قد يفعله الإنسان مع الإنسان الآخر فإذا طلب منه طلبًا فيقول مثلًا: أقرضني مبلغًا من المال، ثم يقول: يا أخي إن شئت أي: أنا لا أريد أن أحرجك وأضيق عليك فأقول ربما لا يكون عندك المال فأنت إن شئت أن تقرضني فأقرضني وإلا فلا تقرضني أنا متفهم لعدم قدرتك إن كنت لا تستطيع، هذا لا يصلح أن يقال لله؛ لأن الله تعالى عز اسمه لا إلٰه إلا هو إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، ولا أحد ينبغي أن يتعامل مع الله على هذا النحو.

وقيل: إن قولك: اللّٰهمَّ اغفر لي إن شئت كأنك ترى أن هذا أمر عظيم على الله فقد لا يشاؤه لكونه

عظيمًا، وهل هناك شيء يعظم ويعسر على الله؟ لا والله، إنما أمره تعالى كلام يقوله كن فيكون ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾ [النحل] مجرد أن يقول الرب عَزَّوَجَلَّ للشيء كن فيكون، حتى تعرف ذلك نعيم أهل الجنة، أقل أهل الجنة منزلة يؤتيه الله تعالى مثل الدنيا عشر مرات، فما دام هذا أقلهم نعيمًا فما بالك بأعظمهم؛ ولهٰذا الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يتعاظمه شيء، أي: قادر سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على أن يشفيك من مرضك ولو كان مرضك يقول لك الأطباء اذهب إلى بيتك لا حيلة فيك، قادر على أن ييسر لك سداد دينك ولو كان دينك بالقناطير المقنطرة التي لا تتصور كيف ستؤدى وتقول ما عندي من القدرة إلا كذا وكذا، الله قادر على ذلك، قادر سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على أن يرفع عن أمتك هذا البلاء العظيم الذي عم بها مع شدته وتفاطمه وتلونه وتنوعه وتكاثره قادر على أن يرفعه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، قادر على أن يذل أهل الكفر ويقهرهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ويسلط عليهم ويجعل سلاحهم الذي أعدوه لإهلاك المسلمين دمارًا ووبالًا عليهم هم يجدون منه الشدة والعناء، قادر سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على أن يهدي أفجر الناس وأخبثهم وأعظمهم مجاهرة بفجوره وإلحاده، قادر على كل شيء، فلا يكون في ذهنك أن ثمة أمرًا يتعاظم ويشتد على رب العالمين؛ فلهٰذا قال: «**وليّعَظّم الرغبة، فإن الله لا مكره له**» يعظم الرغبة ليسأل ما شاء من قليل أو كثير، لا يقول هذا كثير لا أسأله، أبدًا اسأل ربك تعالى وأكثر؛ ولهٰذا وجهت عند السؤال إلى الإكثار أكثر من خير الدنيا والآخرة ما دام خيرًا ينفعك في الدنيا، والآخرة أكثر منها، وإذا سألت الله تعالى الجنة فاسأله الفردوس لا لأنك تستحق الفردوس ولكن لأن الله تبارك وتعالى كريم منان يمكن أن يدخلك الفردوس بلا حساب ولا عذاب وإن كنت مقصرًا في العمل لو حاسبك لدخلت النار، فأنت ترجوا من الله عَزَّوَجَلَّ الرجاء الكثير؛ ولكن لا يحملك هذا الرجاء على التكاسل في العمل تعمل وتتكل على الله وتحسن بالله الظن وإذا سألت كما في الحديث: «**إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة**» هذا التوجيه منه عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ لتسأل الله المعالي الكبار، ألأجل أنك عامل كما ينبغي؟ لا والله ولكن لأن الله تعالى لا يتعاظمه شيء فقد يجعلك من أهل الفردوس بلا حساب ولا عذاب ويجعلك من الناجين الذين لا يعذبون في قبورهم ويجعل بقية حياتك سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حياة طيبة حتى تلقى الله تعالى على أحسن حال، وترى في حياتك ما يسرك في نفسك وذريتك وأمتك ثم في قبرك يكون روضة من رياض الجنة، ثم في الآخرة تكون ممن لا يحزنهم الفزع الأكبر، وتمر على الصراط كمر الطرف، وتكون في الدرجات العلى في الجنة كل هذا تسأله الله لأنك

تعلم أنه على كل شيء قدير لا لأنك مستحق لمثل هٰذا.

لهٰذا اسأل الله وعظم مع الاستكانة والذل والاعتراف بالتقصير، فلأجل هذا لا تقول مثل ما يقول بعض الناس ليتنا ندخل أدنى الجنة لا يعني نريد المعالي والدرجات العلى، أنت لا تستطيع الجنة بعملك ولا أحد حتى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**لن يدخل أحدكم الجنة بعمله** قالوا: ولا أنت؟ **قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**» إذًا دخول الجنة أصله ليس مقابل العمل، أي: مقايضة عملت دخلت الجنة معاذ الله، بل العمل سبب ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل] أي: بسبب أعمالكم؛ لكن هل عملك يقابل الجنة التي هي قرة عين لا تنقطع؟ وبقاء أبدي سرمدي لا يصلك به الموت ولا يصيبك به أي تنغيص؟ لو أنك منذ أن خرجت من بطن أمك إلى أن تلقى الله تعالى بقيت في عبادة حتى لقيت الله ما يمكن يقابل هذا الجنة بتاتًا، لو لم يكن عندك أي ذنب لو لم تقصر وهذا غير وارد، كل بني آدم خطاء لكن لو حصل هذا لا يمكن أن تكون الجنة مقابل العمل مقايضة؛ لكن العمل سبب؛ ولأجل ذلك عظم رغبتك واسأل الله تعالى ولتكن همتك عالية، اسأل الله تعالى معالي الأمور، وأن يرفع درجتك في المهديين فضلًا منه وكرمًا وإحسانًا سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

ثم إن قولك اللّٰهمَّ اغفر لي إن شئت من وجه آخر يشعر بأنك كالمستغني عن الله كأنه يقول إن شئت فافعل وإن شئت فلا تفعل فأنا لا يهمني تغفر أو لا تغفر هذا المعنى، قطعًا ما هنالك مسلم يمكن أن يكون هذا مقصده بتاتًا، يقول اللّٰهمَّ اغفر لي إن شئت وإن شئت فلا تغفر لي أنا مستغني، ما يمكن يقول هذا مسلم؛ لكن هذا وجه الإشكال في الدعاء؛ ولهٰذا قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لا يقل أحدكم اللّٰهمَّ اغفر لي إن شئت**» لأن هذه المعاني كلها فيه، فلأجل ذلك ويصح أي: هذه الوجوه ما تتناقض، فينبغي ترك هذه الصيغة إن شئت في الدعاء، وإنما تعزم المسألة.

وفي اللفظ الآخر لمسلم: «**وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء**» وبه تعلم أن ما يقع كثيرًا في كلام الناس وهم يريدون به الخير إن شاء الله تعالى من الاستثناء غلط، تأمل كثير من الناس إذا قلت رزقت ولله الحمد بولد مباشرة ماذا يقولون؟ الله يصلحه إن شاء، فنفس الشيء نفس الوضع إذا دعوت فقل اللّٰهمَّ أصلحه اللّٰهمَّ اجعله قرة عين الله يبارك لك فيه ونحو ذلك، إذا قلت الله يصلحه إن شاء الله نفس الإشكال الوارد في اللّٰهمَّ اغفر لي إن شئت موجود فيها؛ لكن الناس ما اعتادوا كلمة اللّٰهمَّ اغفر لي إن شئت؛ لكن قد يضعون موضوع المشيئة في غيره، فإذا قيل فلان تزوج قال: الله يوفقه إن شاء الله مباشرة،

نفس الإشكال، جاءه مولود الله يصلح إن شاء الله نفس الوضع، ذكر المشيئة هنا خطأ، وليس معنى قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يقول أحدكم اللّهمَّ اغفر لي إن شئت**» في المغفرة فقط، لا في كل الدعاء، هذا المعنى لا يقول اللّهمَّ أصلحه إن شئت وإن شئت فلا تصلحه، لا نفس الوضع أنك إذا قلت إن شئت في هٰذا، اللّهمَّ انصر المسلمين إن شاء الله، نسأل الله أن ينصر المسلمين إن شاء الله هنا ذكر المشيئة خطأ؛ ولهٰذا يعظم الرغبة ويعزم المسألة سواء في موضوع المغفرة أو في موضوع صلاح الذرية أو في موضوع التوفيق كلهذه الأمور تدعوا بها لأخيك المسلم أبعد عنها ذكر المشيئة هنا.

❁ **قال المؤلف: «باب: لا يقول: عبدي وأمتي.** في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضئ ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي**».

❁ **قال المؤلف:** «بابٌ: لا يقول: عبدي وأمتي».

أي: عبدي الذي أملكه، أي: اشتريته بمال أو اشتريت الأمة بمال، هذه تكون مملوكة عند السيد والعبد يكون مملوكًا عند السيد، العبد يطلق على من يملكه قد يطلقه على من يملكه يقول هذا ربي أي: أنه هو الذي يملكني؛ لأن من معاني الربوبية الملك، فيقول هذا الذي يملك رقبتي هذا المعني، وجه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ترك هذه الكلمة أن تقول أطعم ربك وضئ أي: يوجه الكلام لعبده يقول أطعم ربك أي: هات الطعام لربك أي: يقول أطعمني أنا فأنا ربك باعتبار أني أملكك، وضئ ربك من الوضوء أيضًا، لا يقول هٰذا، إذًا ماذا يقول؟ يقول اللفظ الذي وجه إليه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مما لا إشكال فيه؛ لأنك إذا قلت أطعم ربك وضئ ربك ما البديل لكلمة الرب؟ سيدي ومولاي، سيدي باعتبار أنه يملكني فله السيادة علي وباعتبار الولاية أن هذا الرجل يملكني فولايتي تابعة له، ولا يقل أحدكم في وصف من يملكه: عبدي للذكر وأمتي للأنثى، طيب ماذا يقول إذا أراد أن يعرف بأنه يملك هذا الإنسان أو يملك هذه المرأة؟ وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي أي: هذه الأسماء التي تكون بديلة.

اختلف أهل العلم رحمهم الله في المراد بالنهي هنا، فمنهم من يقول: إن المراد بالنهي هو على سبيل الأدب من جهة الأدب أنه ينبغي أن يتأدب ولأجل أن يحمى التوحيد حتى في اللفظ، فمن هنا ذهب بعض أهل العلم أن المقصود به النهي على سبيل الأدب والأفضل والأكمل، أما لو قال هذا عبدي

يقولون: لا إشكال من حيث المعنى يقول هذا عبدي؛ لأنه يملكه، هذه أمتي باعتبار أنها مملوكة له، ومعلوم أن الإنسان إذا قال هذا عبدي فلا يقصد أنه يعبدني، مؤكد هذا الأمر معلوم؛ لكن يقول هذا عبدي باعتبار أني أملك رقبته فهو عبد يأتمر بأمري وهكذا أمتي باعتبار أنها مملوكة لي، وهكذا قول أي: المملوك: إن هذا ربي فيه مثل ما تقدم أي: التوجيه النبوي بأن يقول سيدي ومولاي. هذه الصيغة تارة في عبدي تارة تكون على سبيل الخبر يقول هذا عبدي هذا مولاي، وتارة تكون بصيغة النداء يقول: يا عبدي يا أمتي، وتارة يكون بإضافة هذا العبد إلى غيره لا يقول هذا عبدي ولكن يقول هذا عبد فلان.

ومن أهل العلم من في رخص في هذه الصورة، يقول: لقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**ليس على المسلم في عبده وفرسه صدقة**» أي: زكاة قال: فسماه عبده لكن ما قال عبدي وإنما قال عبده «**ليس على المسلم في عبده وفرسه صدقة**» على كل حال ينبغي أن يعمل بما وجه به النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، بما فيه من البعد عن الإشكال ولما فيه من حماية التوحيد حتى في اللفظ؛ لأنه لا أحد يقول هذا أطعم ربك أي: أني رب لك خلقتك أو أني رب أستحق العبادة ما فيه أحد يعتقد هٰذا؛ لكن لما كانت الكلمة تطلق على الرب سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ على الله رب العالمين ويقال هذا العبد من ربه الحقيقي الذي يملكه الملك الحقيقي؟ هو رب العالمين، ربه الله إذًا لا تطلق على نفسك أنك أنت ربه، هذا على سبيل الأدب، ومعلوم أن الإنسان إذا قال مثل هذه الكلمة فإنه لا يقصد المسلم لا يقصد أنه في مقام الذي خلق هذا العبد وأن هذا العبد يعبد هذا الذي ملكه، معلوم وهذا أمر لا يعتقده مسلم، وهكذا إذا قال عبدي وأمتي نفس الوضع يقصد أني أملك رقبته لكن لا شك أن توجيه النبي صلوات الله وسلامه عليه هو الذي ينبغي العمل به سواء قيل بلزومه أو قيل أنه على سبيل الأدب.

۞ **قال المؤلف: «باب لا يرد من سأل بالله.** عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تُروا أنكم قد كافأتموه**» رواه أبو داود والنسائي بسندٍ صحيح».

لاحظ أن المؤلف رَحِمَهُٱللَّهُ ذكر جزءًا من الحكم ولم يذكر الحكم الآخر، أي: المسألة ما هي؟ السؤال بالله هل يجوز أو لا يجوز؟ هذه مسألة فإذا سئلت بالله له يجوز أن ترد؟ هو ركز رَحِمَهُٱللَّهُ على القسم الثاني أنه إذا سألك أحد بالله فإنك لا ترده، ولم يتعرض رَحِمَهُٱللَّهُ بأمر السؤال بالله نفسه، السؤال بالله عَزَّوَجَلَّ كأن يقول أسألك بالله مثل ما تقدم في حديث الملك: أسالك بالذي أعطاك الجلد الحسن

واللون الحسن سأله بالله الذي أعطاه الجلد الحسن واللون الحسن، فهل يصلح أن تسأل بالله؟ الواقع أن السؤال بالله يكثر في العامة من حيث لا يشعرون، ويسألون بالله عَزَّوَجَلَّ في مسائل لا ينبغي أني يسأل بالله فيها، فيقول القائل مثلًا: بالله أعطني القلم تسَأل بالله يعطيك القلم؟ بالله افتح لي الباب ما الذي فعله؟ إذا قلت بالله ما معناه؟ أي: أسألك بالله، تسأل بالله أمرًا تافهًا مثل هٰذا؟ ما ينبغي فالسؤال بالله عَزَّوَجَلَّ يكون في أمور عظام في أمور في مثل حال الضرورة كما قال الملك: رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، انظر شدة الضرورة، أسألك بالذي أعطاك الجلد الحسن أي: أنا في حال ضرورة، فعند حال الضرورة يسأل الإنسان بالله عَزَّوَجَلَّ، أما أن تقول كلمة هكذا ممتهنة فهذا أمر ينبغي أن يتفطن له وأن يلتفت إليه وهذا كثير في الناس، يسأل كثير من الناس بالله بالله، حتى سمع كلمة بالله أي: أنت أخبرته بأمر بالله؟ هذا الاستمرار قد يقولها في اليوم عشرين ثلاثين مرة غلط تسأل بالله في مثل هذه المسائل، أنت إذا قلت أعد المسألة أنا ما سمعتك أعادها دون القلم القلم يا أخي أعطني القلم بدل أن تسأل بالله أن يعطيك القلم ونحو ذلك من الأشياء التي لا ينبغي أن يقحم فيها اسم الله فاسم الله عَزَّوَجَلَّ أعظم من أن يسأل به في مثل هذه المسائل.

عندنا أمر سؤال الناس، كلما قدر الإنسان أن يستغني بالله عن الناس فهو الأولى، مجرد سؤال حتى لو لم يسألهم بالله؛ لكن لو احتاج لأخيه المسلم فالتعاون على البر والتقوى مطلوب شرعًا؛ لكن هل يسأل بالله؟ على ما ذكرنا أنه إذا سأل بالله عظم السؤال واشتد، الأمر يختلف إذا قال لك أحد مثلًا أقرضني دينًا أقرضني مالًا هذا الآن طلب يمكن أن تعتذر؛ لكن إذا قال أسألك بالله أن تقرضنني مالًا اشتد السؤال، وكان من تعظيمك لله عَزَّوَجَلَّ أن تجيبه إلى ما طلب، بينما لو سألك سؤالًا عاديًا قد تقول يا أخي أنا ما أستطيع أن أقرضك؛ لكن لما قال: أسألك بالله اشتد الأمر؛ ولهٰذا الآن عندك السائل الذي يأتي في المساجد ويسأل الناس إذا سألك الأحسن أن تعطيه؛ لكن إذا قال لك أسألك بالله أن تعطيني ينبغي أن لا تتركه وتعطيه ولو ريالًا واحدًا حتى لا ترد سؤاله بالله، إذا كنت تملك طبعًا، أما الذي لا يملك لا حيلة له؛ لكن إذا قال لك أسألك بالله احرص لا تتركه أعطه ولو ريالًا؛ لأنه سألك بالله فإذا أعطيته أي شيء فأنت قد أجبته إلى ما طلب تعظيمًا لله عَزَّوَجَلَّ، أما إذا قال لك إنسان محتاج وكذا فالأجدى والأنسب أن تعطيه ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج] وهذا سائل فأنت الآن تصير في مقام المتصدق على هذا المسكين؛ لكن إذا قال لك: أسألك بالله فقد راعيت الأمر الأهم وهو تعظيم

اسم الله عَزَّوَجَلَّ، ولهٰذا في بعض الأحوال يجب أن يجاب السائل بالله وأن لا يرد في أحوال، مثلًا إذا سأل أمرًا له فيه حق السائل المحتاج له حق في المال، فإذا سأل أن يعطى من بيت المال هو من حقه؛ لأن بيت المال من وجوه الصرف فيه أن يعطى هؤلاء المحتاجون فإذا قال: أسألكم بالله أن تعطوني فالواجب أن يعطى، ويشتد الأمر مع أن حقه الشرعي أن يعطى؛ لكن لما قال أسأل بالله الآن تعظم الأمر واشتد، إذا سأل من ليس عنده فضل مثل ما ذكرت في صورة من جاءك من السائلين وقال أسألك بالله أن تعطيني أنا محتاج: يستحب أن يعطيه على قدر حاله بحيث لا يضر نفسه؛ لكن تعظيمًا لاسم الله عَزَّوَجَلَّ ينبغي أن لا يرد هذا السائل.

إن كان السائل مضطرًا عنده اضطرار وسألك بالله يجب أن تعطيه، إنسان مضطر اضطرار سألك بالله عَزَّوَجَلَّ وأنت قد أنعم الله عليك وأتاك قد تقول هذا الرجل أنا لست ولي أمر اذهب إلى ولي الأمر يعطيه؛ لأن هذا في ذمة ولي الأمر وليس في ذمتي، نقول: الآن هو مضطر وسألك بالله يجب أن تعطيه، وتعطيه ما يسر الله عَزَّوَجَلَّ، ما السبب؟ تعظيم اسم رب العالمين سُبْحَانَهُوَتَعَالَى؛ ولهٰذا جاء عن الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كما في اللالكائي أن سائلًا سأله بالله فغضب الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وضربه لا أدري سأله بالله أو قال أسألك بوجه الله، قال: تسأل بوجه الله أي: في مثل هٰذا، ألا سألت بوجه مخلوق؟ بحيث لو رد عليك كنت سألت بفلان أو غيره؛ لكن رب العالمين لا تسأل بوجهه، ومن عجيب ما ذكر أظنه اللالكائي رَحِمَهُٱللَّهُ: أن أشعب المشهور صاحب القصص الكثيرة في الطمع يقول: كنت أحب القاسم بن محمد رَحِمَهُٱللَّهُ في الله وكان يبغضني في الله يقول هو يبغضني في الله وأنا أحبه في الله؛ لأنه كان يظنني من المرجئة ولست من المرجئة؛ لكن هو يقول كان يبغضني لهٰذا السبب فدخلت عليه في بستانه فقال: ما الذي أدخلك بستاني؟ اخرج فقلت: أسألك بالله عَزَّوَجَلَّ قنوًا من هذا النخل، يقول: وهو يكرهني وأمرني أن أخرج، فقال: يا غلام أعطه قنوًا، القنو هو العتق الذي يكون في النخلة قال: اقطع له فإنه سأل سؤالًا لا يفلح من رده، أي: تعظيم لاسم الله مع أنه يقول اخرج ويبغضه في الله؛ لكن لما قال أسألك بالله هنا ضعف وترك أمر طرده وترك كونه يبغضه تعظيمًا لاسم الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا يدل يا إخوة على أن اسم الله عَزَّوَجَلَّ ينبغي أن يعظم في الحلف بعدم كما سيأتي إن شاء الله تعالى بعدم امتهان هذا الاسم العظيم، يكثر الإنسان يحلف والله، والله قال تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٩] أي: كثرة الحلف تؤدي إلى كثرة الحنث وربما أدت إلى أن يحلف على كذب، وهكذا إذا سألك بالله عَزَّوَجَلَّ ينبغي أن تعظم اسم الله عَزَّوَجَلَّ فتقول هذا الرجل سأل

الآن بالله تعالى أمرًا لا ينبغي أن يترك، الحاصل أن السؤال بالله عَزَّوَجَلَّ على الأمرين الذين ذكرنا.

أمر السؤال بالله هل يصلح؟ والأمر الثاني من سئل بالله ما موقفه عندما يسأل بالله؟ ذكرنا أن السؤال بالله ما ينبغي أن يكون أمرًا ممتهنًا بأن يكون في لسان الله، بالله أعطني كذا، بالله أعطني ماءًا هذا ما ينبغي؛ لكن قد يحتاج السائل أن يسأل بالله، في حال الاضطرار نعم يسأل بالله عَزَّوَجَلَّ، وقد يكون في محاكمة عند قاضي فيقول لخصمه: أسألك بالله أنا أعطيتك مالًا أو لا أن وثقت فيك وما أخذت عليك بينة، أسألك بالله أنا أعطيتك أو لا؟ لأن الآن في حاجة أن لا يضيع ماله، فالخصم إذا سئل بالله وكان في قلبه تقوى يقول: بلى والله الواجب علي أن أقر أصلًا لكن لما سألني بالله عظم الأمر بلى والله هو قد أقرضني أي: أن ذكر اسم رب العالمين ينبغي أن يكون له قدر في نفس الموحد ويهتم غاية الاهتمام باسم الله عَزَّوَجَلَّ إذا هو سئل به، لهٰذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من سأل بالله فأعطوه**» ولهٰذا جاء في حديث ثابت فيما أتذكر: «**أن من شرار الناس من يسأل الله فلا يعطي**» هذا عده النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأشرار، قطعًا على التفصيل السابق.

لكن هاهنا مسألة لو سألك بالله عَزَّوَجَلَّ أمرًا لا يجوز أو لا ينبغي له أن يسأله مثل خصوصيات أمرك في بيتك كأن يقول أسألك بالله عَزَّوَجَلَّ أي: في أمر أسرتك وبعض الأشياء التي هي في خاصة نفسك بينك وبين أهلك هل يجوز له أن يسأل؟ لا يحل له أن يسأل أصلًا فإذا سألك فيما هو من شأنك مما هو من أسرارك الخاصة تقول: لا أجيبك ومن قلة أدبك أن تسأل بالله في أمر مثل هٰذا، هذه أمور خاصة بي فيما بيني وبين زوجتي فيما بيني وبين ذريتي وأهلي تريد أن تدخل وتحرجني بأن تسألني في مسائل مما هي من خصوصياتي أنت أسأت الأدب وأنا لا أجيبك؛ لأن هذه جملة من الأسرار، بل في بعض الأحيان يجب أن تحفظ هذه الأسرار وأن لا تفشى فإذا سألك أمرًا يجب عليك أن لا تفشيه يكون قد سأل أمرًا باطلًا ويكون هو الذي قل أدبه وأنت لا تجيبه.

❁ **قال المؤلف:** «ومن استعاذ بالله فأعيذوه».

أي: إذا قال لك أعوذ بالله منك، انتبه، الآن هذا الرجل تعوذ بالله منك فيجب أن تعيذه فإن كنت قد أسأت إليه أو قد تعديت عليه فإن الأمر شديد، هو الآن يتعوذ برب العالمين جبار السَّمٰوات والأرض منك احذر الأمر شديد الآن لأنه تعوذ بالله منك، ولهٰذا جاء عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه تزوج امرأة تدعى

ابنة الجُون أو ابنة الجَون فلما دخل عليها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النساء والله المستعان يوصي بعضهن بعضًا بالضر الذي يضرهن بعض النساء قلنا لها تمنعي حتى تظهري أي: بمظهر عالي فإذا دخل عليك فقولي أعوذ بالله منك، فلما دخل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عليها قالت أعوذ بالله منك أي: تريد أن تظهر مظهر المتمنعة حتى أي: تظهر عالية القدر والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيستعطفها قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذا سيد الموحدين يعلم معنى هذه الكلمة وعظمتها، قال: «**لقد عذت بعظيم أو معاذ الحقي بأهلك**» وكساها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأرجعها إلى أهلها تعوذت بالله من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد الموحدين يقال له أعوذ بالله منك ما يمكن أن يبقيها، فكساها ومتعها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأمرها أن تلحق بأهلها فكانت تحثوا التراب على رأسها لأنها كانت ستكون من أمهات المؤمنين وغرها من غربها بأن هذا يجعلك في مقام أعلى عنده ويرتفع قدرك، فلما استعاذت بالله من رسول الله فالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم الناس علمًا بالله.

۞ **قال المؤلف:** «ومن دعاكم فأجيبوه».

أي: إذا دعاك أخوك المسلم لوليمة لعرس لنحو ذلك فإنك تجيبه، وبعض أهل العلم يقول: إن الإجابة واجبة، وبعضهم يقول: واجبة في شأن وليمة العرس تحديدًا، وبعضهم يقول إنها مستحبة، وقول أكثر أهل العلم أنها على سبيل الاستحباب؛ لكن جاء في الروايات ما يدل على شدة أمر الوليمة، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها من يأباها ويمنعها من يأتيها ومن لم يجب فقد عصى الله ورسوله**» فلهٰذا ينبغي الحرص؛ إلا إذا كان عندك سبب مثل أن يكون في الوليمة هذه منكر من المنكرات لا تستطيع إزالته فتقول أنا لا آتي، آتي لأشارككم في باطلكم؟ إن أردتم أن أحضر وليمتكم التي أوجب الله علي أن أحضرها فأزيلوا المنكر، أما أن آتي لأتفرج معكم على باطلكم، أنا لا يمكن أن أعينكم على هٰذا، فقد يكون هذا سببًا في أن يزيلوا المنكر، هذا أمر طيب جدًا فتجيب الدعوة وتتسبب في إزالة المنكر أو في تخفيفه، ربما يخف المنكر، إذا سعيت في تخفيفه فهذا أمر أيضًا طيب ولا يلزم إلا إذا كان الذي دعاك مسلمًا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**حق المسلم على المسلم ست**» وذكر من ضمن هٰذا.

۞ **قال المؤلف:** «ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه».

إذا صنع لك أخوك المسلم معروفًا وأحسن إليك كافئه، احرص على أن لا يكون الإحسان من قبله،

بادل الإحسان بإحسان أنت، قد لا تستطيع ولا تتمكن فيبقى عندك الأمر العظيم الذي يفرح به في الآخرة إن قبله الله تعالى، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تُروا أنكم قد كافأتموه، ورد تَروا وتُروا لكن وجود رواية أبي داود حتى تعلموا يدل على أن الأصوب حتى تَروا؛ لأن تُروا تظنوا وحتى تَروا أي: حتى تعلموا فوردت بصيغة حتى تعلموا فرجحت هذه الرواية، تدعوا لأخيك المسلم حتى ترى أنك قد كافأته نظير عمله، وإن قبل الله دعوتك كان معروفك إليه أعظم بكثير من معروفه الذي أسداه إليك.

۞ **قال المؤلف: «باب: لا يسأل بوجه الله إلا الجنة.** عن جابر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**» رواه أبو داود».

الباب يدل على إثبات الوجه لله عَزَّوَجَلَّ كما يليق به، ودل على هذا القرآن والسنة والنصوص في هذا كثيرة الدالة على إثبات وجه الله الكريم، وهو أعظم لذة أهل الجنة أن يروا وجه جبار السَّمٰوات والأرض، أسألك لذة النظر إلى وجهك كما في الحديث، ففيه دلالة على إثبات وجه الله عَزَّوَجَلَّ وجهًا عظيمًا يليق بجلاله وعظمته.

هٰذا الوجه العظيم الذي هو أمنية وغاية قصد المؤمنين أن يروه تبارك وتعالى، وهو أعظم لذة على الإطلاق في الجنة لا ينبغي أن يسأل به إلا الجنة، لا يسأل بوجه الله إلا الجنة؛ وذلك أن الجنة أعلى المطالب وأرفعها، ولما كان وجه الله عَزَّوَجَلَّ أعظم من كل شيء كان لا ينبغي أن يسأل بهٰذا العظيم إلا أعلى المقامات وهي الجنة، أما أن تسأل بوجه الله عَزَّوَجَلَّ ما سوى الجنة فلا يليق هٰذا.

ما المقصود بقوله ﷺ: «**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**»؟ قد يكون المراد لا يسأل أحد من المخلوقين، كما تقول لإنسان أسألك بوجه الله أن تعطيني كذا، ويمكن أن يكون المراد في سؤالك لله ما تقول: اللّٰهمَّ إني أسألك بوجهك أن تقضي عني ديني مثلًا، بل تسأل الله تبارك وتعالى بوجهه الجنة، ولا يمنع لأنه ورد في بعض النصوص ما يدل على السؤال بوجه الله تعالى غير الجنة، إذا تأملت هذه الأشياء التي يسأل الله تعالى إياها بوجهه تجد أنها موصلة إلى الجنة، أو سؤالًا لله تعالى بأن يعيذك من النار فتكون في نفس المعنى فأنت تسأل الله اللّٰهمَّ إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، فإذا سألت الله بوجهه الجنة أو سألت الله بوجهه ما يوصلك إلى الجنة من العون على ذكره وشكره وحسن عبادته فأنت في حد السؤال الذي لا إشكال فيه، ومن أهل من

العلم من يقول: إن الحديث لا يثبت وضعفه غير واحد من أهل العلم؛ لكن جاء في روايات في بعض الروايات: «**ملعون من سأل بوجه الله، وملعون من سُئل بوجه الله ثم منع سائله ما لم يسأل هجرًا**» هذا يدل على تعظيم أمر السؤال بوجه الله تعالى أنه لا يسأل بوجه الله إلا هذه الأمور العظام ولا يسأل بوجه الله تبارك وتعالى في مثل الأمور الدنيوية التافهة وإنما يعلى من قدر هذا الوجه الله العظيم، فلا يسأل بوجه الله تبارك وتعالى إلا أعظم وأجل ما يسأل به وهو الجنة.

۞ **قال المؤلف:** «**باب ما جاء في اللو**، وقول الله تعالى: ﴿**يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا**﴾ الآية [آل عمران:١٥٤] وقوله: ﴿**الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا**﴾ الآية [آل عمران:١٦٨].

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تَعجِزَّن، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا؛ ولكن قل: قدّرَ الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**».

۞ **قال المؤلف:** «باب ما جاء في اللو».

أدخل أل التعريف على هذا الحرف، مع أن أل لا تدخل إلى على الأسماء، ما السبب؟ أنه مراده اللفظ أي: المراد باب ما جاء في هذا اللفظ وهو لو؛ وإلا فالحروف لا تدخل عليها فلا تقول أل في أل من أل على ما تدخل، وهكذا لو؛ لكن لما كان مراده رَحِمَهُ اللهُ اللفظ نفسه أي: باب ما جاء في هذا اللفظ وهو لو، واستشهد له الشيخ عبد الرَّحمٰن بن حسن بقول الشاعر:

رأيت الوليد بن اليزيد مباركًا ... شديدًا بأعباء الخلافة

مع أنه اسمه الوليد بن يزيد وليس اليزيد؛ لأن المراد اللفظ وليس المراد نفس الحرف هنا.

هل يصح أن تقول لو أن هذا حصل لكان كذا؟ من أحسن ما فصل فيها الشيخ العلامة محمد بن عثيمين رحمة الله تعالى عليه، وذكر أن استعمال لو على عدة وجوه:

○ **الوجه الأول:** أن تستعمل في الاعتراض على الشرع وهذا محرم، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بأن يخرجوا إلى قتال المشركين في أحد فقال المنافقون: لو أطاعونا ما قتلوا، هذا اعتراض على أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي هو من الشرع، فهذه حالة.

○ **الوجه الثاني**: أن يستعمل في الاعتراض على القدر كما ذكر عندك في الآية: ﴿كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٥٦] موتهم وقتلهم بقدر، فقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا هذا اعتراض على القدر.

○ **الوجه الثالث**: أن تستعمل للندم والتحسر وهذا لا يصلح أيضًا لا ينبغي؛ لأن هذا يفتح الندم وفيه نوع من الاعتراض على القدر، وفي الحديث: «**لو أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا**».

○ **الوجه الرابع**: أن تستعمل لو في الاحتجاج بالقدر على المعصية كقول المشركين: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا﴾ [الأنعام: ١٥٨] شركهم معصية فاحتجوا على شركهم بالقدر هذا لا يجوز أيضًا.

○ **الوجه الخامس**: أن تستعمل لو في التمني ما حكمها؟ بحسب ما تتمنى فإن كنت تتمنى خيرًا فهذا طيب، وإن كنت تتمنى شرًا فهذا سيئ بحسب أمنيتك، ففي الحديث المشهور في قوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إنما الدنيا لأربعة نفر**» وفيه الأول: الذي آتاه الله تعالى مالًا فينفقه في وجوه الخير، الثاني يقول: لو أن لي مالًا لفعلت مثل ما فعل فلان هو ما عنده مال لكن يقول لو أن عندي لعملت مثل عمله، فتمنيه هذا جعله كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**فهو بنيته فأجرهما سواء**» أما إذا تمنى شرًا كما في الصنف الثالث منهم من آتاه الله مالًا فاستعمله في السوء وفي الشر، يجيء الرابع يقول: لو أن لي مالًا لعملت بعمل فلان أي: الثالث وهو الذي استعمل المال في الشر فهما في الوزر سواء، أي: أن استعمالك للو في التمني تقول لو كان عندي مال لبنيت المساجد وأطعمت الجياع فهذا جيد وحسن، استعمال لو هنا تقول لو أنه يكون عندي هذا لفعلت فاستعمالك للو هنا طيب وحسن، أما قول لو قلت لو كان عندي لاستعملته والعياذ بالله في كذا وكذا من الشر والمعاصي والعياذ بالله تعاقب ولم تفعل بنيتك السيئة. ذًا استعمال لو في التمني ما يقال إنه صواب ولا أنه باطل إلا بحسب ما تتمناه إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

○ **الوجه السادس**: أن تستعمل لو في الخبر المحض الخبر المجرد تجد رجلًا غافلًا عن الدروس والعلم، فتقول: لو حضرت الدروس لاستفدت، لو تعلمت العلم لكان خيرًا لك، هذا الآن خبر محض تخبره خبرًا محضًا يصح ما فيه إشكال، ومنه قول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي**» **هذا** إخبار منه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقيل: إنه من باب التمني كأنه يقول ليتني استقبلت من أمري ما استدبرت حتى لا أسوق الهدي، هذه وجوه لو ومن أحسن مثل ما ذكرت من تعرض لها

بالتفصيل الشيخ محمد رحمة الله تعالى عليه، وهذا يدل طالب العلم على ما قلناه في بداية شرح الكتاب، الشروح لا يغني بعضها عن بعض، فتجد في شرح الشيخ عبد الرَّحمٰن بن حسن فوائد نفيسة قد لا تجدها في شروح أخرى، تجد في شرح الشيخ سليمان بن عبد الله تيسير العزيز الحميد فوائد لا تجدها في شرح الشيخ عبد الرَّحمٰن بن حسن؛ لأنه اختصر شرح الشيخ سليمان رحمهما الله وزاد عليه زيادات، وهكذا مشايخنا رحمة الله تعالى عليهم والمشايخ الموجودون الآن أو المشايخ الذين توفوا رحمهم الله تعالى على حسبه تجد أن أحد الشراح يجتهد في باب من الأبواب فيأتي فيه بنفائس لا تجدها عند غيره؛ ولهٰذا ينبغي الحرص على الاستفادة من هذه الشروح جميعًا.

❁ **قال المؤلف:** «باب ما جاء في اللو، وقول الله: ﴿يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤]».

هذه من مقولة الكافرين على سبيل الاعتراض على أمر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بالخروج يوم بدر، ﴿يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَا﴾ هذه الكلمة قالها عبد الله بن أبي المنافق، يقول معتب بن بشير: ما أسمعه إلا كالحلم؛ لأن الصحابة أصابهم النعاس فكان من الأمنة التي وقعت فكان يسمع قول معتب يقول ما أسمعه إلا كالحلم ﴿يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَا﴾ فذكر الله تعالى هذا منهم على سبيل أنهم قالوه على سبيل الاعتراض على أمر رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بالخروج إلى الكفار.

ثم ذكر قول الله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران:١٦٨] هذا منهم على سبيل أيضًا على سبيل قولهم الذين قالوا لإخوانهم أي: في النسب لا في الدين؛ لأن المنافق ليس أخًا للمؤمن وإن كان يتظاهر بأنه أخوه؛ لكن قد قطع الله تعالى الصلة بين المؤمن وبين المنافق الذي هو نفاق أكبر وليس من عنده خصال من خصال المنافقين، وإنما أهل النفاق الأكبر فهؤلاء ليسوا من المسلمين في شيء، ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ هذه أيضًا قالها المشركون وجاء أنها نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه.

ثم ذكر ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن النبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ قال أول الحديث: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**».

○ما المراد بالقوة هنا؟ هل هي قوة الجسد والبدن؟

ظاهر الحديث أن المراد قوة الإيمان؛ لأنه وصف متعلق بالإيمان أي المؤمن القوي في إيمانه وما يقتضيه إيمانه خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، فقد يكون الإنسان ضعيف البنية جدًا لكن آتاه الله إيمانًا راسخًا، وقد يكون الإنسان قوي البدن لكن عنده ضعف في الإيمان فالممدوح قوة الإيمان لا مجرد قوة البدن، إذا استعملت قوة البدن في الخير يمدح عليها؛ لكن المقصود بالقوة هنا المؤمن القوي يعين في إيمانه خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير؛ لأن هذا مؤمن وهذا مؤمن ففيهما الخير لكونهما من أهل الإيمان.

ثم قال صلوات الله وسلامه عليه أمورًا ثلاثة: «**حرص على ما ينفعك**» يكون عندك حرص على ما فيه نفع لك في دينك في المقام الأول وكذلك في دنياك، دنياك تحرص على أمر الرزق الحلال وتبذل السبب فيه، ولا تجلس هكذا ولا تبذل سببًا حتى تفتقر ويفتقر من تحت يدك مع قدرتك على العمل، احرص امضي في طريق هذه المكاسب المباحة واحرص على ما ينفعك، وهكذا كل ما ينفعك في دينك ودنياك احرص عليه، من أعظم ما ينبغي أن يحرص عليه الشباب الحرص على العلم، فإن العلم الشرعي من أعظم ما ينبغي أن يحرص عليه، يقول لهم بنور في أمر دنياهم وفي دينهم ويكونون عابدين لله على بصيرة، «**واستعن بالله**» لأن الحرص الآن منك؛ لكن الله تعالى إن لم يعنك لم تنتفع بالسبب ولم تنتفع بالبذل وبالجهد، وعلى هذا ابذل السبب من جهتك لكن اطلب المعونة من الله عَزَّوَجَلَّ، فإن الله عَزَّوَجَلَّ إن لم يعنك لا ينفعك ما بذلت من سبب، قال: «**ولا تَعجِزَّن**» في هذا النهي عن العجز، الإنسان يصاب بأمرين اثنين، الأمر الأول: الكسل؛ ولهٰذا جاء في الحديث: «**أعوذ بك من العجز والكسل**» ما فرق العجز عن الكسل؟ الكسل الإنسان عنده قدرة تمكن من الذهب والمجيء والسعي والبيع والشراء والتماس الرزق وطلب العلم؛ لكن كسول يحب النوم يحب عدم بذل الأسباب مضيع لأوقاته هذا عاجز أو كسول؟ كسول، أما العاجز نسأل الله العافية والسلامة فهو الذي لا يتمكن كإنسان مقعد لا يستطيع الذهاب البيع والشراء فهذا عاجز، هنا يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**ولا تعجزن**» أي: لا تفعل فعل العاجز من التكاسل، أما الذي قد أصابه العجز لا لوم عليه، فنهاك النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن العجز، ثم قال: «**وإن أصابك شيءٌ**» يصيب الإنسان أمور على خلاف ما ابتغى، يريد أمرًا فلا يتحقق يتلافى أمرًا فيقع مثلًا، فإذا وقع ما لا تريد فانتبه «**فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا**» الله تعالى قد قدر هذا الأمر عليك قبل

أن توجد فلا بُدَّ أن يقع، فإذا وقع الأمر إياك ولو، وإنما هذا أمر قد قدره الله «**ولكن قل: قَدَرُ الله وما شاء فعل**» ويصح قدَّرَ الله وما شاء فعل، أي: أن الله تعالى الذي قدر هو الذي يشاءه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ سيفعله عز اسمه لا إلٰه إلا هو فعال لما يريد؛ لكن أنت إذا بذلت السبب الشرعي، ولم يتحقق لك ما أردت أو وقع لك عكس ما أردت وحصل الذي كنت تهرب منه فارض بقضاء الله سبحانه وقسمته واعلم أن الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حكيم عليم في قدره، فأنت لا تفتح للشيطان بابًا فتقول: لو أني فعلت كذا، كما يقول بعض الناس لو أني ما خرجت في المطر ما جاء لي حادث السيارة، سبحان الله أنت قد قدر لك أن تخرج لا بُدَّ أن تخرج، ما يمكن ما تخرج فاترك عنك هٰذا، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**فإن لو تفتح عمل الشيطان**». أي: لو أن الشيطان إذا فتحت له إذا قلت لو انفتح له على قلبك أن يلقي عليك الحسرة والندم والحزن وهو حريص على التحزين قاتله الله وخذله وأبعده عنا جميعًا، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المجادلة: ١٠] هو يحرص على ذلك حتى في المنام؛ ولذلك في المنام يأتي برؤيا تحزين كما قال عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**ورؤيا تحزين من الشيطان**» فهو حريص على الإضرار بالمسلم قدر مستطاعه، فأنت لا تفتح على نفسك الباب، لو أني فعلت كذا كان كذا، لا قل قدر الله وما شاء فعل واحمد الله تعالى على ما وقع والله عز اسمه لا إلٰه إلا هو أعلم منك بالذي يصلحك ولعل فيما وقع لك خير تجد عاقبته فيما بعد.

❁ **قال المؤلف: «باب النهي عن سب الريح.** عن أبي بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللّٰهمَّ إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به**» صححه الترمذي».

الريح يسيرها الله عَزَّوَجَلَّ ويأمرها وهي مطيعة لرب العالمين سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فلا وجه بتاتًا لسب الريح، حتى لو أنها مثلًا اقتلعت الخيام أو أضرت الناس أو تسببت في تعطيل المسافر عن سفره أو فرقت أي: بضاعته لا يحل أن تسب الريح، الريح مطيعة لله وهي التي يسيرها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ما تتصرف هكذا هي من نفسها بل يسيرها رب العالمين؛ ولهٰذا نبه الشيخ عبد الرَّحمٰن بن حسن رَحِمَهُٱللَّهُ في الشرح إلى أن سب الريح يقال فيه ما يقال في سب الدهر، لما كان سب الدهر لا يجوز؛ لأن سبك للدهر يقع سبًا لرب العالمين سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كان ذلك منهيًا عنه، قال: فكذلك الحال بالنسبة لسب الريح؛ لأن الريح مدبرة مسخرة يسخرها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فسب الريح أولًا: الحقيقة أنه مخالف للشرع، الأمر الآخر أنه

يدل على قلة عقل ساب الريح، الريح هذه ليست أي: خصمًا لك عدوًا من الناس أي: أتى وتسبب في أذيتك بل هي مسخرة مثل الشمس والقمر والبحر والمطر كلها مسخرة لرب العالمين، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فسبك لها مخالف للشرع إذ هي جند من جند الله تبارك وتعالى مثلها مثل المطر وغيره ثم إنها تدل على قلة عقل الإنسان، كيف يجعل الإنسان من الريح مثل الخصم له؟ ويوجه السب والشتم والعبارات السيئة للريح وهي مطيعة لربها تبارك وتعالى، إذًا فسبها سب في واقع الأمر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما قلنا في أمر سب الدهر.

بيّن عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الوجه السليم الصحيح إذا وقعت الريح؛ لأن الإنسان قد يتضرر بالريح، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون**» أي: من هذه الريح «**فقولوا: اللَّهمَّ إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به**» نسألك من الخير الذي في هذه الريح؛ لأن الريح يكون فيها خير ويكون فيها شر فتسأل الله تعالى من خير هذه الريح، فالريح تسوق بأمر الله تعالى السحاب حتى يصل بإذن الله تعالى إلى بلد، ثم إن الله تعالى ينزل به المطر فينتفع الناس به فتسأل الله من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به؛ لأنها تؤمر كما تقدم تؤمر بما فيه الخير، «**ونعوذ بك من شر هذه الريح**» لأن الله تعالى لو سلطها قد تهلكك كما سلط الله تبارك وتعالى على عاد الريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، فتتعوذ بالله من شر الريح، «**وشر ما فيها وشر ما أمرت به**» من الإهلاك والتدمير فتسأل الله تعالى ذلك وهذا هو الوضع السوي السليم والتوجيه النافع أن يترك الإنسان سب الريح ويبعد عن فعل الحمقى ومن لا يفقهون وفي الوقت نفسه يسأل من يسخرها ويدبرها تعالى الخير الذي فيها ويتعوذ بالله من الشر الذي فيها.

۞ **قال المؤلف:** «**باب قول الله تعالى:** ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤].

وقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ الآية [الفتح:٦] قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في الآية الأولى: فسِّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل.

وفسِّر بظنهم بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسِّر بإنكار الحكمة وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره الله على الدين كله.

وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجَب حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهٰذا، وليتب إلى الله وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء.

ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك، هل أنت سالم؟ فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة؛ وإلا فإني لا أخالك ناجيًا».

۞ **قال المؤلف:** «باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران:١٥٤]».

الواجب أن يظن بالله تعالى أحسن الظن، وفي الحديث أن الرب تعالى يقول: «**أنا عند ظن عبدي فليظن بي ما يشاء، إن ظن خيرًا كان له وإن ظن شرًا كان له**» فينبغي أن تظن بالله عَزَّوَجَلَّ الأفضل والأحسن والأكرم وحتى لو وقع لك ما وقع تظن بالله عَزَّوَجَلَّ أنه أراد بك خيرًا وأنه هو الأنسب والأحسن لك.

وتأمل ما وقع ليعقوب عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما افتقد ابنه يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ثم أخذ ابنه الثاني الذي كاد يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حتى يبقى عنده، ثم قال الثالث: ﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ﴾ [يوسف: ٨٠] فعظمت المصيبة بفقد هؤلاء الثلاثة جميعًا من الأولاد، ماذا قال يعقوب؟ ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ﴾ [يوسف: ٨٣] انظر حسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، ما قال عسى الله أن يأتيني بأحدهم، قال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ﴾ حتى يوسف الذي افتقده منذ سنين، حسن ظن بالله عَزَّوَجَلَّ واجب أن يظن بالله عَزَّوَجَلَّ دائمًا الظن الحسن، سواء فيما يتعلق بك أو فيما يتعلق بالأمة من أوضاعها أو في سائر الأمور مما يتحقق لك ومما لا يتحقق، مما تحب ومما تكره، تعلم أن لله عَزَّوَجَلَّ في ذلك الحكمة البالغة وأن الله تعالى قد يعقبك الخير الكثير فلا تظنن بالله تعالى إلا أحسن ظن، فإذا ظننت بالله الظن الحسن كنت عند ظنه عز اسمه فيأتيك ما ظننته عَزَّوَجَلَّ.

ذكر قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ﴾ هذا في موقعة أحد، أيضًا من المنافقين ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ﴾ قالها أيضًا عبد الله بن أبي، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ﴾ الآية، فظنهم هنا ظنوا بالله تعالى غير الحق، وهكذا الآية الأخرى في سورة الفتح: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾ [الفتح:٦] ما الظن الذي ظنوه؟ تكلم عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كلام مطول جدًا لابن القيم؛ لكن الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ اختصره، وإلا كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ صفحات متوالية في زاد المعاد فاختصره اختصارًا جيدًا يتناسب مع الكتاب، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فسِّر هذا الظن بأن الله لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل أي: سينتهي، هذا الدين وسيضمحل أمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، هذا ظن سوء، الله تعالى هو الذي بيده الملكوت ينصر من يشاء ويذل من يشاء، فكيف يظن برب العالمين أنه يخذل رسوله الذي بعثه رحمة للعالمين، وإذا وقع ما وقع على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من المصائب وعلى المسلمين فذلك لا يعني أن دين الله سيضمحل، لا ينبغي أن يظن بالله تعالى هذا الظن السوء، وهكذا الآن أوضاع الأمة وما قد يقع مما يوغر الصدور وما يحصل لا يجوز أن يظن بالله تعالى ظن السوء، بل يظن بالله عَزَّوَجَلَّ أحسن الظن أن الله سيعقب الأمة خيرًا وفرجًا ويحرص كل أحد على أن يكون سببًا من أسباب العز للأمة وأن يفرج الله تعالى به وأن يعود على نفسه وعلى أهله بالإصلاح حتى

تصلح الأمة وأن يبذل ما أوجب الله من البذل في سبيل رفعة هذا الدين، أما أن يظن أو يستكين أو يصيبه اليأس هذا ليس من الظن الحسن برب العالمين بل يظن بالله تعالى أحسن الظن وأن الله تعالى سيعقبه ويعقب أمته النصر والتمكين إذا هم رجعوا إليه عَزَّوَجَلَّ.

وفسِّر هذا النوع الأول من ظن السوء الذي فسر به في الآية.

فسر بأمر آخر أن ما أصاب لم يكن بقدر الله ولا بحكمة، ففسِّر أيضًا بإنكار الحكمة أي: أن الله قدره هكذا بلا حكة اعتباطًا نعوذ بالله، هذا من أخبث ما يكون اعتقاده، لا يمكن أن يقع في ملكوت الله عَزَّوَجَلَّ من أقداره شيء إلا بحكمة، حتى لو تعجبت منه، حتى لو استغربت منه، حتى ولو لم تظهر لك الحكمة الله عَزَّوَجَلَّ له الحكمة، حكمة بالغة له تبارك وتعالى؛ لكن كونك لا تظهر لك الحكمة لا يعني أنه ليس هناك حكمة، بل لله أبلغ الحكم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وإن لم تظهر لك.

وفسر بإنكار القدر كما يفعله نفاة القدر مما يقولون هذه الأمور غير مقدرة، وإنكار أن يتم أمر رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأن يظهره الله على الدين كله أي: بعد أن حصل ما حصل من النكسات والنكبات قالوا كيف ينصر هذا الدين كل هذا من ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، لماذا كان هذا ظن السوء؟ لأنه ظن غير ما يليق بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، الذي يليق بالله تعالى أنه سيحقق وعده، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [غافر: ٥١] وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [النور: ٥٥] الذي ينبغي أن تظنه هو هذا أن الله تعالى سيمضي أمره وأنه تبارك وتعالى سيتحقق وعده، أما أن تظن العكس أن وعده لا يتحقق أنت الآن تظن بالله ظن السوء أنه تبارك وتعالى لم يحقق ما وعد سبحان الله وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق بالله، لا يجوز أن تظن بالله الشيء الذي لا يليق به، بل الذي يليق به من النصر والتمكين وإيفاء ما وعد به، هو الذي ينبغي أن يظن، وغير ما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

ثم قال: فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة بمعنى أن ينتصر الباطل انتصارًا تامًا ويظهر الكفار ظهورًا تامًا، ويضمحل الحق إلى الأبد فهذا قد ظن بالله تعالى ظن السوء؛ لأن الله منجز وعده وسينصر أهل دينه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وإن اشتدت الكروب وعظمت المحن لا بُدَّ أن ينصر الله تعالى

دينه في نهاية الأمر وفي نهاية المطاف، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، وهذا كما قلنا من فعل منكري القدر، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل يقال هذا الذي قدره الله على صعوبته وشدته ينبغي أن يقال الحمد لله على ما قدره؛ لأن لله تعالى في ذلك الحكمة البالغة، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، أي: مجردة من حكمة، فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

ثم قال أمرًا ينبغي يا إخوة أن نتفطن له ونعود له في أنفسنا، يقول: وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، تجد أن الإنسان منهم في قرارة نفسه يقول كان ينبغي أن يكون وضعي مثلًا المادي أفضل من وضعي الحالي، هذا المرض الذي أصابني كان ينبغي أن لا يصيبني يقول هذا في النفوس كامن داخل في النفوس، وإن لم يصرح به الإنسان، يقول: فيما يختص بهم تجد أنهم يظنون بالله ظن السوء، وفيما يفعله بغيرهم سبحانه، فيما يفعله بغيرهم قد يوفق الله عَزَّوَجَلَّ قرينًا من أقرانك وزميلًا من زملائك ويتيسر له الأمر فتجد أن الإنسان عنده نوع من الاعتراض على ما حصل له أو العكس، قد يصاب إنسان بمرض وهو رجل خير وفاضل فتجد بعض الناس يقولون كلمة قبيحة جدًا، يقولون: والله فلان ما يستاهل، كيف ما يستاهل؟ من خصمه؟ أيليق أن تقول في إنسان أصاب مرض ما يستاهل تدري ما معنى هٰذا؟ أي: أن الله تعالى أوقع قدرًا ما كان ينبغي أن يوقعه، بل تقول هذا الذي وقع عليه عسى الله أن يرفع به درجته وأن يعجل له بالشفاء والله عَزَّوَجَلَّ له الحكمة البالغة، أما أن تقول ما يستاهل ما يقع عليه من مرض مثلًا أو كروب أو محن، أو ما يستاهل ما وقع له من توفيق ورزق كل هذا من ظن السوء بالله عَزَّوَجَلَّ، ثم قال: ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهٰذا، وليتب إلى الله وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء أي: سواء فيما يختص بنفسه أو غيره.

ثم قال: ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له، تجد كثيرًا من الناس لو أنك فتشت وناقشته لوجدت أنه متعنت على القدر وأنه يلوم لماذا يقع كذا؟ لماذا يحصل لي كذا؟ لماذا وقع لفلان كذا؟ ثم قال رحمة الله تعالى عليه: لوجدت عنده تعنتًا على القدر وملامة له وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا أي: مما لم يقع، وهذا لم يقع فكان ينبغي أن يقع كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، أي: الناس في هذا منهم من عنده هذا الأمر على جانب قليل لكن منهم من هو مكثر من هذا الأمر.

ثم قال رحمة الله عليه: وفتش نفسك، هل أنت سالم؟ أي: ما فائدة العلم الآن وعرفت هذا الأمر إذا

عرفت أن كثيرًا من الناس على هذا الحال يقول ارجع إلى نفسك أنت فيما يتعلق بك وما يتعلق بغيرك هل أنت سالم من ظن السوء بالله عَزَّوَجَلَّ؟ فإن تنج منها أي: من هذه المسألة تنج من ذي عظيمة أي: نجوت من ظن السوء فقد نجوت من أمر عظيم شديد وإلا فإني لا أخالك أي: أظنك ناجيًا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى وصحبه.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

* * *

---

(١) نهاية المجلس التاسع عشر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

❁ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب ما جاء في منكري القدر.** وقال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبًا، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر.

ثم استدل بقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**». رواه مسلم.

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: رب! وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**» يا بني! سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من مات على غير هذا فليس مني**».

وفي رواية لأحمد: «**إن أول ما خلق الله تعالى القلم، ثم قال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**».

وفي رواية لابن وهب قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار**».

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: أتيت أُبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهبًا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار، قال: فأتيت عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. حديث صحيح، رواه الحاكم في صحيحه».

❁ **قال المؤلف:** «باب ما جاء في منكري القدر».

القدر يتم للعبد بأن يؤمن بأن أي شيء يقع في هذا الكون فلا يمكن أن يقع إلا بسابق علم من الله، وأن الله تعالى قد كتبه وأنه بمشيئته وأن الله هو خالق الخلق وأفعالهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإذا آمن بذلك فقد آمن بالأمر المتعلق بالربوبية العظيم؛ لأن الإيمان بالقدر مرتبط بالربوبية؛ لأن القدر هو قدرة الله، فالإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، ومن لم يؤمن بالقدر فإنه قد ترك ركنًا من هذه الأركان كأنه ترك ركن الإيمان باليوم الآخر، أو ترك ركن الإيمان بالملائكة، ولهٰذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب ما جاء في منكري القدر من الوعيد الشديد. وأورده رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا.

أول ما نشأ الإنكار لأمر القدر على يدي مجوسي يدعى سيسويه من المجوس وحسبك به خبثًا ودناءة زعيم المقالة من المجوس، وقال به أيضًا رجل من النصارى يدعى سوسن أظهر الإسلام ثم عاد إلى نصرانيته ثانية ولم يؤثر هذا الخبيثان في أحد إلا في حثالة حتى تقلد الأمر عدون الله معبد الجهني، فلما كان من هذه الأمة واسمه من اسم المؤمنين انتشرت المقالة من طريقه وفشت في بلدان ولا سيما في البصرة، ولهٰذا في أول حديث صحيح مسلم، والذي نقل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام ابن عمر فيه أن عبد الرَّحمٰن بن يعمر وصاحبه أتيا ابن عمر وقال: إن أناسًا عندنا في البصرة يتطفلون العلم أي: عندهم شيء من التتبع والزيادة والتقعر في البحث عن العلم و هذه من علامة الشر ليست من علامة الخير؛ لأن التقعر والمبالغة هذه ليست من سمات أهل العلم وإنما طالب العلم يطلب العلم بطريقة ليس فيها مبالغة وتقعر وتكلف، وإنهم يقولون: لا قدر والأمر أنف أي: أن الأمور لم يجري بها قدر من الله وإنما الأمر جديد مستأنف لا يعلمه الله، استعظم ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ذلك فقال: إذا لقيت أولئك فأعلمهم أني بريء منهم وأنهم برءاء مني؛ لأنه هذه المقولة يرتد بها قائلها، واتق السلف على أن القدرية الأوائل كفار خارجون من الملة؛ لأنهم يقولون إن الأمور لا تقع بعلم الله أصلًا وإنما تقع الأمور والله لا يعلم عنها، من أغلظ وأفحش الكفر؛ لأن معنى ذلك أن الأمور تجري بلا علم من الله وبالتالي من قدرها من يصرفهذه الأمور؟ وهذا يفتح الباب لأشد وأقبح أنواع الكفر؛ ولهٰذا أطبق السلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ على كفر هذه الطائفة وقتل عدو الله معبد الجهني، ثم قتل عدو الله الذي أخذ المقالة عنه غيلان الدمشقي وتتبع القدرية فاضمحل هذا المذهب الخبيث اضمحلالًا تامًا وانقطع دعاته؛ لأن الصحابة رموهم بالشهب وقاوموهم وقتل دعاة هذه المقالة، و هذه المقالة الخبيثة قائمة على إنكار مراتب القدر الأربعة التي ذكرنا: العلم، والكتابة،

والمشيئة، والخلق هؤلاء القدرية الأوائل، ورثتهم طائفة خبيثة تدعى طائفة المعتزلة فأثبتوا علم الله وكتابته ونفوا قدرته ومشيته وكلهم يجمعهم أنهم قدرية وفيهم الخبر: «**القدرية مجوس هذه الأمة إن ماتوا فلا تشهدوهم وإن مرضوا فلا تعودوهم**».

۞ **قال المؤلف:** «باب ما جاء في منكر القدر».

أي: من هذا الوعيد، وذكر قول ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبًا ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه؛ لأن إنكاره للقدر يجعله كافرًا، فلو أنفق الإنفاق العظيم ما يقبل الله منه؛ لأن الله لا يتقبل من الكفار، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر.

ثم روى الحديث المشهور حديث جبريل وفيه: لما سأل جبريل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان قال: «**الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**». وفي اللفظ الآخر: «**خيره وشره من الله**» كلها أمور يقدرها الله ولا يقع في الكون تحريكة ولا تسكينة إلا بإذن جبار السَّمٰوات والأرض وإلا فما معنى الربوبية؟ ما معنى الربوبية إذا لم يكن الأمر بتدبير الله، إذا كانت الأمور تقع والله لا يريدها فتقع فذلك انتفاء نسأل الله العافية أمر الربوبية؛ ولهٰذا شرك القدرية في الربوبية قبيح غليظ جدًا، الشرك تارة يكون في الألوهية بأن يعبد غير الله ويذبح لغير الله، وهناك شرك قبيح جدًا وهو الشرك في الربوبية بأن يعتقد أن التدبير مع الله عَزَّوَجَلَّ فيه شريك أو ينفرد أحد بالتدبير دون الله.

ثم ذكر حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وصيته لابنه وكان قد مرض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فطلب منه ابنه أن يعهد إليه ويوصيه في آخر عمره فأمر أن يجلس وذكر له هذه الوصية: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان، وذلك أن الإيمان درجات ولا يمكن أن يبلغ أعلاه إلا من قبل من آمن بالقدر، حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، ما أصابك وحصل لك وقدر عليك يستحيل أن يخطئك وأن لا يقع لأن الله تعالى قد قدره، وما أخطأك وفاتك ولم يتحقق لك أو لم يصبك فإنه لا يمكن أن يصيبك، ما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: رب! وماذا أكتب؟**» القلم لا يقدره إلا الله ولا يحيط بعظمته إلا الله، لما خلقه الله تعالى أمره تعالى أن يكتب فجرى في تلك الساعة بالمقادير كلها والله على كل شيء قدير، كتبت كل الأمور، فأول ما خلق الله القلم، قال له اكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ «**قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**» ثم قال عبادة: يا بني!

سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من مات على غير هذا فليس مني**» من مات على غير هذا المعتقد في القدر فليس من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهذه براءة من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه. وفي لفظ: «**إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**».

وفي رواية: «**فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار**» أي أن الله عَزَّوَجَلَّ سيدخله مدخل أهل السعير نسأل الله العافية والسلامة.

ابن الديلمي تلميذ من تلاميذ الصحابة وطالب العلم إذا أتته شبهة أو جاء عنده استشكال فينبغي أن يسأل أهل العلم و هذه فيها فائدة أن إزالة الشبهة لا تكون من قبل طالب علم مع طالب علم نظير له أو أن يسأل عنها من لا يعلمها، فإن ذلك لا يزيده إلا عمى؛ لكن يسأل أهل العلم، لهٰذا انظر من ذهب إليه، ابن مسعود وحذيفة وابن زيد وأبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُم من سادات أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجاء وقال لأُبي: في نفسي شيء من القدر، أي: كأنه عنده شيء الاستشكال والشبه فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهبًا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار، قال: فأتيت عبد الله بن مسعود، لاحظ وحدة الصحابة الاعتقادية عقيدة واحدة فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك كلهم تحدثوا بنفس العقيدة؛ لأن هذا الكلام من أين أتى به أبي؟ من عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من النصوص، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فهذا كله يؤكد على عظم شأن القدر وأن الواجب الإيمان بالقدر خيره وشره وأن يعلم أن إنكار القدر من أفحش وأفظع ما يكون في الاعتقاد؛ لأنه يجعل الأمور موكولة إلى غير الله نعوذ بالله من حال أهل النار وبإذن الله وحوله إن شاء الله ونحن في القدر نقول بتقدير الله بإذن الله تعالى في الأسبوع القادم نتم الكتاب إن شاء الله متبقي سبعة أبواب فبإذن الله تعالى سيتم الكتاب بإذن الله في الأسبوع القادم ولن نحتاج إلى جلسة في الأسبوع الذي يليه إن شاء الله.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

---

(١) نهاية المجلس العشرين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

❁ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب ما جاء في المصورين**: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قال الله: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة**» أخرجاه.

ولهما عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذي يضاهئون بخلق الله**».

ولهما عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم**».

ولهما عنه مرفوعًا: «**من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ**».

ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته».

❁ **قال المؤلف:** «باب ما جاء من المصورين».

أي: من الوعيد والعقوبة العظيمة التي هيئها رب العالمين لهم، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قال الله تعالى**» هذا الحديث من الأحاديث القدسية، والحديث القدسي كما تقدم الصحيح أن لفظه ومعناه من الله عَزَّ وَجَلَّ، لهٰذا قال: قال الله تعالى فهذا عزو للكلام لرب العالمين، ويدل عليه ألفاظ هذه الأحاديث القدسية، فهل يمكن أن يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلفظه: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**» هذا كلام رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالحديث القدسي لفظه ومعناه من الله عَزَّ وَجَلَّ، يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**» **أي**: لا أحد أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، أخذ منه الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ جواز إطلاق الخلق على العبد، والخلق يطلق ويراد به التقدير، والفري هو إنفاذ ما قدرت، كما قال الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت   وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

وأشهر ما يطلق الخلق عليه إذا أريد به رب العالمين كثيرًا ما يطلق على الإيجاد من العدم، يقول: خلق الله السَّمٰوات أي: أنه أوجدها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأبدعها من غير مثال سابق، يقول عَزَّوَجَلَّ: «**ومن أظلم**» أي: لا أحد أظلم، و هذه الصيغة ومن أظلم ذكرت في النصوص كثيرًا كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:٢١] وغير ذلك من الآيات، فما الجمع بينها وبين هذه النصوص؟ يقال: لأهل العلم في هذا أكثر من توجيه منهم من يقول: إن الجميع مشتركون في الأظلمية أي: أنه لا أحد أظلم ممن ذهب يخلق كخلق الله، ولا أحد أظلم ممن افترى على الله إلى غير ذلك، وقيل: إن المراد أنه لا أحد أظلم في أمر التصوير ممن ذهب يخلق كخلق الله، وفي أمر الافتراء لا أحد أظلم ممن افترى الله على الله، وهكذا، «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**» ومعلوم أن خلق الله عَزَّوَجَلَّ لا يمكن أن يخلق مثله على الحد الذي خلقه الله؛ لكن لما كان مضاهاة كما في اللفظ الآتي أي: مشابهة يتشبهون في هذا الذي يضعونه من الصور لخلق الله عَزَّوَجَلَّ الذي أحكمه وأبدعه، قال تعالى على سبيل التحدي: «**فليخلقوا ذرة**» والذرة هي واحدة النمل الصغيرة، النمل منه سود ومنه هذا النوع الصغير الذي يقرب من اللون البني هذا هو المراد بالذرة، وهو من أصغر المخلوقات، قال تعالى تحديًا: «**فليخلقوا ذرة**» أي: كما خلق الله؛ لأنهم يستحيل أن يخلقوا ذرة كخلق الله عَزَّوَجَلَّ ولكن يأتون ويرسمون رسموا أو ينحتون نحتًا «**أو ليخلقوا حبة**» بعد أن تحداهم تعالى على أن يخلقوا ما فيه روح تحداهم أن يخلقوا ما لا روح فيه كالحبة من الشعير أن يخلقوها ويوجدونها كما أوجدها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حيث لا توجد إلا إذا أنزل الله لها المطر وشق لها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الأرض وأنزل لها المطر بقدر معلوم، ثم إنها بإذن الله عَزَّوَجَلَّ تنموا تحت نظر رب العالمين سبحانه حتى تكون في الحد المنتفع به والمأكول قال: «**أو ليخلقوا شعيرة**» الشعير أيضًا نوع آخر من هذه الحبوب، أخرجاه أي الشيخان.

من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ العظيمة الكبيرة: اسم المصور وهذا الاسم له شأن عظيم جدًا فالصور التي صورها رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في مخلوقاته من إنس وجن وطيور ودواب على حال تقتضي تعظيم رب العالمين سبحانه بهذه الصور التي قد خلقها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٦] فمن أسمائه تعالى المصور؛ ولهٰذا كان في التصوير من الجرم ومن التعدي ومن الجرأة على مقام عظيم كان فيه ما فيه من الخطورة البالغة على العبد؛ ولهٰذا جاء فيه الوعيد الآتي في الحديث بعده.

يأتي الكلام في التصوير نفسه، التصوير على وزن التفعيل بأن يجعل هيئة معينة لصورة من الصور تارة يكون بالنحت، أي: ينحت مجسمًا لإنسان أو لحيوان ويجعل هذا ويصدق على هذا أنه تصوير، وهذا كما ذكر أهل العلم بالإجماع هذا محرم، هذا الأمر محرم بأن يجعل على تمثال ويكون لشيء فيه روح هذا محرم بالإجماع لا يحل بتاتًا.

○ **النوع الثاني مما يكون فيه التصوير:** أن يكون على سبيل الرسم باستخدام القلم والفرشاة ونحو ذلك فلا يخلو إما أن يكون تصويرًا لما فيه روح فهذا أيضًا محرم ولا يجوز، ومن عجائب الناس وبعضهم من أهل الخير والفضل أنهم يعلمون هذا ويعرفون حكمه ويتورعون عنه فإذا جاء ما يسمى بالكاركتير تضاحكوا منه وربما نشروه وأرسلوا الصورة التي فيها ما يسمى بالكاركتير وكثيرًا ما تكون هذه رسومات الكاركتير ساخرة وهي نوع من النقد ولا يدرون أنها في الحقيقة صور هي في الحقيقة تصوير مثلها مثل أي تصوير يكون بالقلم وغيره، فالوعيد الوارد فيها وارد في هذه المسماة الكاركتير في الصحف وغيرها، ما الذي يجعل للكاركتير كما سوه ما الذي يجعل له مزية تخرجه من حد الوعيد؟ لا شك أن هذا متوعد عليه ولا يجوز أن يستخدم القلم في جعل شيء من هذه الصور والرسومات التي فيها روح، أما إن كان فيما لا روح فيه إذا استخدم القلم والتلوين والتخطيط فيما لا روح فيها مثل أن يرسم جبل أو أن يرسم شجر فكما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لرجل كان عمله هو التصوير فلما سأله عن حكم عمله أجابه بالحديث الذي فيه: أن أشد الناس عذابًا المصورون أو نحوه من الأحاديث، قال: فربى ربوة أي: صار له صوت ارتعد واشتد عليه الأمر، فقال له: إن كنت لا بُدَّ فاعلًا فاصنع الشجر وما لا روح فيه، أي: لك أن تتعامل بالتصوير بأن تجعل شيئًا على هيئة الشجر على هيئة ما لا روح فيها جبال ونحو ذلك هذا لا إشكال فيه على الصحيح، ومن أهل العلم من يرى أنه لا يجوز، أي: من أهل العلم من السلف من يقول: إن هذا داخل في عموم قوله تعالى: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**» فهذا خلق لله عَزَّوَجَلَّ، الشجر خلق فهذا الآن ذهب يخلق كخلقه؛ لكن الظاهر إن شاء الله تعالى كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن مثل هذا الذي لا روح فيه لا إشكال فيه، أما رسم ما فيه الروح فإنه لا يحل، على كلام طويل لأهل العلم رحمهم الله تعالى في التصوير وأهميته.

○ **يأتي الكلام في التصوير بالآلة:** وهو التصوير الذي لم يعرف في الأزمنة السابقة وإنما عرف مع الآلات الحديث كالتصوير بالكاميرا ونحو ذلك مما هو أكثر ما يكون استعماله، أكثر ما يستعمل الناس

هذا النوع من التصوير هذا النوع فما حكم التصوير بالآلة؟ أما التصوير الذي يلزم به الإنسان كتصوير البطاقة والرخصة ونحو ذلك فهذا أهل العلم رحمهم الله تعالى ينصون على أن مثل هذا لا إشكال فيه وأن الإنسان لا بُدَّ له من أن يصور حتى يستخدم بطاقة أو نحو ذلك، ولو أنه أراد أن لا يستخرج بطاقة لما مكن أصلًا، فمثل هذا خارج عن حد النقاش في مثل هذه المسائل، هذا فيما يتعلق في تصوير الرجال، أما التصوير للنساء فلا شك في خطورته لا شك أنه من حيث آثاره واحتمال تداول صور هؤلاء النساء لا شك أنه خطر وأن صور النساء أشد من صور الرجال؛ لأن الرجل إذا ظهرت صورته وتم تناقلها لا يكون من آثار ذلك إشكال؛ لكن إذا تم تناقل صور النساء هذا أثره كبير وخطير وفيه شيء من الفتنة العظيمة وهو ما وقع، فإن كثيرًا من الشر الذي وقع في انتشار صور النساء أمر لا يناقش فيه أحد، لما فيه من الفتنة العظيمة للرجال هذا أمر علم وعرف لا يمكن أن يناقش أحد في صحته وخطورته، هذا فيما يتعلق بأمر التصوير الذي يلجأ إليه الإنسان كما قلنا يطلب منك تصوير للبطاقة أو رخصة أو نحو ذلك.

❍ **يأتي الكلام فيما لا بُدَّ تلزم وإنما فيما تختاره أنت اختيارًا**، بأن تصور نفسك في رحلة في برية على البحر تصور نفسك في موضع أيًا كان هذا الموضع هذا محل كلام للفقهاء المتأخرين، فمنهم من يقول: إن مثل هذا محرم بالنظر إلى أن هذا ليس هناك إلجاء، ما هنالك أحد يلجئك ويجبرك على أن تصور نفسك وأنت في البرية وأنت في البحر أو وأنت في بيتك وفي أي موضع، ما الذي يجبرك على أن تصور نفسك وتقتني هذه الصور، قالوا: فإذا أبيح هذا للضرورة فإن هذا ليس بضرورة، والإنسان لا يمكن أني أصور نفسي في البرية أو على البحر وفي كذا وكذا من باب الضرورة، ما في أحد يقول هٰذا، فالذي ينبغي أن يحتاط غاية الاحتياط في أمر التصوير بالكاميرا، وأن يبتعد طالب العلم عن الخلاف، فالخلاف في المسألة قوي للغاية، وبعض من يرى جواز التصوير وأنبلهم وأفقههم في هذه الأزمنة الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينص نصًا صريحًا على أن التصوير للذكرى لا يجوز، فاقترب جدًا قوله من قول من يرى عدم جواز التصوير؛ لأن ثمة نقاش بين أهل العلم في كلمة التصوير فمنهم من يقول: إن التصوير هو التفعيل من وضع هيئة للصور بالرسم كما قلنا أو بالنحت، ومنهم من يقول: إن الكاميرا هذه التي تلتقط الصورة الواقع أنك لم تصور أي: لم تقم بعملية التصوير كما فعلها الذي ينحت أو الذي يرسم بفرشاة أو بقلم يقول ما فعلت شيئًا من هٰذا، وإنما هذه الخلقة التي خلقها الله تبارك وتعالى، وجهت إليها هذه الآلة فكل من يرى هذه الصورة يقول هذا فلان فأنت لم تصور وإنما كما يرى الإنسان نفسه في الماء مثلًا لو

أن هناك غدير ماء وأطل فيه يقول يرى نفسه في هذا الماء أو في المرآة فقالوا: هذا مثل هٰذا، قال الآخرون: ما اسم هذا العمل سموا لنا هذا العمل؟ قالوا: تصوير، قالوا: ما اسم الفاعل؟ قالوا: مصور قالوا: إذًا يدخل في الحد، قالوا: إذًا رجع الكلام بنفس ما ذكرتموه أنتم أنفسكم أنه تصوير هل تقولون أنه غير تصوير؟ هل عندكم له اسم آخر أنتم تسمونه تصويرًا وتسمون من مارس هذه المسألة مصورًا قالوا: فيدخل في العموم، وإنما يستثنى من باب الضرورة؛ ولهٰذا نوصي الإخوة دائمًا بالتفطن والانتباه لهٰذا الأمر، طالب العلم ولا سيما في المسائل التي فيها اختلاف قوي وفيها وعيد عظيم شديد كهٰذا الوعيد ينبغي أن ينأى بنفسه ويبعد؛ لأن هذا الأمر لا شك أنه محل اجتهاد، نعم والخلاف فيه قوي، ولا تستطيع أن تقول إن القول الذي يمنع قول مطرح باطل ظاهر الفساد، ما أحد يقول هذا حتى الذين يرون الجواز يقولون هذا قول معتبر قال به أئمة وعلماء وفقهاء ولا يمكن أن يقال أنه من الأقوال الباطلة التي لا ينبغي أن يشدد على الناس فيها بل هو قول لعلماء وفقهاء وأفاضل منعوا منه والخلاف فيه على ما ذكرنا فهذا أمر التصوير ينبغي أن يحتاط فيه وأن يحذر طالب العلم من أمر التصوير للذكر ونحو ذلك.

❍ **أتت مسألة كثر فيها النقاش وهي أقوى بكثير في هذا الباب من النقاش في مسألة الذكرى**، الإنسان يستطيع أن يعيش حياته كلها ما صور صورة ذكرى؛ حتى وهو اختيار شيخنا الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وسألته قلت: إذا صورنا مثلًا صورًا وقدمناها مثلًا لإدارة للمرور أو نحوه تبقى صور نبقيها عندنا لأجل أن إذا طلبت منا معاملة أخرى أي: في أي موضع هذه الصور تكون موجودة عندنا حتى نستعملها في المعاملات الأخرى؟ قال: لا تبقى رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: تتلف لأنك تعرف المصور يصورك ويعطيك مثلًا سبع صور ثماني صور يقول: تستخدم المطلوب ثم الباقي يتلف، وإذا نظرت إلى هذا وجدته أحوط؛ لأنك إذا أردت أن تصور ثانية فلا يكلفك ذلك إلا عشرين ريال أو نحو ذلك وإن طلب منك أن تصور تجد أنه قد لا يطلب منك إلا من خلال سنوات، فمعنى ذلك أن هذه الصور ستبقى عندك سنوات إذا طلب منك صور أخرى، إذا طلب منك تصور مرة أخرى وادفع هذا المبلغ اليسير وأبعد عن الخلاف والكلام في هذه المسألة.

❍ **تبقى مسألة غاية في القوة وهي مسألة تصوير، مسألة الدخول إلى وسائل الإعلام لإيصال الحق ونشره وبث العلم ودحض الباطل والشبه والضلالات** حذرًا وخوفًا على عامة المسلمين من أنهم إذا عزف أهل العلم وأهل الفضل عن هذه المواضع انفرد أهل الباطل والبدع وناشرو الشبه والضلالات

والزيغ بالناس، فبثوا الباطل وشينوا في أعينهم الحق فلو ترك الناس عشر سنين عشرين سنة ثلاثين سنة لربما تغير المجتمع تغيرًا كبيرًا جدًا بسبب هذا البث الإعلامي، هذا الموضع الحقيقة من المواضع القوية جدًا والحاجة فيه أشد من الحاجة للرخصة، إذا قيل أنه يصور لأجل الرخصة فأنت تعرف أنك ربما استخرجت وبقيت عشر سنين لم يطلبها منك المرور هذا واقع، فما بالك بأمر ليس خاصًا بك وإنما على مستوى الأمة بأثرها والأمر فيه كبير جدًا يتعلق بعقيدة الناس ودينهم وأخلاقهم وما يبث على نساء المسلمين من إرادة إخراجهن من حجابهن وسترهن وحيائهن وحشمتهن وتشيين مذهب السلف وقول أهل العلم والحق وتزيين قول أهل الباطل والبدع وأفكار أهل العفن من الليبراليين واليساريين وأضرابهم قالوا: فهذا الموضع لو ترك لترتب على هذا مفسدة كبرى وعظمى ظاهرة كالشمس، فمن هنا هذه المسألة لا شك في قوة الكلام فيها وأنه لا ينبغي أن تترك الأمة الحقيقة، لا ينبغي أن تترك الأمة حتى تضل لأجل أن يقول قائل الموضوع فيه خلاف؛ لأن هذه وسائل الإعلام لها من التأثير أشد بكثير من تأثير المدارس، وللأسف أشد من تأثير حتى خطب الجمعة بكل أسف، فإن ترك هؤلاء بثوا الباطل ولم يجد أهل الحق طريقًا لإيصال الحق ورد الباطل، فهذا أشد ضرورة مما أفتى به كثير من أهل العلم ممن حرموا التصوير أشد ضرورة ممن أباحوا أمر البطاقة والرخصة مع أنها مصلحة شخصية للإنسان، فهذا الموضع إذا كان على هذا النحو وعلى هذا الوضع لا شك أنه حال ضرورة، وهذا مما يجعل الخلاف في هذه المسألة يكون فيه سعة بحيث إن طالب العلم الذي لا يرى مثلًا جواز التصوير إذا رأى من أخيه دخولًا في هذه المواضع وردًا للشبه والباطل ونشروا الحق قال أعانه الله والأمر بيني وبينه مسألة خلاف فقهي؛ لأن هذه المسألة مسألة خارج نطاق مسألة التصوير للذكرى ونحو ذلك.

❍**لكن هاهنا مسائل مهمة من أهمها أن هؤلاء الذين يدخلون لبيان الحق في وسائل الإعلام** عليهم أن يضبطوا أمر هذه الوسائل، فلا يرضوا بأن يقابله امرأة هذا لا يصلح ولا يحل وسيجدون الطريق إلى أن يقابلهم رجل؛ لأن مقابلته من قبل امرأة أشد خطرًا وأعظم أثرًا على الناس مما سيكون؛ لأنه الناس سيقولون هذا مما يدل على أن هذا الوضع صحيح وجائز فيفرضوا فرضًا هذه الوسيلة أن لا يقابله امرأة. أيضًا يفرض على من يقابله أمرًا في غاية الأهمية وهو أن يقول لهم تنبه إلى أمر نحن الآن في علم وأنا رجل من أهل العلم على هديهم وسمتهم فعليك أن تتأدب في طريقة إلقاء أسئلتك وأن لا تعاملني كما تعامل المغني والممثل ونحوهم، فيفرض الهدي والسمت الشرعي في المقابلة، يقال: اترك عنك

الأساليب التي تعملها واترك عنك الخوض في أسئلة مثل كذا وكذا، وليعلم أن هذه القنوات إذا كان الخروج فيها فيه مفسدة من زاوية أن الناس سيقولون خروج هذا العالم وطالب العلم يدل على صحة تثبيت هذه القنوات في البيوت هذا جانب فيه خطورة؛ ولهٰذا ما كل قناة يخرج فيها فهناك قنوات ليبرالية عفنة قذرة خبيثة واضحة المسلك هذه ينبغي الكف عنها وينبغي أن تقاطع وأن يجهر بهٰذا ويقال لا بُدَّ أن تصلحوا من مساركم حتى لا تقفزوا على ظهورنا فيتسبب خروجنا في مثل هذه القنوات في تسهيل نظرة الناس إليكم وينبغي أن يحذر الناس منكم؛ لكن ينظر إلى ما يكون فيه أي: لا يظهر هلهذه القناة منحى ليبرالي خبيث يتضح منه أو تكون هذه القناة من القنوات التي تبث شيء من الخلاعة والسوء والفساد فبعد أن ينتهي هذا طالب العلم يعقبه مظهر من مظاهر الخلاعة والفسق والفساد، هذا لا شك في خطورته، فيفرض طالب العلم فرضًا بأن ينتقي انتقاء من يقابله وأن يفرض الوضع الذي يقابل والموضوعات التي تقابل فما كل موضوع يطرح بحيث يفرض الوضع الشرعي.

يفرض طالب العلم الوضع الشرعي في مثل هذه المواضع وهو بإذن الله تعالى على أجر وعلى خير ما دام أن الأمر ليس ذكريات وأين كنت وماذا فعلت وكيف كنتم في السابق هذه لا فائدة فيها، إنما الكلام أن يأتي ليبين حقًا أو ليدحض باطلًا، هذا هو حد الضرورة، أما الذكريات والكلام وكنت وكيف كنتم تأكلون في السابق وماذا كنتم قبل نشوء الكهرباء مسائل شخصية هذه ما فيها فائدة للناس، إنما ما كان فيه إحقاق حق وإزهاق باطل لا يمكن أن يوصل إلى الناس إلا من خلاله هذا هو حد الكلام الذي نحن فيه، أما ما سوى ذلك مما فيه أي: أشياء شخصية ولا نفع للأمة فيه فإنه يبقى الخلاف فيها كما ذكرنا؛ لأنه كما قلنا من أهل العلم من يرى أن مثل هذه الوسائل لا يدخل المتعاطي لها لا يدخل في حد التصوير المنهي عنه؛ لأن هذا ليس تصويرًا بمعنى أنه مضاهاة كما احتجوا بالحديث الآتي: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذي يضاهئون**» أي: يشابهون بخلق الله، قال: ما شابهوا بخلق الله أصلًا، قال إذا تأملت هم ما شابهوا أي: ما رسموا ما نحتوا وإنما هذا ما خلقه الله بعينهم خرج على الشاشة أو على الموضع الذي يمكن شاشة جوال شاشة تلفاز قال هذا هو الوضع فهذا ما ضاهى أي: ما شابه خلق الله.

وثمة أمر في غاية الخطورة انتشر في الناس وهو من الغفلة الحقيقة وهو مما ينبغي أن يلاحظ وينبه عليه من قبل الدعاة والوعاظ وخطباء الجمع وهو تساهل كثير من الناس في النظر إلى صور النساء، وهذا أمر في غاية الغرابة، حيث تجد في جوالات بعض الخيريين الطيبين مجموعة من الصور والمقاطع وربما

أعطاك إياه لتنظر، قال: انظر هذا حدث وقع في بعض البلدان قد يكون مثلًا عواصف قد يكون براكين زلازل وفيه شيء من العبرة بلا شك لكن فيه صور نساء لا يحل النظر إليها، وأنت لم تتأمل ولن تتدبر في خلق الله حتى تنظر إلى صورة امرأة هذا من العجائب، فمثل هذه الأمور تساهل فيها الناس، وتجد أن جوالات أناس من أهل الدين والخير امتلأت للأسف الشديد بصور نساء وهذا لا يجوز قطعًا النظر إلى النساء لا يحل لا في شكل ما تسميه أي: بأنه موضع عبرة أو غيره؛ لأن النظر إلى النساء في هذه الأحوال محرم قطعًا فيجب التفطن والانتباه والتحرز في مثل هذه المسائل وأنه إذا قيل أن من قالوا بالجواز في مثل هذه الصور وقالوا أنها لا يقال أنه يجوز أن تنظر إلى ما حرم الله من الصور. النظر إلى صور الأجنبيات محرم في جوال في جريدة أو تنظر إليها وهي تمشي في الشارع تنظر إلى ما حرم الله النظر إليه هذا محرم، إنما الكلام على ما لم يكن في ذاته محرمًا، هذا هو موضع الكلام.

ثم ذكر حديث عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذي يضاهئون بخلق الله**» هذا الحديث كما قلنا من الأحاديث الدالة على الوعيد الشديد للغاية وكون هؤلاء يضاهئون أي يشابهون بخالق الله ﷻ كونهم أشد الناس عذابًا يدل على أمور: أولًا: على شدة غضب الله ﷻ عليهم؛ ولهذا جعلهم في أشد العذاب، وقد قال الله تعالى في آل فرعون: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر] ففي النار نعوذ بالله وعند الله من العذاب نعوذ بالله من عذابه كله نوع من العذاب هو أشده، جعله الله تعالى لهؤلاء الذين يضاهئون بخلق الله، وهذا يدل على خطورة التصوير، وشدة أمره أن الخطب فيه كبير وأنه لا ينبغي أن تلتمس فيه المعاذير ويتساهل في أمره ولا سيما ما لا خلاف فيه من مثل النحت ومن مثل الرسم وحتى المسائل التي فيها الخلاف كما قلنا ينبغي البعد عن أمر التصوير فيها والحرص على البعد على البعد عنها.

بعض أهل العلم يقول: إن تصوير الدروس العلمية والمحاضرات فيه فائدة كبيرة والواقع أنه يكون أشد انتشارًا، أي: أن تلاحظ الشيء المسجل تسجيلًا دون تصوير لا شك أنه أقل انتشارًا، فإذا صور انتشر انتشار النار في الهشيم، فبعض أهل العلم يقول: إن من هذا الباب ومن هذه الزاوية ومن جهة أن التصوير بالآلة هنا أيضًا فيه الخلاف الذي ذكرنا قالوا ففيه مصلحة أعظم من مصلحة الرخصة والتابعية والبطاقة ونحو ذلك مما تقدم، قالوا: فمن هذا الباب استعمال التصوير في مثل هذه الدروس فيه هذه المصلحة، ومن أهل العلم من يقول: بل الفائدة تصل بالصوت، أما أن تظهر صورة الذي يتكلم، قالوا:

فما هنالك رابط وإن كان هذا فعلًا من حيث الانتشار هو أكثر انتشارًا لكن من أراد الفائدة فإنه يجد الفائدة في نقل العلم ونشر العلم دون حاجة إلى أن يبحث عن الصور، والأمر كما تعلم في مثل هذه المسائلهذه المسائل وأمثالها مما فيها مصلحة عامة وعظمى للأمة هي لا شك أن الخلاف فيها قوي وأنه ينبغي أن يعذر الناس في مثل هذه المسائل بعضهم بعضًا.

إذًا دل الحديث على شدة وعيد من يصورون وأنهم في القيامة يدخلون في الذين يقعون في أشد العذاب نسأل الله العافية والسلامة؛ لأنهم يضاهئون بخلق الله أي يشابهون بخلق الله.

الحديث الذي بعده عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كل مصور في النار**» كلمة كل دالة على العموم؛ لأنها من ألفاظ العموم، وهذا يشعر بخطورة الأمر؛ لأن كل من وقع في التصوير فإنه متوعد بدخول النار، ما الذي يجعل له في القيامة؟ «**يجعل له بكل صورة صورها نفسًا** وقد يقال نفسٌ باعتبار أنه نائب فاعل **نفسٌ يعذب بها في جهنم**» نسأل الله العافية أي: أنه يعذب بهذه الصور التي صورها في النار، كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها، وعلى هذا إذا صور مئات أو آلاف الصور فإنه سيجعل له بكل صورة من هذه الصور نفس نسأل الله العافية والسلامة يعذب بها، وهذا من دلائل شدة الوعيد الوارد في أمر التصوير.

قال: «ولهما» أي للبخاري ومسلم عنه أي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «**من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ**» لأنه لا يمكن أن ينفخ فيها الروح وإنما الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي يحيي هذه الأرواح فيؤمر بهٰذا الأمر وهو لن يتمكن ليذوق صنيعه وتزداد حسرته نسأل الله العافية والسلامة بما صنعه، فمثل هذه الأوامر التي يؤمر بها ولا يستطيعها هذه فيها نوع من التعذيب له، مثل أن يكلف كما من أرى عينيه ما لا تريا كلف أن يعقد بين شعيرتين، مستحيل أن يعقد بين شعيرتين هذا من باب تحسيره وتعذيبه نسأل الله العافية والسلامة. وعلى هذا هو يعذب عذابًا حسيًا ويعذب عذابًا معنويا، هذا كله أيها الإخوة يستدعي الحذر والانتباه من أمر التصوير كفاكم الله شره؛ ولهٰذا قال: وليس بنافخ لأنه يستحيل أن ينفخ ويستحيل أن يحقق هذا الأمر.

ولمسلم عن أبي الهياج الأسدي رحمه أن عليًا قال له: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ما الذي بعث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليًا وعبث عليًا أبا الهياج عليه؟ أن لا تدع صورة إلا

طمستها، أي أنك لا تترك أي صورة قوله صورة هنا في سياق النفي العام فتعم، أن لا تدع صورة إلا طمستها، أي: يطمس فينبغي طمس الصور حتى يزول الإشكال في هذه الصورة فإذا كانت بألوان فإنها تطمس بحيث يزول، والصور أشد ما يكون في أمر الصور هو الرأس؛ ولهٰذا جاء في حديث جبريل لما امتنع من دخول البيت على النبي ﷺ فكان في البيت تمثال وكلب، الكلب أدخله أحد الصغار م يشعروا به فقال جبريل عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فأمر ﷺ بإخراج الجرو هذا قال: «**مر برأس التمثال فليقطع حتى يكون كهيئة الشجرة**» التمثال إذا تأملته إذا قطع رأسه ماذا يكون؟ يكون كأنه شجرة؛ لأنه يكون يدان ويكون له الجذع هذا كما يسمى بالجذع، فإذا قطع الرأس صار كالشجرة، فدل على أن الإشكال الكبير في التصوير هو في الرأس؛ ولهٰذا جاء في الحديث: «**إنما الصورة الرأس**» فيزال الرأس تمامًا، وليس المقصود أن يزال الرأس من الخلف وإنما يزال بالكلية؛ لأن الصورة أشد ما تظهر في الوجه من جهة العينين والأنف والفم ودائرة الوجه فهذا كله ينبغي أن يزال، أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته، معلوم أن القبر لا يصح أن يعلى وأن يرفع، فلا يحل البناء عليه، ولا يحل أن يرفع رفعًا متجاوزًا بحيث إذا أتيت إلى المقبرة وإذا بالقبور على حد واحد لكن هذا رفع رفعًا شديدًا وزيد في ترابه بطريقة واضحة أو جعل عليه نوع من البناء اليسير كل هذا لا يصلح، يجب أن يسوى وأن يكون وضع القبور على حال واحد فتسوى ويسوى بما حوله من القبور ولا يكون الوضع على الوضع الذي تراه الآن مسنمًا أي: مثل سنام البعير، ما السبب في أن القبر يسنم؟ لأجل أنه إذا جاء المطر زال المطر يمنة ويسرى لأنه يسنم على هذه الحال حتى لا يدخل إلى القبر، بينما لو كان مسوًا هكذا نزل المطر إليه، خاصة إذا وضعت الصحباء عليه فإن ذلك يكون نوع عازل للقبر؛ ولهٰذا يبقى سنين القبر إلا لو جاءت مثلًا سيول جارفة أو نحو ذلك؛ لكن في العموم الأغلب أن المطر إذا جاء يذهب يمنة أو يسرة لأنه على هيئة مسنمة أي: مثل سنام البعير. قال: ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته كل هذا يدل على أن في أمر التصوير من الخطر وبالغ العناية والاهتمام ينبغي أن يلاحظه المسلم في مثل هذه المسائل، نسأل الله العفو والعافية.

۞ **قال المؤلف:** «**باب ما جاء في كثرة الحلف**، وقول الله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ [المائدة:٨٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب**» أخرجاه.

وعن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زانٍ، وعائلٌ مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه**» رواه الطبراني بسند صحيح.

وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم** -قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا- **ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يُؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن**».

وفيه عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته**».

قال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار».

۞ **قال المؤلف:** «باب ما جاء في كثرة الحلف».

ما قال باب ما جاء في الحلف؛ لأن الحلف يحتاج إليه ويصح أن يحلف وينبغي أن يحلف في بعض المواضع، وحلف النبي صلى الله عليه وسلم وهو أصدق الناس.

ذكر ابن القيم عددًا أظنه قال: يزيد على سبعين موضعًا حلف فيها النبي صلى الله عليه وسلم فنحن لا يمكن أن نقول لا تحلف؛ لأنه في بعض الأحيان يحتاج إلى الحلف؛ لكن الكلام في كثرة الحلف.

○ما السبب في التنبيه على خطورة كثرة الحلف؟!

السبب هو أن كثرة الحلف تؤدي إلى الوقوع في الكذب، بخلاف ما إذا دعت الحاجة للحف فإنه يحلف الإنسان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ [المائدة:٨٩] ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾؟ ذكر ابن جرير أن المراد لا تتركوها بغير تكفير، أي: إذا حلفتم فلا تجعلوا اليمين غير مكفرة؛ لأنك قد لا تنفذ اليمين فلا تجمع أمرين أن تحلف وتحنث ثم لا تكفر عن يمينك، وقال آخرون:

احفظوا أيمناكم عن الحنث فلا تحنث، وإذا حلفت فأوفي بما حلفت عليه إلا أن يكون حلفك على أمر محرم أو نحوه؛ لكن إذا حلف على أمر فينبغي أن تلتزم الحلف، وثمة أمر آخر يتعلق أيضًا بحفظ اليمين وهو حفظها عند الابتداء فلا تكون اليمين سهلة عليك في كل موضع والله إن هذا كذا، والله إن هذا ما وقع، والله تستمر؛ لأن هذا من عدم حفظ اليمين والله تعالى يقول: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ فينبغي الحرص على حفظ اليمين، يحرص الإنسان على أن يحفظ يمينه في هذه الأحوال الثلاثة ابتداء بتقليل الحلف وأن لا يحلف إلا عند الحاجة، وعندنا يحلف فإنه ينبغي أن يحفظ الحلف من الحنث؛ إلا إن احتاج إلى الحنث فهذا أمر آخر، وإذا حنث فعليه أن يكفر.

ثم ذكر حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الحلف منفقة للسلعة**» أي: أنه يروج السلعة، أنت تلاحظ إذا أتيت عند بائع فقلت هذا الكتاب بكم؟ فقال لك: والله إني اشتريته بخمسين ألا تضعف؟ تضعف، تجد أنك تضعف وتأخذه مباشرة؛ لكن لو أنه قال بخمسين ولم يحلف قلت لعلك تجعل الكتاب بأربعين بخمسة وأربعين، أما لو قال والله إني اشتريته بخمسين فأنا أبيعه بخمسة وخمسين تجد أن هذا الحلف صار سببًا في ترويج وهذا معنى قوله منفقة أي: راجت سلعته؛ لكن ماذا يؤدي إليه؟ يؤدي إلى محق كسبه، أن الله تعالى يتلف عليه هذا الكسب؛ لأن اسم الله عَزَّ وَجَلَّ لا ينبغي أن يستخدم، حتى في الأيمان، حتى في البيع والشراء لا ينبغي بالمسلم أن يكون أمر الحلف دائمًا في لسانه، أنت وأنت تبيع أو تشتري تقولهذه السلعة هذا سعرها المناسب ولا حاجة أن تقول والله إن سلعها بكذا أو تقول والله إن تقول للبائع والله إن سلعتك غالية ووالله إني وجدتها بكذا، ما له حاجة، لا حاجة احفظ يمينك، لا تجعل الحلف ممتهنا هكذا إن كان السعر مناسبًا لك فاشتري أو بع بحسب وضعك بائعًا أو مشتريًا، وإلا فدعه وابحث عن غيره، أما الاستمرار في الحلف بأن تجعل هذا اليمين دائمًا في لسانك فلا شك أن هذا منهي عنه كما سيأتي.

ثم ذكر حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**» وهذا مما ذكره الله عَزَّ وَجَلَّ في أهل الفجور العظيم ممن يكتمون ما أوجب الله تعالى أن يظهر ويبين، فكونه يستعملهذه الصيغة كونها تستعمل في هذه الجرائم الثلاث يدل على بشاعة هذه الأمور، «**ثلاثة لا يكلمهم الله**» كلام الله عَزَّ وَجَلَّ من أعظم وأطيب ما يجده أهل الجنة فهو نعيم، وفي الحديث دلالة على أن الله يتكلم، وهو محل إجماع أهل السنة أن الله تعالى يتكلم بما شاء كيف شاء متى شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فمما

يعاقب به الله هؤلاء الثلاثة أنه لا يكلمهم، ولك أن تستحضر أن جبار السَّمٰوات والأرض الغني عن عباده والذي كل العباد إليه فقراء لا يكلم هؤلاء، عقوبة عظيمة جدًا، ولا يزكيهم أيضًا والتزكية هي التطهير، ثم أضاف: ولهم عذاب أليم، فلما ذكر هذه المواضع تشوف كل مستمع إلى أن يعرف من هم حتى يحذرهم، فقال: «**أشيمط زانٍ**» قال: أشيمط بالتصغير لأشمط من باب التحقير له؛ لأن الزنا نعوذ بالله خبيث كله؛ لكن إذا وقع من كبير السن يدل على خبث هذا الكبير؛ لأن المراد بالأشيمط هو الذي اختلط سواد شعره ببياضه، فكونه يزني وهو كبير السن هذا يدل على خبثه؛ لأن الإنسان إذا تقدمت به السن تقل رغبته في الجماع، فكون هذا الشخص يزني وهو كبير هذا يدل على خبثه وفساده؛ ولهٰذا استحق أن يكون ضمن هؤلاء الثلاثة، ولا شك أن الزنا محرم وقبيح من الشاب ومن الكبير؛ لكن كونه يقع من هذا الكبير هذا يدل على فساد هذا الكبير وأنه يقع منه الزن لخبثه إذ تقل رغبته عادة في الجماع ومع ذلك هو يزني نعوذ بالله مما يدل على خبثه، أشيمط زاني «**ورجل جعل الله بضاعته**» أي جعل الحلف بالله بضاعته ملازم له يغلب عليه دائمًا «**لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه**» فدل على أن هذا الرجل متعرض لهٰذا الوعيد ولا يقول قائل: أنا أصدق ما الذي يحوج إلى أن تحلف خمسين ستين مائة يمين في اليوم؟ لو عظمت اسم الله عَزَّوَجَلَّ ما امتهنته هذا الامتهان فهذا متعرض للوعيد، ولا شك أن كثرة الحلف ستؤدي إلى كثرة الكذب، وستؤدي إلى الغلط، وستؤدي إلى الحنث وستؤدي إلى الاحتياج إلى الكفارة وأنت مأمور في الآية ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾، ممن ذكر أيضًا العائل وهو الفقير المستكبر، المستكبر قد يستكبر لكونه صاحب جاه أو صاحب مال ولا شك أن الكبر قبيح جدًا وأن المتكبرين يحشرون والعياذ بالله أمثال الذر في القيامة يطأهم الناس بأقدامهم؛ لكن كون التكبر يقع من فقير، ليس ثمة داع يدعوه إلى الكبير وإن كان كل ما يدعو إلى الكبر فهو باطل من غنى أو جاه ومنصب كل هذا باطل؛ لكن هذا يتكبر وليس له غنى وليس له منصبهذا مثل الأشيمط الزاني تمامًا يدل على خبث طويته، إذ يتكبر وليس ثمة شيء يدعوه إلى هذا الغرور والتكبر، مثل ما قلنا في الزنا، الزنا محرم على الشاب والكبير وكلاهما سيعاقب لكن هو من الكبير أخبث فكذلك الكبر، الكبر من الغني ومن صاحب الجاه خبيث لكن كونه من العائل الفقير أخبث وأسوأ وهو يدل على فساد طوية هذا الفقير، وأنه متكبر لأنه متغطرس متعالي مع أنه ليس ثمة داع يدعو إلى الكبر مما يدل على خبث طويته مثل الأشيمط الزاني.

الحديث الذي بعده عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو في صحيح مسلم، وحصين صحابي وهو حصين

بن المنذر فلهٰذا نأخذ قاعدة في الصحابة إذا قلنا مثلًا عن عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عباس عن عمران بن حصين، فإننا نترضى عنه وعن أبيه رضي الله عن الصحابة أجمعين، أما إذا قلنا مثلًا عن أبي هريرة عن ابن مسعود فلا نقل إلا عن ابن مسعود رضي الله عنه فقط؛ لأن أباه مسعود ليس بسلم، عن عمر بن الحطاب فنقول رضي الله عنه أي: وحده، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وحده؛ لأن أباه وأبا عمر وأبا ابن مسعود هؤلاء ليسوا بمسلمين، فلا يترضى إلا عن الصحابي نفسه، فإذا ذكرنا ثلاثة من الصحابة كأن نقول عن عبد الرَّحمٰن بن أبي بكر بن أبي قحافة فنقول رضي الله عنهم أي: عن الأب والابن والجد؛ لأن كلهم صحابة.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خير أمتي قرني**» وهم الصحابة الذين بعث فيهم؛ ولهٰذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اللفظ الآخر: «**خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم**» وفي اللفظ الآخر: «**خير الناس أنا ومن معي**» وهم الصحابة هم الذين معه، كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ﴾ [التحريم: ٨] وتقدم الكلام عن أمر المعية هنا في هذا الموضع وأن معية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لها شأن كبير، ولهٰذا ذكر الله نجاة نوح وهود وصالح وشعيب والذين معهم، نجاهم الله عَزَّ وَجَلَّ فمعيتهم معية إيمان لهؤلاء الأنبياء صلى الله عليهم وسلم «**ثم الذين يلونهم**» وهو الجيل الذي يلي جيل الصحابة «**ثم الذين يلونهم**» فهي ثلاثة قرون قرن الصحابة والقرن الذي بعده والقرن الذي بعده، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا، أي: هل قال خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم هذه ثلاثة، أو قال: خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلوني فتكون ثلاثة قرون لا أربعة وهو المحفوظ، المحفوظ أنهما قرنان بعد الصحابة، خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وهم السلف الصالح وهم أفضل الأمة على الإطلاق بنص الحديث رضي الله عنهم وأرضاهم وهم الأسوة لكل مؤمن إلى يوم القيامة مع نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يُستشهدون**» عندهم مبادرة إلى الشهادة مع أنهم لم تطلب منهم، مما يدل على سهول الشهادة عليهم، ويحتمل أن يكون يشهدون أي زورًا أيضًا «**ويخونون ولا يُؤتمنون**» وهذا مناسب لكونهم أناس لا يرون أمر الشهادة شيئًا فصارت الأمانة عندهم ليست شيئًا فهم أهل خيانة «**وينذرون ولا يوفون**» من نذر أن يطيع الله فليطعه كما تقدم لا بُدَّ أن يطيع فمع ذلك ينذرون النذر ولا يوفون به؛ وذلك لضعف إيمانهم أيضًا «**ويظهر فيهم السمن**» قال بعض العلم: أيضًا لضعف إيمانهم وشدة رغبتهم على الدنيا وزينتها ونحو ذلك، قال شيخنا الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: إذا سمن وليس سبب سمنه الرغبة في الدنيا فلا حرج فيه؛ لأنه قد يبتلى به وهو صالح، إنما

المقصود الحذر من الإقبال على الدنيا، إذا كان المقصود أن الإنسان لا همة له إلا أمر الدنيا والتفكير فيها حتى نشأ عن ذلك السمن، فهذا هو الذي يذم فيه، قال: ويظهر فيهم السمن، وفي بعض الألفاظ أنهم يحبون السمانة يحبون أن يظهر فيهم السمن محبة كأن هذا الأمر مقصودًا عندهم، أما إذا وجد مؤمن صالح على السنة وعلى الهدى ويظهر فيه السمن فلا ينبغي أن يعاب، قال: أنت ظهر فيك السمن هذا يدل على أن فيك كذا وكذا هذا غير صحيح، حتى لو ظهر فيه السمن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أنه يظهر فيهم السمن ومن معه هذه الأوصاف، أما رجل على السنة والإيمان والتقوى والخير ويظهر فيه السمن، تارة يظهر السمن فيه خلقة؛ لأن من الناس من يكون قليل الأكل حتى لكن من طبيعة جسمه أنه سمين، وحتى لو كان مما يأكل ويسمن لكنه على السنة وعلى الهدى فإنه لا يشمله هذا الوصف؛ لأن هذا الوصف مضطرد يشهدون ولا يستشهدون يخونون ولا يأتمنون ينذرون ولا يوفون فإذا كان خيرًا يشهد بالحق ولا يشهد بالباطل، أمينًا إذا نذر أوفى وفيه سمن فلاحظ أن الصفة لم تكن فيه وإن كان قطعًا المشروع للمؤمن في أمر المآكل وغيرها أن يأكلها بشيء من الاعتدال والبعد عما يؤدي إلى ضرره وقد يؤدي إلى شيء من الأضرار به سواء القريبة أو الأضرار البعيدة وإنما يأكل ما يكون فيه رفع حاجته من جهة الأكل؛ لكن لو فرضنا أنه وقع فيه شيء من السمن أو غيره فليس هو محل النقد إذا كان ضابطًا لأمر السنة وعلى هدي سليم.

ذكر الحديث بعده عن ابن مسعود أن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته**»، أي: أنهم أناس عندهم تساهل في الحلف وعندهم تساهل في الشهادة، فعندهم مبادرة إلى الحلف ومبادرة إلى الشهادة بحيث أن هؤلاء قوم من الواضح تمامًا أن أمر اليمين وأن أمر الشهادة عليهم سهل ميسور فلقلة إما أن يكون لقلة الثقة بهم لا يشهدون إلا بيمين، تارة تسبق الشهادة وتارة يسبق اليمين، أو أنه لكونهم لا يبالون بالشهادة ولا باليمين فالأمر عندهم فيه تساهل من هاتين الزاويتين.

قال إبراهيم وهو النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ: كانوا يضربوننا من هم؟ الظاهر أنهم أصحاب ابن مسعود كما تقدم في باب الرقى أن أصحاب ابن مسعود كانوا يكرهون التمائم، كانوا يضربوننا أي: على سبيل التأديب على الشهادة والعهد ونحن صغار أي: أنهم كانوا يلاحظون تأديبهم وهذا من تأديب الصغير بالضرب؛ لأنه قد يحتاج إلى هذا فكانوا يضربونهم على تساهلهم في أمر الشهادة؛ لأن الصغير لا يدرك

خطورة الشهادة، ويبادر إليها فلهٰذا كانوا يضربونهم إن شهدوا زورًا أو شهدوا ولم يقوموا بأداء هذه الشهادة، ويحتمل أنه ضرب لهم على المبادرة بالشهادة لكونهم صغارًا فلا ينبغي أن يتساهلوا فيها وهكذا العهد، أي: إذا تعاهدوا ضربوهم على أن يفوا بالعهد وفيه تعويد لهم على تعظيم شأن اليمين وعلى تعظيم شأن العهد.

۞ **قال المؤلف:** «**باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه** وقوله: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ الآية [النحل:٩١].

عن بريدة قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أمر أميرًا على جيشٍ أو سريةٍ أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، فقال: «**اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلُّوا ولا تغدِروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصالٍ -أو خلال-، فأيتّهن ما أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم إنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيءٌ؛ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم، فإن هُمْ أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصنٍ فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه؛ ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه، وإذا حاصرت أهل حصنٍ فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله؛ ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا؟**» رواه مسلم».

۞ **قال المؤلف:** «باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

هذا الباب له شأن عظيم، والحاجة إليه في مثل هذا الوقت بالغة الأهمية، وذلك أن كثيرين اجترؤوا على ذمة رب الأرض والسَّمٰوات سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعلى ذمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأدى ذلك إلى مفسدة كبرى صار فيها من تشويه الإسلام، ومن فرح أعداء الله عَزَّ وَجَلَّ بانفتاح باب لهم للطعن في الإسلام وإظهار أهله بمظهر أهل العصابات وأهل قطع الطريق والإجرام، والشأن في هذا خطير للغاية؛

لأن فيه من الصد عن سبيل الله ما لا يحصيه إلا الله رب العالمين.

۞ **قال المؤلف:** «باب ما جاء في ذمة الله».

الذمة: هي العهد، سميت بذلك؛ لأنه يلتزم بها كما يلتزم صاحب الدين بدينه في ذمته، فأمرها شديد، ماذا جاء في ذمة الله وذمة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ما ذكر في الباب.

بدأ بقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل:٩١] ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ انتبه إلى أمر وهو أن بعض الناس قد يتداخل عليه هذا النص مع نص ونصوص أخرى من كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هنا تشديد وإلزام بالوفاء بالعهد وعدم نقض الأيمان، ومع ذلك يقول تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤] وشرع كفارة اليمين، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني لا أحلف على يمين فأرى غيرها خير منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني**» فنبه إلى أن المراد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ الأيمان الداخلة في العهود والمواثيق هذه هي التي يراد بها في قوله ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ﴾ أما الأيمان الواردة على الحث والمنع كأن يقول الإنسان والله لأفعلن كذا والله لأكرمن فلانًا وأضيفه في بيته ثم يعتذر أو لا يتيسر فيقال: كفر عن يمينك، فالأيمان الواردة في العهود غير الأيمان الواردة في الحث والمنع، فالأيمان الواردة في الحث والمنع قد يحتاج إلى التحلل منها بالكفارة، أما أيمان العهود التي تؤديها فيجب أن تحفظ هذه الأيمان وأن لا تنكث، ولهٰذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ فينبغي التفريق بين هذا المقام وهذا المقام.

ثم ذكر الحديث العظيم الذي يبين أمر الجهاد من جهة هدفه ومن جهة أدبه ومن جهة طريقة التعامل مع الكفار وأن الجهاد جملة من الأحكام الدقيقة جدًا التي هي بحاجة إلى علم؛ ولهٰذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرسل من لديه العلم أو يبعث قائدًا ويكون معه من هو من أهل العلم، فأمر الجهاد بلا علم مثل أمر الحج بلا علم، فكما أنك لو حججت بلا علم لترتب على ذلك شيء كثير من الخلل في حجك لكن أمر الجهاد أخطر؛ لأن الجهاد فيه دماء وفيه رفع للجهاد في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ، وإبراز لهٰذا الركن العظيم، فوضعه ليس كوضع خطأك لو أخطأت في الحج؛ حتى لو قيل حجك فسد يقال حج من العام القادم؛ لكن أخطأت في الجهاد وقتلت من لا يجوز قتله ودمرت بلادًا لا يجوز تدميرها فهذا أمر مفسدته

كبيرة وجلية ويترتب عليه من الصد عن سبيل الله ما لا يحيط به إلا الله.

ذكر بعد ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث بريدة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أمر أميرًا على جيشٍ، الجيش له بد له من إمارة، أما أن يذهب مجموعة هذا بلا أمير فهذا خطأ قد يختلفون قد يتفرقون قد يقاتل بعضهم بعضًا؛ لكن من يؤمر الأمير؟ يؤمره ولي الأمر فينبغي أن يؤمر ويكون المنطلق في الجهاد والقتال من ولاية أمر، وهذا هو الفرق بين الجهاد الذي يكون مأمون العواقب وبين القتال الذي يمكن أن ينتكس فيعود إلى قتال بين نفس من ذهبوا لهٰذا الذي سموه جهادًا، إذا أمر أمير وجب أن يطاع، فينظم الأمور ويرتبها ويختار أمير ذو عقل وذو علم وذو فهم ويكون هذا الأمير مرتبطًا بولي الأمر، أما أن يذهب أناس هكذا ويؤمروا عليهم شخصًا ثم ينطلقون في القتال لا يدرون بأحكامه ولا يطيعون أحدًا ربما، أو ربما هذا الأمير الذي أمروه اختلفوا عليه يقولون نحن أمرناك نحن نعزلك بخلاف ما إذا أمره ولي الأمر لأنه يجب أن يطاع، إذا أمر أميرًا على جيش أو سريةٍ، الجيش هو العدد الكبير من المقاتلين، أما السرية فهي تبلغ عددًا أقل كأن تبلغ أربعمائة ونحوها، أما الجيش فقد يكون بالآلاف وقد يكون بالمئات الكثيرة أكثر من أربعمائة سواء أمر على سرية قليلة أو على جيش ماذا يوصيه به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟ أول ما يوصى به بتقوى الله أوصاه بتقوى الله وتقوى الله يجمعها أمران، أداء ما افترض واجتناب ما حرم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ونهى عنه، فبذلك تتحقق التقوى للمؤمن، أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، يوصيه بمن معه أن يفعل بهم الخير؛ لأنهم رعية فعليه أن يتقي الله تعالى فيهم، ثم يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اغزوا باسم الله أي: مستعينين بالله لا باسم الوطن ولا باسم القبائل ولا باسم الحماس والغضب والحقوق ما يصلح، الغزو باسم الله عَزَّوَجَلَّ، لله عَزَّوَجَلَّ مستعانًا بالله عَزَّوَجَلَّ في سبيل الله، يجب أن يكون الأمر الذي يغزى فيه خاص بسبيل الله فقط، فإن غزي في سبيل أوطان في سبيل قبائل في سبيل غضب في سبيل حمية كل هذا ليس في سبيل الله، ولهٰذا لما سأل رجل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الرجل يقاتل لمغنم يقاتل ليرى مكانه أي: من جهة كونه شجاعًا مؤهلًا يقاتل غضبًا أغضبه وضع من الأوضاع كما يحدث مثلًا يغضب على الحاكم يقول سنقاتل هذا ليس في سبيل الله، حتى لو أغضبكم الحاكم حتى لو أخطأ الحاكم، القتال لا يكون غضبًا القتال يكون في سبيل الله، أما الغضب فكثير من الأمور تغضب وهل كل ما غضب الناس قاتلوا، وإنما يقاتل في سبيل الله، وهكذا من قاتل للمغنم لينال الغنائم، من قاتل حمية لقبيلة لوطن لأي شيء كل هذا لا يصلح إلا أن يكون القتال في سبيل الله لرفع راية لا إلٰه إلا الله ونشر دين الله عَزَّوَجَلَّ، لما

سأل الرجلُ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي ذلك في سبيل الله؟ قال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**» هذا هو السبيل الوحيد وهذا معنى كونه في سبيل الله، أما السبل الأخرى فلا يصح بتاتًا أن يقاتل عليها وأن تزهق الأرواح فيها.

ثم قال: قاتلوا من كفر فأمر عظيم جدًا القتال والجهاد ليس للمسلمين يقاتل بعضهم بعضًا، إنما يقاتل الكفار هذا هو أصل القتال؛ ولهٰذا لاحظ ماذا فعل الخوارج؟ كفروا المسلمين حتى يقولون إنا نقاتل كفار؛ لأن أصل القتال أن يرفع السيف على أعداء الله من الكفار، هذا هو أصله وهذا هو أصل الجهاد في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ، أما أن يقاتل المسلمون بعضهم بعضًا فهذا إخراج للجهاد عن القصد الذي لأجله شرع، نعم يقاتل البغاة يقاتل الخوارج على القول الصحيح بأنهم مسلمين لكن يقاتلون لحكم الشرع، أما الأصل فهو أن المسلمين يسلون السيوف على أعداء الله، لا يسلون السيوف على بعضهم، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلُّوا، الغلول هو الأخذ من الغنيمة قبل القسم، بمعنى أنه بعد أن ينتصر المسلمون تكون أموال الكفار وما أخذوه منهم في هذا الجهاد تكون للمسلمين، أربعة أخماس للمقاتلين وخمس يصرف فيما ذكر الله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ الآية [التوبة: ٤١] فهؤلاء المقاتلون سيعطون أربعة الأخماس، ماذا يفعل الذي يريد أن يغل شيئًا؟ يأخذ من هذه الأموال قبل القسم ويستحصل هذا لنفسه، ثم إذا جاء قسم الغنائم قسم عليه فأخذ مرتين مرة بالباطل ومرة حين أعطي حقه، فنهاهم عن الغلول وهو خطير جدًا، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١] وثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أحد عبيده غل شملة ثم قتل في الجهاد فلما قال الصحابة هنيئًا له، قال: «**كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلها لتشتعل عليه في قبره**» شملة ليست شيئًا، فما بالك بمن يتجاوز والعياذ بالله ذلك إلى ما هو أشد، ولا تمثلوا التمثيل هذا من صفات أهل الجاهلية يأتون إلى القتيل بعد أن يقتل فيقطعون آذانه وأنفه وينقرون عينه ونحو ذلك هذا لا يليق بأهل الإسلام، والمسلمون يترفعون عن مثل هٰذا، والتمثيل لا يصلح أن يكون التمثيل، ولما مثل الكفار بالمسلمين في أحد عز عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إن وجدهم في مقام آخر أن يفعل بهم مثل ما فعلوا فأنزل الله تعالى النهي عن ذلك في آخر سورة النحل ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل] ونهينا عن التمثيل، فالتمثيل وتقطيع الأجساد والتفنن بهٰذا لا يفعله إلا أهل الجاهلية والحمق، هذا قتل يدفن، أما أن يبقر بطنه ويشوه ونحو ذلك فهذا فعل أهل الجاهلية، ولا تقتلوا

وليدًا، وهو الصغير، الولد لو كان الصغير هذا لو كان ابن أعتى الكفار على الإطلاق لو كان ابن ملكهم، لو كان ابن أحد شياطينهم وقوادهم الذين أثخنوا في المسلمين أشد الإثخان وقتلوا في المسلمين مقاتل عظيمة وأحرقوا بلدانهم وسبوا نسائهم ثم وجدنا ابنه الصغير بإجماع المسلمين لا يحل التعرض له، هذا دين عظمة دين من رب العالمين سبحانه، ليس دين فوضى، هذا ابنه عندك الآن وقد فعل بالمسلمين الأفاعيل ولو أنك عذبت هذا الابن الصغير أو قتلته لاشتد ذلك على عدوك الذي فعل بالمسلمين الأفاعيل؛ لكن لا يحل لك أن تفعل هٰذا؛ لأنهم إذا كانوا أهل فوضى وأهل همجية فنحن لسنا أهل فوضى.

❍ **نحن أهل أحكام نلتزمها من رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**؛ ولهٰذا من فظيع ما حصل قتل الصغار من قبل هؤلاء الذين يسمون أنفسهم بالمجاهدين، ووالله إنها لمن أعجب العجائب وأغرب الغرائب لا يعرف في تاريخ الأمة أحدًا قتل الصغار إلا الخوارج، وفي صحيح مسلم أن نجدة الحروري كتب لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يستفتيه في قتل الصغار؛ لأن الأزارقة من الخوارج والنجدات يقتلون الصغار فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لولا أن أمنعه عن نتن يقع فيه لما أجبته، أي: لولا أمنعه عن أمر قذر وقبيح يقع فيه لما أجبت هذا الخارجي أصلًا؛ لكن سأجيبه حتى أمنعه عن قتل هؤلاء الصبيان، ومن جهل و هذه من عجيب الأمور من جهل هذا الخارجي أنه قال استدلالًا على فعله بقتل الصغار قال: كما قتل الخضر الغلام، يقول: إن الغلام الخضر الوارد قصته في سورة الكهف الخضر قد قتل الغلام، قال: فأنا أتأسى بالخضر في قتل الغلام، فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ترجمان القرآن كلمات وجيزة جدًا، إن علمت من هؤلاء الغلمان ما علمه الخضر من الغلام فاقتله، والحديث في صحيح مسلم، ما معناه؟ الخضر نبي من أنبياء الله وهو قول جمهور المفسرين كما ذكر الشوكاني والقرطبي فهو نبي أوحي إليه بقتل هذا الغلام والدليل على نبوته قوله تعالى في آخر الخبر في آخر قصته: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ﴾ [الكهف: ٨٢] إذًا عن أمر من؟ عن أمر الله عَزَّوَجَلَّ الذي أوحى إليه بهٰذا، يقول: إن كنت نبيًا يوحى إليك بقتل وعملت حال هؤلاء الغلمان وما يصيرون إليه فاقتلهم، فقتل الصغار هذا لا يصح بتاتًا مهما كان آباؤهم في الكفر والفجور؛ ولهٰذا سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة من بعده عدم قتل الصغار البتة، ولهٰذا لما قتلوا بني قريظة قتلوا الرجال وأما الذين يحتمل أن يكونوا من الصغار ويحتمل أن يكونوا من الكبار فإنهم تأكدوا منهم من جهة هل أنبت حول ذكره، أي: هذه من علامات البلوغ فإذا رأي الشعر على عانته فمعناه أنه قد بلغ

فكانوا يقتلونه لأنه قد بلغ، ومن كان دون ذلك فإنه لا يقتل؛ لأن الصغار لا تقتل، وهذا كما قلنا أنه لا بُدَّ من فهم الأحكام هٰذه، وأن لا يقتل من لا يجوز قتله، وهكذا التعذيب والتفنن في القتل وتصوير هذا ونشره في الناس، أي: ماذا يراد بهذه الصور؟ أن يصد الناس في الأرض عن الإسلام؟ هذه الصور أكثر من فرح بها أعداء الله عَزَّوَجَلَّ من كفرة الغرب والشرق، وأكثر من يروجونها إعلام الاستخبارات الغربية والصهاينة؛ لأنهم يعلمون أن مد الإسلام كاسح وكبير في الأرض وبإحصائياتهم المعتمدة الآن أن أعظم دين ينتشر على وجه الأرض على الإطلاق هو دين الإسلام، لا يسبقه لا نصرانية ولا يهودية ويقتحم الأرض اقتحامًا، فرأوا في هذه الصور ما يصد الناس وبالفعل صد الناس، قال تعالى: ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل: ٩٤] فما هذا إلا صد عن سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، سواء كان هؤلاء الذين يصورون حمقى لا يفقهون أو على صلة خبيثة بتلك الاستخبارات ونسقوا معها تلك الصور ولا يستبعد عليهم، على الأقل في طائفة منهم، لأنهم محل تهمة ونفس ما أسسوه بما سموه بالدولة الإسلامية أبعد ما يكون عن دولة الإسلام؛ لأنها تقام فيها أحكام الله، الدول العلمانية لا تطبق الشرع ، والدول التي تطبق غيره أحكام الشرع وتبالغ في الأحكام وتقتل من لا يجوز قتله وتتعامل مع الأمور العظام في ا لشرع التي لها أحكام بينها الفقهاء بهوى وخرس هؤلاء، ما يطبقون الشرع هذا ليس تطبيقًا للشرع تطبيق الشرع لا يكون إلا وفق علم حتى يعلم تطبيق الشرع، أما أن يأتي إنسان ليقذف الناس يأخذ هذا يتفنن تارة يغرق أشخاصًا وتارة يحرقهم وتارة يقطعهم تعذيبًا ويقول إني أطبق الإسلام، لا أنت تطبق قوانين مثل قانون حمرابي وأمثاله فكلكم لستم من الإسلام بشيء لا أنت ولا العلمانيين.

❍ **العلمانيون أزاحوا الشرع واستقدموا الأنظمة الخبيثة** وأنت أزحت الشرع واستخدمت هواك وسميت هواك دولة إسلامية أين دولة الإسلام التي يقام فيها مثل هذا الأمر، دولة الإسلام أكرم وابر وأزكى وأعظم من أن تكون هذه التصرفات الفوضوية منسوبة لها، دولة الإسلام غير دولة أبي بكر عمر زمن السلف وكل من طبق الشرع على وفقهم يكون قد أقام دولة إسلام، أما أن يطبق ما يراه يشفي غيظه ويتفنن ولا يكترث بخطورة هذا وأثره على صد الناس عن الإسلام ثم يقول أنا دولة إسلام، لا والله لست ولا العلماني من الإسلام بسبيل، هؤلاء في طرف وأنتم في طرف، فدعواكم أنكم تطبقوا الإسلام لستم من الإسلام بسبيل والإسلام لا يطبق إلا بمثل ما في هذا الحديث بعلم، ويأتي بقية الحديث الذي فيه الدلالة على خطورة الأمر وأن المسألة قد تخطئ حتى وإن كنت قائدًا للجيش؛ ولهٰذا نهى

صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن قتل هؤلاء الصبيان، وهكذا الرهبان لا يقتلون لا يقول هذا يبث النصرانية، هو راهب في صومعته لا يقاتل لا يحل قتله، لا تقول إنه ينشر النصرانية هكذا حكم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، لا تقتل النساء، نعم لا تقتل النساء هذا حكم الله ورسوله، فإذا قلت سأقتل النساء والرهبان والصغار لأفعل بهم النكاية نقول: إذا فعلت هذا لا تنسبه إلى الإسلام وافعل كما فعل أهل الجاهلية؛ لكن أن تنسبهذا للإسلام، لا، لا تنسبه للإسلام، فالإسلام فيه ضبط لأمر الجهاد من يقتل من يأسر من يحارب كيفية التعامل مع المقاتلين، أمر العهود والوفاء بها وعدم النكث وهذا من الملاحظ الآن كثرة النكث يتعاهدون فيما بينهم ثم يقتل بعضهم بعضًا فأين هذا من أحكام الشرع ومن حديث بريدة هذا وأن هذا مما قال تعالى في هذا الحديث العظيم: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ ما أبعد هؤلاء عن شرع الله؟ وكيف يعرف شرع الله من لم يتعلم شرع الله؟ من لم يعرف الفقه كيف يطبق الأحكام، خذ إنسانًا وقل أنت الآن قاضي سأرسل لك أسهل مسألة أيسر مسألة خلاف بين زوج وزجته اقضي فيهم، ما يعرف ما يستطيع، فكيف بدماء وفروج وغزو لبلدان لا يعرفون أحكاما ولا يدرون بالذي يترتب عليها، فالأمر أمر عظيم، ولهٰذا حديث بريدة هذا أصل ونص في آداب الجهاد وفي سبب الجهاد وفي طريقة الجهاد وفي الأحكام إن شاء الله التي سيأتي الكلام عليها إن شاء الله في بقية الحديث، والحديث له شأن كبير؛ لأن فيه حفظ للعهود والباب بأسره في أمر العهود.

قال: وإذا لقيت عدوك من المشركين هكذا العدو، العدو مشرك، ليس المسلم عدوًا لك إنما العدو المشرك، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصالٍ -أو خلال-المعنى فيها متقارب فأيتَّهن بالنصب ما أجابوك فاقبل، أي: إذا أجابوك إلى أي واحدة من هذه الخصال فاقبل منهم وكُفَّ عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، أول ما يدعون إلى الإسلام، فإن أسلموا فالحمد لله هم إخوة لك، لهم ما لك وعليهم ما عليك، فإن أجابوك فاقبل منهم؛ لأن المقصود بالجهاد في سبيل الله هو نشر الإسلام، فإذا قبل الناس الإسلام يجب الكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول إذا أسلموا من دارهم إلى دار المهاجرين؛ لأجل أن يتعلموا، يقول الشيخ محمد رَحِمَهُٱللَّهُ: هذا أصل في توطين البوادي؛ لأنهم إذا بقوا في بلدانهم وأسلموا فإنهم يكون عندهم معلومات يسيرة عن الإسلام بينما إذا هاجروا تعلموا العلم من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وعرفوه وعرفوا الصلاة وعرفوا الأحكام، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك أي: بالهجرة فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، لهم ما للمهاجرين من الحقوق وعليهم ما عليهم من

الواجبات، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم فإن أبوا أي: هؤلاء الذين أسلموا وبقوا في أماكنهم إن أبوا أن يتحولوا وقالوا سنبقى في أماكننا ونحن على إسلامنا فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، الأعراب الذين يسكنون في البادية يجري عليهم حكم الله تعالى؛ لأنهم إخوة لنا، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيءٌ؛ لا يكون لهم عندما تقسم الغنيمة وعندما يقسم الفيء لا يكون لهم شيء؛ لأنهم استمروا في أماكنهم، وكان عليهم أن يتحولوا إلى بلاد المسلمين إلى بلاد الهجرة حيث أمروا بالهجرة؛ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، إذا جاءوا وجاهدوا فإنهم يكون لهم ما للمسلمين، فإن هم أبوا أي: أبوا الإسلام فاسألهم الجزية، أي: اطلب منهم هؤلاء الكفار أن يدفعوا الجزية، واختلف أهل العلم هل تقبل الجزية من كل أحد؟ فقال بذلك مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبعض أهل العلم قالوا: تقبل الجزية من كل أحد ممن بذلها أيًا كان من الكفار، وقال آخرون من أهل العلم: إنها لا تقبل إلا من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ومن المجوس، فاسألهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم، وهي مبلغ من المال يؤخذ عليهم ويفرض ليكون قوة للإسلام وليكون صغارًا عليهم، فإن همْ أبوا، أي: أبوا الإسلام وأبوا الجزية فاستعن بالله وقاتلهم، بقية الحديث إن شاء الله تعالى نتمه بعد الصلاة على خير إن شاء الله.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

* * *

---

(١) نهاية المجلس الحادي والعشرين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

بسم الله، نعود إلى الحديث وشرحه، يقول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه: وإذا حاصرت أهل حصنٍ الكلام موجه لقائد الجيش أو السرية، فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، إذا أنت حاصرت أهل حصن، الحصار يترتب عليها الضيق على من حوصروا، ففي أحياء كثيرة يطلبون يجنحون إلى الصلح؛ لكن يقولون نحن نريد أن تجعلوا لنا العهد بأن تجعلوا عهد الله لنا وعهد نبيه؛ لأنهم يخافون إذا سلموا للجيش أن يفتك بهم الجيش، فيقولون: أعطونا عهد الله وعهد نبيه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه؛ ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، قل تنزلون على ذمتي أنا وعلى ذمة من معي، لم؟ فإنكم إن تخفروا أي إن تنقضوا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه.

○ **كل هذا حرص على أن لا يساء إلى الشرع**، بحيث تكون الشريعة في عافية من أن ينسب إليها أنها بعد أن نزل على حكم هذا الشرع العظيم صار نقض العهد باسم الشرع، قال: فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه؛ وذلك أن بعض الجهلة من الجيش قد يحصل منهم تعدي فإذا تعدوا وخالفوا أحكام الله في أهل هذا الحصن يقولون هذه ذمة الله عَزَّوَجَلَّ التي أعطيتمونا و هذه ذمة نبيكم صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ها هو الآن التعدي حصل فيقال التعدي خاطئ؛ لكن نحن أعطيناكم ذممنا وذمة أصحابنا فالتصرف هذا خاطئ، والمترتب عليه لا بُدَّ أن يكون فيه حساب؛ لكن الحمد لله أنا أنزلناكم على ذمتنا ولم نقول إن هذه ذمة الله وذمة نبيه؛ لأنه لا ينبغي أن ينسب إلى ذمة الله وذمة نبيه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النقض للعهد.

وإذا حاصرت أهل حصنٍ فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم، ما أعظ هذا الحديث وما أعجب شأنه وما أعظم أحكام رب العالمين، وما أشد حرص رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أن لا يساء إلى أحكام الشرع، أليس تحكيم الشرع واجبًا؟ أليس يجب أن يحكم في كل صغيرة وكبيرة؟ مع ذلك يقول: إذا حاصرت أهل حصنٍ فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم أي: على حكم الله؛ ولكن

أنزلهم على حكمك أنت، أي: أيها القائد وما قال وعلى حكم أصحابك مثل السابقة؛ لأن الحكم للقائد، فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا؟ يقول رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الأمر لصحابي اختاره ليكون قائدًا لهٰذا الجيش أو هذه السرية، ويقول: إنك يمكن أن لا تصيب حكم الله، فما بالك بغيره؟.

○ **ولهٰذا قلنا ويقول أهل العلم دائمًا**: إن الجهاد فيه أحكام في غاية الدقة، يسهل أن تشرح باب الجهاد كاملًا؛ لكن إنزال هذه الوقائع التي يواجهها قائد الجيش ويواجهها المجاهدون على حكم الله في غاية الدقة تحتاج إلى شيء من التأني والتروي؛ ولهٰذا قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا؟**» ومعنى ذلك أنك إذا أخطأت في الحكم الذي أنزلته عليهم فإن الخطأ ينسب لك ولا ينسب لله ورسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كل هذا ذود ودفاع عن الشرع حتى لا يساء إليه فيقال: إن حكم الله في أهل هذا الحصن هو كذا، يقول لا ليس هذا حكم الله هم ما نزلوا على حكم الله، نزلوا على حكم هذا القائد، ما الفائدة؟ إذا أخطأ هذا القائد عدل له الحكم بأن يقال حكم الله كذا فيعدل حكم القائد؛ لكن إذا قيل هذا حكم الله فنزلوا عليه ثم حصل خلل في تحكيم الشرع في هذه المسألة نسب الخطأ إلى الشرع.

كل هذا يؤكد على أهمية أن يصان الإسلام وأن تصان أحكامه العظيمة من أن ينال منها بشيء من الإساءة المباشرة أو الإساءة غير المباشرة، وكل هذا كما قلنا مرات يدل على دقة أحكام الجهاد وشدة الحاجة إلى تعلمه، وأنه حتى لو تعلمت أحكامه من كتاب من كتب الفقه فإن تنزيل الوقائع التي تأتي في الجهاد فيها شيء من الصعوبة، وبعض من شاركوا في القتال أول ما كان القتال كانوا يقولون أشد ما نواجه هو الأحكام النازلة الآن، يأتي إلينا مجموعة من الأحكام النازلة فنتهاتف بالجوالات نبحث عن طلبة علم، فقلنا لهم: لا سبيل لكم إلا أن تتصلوا بأهل العلم في أماكنهم، يقول: ما عندنا طلبة علم، هذا طبعًا لما كان الجهاد والله المستعان في بداياته قبل أن يحرف هذا الحرف الشديد ويعبث به هذا العبث بحيث يوجه ويكون على الأمة بعد أن كان للأمة على أعدائها صار الآن يسعى من قبل أعداء الله إلى العبث بأحكامه، والله عز جل متم نوه والله عز اسمه قد جعل الجهاد عزًا للأمة، فلا شك أنه سيعود على أكمل وأكرم ما يكون، ولا شك أنها ستفتح هذه الأمصار التي أخبر بها صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكن إذا اتقى المسلمون ربهم، ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما جاءه رجل وسأله عن تطليقه لامرأته بمائة طلقة؟ قال: إنك لم تتقي الله فيجعل لك مخرجًا؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾ [الطلاق] فإذا اتقى الناس ربهم جعل لهم المخرج، أما إذا لم يتقوا الله لم يجعل لهم مخرج، وأعظم ما يكون في الجهاد مما فيه

تقوى الله أن تتعلم أحكامه حتى يجعل الله لك فيه المخرج، وإذا لم تعرف أحكامه فإنك تسأل أهل العلم، إما إذا كنت تشوه أهل العلم وتسب أهل العلم وتزعم أنك أنت الذي إليك الأمر كيف تريد الجهاد أن ينفع، لا شك أن الأمر تمحيص وامتحان من الله عَزَّوَجَلَّ، ولا شك أن العاقبة في الجهاد هي للأمة قطعًا، وإن صار بالوضع الذي هو عليه فإنه لا ييأس منه سيتغير أمر الجهاد إلى ما أخبر به عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ؛ وذلك إذا رجع لأهل العلم والله تعالى أخر في الأمور العظام: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [النساء: ٨٣] فيرد إلى أهل الفهم والحكمة والعلم والبصر الشرعي فتعرف الأحكام والنوازل، على كل حال كل هذا يؤكد على عظم شأن العهود التي تعطى باسم الشرع وأن الأمر فيها كبير لا يجوز أن يكون محل إخفار أحد أو نقضه.

❁ **قال المؤلف: «باب ما جاء في الإقسام على الله.** عن جندب بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: من ذا الذي يتألى علي ألا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك**». رواه مسلم».

❁ **قال المؤلف:** «باب ما جاء في الإقسام على الله».

بأن تقسم على الله عَزَّوَجَلَّ بأنه سيقع كذا وكذا، أمر كبير وشأنه عظيم وليس بالهين أنك تقسم أن الله يفعل كذا.

ذكر فيه هذا الحديث في صحيح مسلم أن النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ أخبر عن رجل، هذا الرجل كما في بعض النصوص كان عابدًا وكان مجتهدًا في العبادة، وكان ثمة عاصٍ قد أسرف على نفسه فكان المجتهد في العبادة يقول لهٰذا العاصي كلما رآه على ذنب: أقصر يريد أن يكف فوجده يومًا على ذنب فقال له أقصر، فقال العاصي: خلني وربي أبعثت علي رقيبًا، فغضبهذا المتعبد وقال: لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة، هذا الآن معنى الإقسام على الله حلف على الله أن هذا العاصي وهو قطعًا من المؤمنين ليس كافرًا أن الله تعالى لن يدخله الجنة، فقبض الله تعالى أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين، فقال رب العالمين لهٰذا المجتهد: أكنت بي عالمًا أو كنت على ما في يدي قادرًا، أي: حتى تحلف هذا الحلف، فقال للمذنب وهو عَزَّوَجَلَّ أحكم الحاكمين: اذهب فادخل الجنة وقال للآخر وهم المتعبد: اذهبوا به إلى النار؛ لأن هذا اجترأ بأمر عظيم وهذا يدل على خطر الخطأ العقدي، هذا عنده ذنوب يقع فيها العصاة فغفر الله له، هذا عنده

خطأ بأن تجرأ على مقام رب العالمين وهذا أمر عقدي وأقسم أن الله تعالى لا يغفر، وهذا معنى قوله «**قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله** عَزَّوَجَلَّ: **من ذا الذي يتألى**» أي: يحلف ومعنى الألية الحلف لأنه حلف على رب العالمين أنه لن يغفر، قال رب العالمين: أكنت بي عالمًا من قال إن الله لن يغفر لهٰذا؟ هذا الأمر إليه، قال تعالى في الشرك لما ذكره: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦] كيف تقسم على الله أنه لن يغفر لهٰذا الشارب للخمر أو الزاني، ما يدريك قد يغفر الله له، أنت تخاف عليه وتنصحه وتوجهه، وإذا ظهر منه ما يوجب الحد يقام عليه الحد، أما أن تقسم على الله أنه لا يغفر له، أنت الآن وقعت في أمر عظيم جدًا وهو جرأتك على رب العالمين، قال: «**إني قد غفرت له وأحبطت عملك**».

واعلم أن هذا الأمر غاية في الخطورة على المتدينين؛ لأن بعضهم يشتد عنده الحماس وتعظم عنده الغيرة فقد يقول هذه الكلمة أو قريبًا منها، قد يقول لأحد من ماتوا: والله هذا لا يكون مرده إلا النار من العصاة، أو يقول فيه وهو حي: والله إن هذا لا يوفق إلى التوبة وإنه سيقبض على سوء الخاتمة وسيلقى الله على ما يولجه به تعالى النار، من قال لك هٰذا؟ كيف تجرأ على الله؟ هذا إقسام على الله عَزَّوَجَلَّ منهي عنه، فالحال أن الواجب أن يتوسط أهل الدين وأهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم على خير إن شاء الله عز جل، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحتسبون على أهل الباطل ويوقفونهم عند حدهم وهم على أجر ويبثون العلم وينشرونه؛ لكن لا يقسم على رب العالمين أنه لا يوفق أحدًا للخير، أو لن يغفر له وهو من المسلمين هذا لا يحل إنما يحيلون الأمر إلى الله ويتركون عنهم الحماس الذي يخرجون به عن الوسط الشرعي.

۞ **قال المؤلف**: «وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته».

هذا الرجل كما قلنا رجل عابد كما في الحديث الآخر، وأبو هريرة يقول: تكلم بالكلمة التي هلك نسأل الله العافية بها ولقي الله على هذا الحال.

۞ **قال المؤلف**: «**باب: لا يستشفع بالله على خلقه**. عن جبير بن مطعم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: جاء أعرابي إلى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله! نُهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**سبحان الله، سبحان الله!**» فما زال يسبح

حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «ويحك! أتدري ما الله؟! إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه». وذكر الحديث، رواه أبو داود».

❁ **قال المؤلف:** «باب: لا يستشفع بالله على خلقه».

الاستشفاع بالله على خلقه تنقص عظيم لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه جعل رب العالمين في مرتبة دنيا سبحانه عز اسمه عن ذلك وتعالى علوًا كبيرًا؛ لأن رب العالمين إذا شاء الأمر تم، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس] فكونه يجعل سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يستشفع بالله على خلقه لا شك أن هذا لا يليق ولا يصلح، أنه لا ينبغي أن يقال هذا أبدًا في رب العالمين إذ هو سبحانه الذي يملك الأمور، وإذا أراد شيئًا فإنما أمره أن يقول له كن فيكون، الخلق كلهم في يديه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، كلهم يديه عز اسمه وتحت تصرفه وهو الذي أصلًا يشفع الشافع سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، ولا تكون الشفاعة إلا بإذنه فكيف يطلب منه عز اسمه أن يكون شافعًا عند أحد، فهذا هو وجه الخلل في الأمر.

في الحديث أن هذا الأعرابي من أثر قلت المطر قال: يا رسول اللهَّا! نُهكت الأنفس، أي: ضعفت، وجاع العيال، وهلكت الأموال، أي: نم آثار قلة المطر، فاستسق لنا ربك أي: اطلب من رب العالمين أن يسقينا، إلى الآن والأمر سليم، حتى قال: فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. استشفاع لو أنه قال: نستشفع بك على الله لا إشكال، أي: نطلب منك أن تدعو الله لنا؛ لكن الإشكال أنه قال: نستشفع بالله عليك أنت، النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في هذا المقام العظيم الذي قيل في الله ما لا يليق سبح لأن معنى سبحان الله تنزيه الله تعالى عما لا يليق، وهذا معنى قولك في الركوع والسجود: سبحان ربي العظيم سبحان ربي الأعلى أي أنزه ربي سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، فلما استمر يسبح اشتد ذلك على الصحابة لشدة محبته له عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وإذا رأوا أمرًا شق عليه شق هذا الأمر عليهم هم حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «**ويحك!**» على سبيل الزجر له «**أتدري ما الله؟!**» رب العالمين الذي قلت فيه هذه الكلمة، أتدري ما هو سبحانه؟ «**إن شأن الله أعظم من ذلك**» أي: أعظم من أن يطلب منه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أن يكون شفيعًا عند أحد لا عند نبي ولا عند غيره، «**إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه**» سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، الله عَزَّوَجَلَّ في المقام الأعظم أجل من أن يطلب منه أن يشفع عند أحد بل من المخلوقين أن يدعو رب العالمين؛ ولهٰذا الشفاعة التي تكون في القيامة لا تكون إلا بإذنه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وبعد رضاه عن المشفوع وبعد أن يأذن في وقوع

الشفاعة، فهو الذي يشفع عنده وليس الذي يطلب منه أن يشفع عند أحد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

۞ **قال المؤلف: «باب ما جاء في حماية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمى التوحيد وسده طرق الشرك**. عن عبد الله بن الشخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقنا: أنت سيدنا، فقال: «**السيد الله تبارك وتعالى**» قلنا: وأفضلنا فضلًا وأعظمنا طولًا، فقال: «**قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان**» رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن ناسًا قالوا: يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال: «**يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عَزَّ وَجَلَّ**» رواه النسائي بسند جيد».

الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر فرقًا جيدًا بين هذا الباب والباب الذي تقدم، أي: تقدم باب ما جاء في حماية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جناب التوحيد، وهنا باب ما جاء في حماية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمى التوحيد، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: تقدم باب ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد، يقول: فرق بين الباب هذا والباب السابق: أن الأول سد للذريعة في الأفعال، وهذا سد للذريعة في الأقوال، وذاك في جناب التوحيد وهذا في حماه فهو أوسع، هذا الباب أوسع، كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يحمي التوحيد من أي شيء يخدش توحيد الأمة من قول أو فعل، ويسد أي طريق يوصل إلى الشرك؛ حتى لو كان طريقًا قد يغفل عنه.

ثم ذكر حديث عبد الله بن الشخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما جاء مع وفد بني عامر فمن حبهم لهٰذا النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا: أنت سيدنا، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**السيد الله تبارك وتعالى**» وفي بعض الألفاظ أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما روى ابن سعد لما قالوا: أنت سيدنا وذو الطول علينا قال: «**مه مه، قولوا بقولكم ولا يستجرينكم الشيطان السيد الله، السيد الله، السيد الله**» لا شك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد ولد آدم، في هذا المقام كأنه رآهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا مثل هذه الكلمة وخشي عليهم من المبالغة؛ وإلا فلا شك أنه أفضل الأمة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأعظمها طولًا وقولًا وأنه سيد ولد آدم أجمعين عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لكن قال لهم هٰذا؛ فلأجل ذلك قال بعض أهل العلم: إنه يكره أن يقال لأحد إنه سيد لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**السيد الله**»، وقال آخرون: لا بأس لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأنصار: «**قوموا إلى سيدكم**» أي: سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «**السيد**

الله تبارك وتعالى» وسيادة الله ليست كسيادة خلقه؛ لأن سيادته عز اسمه بها فسر ما معنى اسم الله الصمد، فقد فسر بأنه السيد الذي كمل سؤدده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فليست سيادته كسيادة غيره عز اسمه لا إلٰه إلا هو، فقالوا: وأفضلنا فضلًا وأعظمنا قولًا، قال: «**قولوا بقولكم أو بعض قولكم**» أخذ منه الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ابن عثيمين أن هذا القول صحيح، قال: لأنه أقرهم عليه، قال: قولوا بقولكم هذا قلتموه لكن نهاهم عن أن يستجريهم الشيطان، قال: «**ولا يستجرينكم الشيطان**» لا يستجرينكم أي: لا يتخذنكم جريًا أي: رسولًا، وأذكر أن سماحة شيخنا ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: إن المراد قولوا بقولكم أو بعض قولكم أي قولكم المعتاد أي يا رسول الله يا نبي الله، ولا يستجرينكم الشيطان أي: بهذه المبالغات فيتخذكم جريًا أي رسولًا في تحقيق ما أراده من الشر، وهذا يدل على أن المبالغات والخروج عن الحد الشرعي من الشيطان.

في اللفظ الآخر أن ناسًا قالوا: يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، ولا شك أنه خيرنا وأنه سيدنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لكن مما يدلك على مبالغتهم أنهم قالوا: وابن خيرنا ولا شك أن والد النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات على الكفر، فلا يقال فيه إنه خيرنا، فقال: «**يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان**» اللفظ هنا بلفظ: لا يستهوينكم أي لا يستميلنكم الشيطان فتهووه وتتبعوا طرقه، «**أنا محمد عبد الله ورسوله**» وفي اللفظ الآخر: أنا محمد الذي في المسند: أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله «**ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله** عَزَّ وَجَلَّ» يا لها من كلمة عظيمة تضبط التعامل مع رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له منزلة هي أنه عبد الله ورسوله وهما ركنا شهادة أن محمدًا رسول الله، شهادة أن محمدًا رسول الله لها ركنان:

- **الأول**: أنه عبد.
- **الثاني**: أنه رسول.

وهذا ورد في مثل قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [الكهف: ١١٠] فقوله بشر مثلكم أي: عبد، يوحى إلي رسول، هذه هي منزلته فهو عبد لا يحل أن يرفع فوق منزلة العبودية فيعامل كما يعامل رب العالمين فإن هذا من الغلو إذ هو عبد لا يحل أن يرفع إلى مقام الربوبية، وفي الوقت نفسه هو عبد لا كغيره ممن لم يوحى إليه، بل هو وسائر المرسلين عليهم الصلاة والسلام ما ينطقون عن

الهوى، وإنما هو الوحي الذي يأتيهم من الله فليس كلامهم ككلام غيرهم، ولا أمرهم كأمر غيرهم، ولا نهيهم كنهي غيرهم، فلهٰذا يتوسط في التعامل مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا يعمل معه ما يفعله المخرفون من الصوفية والرافضة وأضرابهم فيرفعوه فوق منزلته ويدعون أنه يجيب المضطر ويكشف الضر وأنه يعلم الغيب هذا لا شك أنه من الباطل، وإخراج له عن حد العبودية، وفي الوقت نفسه لا يتعامل معه بالجفاء وقلة الحياء ونبذ سنته وعدم الاكتراث بحديثه، أو السعي في توهين ما جاء به من دين الله على ما يفعله أعداء الله تعالى من العلمانيين وأضرابهم فهو رسول الله وحديث لا يحل التعرض له بأي نوع من أنواع السخرية أو الرد، ولا يفعل هذا إلا أخبث الناس وأفجرهم؛ لأن كلامه ليس ككلام غيره فهذه منزلته، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي منزلته أنه عبد رسول لا ترفعوه إلى منزلة الربوبية بل هو عبد رسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وحلف على هذا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بيانًا لكونه لا يحب هذا الأمر ويبغض المبالغة فيه، ويبغض أن تغلوا الأمة فيه، فلهٰذا لا يحل أن يرفع فوق منزلته، وإذا ادعى من يدعون أنهم يحبونه فيقال هذا كلام محبوب الأمة صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأول الذي لا أحب إليهم منه ينهاكم عن مثل هذه المبالغات فإن كنتم صادقين فاتبعوه ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

۞ **قال المؤلف:** «**باب** ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآية [الزمر: ٦٧].

عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا محمد! إنا نجد أن الله يجعل السَّمٰوات على إصبع، والأراضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائرَ الخلق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك، فضحك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بدت نواجذه، تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآية [الزمر: ٦٧]».

وفي رواية لمسلم: «والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك وأنا الله».

وفي رواية للبخاري: «يجعل السَّمٰوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع» أخرجاه.

ولمسلم عن ابن عمر ﵄ مرفوعًا: «**يطوي الله السَّمٰوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأراضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**».

وروي عن ابن عباس ﵄ قال: ما السَّمٰوات السبع والأراضون السبع في كف الرَّحمٰن إلا كخردلة في يد أحدكم.

وقال ابن جرير: حدثني يونس، قال: أنبأنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما السَّمٰوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس**».

قال: وقال أبو ذر ﵁: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما الكرسي في العرش إلا كحلْقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض**».

وعن ابن مسعود ﵁ قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله.

ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبد المطلب ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**هل تدرون كم بين السماء والأرض؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «**بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم**». أخرجه أبو داود وغيره، تم الكتاب بعون الله وتوفيقه».

من فقه الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمة الله تعالى عليه أن ختم بهٰذا الباب العظيم، بعد أن ذكر ما يتعلق بجملة من الأمور المرتبطة بالتوحيد ختم بهٰذا الباب الذي فيه تعظيم الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبوب على قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ الآية [الزمر:٦٧] أي ما عظموا الله تعالى حق تعظيمه، ﴿وَٱلْأَرْضُ

جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، القبضة هي الشيء الذي يقبض باليد، ولي المراد بها الملك كما يقوله المتأولون، بل المراد القبضة الحقيقية، وقبضة الله عز اسمه على ما يليق به سبحانه وبحمده، والأرض هذه هي التي على ما ترى أنت فيها مجرد نقطة ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾، وفيه إثبات الطي أيضًا لله عَزَّوَجَلَّ وأنه يطوي هذه من أفعاله تعالى أن يطوي السَّمٰوات طيًا حقيقيًا وكذا يقبض الأرض سبحانه.

حديث ابن مسعود قال: جاء حبر والحبر هو العالم من أهل الكتاب، من الأحبار إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فقال: يا محمد! إنا نجد أي: في كتبهم، أن الله يجعل السَّمٰوات على إصبع، والأراضين على إصبع، والشجر على إصبع، والثرى على إصبع، وسائرَ الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك، يقول الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المحفوظ أن أصابع الرب سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ خمسة، هذا هو المحفوظ في الروايات، لما قال هذا في شأن الرب سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ضحك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ حتى بدت نواجذه والنواجذ جمع الناجذ وهو أقصى الأضراس، تصديقًا لقول الحبر، أي: أنه ضحك عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إقرارًا؛ لأن الضحك تارة يكون للإقرار وتارة يكون لضده؛ لكن في بعض الأحيان تضحك إقرارًا لتطابق ما قاله مع الحق الذي تعلمه وتقرره، ثم قرأ تصديقًا: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ﴾ هذا يدل على تصديق ما قاله من أن الأرض تكون قبضة رب العالمين سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر الحديث الذي بعده في رواية لمسلم أنه قال: والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فيقول: أنا الملك أنا الله عز اسمه لا إلٰه إلا هو.

في رواية البخاري: يجعل السَّمٰوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع وتقدم أن المحفوظ كما ذكر الشيخ أن الأصابع خمسة.

وذكر بعده حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: يطوي الله السَّمٰوات يوم القيامة سبحانه، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أي: ملوك الدنيا الذين تجبروا، أين المتكبرون؟ الذين حملهم ما كانوا فيه على الكبر الجبروت والتكبر لله عز اسمه لا إلٰه إلا هو، وكل تجبر وتكبر من غيره سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فهو باطل، ثم يطوي الأراضين السبع سبحانه، ثم يأخذهن بشماله، ومن هذا الحديث أخذ بعض أهل العلم أن

لله تعالى يمينًا وشمالًا وهو الذي يرجحه الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبعض أهل العلم يقول: بل لله عَزَّوَجَلَّ يدان كلتاهما يمين كما في اللفظ الآخر، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟.

وجاء عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: ما السَّمٰوات السبع والأراضون السبع على ما فيها من العظمة في كف الرَّحمٰن إلا كخردلة في يد أحدكم الخردلة حبة نبات صغيرة جدًا يضرب دائمًا بها المثل في الصغر، فالسَّمٰوات السبع والأراضون السبع في كف الرَّحمٰن وفي إثبات الكف لله عَزَّوَجَلَّ ما هي إلا مثل الخردلة، الخردلة الشيخ الصغير جدًا وهي دائمًا محل مضرب المثل، وبهٰذا يعرف أن صفات الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لا يمكن أن تقاس، فإذا جاء الكلام على نزول الرب سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وإذا جاء الكلام على ما يتعلق باستوائه يعلم أن الله تعالى أعظم من كل عظيم، وأعظم من كل شيء سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، فهذه السَّمٰوات كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] ومع ذلك ما هي إلا كالخردلة في يد أحدنا في كف الرَّحمٰن سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، السَّمٰوات السبع والأراضون السبع في كف الرَّحمٰن ما هي إلا مثل خردلة في يد العبد من عباد الله.

الحديث الذي بعده أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما السَّمٰوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس**» الترس يتخذ من جلد أو من خشب يحمل عند القتال يتقى به السيف، إذا ضربك المقاتل بالسيف أو بالرمح اتقيته بهٰذا الترس، يوضع من باب الدفاع، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن السَّمٰوات السبع في الكرسي مثل الدراهم السبعة، الدرهم صغير إذا هي ألقيت في ترس، ومعنى ذلك أن الكرسي عظيم جدًا؛ لأن السَّمٰوات السبع بالنسبة إلى الكرسي هي مثل هذه الدراهم السبع بالنسبة إلى الترس.

في الحديث بعده: «**ما الكرسي في العرش إلا كحلْقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض**» الحديث السابق في السَّمٰوات بالنسبة للكرسي، والكرسي هو موضع القدمين لله عَزَّوَجَلَّ، هذا الحديث في نسبة الكرسي إلى العرش، ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد أي: أن الكرسي بالنسبة إلى العرش كحلقة من حلق الدروع التي جعلت في فلاة من الأرض في برية واسعة، وهذا يدل عل عظم شأن العرش، والحديث السابق يدل على عظم شأن الكرسي، ومع عظم شأن الكرسي كما قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فالكرسي وسع السَّمٰوات والأرض، والسَّمٰوات السبع بالنسبة إلى

الكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس، الكرسي بالنسبة إلى العرش كحلقة ألقيت بين ظهراني فلاة من الأرض، والفلاة البرية الواسعة.

ثم ذكر حديث ابن مسعود ﵁ وأرضاه، ولم يرفعه ابن مسعود وإنما قاله من تلقاء نفسه، يقول الشيخ عبد العزيز: هو صحيح ولا يقال من جهة الرأي، أي: هناك أشياء لا يمكن أن تقال إلا بتوقيف؛ لأن هذا أمر غيبي كيف يقوله ابن مسعود ﵁؟ لا يقوله إلا بتوقيف من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن ابن مسعود قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام أي: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة، بين السماء الثانية والتي تليها وهي الثالثة خمسمائة وهكذا حتى تصل إلى السماء السابعة، السماء السابعة بينها وبين الكرسي والكرسي خمسمائة عام أي: مسيرة خمسمائة عام، هذا المعنى، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام؛ لأن العرش فوق الماء، والعرش فوق الماء، والله عَزَّ وَجَلَّ فوق العرش، ولما ذكر عظم علوه سبحانه نبه إلى أنه في عظمة علوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يخفى عليه أي شيء من أعمال العباد. حتى لا يتوهم جاهل أن الله تعالى ما دام بهذا العلو العظيم فكم بيننا وبينه؟ قال: وإن كان في علوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فلا يخفى عليه حتى ما يجوش في نفسك وخاطرك، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق] فهو في علوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولا يخفى عليه شيء.

ثم ذكر قول الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أن له طرقًا أي: كأنه ينبه إلى ثبوته وكثرة تعدد روايته عني ابن مسعود.

حديث العباس أنه أخبر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**هل تدرون كم بين السماء والأرض؟**» الحديث السابق حديث ابن مسعود فيه: كم بين سماء وسماء؛ لكن كم بيننا نحن الأرض وبين السماء الأولى الدنيا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**بينهما مسيرة خمسمائة سنة، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر** وهو الماء **بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم**». لا شك أن هذه النصوص دالة على عظمة هذه المخلوقات، وعظمة هذه المخلوقات من عظمة خالقها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي عز اسمه استوى على عرشه.

رحمة الله على الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأجزل الله له المثوبة، وجمعنا به في دار كرامته.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

ألقيت هذه المجالس من ليلة الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر
إلى الثامن عشر من شهر رجب سنة سبعة وثلاثين وأربع مئة وألف
في دورة التعليم الميسر بمسجد النخيل،الرياض
حرسها الله دارًا للإسلام والسنة.

---

(١) نهاية المجلس الثاني والعشرين.